



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠١٦٥٣

أما الطالب يتصيح ما طلب منه ليعمى
في الرسالة

المجلس العربي للعلوم
جامعة أم القري
كلية الدعوة والأصول
فرع العقيدة

لجنة المناقشة
مجلس
مجلس
مجلس

النظام الأكاديمي في الشريعة الإسلامية

أساليبه ومقاصده وطرق مواجهته



رسالة مقدمة من الطالب
الحضر عبد الرحمن محمد
لتسليم درجة الدكتوراه
فرع العقيدة . الدراسات العليا الشرعية

إشراف فضيلة الأستاذ
الشيخ محمد طه الجليلي

١٤٠٨ هـ

سید بن طاووس
وکیل
نستعین



لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ
وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِيْ اِسْرَءِيْلَ اَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّيْ وَرَبَّكُمْ
إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ
وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ
ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا
عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٧٣﴾
أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾
مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ
وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَا كِلَانٍ الطَّعَامَ أَنْظِرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمْ
الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنِّي يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ
الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا
كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، والصلوات المباركات على من ختمت به النبوات ،
والشكر موصولاً لخالق الأرض والسماوات، الذى وعد الشاكرين بالعزid بقوله تعالى (لئن شكرتم
لأزيدنكم) ^(١) (رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً
ترضاه وأصلح لى فى ذريتى إني تبت اليك واني من المسلمين) ^(٢) واجعل عظمى هذا من أحسن
ما عملت وتقبله منى وتجاوز عن سيئاتى كلها وتقصيرى فيه برحمتك وفضلك يا أكرم من سئل وأوسع
من أعطى .

وبعد :

فإذا كان شكر المنعم عز وجل من أوجب الواجبات فإنه يتضاعف ويتعظم ثمرته بشكر الناس
كما قال صلى الله عليه وسلم : (إن أشكر الناس لله عز وجل أشكرهم للناس) ^(٣) وقال : (من لم يشكر
الناس لم يشكر الله) ^(٤)

فإيماناً وامثالاً لهذا التوجيه النبوى الكريم أتقدم بالشكر الجزيل للقائمين على شؤون
جامعتى أم درمان الإسلامية بالسودان وجامعة أم القرى بمكة المكرمة .
الأولى لإيفادها لى لتلقى العلم فى هذا البلد المبارك الأمين والثانية لحسن استقبالها
لى وتذليلها كل صعب يعوق طريقى فى تحصيل العلم .

كما يسعدنى ويشرفنى أن أتقدم بخالص شكرى وعظيم تقديرى لأستاذى الجليل فضيلة
الأستاذ الشيخ محمد قطب إبراهيم الذى أوقف نفسه على نشر العلم ونصرة الدين ، فكان شالاً
نادراً فى رعايته لطلابه ، وبذله لوقته وراحته فى سبيل توجيههم إلى كل نافع ، فظلوا ينهلون
من علمه الثرى ، ويتأثرون بخلقه الكريم وحيائه وتواضعه الجم ، وما ذكرت من الصفات الكريمة هى من
بعض ما عرفت فى شيخنا وكان لها بالغ الأثر فى توفية هذا البحث حقه لأنه على الرغم من حرصه
على الزمن المخصص للإشراف فقد فتح لى داره فكتبت آتيه فى نهار رمضان لم تمنعه من ذلك
شدة الحر ولا استعدادة للسفر ، حتى كتبت أشعر بالحرج وأنا انتظر الإذن بالدخول حتى
إذا قابلنى بوجهه المتهلل زال ما بينى من حرج .

(١) سورة ابراهيم ، الآية رقم ٧ .

(٢) سورة الاحقاف ، الآية رقم ١٥ .

(٣) رواه أحمد ٢١٢ / ٥ .

(٤) أخرجه أحمد فى المسند ، ٢٥٨ / ٢ ، والترمذى فى السنن ٢٢٨ / ٣ ، وأبو داود



فالله أسأل أن يجزيه عنى وعن خدمة العلم وطلابه خير الجزاء ، وأن يبارك له فى
علمه وعمره ، وأن يعظم النفع به ، إنه ولى ذلك والقادر عليه وحده .

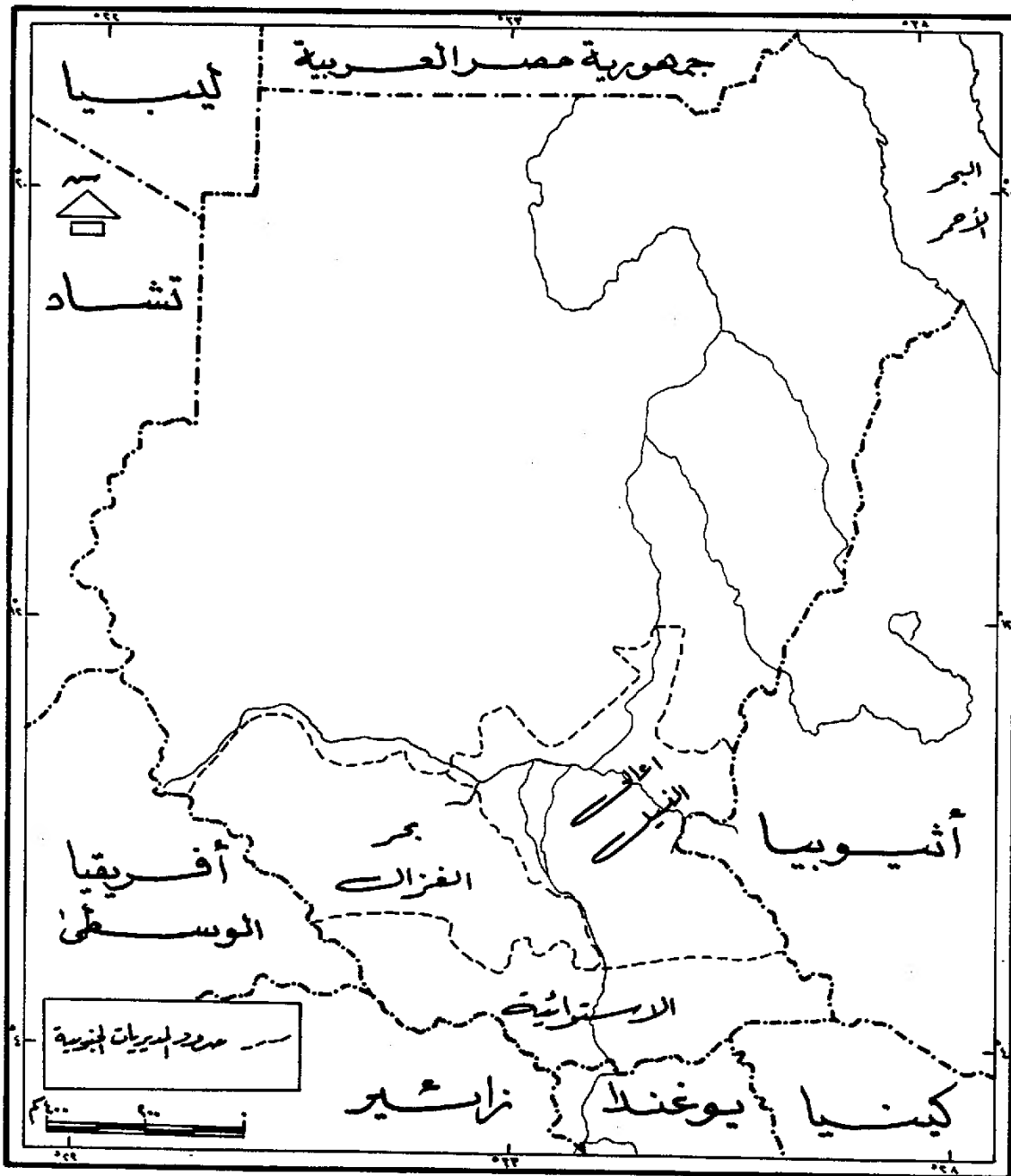
كما أشكر القائمين على سفارة السودان وفى مقدمتهم المستشار الثقافى لمعاملتهم
الطيبة التى كان لها الأثر الجميل .

كما لا يفوتنى أن أذكر بالعرفان أولئك النفر الكريم من الأساتذة والاخوان الذين
قد موالى عونهم سواء كان ذلك بتصوير الكتب أو الوثائق من جامعات بريطانيا وأمريكا
أو بالاسهام فى ترجمة نص أو المعاونة فى التصحيح أو الطباعة وأخص بالذكر الأساتذة
دكتور بدر الدين يوسف ، ودكتور احمد على الامام ، ودكتور محبوب الكردى وثلاثتهم أسهموا فى
ارسال وثائق هامة ، كما ساعدنى أولهم فى تصميم الخرط .

كما أشكر الاساتذة الشيخ الأمين الحاج ، والاستاذ محمد المبارك ، والاستاذ عز الدين
الشيخ ، والاستاذ خضر هارون ، والاستاذ بركات جمعة ، والاستاذ عمر محمد أحمد ، الذين
قد موالى عونهم فى شتى نواحي هذا البحث .

وأخيرا الشكر لكل من أعان بمرجع أو أسدى الى توجيهها أو كلمة نصيح أو أبدى
استعداداً لتقديم أى عون . فجزى الله الجميع خير الجزاء ، إنه لا يضيع أجر المحسنين .

وصل اللهم وسلم وبارك على سيد الأولين والآخرين المبعوث رحمة للعالمين وآله
وصحبه أجمعين . سبحان رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله
رب العالمين .



المصدر: مجلة جامعة السودان
 رقم ٢ - ٦٢٥ - ٢٠٠
 شكل رقم (١١)
 السودان والدول المجاورة له

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، ونستعينه ، ونستهد به ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا
وسيئات أعمالنا ، ونشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله
أرسله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً . وختم به النبوات
ونسخ بدينه جميع الديانات ، فلا يقبل الله من أحد غير الإسلام (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً
فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) .^(١)

فصل اللهم ، وسلم ، وبارك ، على محمد وآله وأصحابه وأهل بيته كما صليت على إبراهيم
وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد .

وبعد :

فإن السودان يحتل موقعاً وسطاً في قارة أفريقيا ، وساحة شاسعة تربو على مليون ميل
مربع ، تمتد من حدود مصر وليبيا ، في الشمال والشمال الغربي إلى قرب خط الاستواء جنوباً
ومن البحر الأحمر شرقاً إلى حدود شاد غرباً ، فاكسب بهذا الموقع ، وهذه المساحة جـوار
ثمانى دول من دول القارة هي : مصر ، وليبيا ، والحبشة ، وشاد ، وكينيا ، ويوغندا ، وزائير ،
وجمهورية أفريقيا الوسطى .^(٢)

وسكانه خليط من الساميين والحاميين ، أغلبهم عرب بيد أن عروبة سكانه تضم عدداً من
الأجناس ، منها الأسمر ، والأسود ، والأبيض وهي ليست صفة عرقية تجمع بين أفراد جنس معين
وإنما هي رابطة الدين الإسلامى بثقافته الإسلامية ، ولسانه العربى الذى نزل به القرآن الكريم .
فوسطية الموقع وعروبة السكان وتدنيهم بالإسلام حيث تبلغ نسبة المسلمين ٨٥ ٪^(٣) ،
وتعدد الأجناس والألوان ، والثقافات ، والأديان ، والبيئات المناخية ، جعله مثلاً مصفراً للقارة
كما جعله قنطرة تصل أجزاءها العربية في الشمال بأجزائها الأفريقية ، فصار بهذه الميزات
أكثر أقطار القارة استعداداً للتأثير فيها ونشر الإسلام بين سكانها ، مع قلة إمكاناته ، لما
حظى به من المزايا المتقدمة .

(١) سورة آل عمران ، الآية ٨٥ .

(٢) انظر شكل الخارطة رقم (١)

(٣) انظر ملحقه مجلة الدعوة الخاص بمركز المعهد الإسلامى الثالث ص ٢٥

تليه في الرتبة (نيجريا) مع أنها أكثر من السودان مالا وعدداً، إلا أنها تنقصها الصفات التي امتاز بها السودان . وبسبب هذه المزايا صار السودان ، حلبة للصراع العالى ، فتحالفت ملّة الكُفَر ، من علمانية ، وصهيونية ، وشيوعية ، وصليبية ، على رغم اختلاف عقائدها وتنافر مذاهبها ، جمع بينها ووحدها الحقد على الإسلام والمسلمين ، فسلطت جيوش الاستعمار الفكرى الحديث (جيوش التنصير) فتواثب النشاط الكسبى بمختلف مؤسساته التي خلفها الاستعمار القديم ، والتي دخلت حديثاً تحت شعارات الهداية والرحمة (تحت شعارات التنصير ، والإغاثة ، والتعمير) فأصبحت الشر المستطير وداء السودان الويل لأن هذه المؤسسات أعرف بمواطن القوة والضعف في المجتمعات الإسلامية ، فهي تقوم بدارسة هذه المجتمعات في جميع المجالات ، وترصد تحرك الإسلام رصداً دقيقاً فإذا أحسّت أى تحرك له أرسلت صيحات الإنذار بالخطر كما جاء ذلك واضحاً في تقرير طويل نشرته الكنيسة الكاثوليكية عن سير التنصير بجنوب السودان تحت عنوان (صيحة إلى العالم الحى) نعتت فيه فرصتها الذهبية التي افتقدتها . يقول التقرير :

(والسودان من ناحية رسمية ، أكبر قطر في أفريقيا ، وساحته ٢٥٠٠.٠٠٠ خمسمائة و مليوناً كيلو متر مربع ، وتمتد أكثر من ٢٠٠٠ كلم ألفى كيلو متر من الشمال إلى الجنوب ، وحوالى ١٠٠٠ ألف كيلو متر من الشرق إلى الغرب ، وسكانه حوالى ٢١ مليون نسمة ، والعاصمة الخرطوم يسكنها ما يقارب المليونين ، والقطر يقع في مفارق الطرق بين العالم العربى ، وأفريقيا السوداء ، والسودان الشمالى يمثل النفوذ العربى من حيث اللغة والدين أكثر من الانتماء العرقى للعرب . . . وتوضح هذه المقالة المخاطر التي تحيق بجنوب السودان نتيجة

(١)
الأسلمة العامة

فلمة الكفر جربت المواجهة المكشوفة مع الإسلام منذ عهوده الأولى ، وفي حملات الصليبية فمّنت بهزائم متلاحقة ، وظل اسم الإسلام يفزعها وأدركت أنه سر قوة المسلمين وعظمتهم وموحد صفوفهم ، فظلت تعمل على زحزحته من نفوسهم لتصل إلى تحقيق أهدافها دون عناء وما زال

قادة الغرب ودعاة التنصير يبذلون جهودهم للحيلولة بين المسلمين وبين الإسلام أن يعود إلى واقع الحياة فيسد الطريق إلى تحقيق أطماعهم، وإمعاناً في إخفاء واقعهم الحقيقية غزوا بلاد المسلمين بحملات التنصير تحمل الصليب والإنجيل تسمى نفسها رسل الإنسانية والرحمة، وهم في الحقيقة رسل الاستعمار وعبثونه وزبانية، يمارسون كل أنواع الوحشية، ويتفنون في أساليب قمع الإسلام والمسلمين، ويقعدون للإسلام كل مرصد، يقول رئيسهم زويمر، ففى مؤتمر الهند وهو يتعرض لزيادة المسلمين فى العالم، وقوة تأثيرهم فيه :

(والمبشرون المنتشرون على ضفتى النيل، وشرقى أفريقيا، وبلاد النيجر، يرفعون أصواتهم بالشكوى من انتشار الإسلام فى هذه الانحاء)^(١).

وقال عن شرق آسيا :

(وما زال الوطنيون يدخلون فى شبكة الإسلام، إلى درجة يتعذر على المبشرين المسيحيين أن يلقوا لأعمالهم رواجاً)^(٢).

نتيجة لهذا الخوف من الإسلام وهذا الاستصراخ اجتسيع الغرب المادى الملحد تنزعهم أمريكا التى لا تعرف من العبادة غير عبادة الذهب، ومع هذا غطت مساحة كبيرة من العالم بجيوش التنصير، زاعمة أنها تدعو إلى حياة روحية وسلام دينى، ومن المعلوم أن فاقد الشيء لا يعطيه، وما هؤلاء فى الحقيقة إلا عيونها ورسلها والحادون على مصالحها، ولذا تسهم أمريكا فى ميزانية التنصير اسهاماً عالياً، ولقد صرح رئيسها الحالى (ريغان) أنه دفع نصيب دولته فى ميزانية التبشير (عشرة ملايين من الدولارات) هذا بخلاف المبالغ الضخمة التى تدفعها المؤسسات الصهيونية والصليبية والاشخاص الأمريكيون للإسهام فى حملات التنصير مما أغرى كثيراً من أصحاب الأغراض الشخصية من مرتزقة، ومغامرين، ورجال، وتجار، أن يمتطوا التنصير مركباً لبلوغ أهدافهم ومآربهم، ساعدهم فى ذلك ضعف المسلمين وغفلتهم.

ولم تكن أمريكا وحدها التى تسلك هذا المسلك بل الدول الغربية كلها نجدها جميعاً

تتسابق فيما بينها على عون التنصير وحمايته ونصرته ورعاية القائمين عليه من أى جنس كانوا

(١) الغارة على العالم الاسلامى ص. ١٥٠ .

(٢) المرجع السابق ص ١٥٠/١٥١ .

والى أى مذهب انتموا طالما كان علمهم خارج حدود هذه الدول التى هجرت فى كثير منها دور العبادة وأصبحت سلعا تباع فى المزادات العلنية .

فمثلا إيطاليا التى ناصبت الكنيسة العداء وحجرت البابا فى الفاتيكان كانت وما تزال تبنى سياستها الخارجية على جهود مبشرىها لأنهم عيونها الساهرة على مصالحها ، ولولا ذلك لما كان البابا ، ولا كانت الفاتيكان ، وحتى روسيا التى ناصبت جميع الأديان العداء واستعملت أبشع أنواع التعذيب فى قمع المسلمين ومحو الإسلام ، تظاهرت بإبان الحرب الكبرى الثانية بالعطف على المنصرين فدعت عقب الحرب إلى عقد مجمع مسكوتى فى عاصمتها حملت إليه المؤتمرين على متن طيرانها ، وشرف المؤتمر ستالين نفسه ، وفى العصر الحديث نجد ها تنقف فى صف واحد مع اليهودية والصليبية متخذة من النظام الحبشى الشيوعى الموالى لها قاعدة لتدريب وتسليح متمردي جنوب السودان ، كما اتخذت الصهيونية والصليبية من المؤسسات الكنسية فى داخل السودان وفى خارجه ، ومن الدول المجاورة التى بسط الاستعمار عليها نفوذه محاور ارتكاز لتموين وتدريب الجنوبيين الذين وقعوا فريسة لإغراءات هذه المؤسسات ، وأصبحوا أداة طيعة لتحقيق أهداف الاستعمار الحديث الذى يبرر فعله الشنيع بأن الشمال العربى المسلم يريد أن يفرض الإسلام على الجنوب الأفريقى المسيحى . وما يدعو للأسف ، أن هذه القوى العالمية المتآمرة تجد مؤازرة من العلمانيين وفلول الشيوعيين والبعثيين ، وجميعهم يعضد حملات التنصير وينادى بإلغاء التشريعات الإسلامية التى طبقت فى أواخر عهد الحكومة السابقة ، كما ينادون بأن يكون السودان دولة علمانية (لا صلة لها بالدين) يرمون من وراء ذلك إلى اقتلاع جذور الإسلام الحضارية وحول هذا تجمعت قوى الشر بمختلف عقائدها ومذاهبها وفلسفاتها ، وورثة من قوس واحدة ، ورأس هذا التآمر الكبير كان ولا يزال المؤسسات الكنسية التى اتخذها الاستعمار الحديث ستارا يختبئ خلفه ، واتخذ من النصارى جنودا ، ومن الكنائس على مختلف مذاهبها أوكارا لتنفيذ مخططاته ، وتحقيق أهدافه الدينية الرامية إلى إبادة المسلمين واقتلاع الإسلام ، وغرس النصرانية مكانه .

ويعتبر هذا التآمر الضخم على السودان من أقوى الدوافع لاختيار موضوع :

(النشاط الكنسى فى السودان ، أساليبه ، ومقاصده ، وطرق مواجهته)

ليكون اسهاما منى بقدر الاستطاعة فى كشف غوامضه ، وبيان مخاطره ليتخذ المسلمون حذرهم

فينفروا جميعاً لمواجهة قبل أن يحل بهم ما حل بإخوانهم في الأرض وفلسطين ويوغندا وغيرها من البلدان الإسلامية.

الإطار المكاني والزمني للبحث :

الإطار المكاني للبحث هو السودان بالمفهوم الحديث -

أما الإطار الزمني :

فهو متابعة النصرانية متابعة موجزة من أول دخولها السودان حتى سقوط السودان تحت نير الاستعمار البريطاني مع التركيز على هذا النشاط منذ عهد الاستعمار حتى عصرنا الحاضر (١٨٩٨/ ١٩٨٧م) .

العقبات التي واجهت البحث :

١- أدرك الباحث منذ البداية أن مهمته ليست سهلة ، وذلك لسعة ميدان النشاط وتعدد وسائله وكثرة جنوده وأعدائه في الداخل والخارج ، وعظم إمكاناته المادية والمعنوية ، حيث تسنده حكومات كبرى كثيرة ، بهيئاتها الدبلوماسية ، ومنظماتها الكنسية ، وأموالها الطائلة المتدفقة على عملائها في ديار المسلمين الأمر الذي جعل مهمته في البحث في غاية الصعوبة .

٢- تعددت الكتابات فيه وتنوعت ، بتعدد وتنوع مجالاته التي يعمل فيها ، وكلها أو معظمها بلغات أجنبية ، وبلهجات محلية أعجمية مما زاد البحث صعوبة وتعقيداً .

٣- قلة الدراسات التي تناولت هذا النشاط لأن معظم المسلمين لم ينتبهوا لمخاطره ، إلا حديثاً مع أنه بدأ مبكراً في فترة ضعفهم وغفلتهم ، ولما بدأوا ينتبهون وجدوا داءه قد استشرى ، ومفاسده عمّت مجتمعهم .

٤- صعوبة المواصلات ووعورة المسالك والطرق ، وعدم استتباب الأمن بالنسبة لجنوب السودان وغربه حيث يتركز هذا النشاط .

كل هذه العوائق والعقبات جعلتني ألقى عناء ومشقة ، ومع ذلك أسأل الله عز وجل أن أكون قد حظيت من الله بالقبول والتوفيق في كشف غوامض هذا النشاط وأضفت جديداً إلى المكتبة الإسلامية .

منهج البحث :

سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي ، فاستقيت الحقائق من مصادر الأصلية سواء أكانت وثائق لم تنشر أو كتباً أو تقارير سرية ، أذكرها كما جاءت ثم أعلق عليها وإذا كان المجال يحتاج إلى تعليق ، كما جمعت حقائق من الرحلة الميدانية التي قمت بها فشاهدت الكثير من أنواع الأنشطة الكسبية المتعددة في معظم أنحاء القطر ، ولوردت كثيراً من الأمثلة ووضحت صلة هذا النشاط بالاستعمار قديماً وحديثاً ، وما زال هذا النشاط يمثل الاستعمار الغفري الحديث في ديار المسلمين ، ويعمل على إزلال الشعوب وتجريد ها من أهم خصائصها وهي عقيدتها وأخلاقها ليربطها بالحضارة الغربية المادية .

خطة البحث :

جاء هذا البحث في مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة .

فالباب الأول بعنوان : (خلفية تاريخية عن النصرانية والإسلام في السودان)

حيث اشتمل على تمهيد وأربعة فصول ، ذكرت في التمهيد صلة مصر بالسودان وأثرهما السياسي والثقافي قديماً وحديثاً حيث غزته بحضارتها ومعتقداتها ، وعن طريقها عرف النصرانية والإسلام .

أما الفصل الأول فعنوانه : (النصرانية في السودان)

تعرضت فيه لمسيحية المسيح عليه السلام ، والأطوار التي مرت بها وكيف ناصبه اليهود العداء ، وألبوا عليه أباطرة الرومان ، وكانوا شرطة لهؤلاء الأباطرة وجلادين فاستخدموا لقمع المسيحيين وتفننوا في تعذيبهم واضطهادهم ، وبدأ ذلك في حياة صاحب الرسالة كما يقس علينا القرآن الكريم : (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه)^(١) ولما عجز اليهود والأباطرة عن تحقيق هدفهم بالاضطهاد والتعذيب ، تظاهروا (شاول) اليهودي الذي كان العدو واللذود للحواريين باعتناي المسيحية ، وزعم أن الوحي نزل عليه

(١) سورة النساء ، الآية ١٥٢-١٥٨ .

فتحول من عدو لدود إلى صديق حميم وسى نفسه (بولس) وهو أول من قال : (المسيح ابن الله) ليقضى على المسيحية من داخلها ونجح مخططه فأحالها إلى ديانة وثنية لا تمت فلسفة الرومان ووثنياتهم فوجد الامبراطور قسطنطين ضالته في الفكر التقريبي لبيسطنفون ، على جميع رعايا دولته من الوثنيين والنصارى ، وتظاهر بمساندة النصرانية وجمع مجمع نيقية (٣٢٥م) الذي قرر ألوهية المسيح واعتمد الأناجيل الأربعة والرسائل الإحدى والعشرين التي تؤيد هذا المذهب ، وطارد الموحدين ومنع تداول الكتب الحقيقية التي تدل على التوحيد ، وكانت أكثر فأمر بإحراقها وحرّم تداولها ، وطارد أصحابها وكانوا كثيرى العدد وهكذا استحالت المسيحية من ديانة توحيد إلى وثنية رومانية وهى النصرانية التي دخلت السودان قبل الإسلام بنصف قرن تقريباً واعتنقها الحكام موالاة للرومان وزالت من السودان بزوال حكام النصارى إذ لا يوجد بيت واحد ذو جذور نصرانية فى المساحة التي كانت تشغلها ما سميت ب: (مالك النوبة المسيحية) .

وفى هذا العصر يحاول الصليبيون أن يسلوكوا نفس مسلك الأباطرة الرومانيين حيث تخلت بلادهم عنها ويريدون فرضها على السودان لبيسطنفون عليه نفوذهم السياسى ، وشرعوا ينبشون الآثار الوثنية ويصبغونها بصبغة نصرانية يزعمون أن السودان قطر نصرانى ينبغى أن يعود إلى نصرانيته ، وهيئات .

أما الفصل الثانى فعنوانه : (الإسلام فى السودان)

ذكرت فيه أن الإسلام دخل السودان رسمياً عقب فتح مصر مباشرة فى ولاية عمرو ابن العاص رضى الله عنه ، ومكث له حملة عبد الله بن سعد بن أبى سرح فى خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه .

فبدأ الإسلام ينتشر بين السودانيين بعقيدته وعبادته ، وأخلاقه ، ومعاملاته دون تشريعاته فبدأ الناس يدخلون فيه أفواجا ، وتتابع الهجرات العربية وتلاحقت ، وكاثروا النوبة حتى كانت لهم الغلبة ففوضوا دعائم ملك النوبة واعتلى بنو الكثر أريكة الحكم .

أما الفصل الثالث فيعنوان : (نظام الحكم في السودان قبل الاستعمار)

ذكرت فيه نشاط الهجرات بعد اعتلاء بنى الكنز عرش النوبة ، حيث وصل المزيد من الهجرات العربية إلى السودان ، وانتشرت قبائل العرب في كثير من أنحاء السودان ، ولم يعد الشلال الثاني كما كان سابقاً حاجزاً يقف في وجه الهجرات العربية جنوباً ، بل تجاوزته الهجرات واختلطت بالنوبة ، وزال ما بقى للنصرانية من أثر وما للملوك من نفوذ في كثير من مناطق السودان وانحسرت في رقعة ضيقة وتكونت المشيخات العربية ، وأخيراً دخل العرب في حلف مع الفونج واسقطوا (علوة) وكونوا سلطنة الفونج الإسلامية في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي ، وفتحت أبوابها للعلماء وشجعت العلم ، وقضت على جميع مظاهر النصرانية ، وسدت الطريق في وجه التنصير ، فلما دب اليها داء الأم قبلها ، الضعف والتفكك ، تسلسل إليها التنصير خلصة تحت ستار الاستكشاف والتجارة فزادها وهنا على وهنها مما أغرى والي المصري محمد علي باشا بغزوها في القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي فسقطت على يد نجله إسماعيل كامل ويسقوطها انفتح السودان لعهد من الاستغلال البشع بمختلف ألوانه ، واستعان الولاة المصريون بعدد كبير من النصارى في إدارة شئون البلاد فمهدوا لرواد التنصير الأوائل من أمثال (بيكر وفردون) وانتشر الأوربيون في جميع أنحاء السودان ومارسوا جميع أنواع الاستغلال ، ومارسوا التجارة في مختلف أنواع السلع ، وأخطر أنواعها تجارة الرقيق التي كانت أربح سلعهم ، ومارسوا كل هذا تحت حماية قناصل دولهم ، وطاردوا كل من زاحمهم في مجالات التجارة ، وخاصة الزبير باشا الذي كان من أوائل الرجال الذين فطنوا للمخططات الإجرامية التي يمارسها النصارى ، فعمل جاهداً على نشر الإسلام في الجنوب ، فأعلنوا عليه حرباً شعواء ، ووصفوه بأنه أكبر تجار الرق في أفريقيا ، وألبوا عليه الإداريين من بنى جلدتهم من أمثال غردون الذي يعتبر من أوائل المنصرين الذين غرسوا جذور مشكلة جنوب السودان كما تعهد بحماية النصارى ومساعدتهم ، وفتح الباب أمام المنصرين من جميع الأجناس مما أدى إلى ثورة المسلمين .

أما الفصل الرابع فبعنوان : (الثورة الإسلامية بقيادة المهدي)

لقد كان السبب المباشر لهذه الثورة هو تسلط النصارى على المسلمين ، وطرده جميع المسلمين من الجنوب ، ومصادرة أملاكهم ، مما دفع كثيراً منهم أن يكونوا الساعد القوي الذي يعضد الثورة لما ناله قائد هم الزبير باشا الذي علمهم استعمال السلاح ، وعلم الكثير الإسلام وأخيراً كان جزاؤه التشريد على يدي هؤلاء الغزاة ، وكان لجنود الزبير القذح المعلى ففى انتصار الثورة التى ظلت تزحف من نصر إلى نصر حتى فتحت الخرطوم ولقى غردون مصرعه ، وظلَّ السودان حكم إسلامي دام ثلاثة عشر عاماً ، وأوصد الباب فى وجه التنصير . فاستنفرت الصليبية العالمية الغرب لأخذ الثار من قتلة الميشر (غردون) بطل المسيحية ، فحرك هذا الشعار كوامن الحقد الصليبي ، فتقدمت بريطانيا لقيادة الحملة التى كان هدفها الحقيقى هو إزالة العقبة الكادئة التى حالت دون تحقيق أطماع الصليبية وكانت الحملة جيشاً جراراً يحمل الأسلحة الفتاكة التى حظر استعمالها دولياً ، ولكن الحقد الصليبي لا يقيم للأعراف الدولية وزناً إذا كان الهدف هو مواجهة الإسلام وأمتة ، وعلى تلال (كررى) ففى ضواحي عاصمة الخليفة سقط فى مدة وجيزة ما يربو على عشرة آلاف مسلم ، وسقط السودان بسقوطهم تحت الحكم الاستعماري النصارى ، وزالت دولة المهديّة ، وبدأ التنصير المكثف .

الباب الثانى : بعنوان : وسائل النشاط الكسبي فى السودان

ويضم تمهيداً وستة فصول :

أما التمهيد فتطرقت فيه لخطة الغرب فى إحلال جيوش التنصير محل الصليبية المسلحة

والفصل الأول عنوانه : إحياء المؤسسات الكسبية التى دمرتها الثورة المهديّة

حيث أعدت الخطط قبل غزو السودان ، وشرع فى تنفيذها بعد سقوط أم درمان مباشرة فدخلها النصارى والحقد يملأ صدورهم ليحولوا السودان . قطرًا نصرانياً ، وكان معتمد بريطانيا (لورد كرومر) و (كتشنر) قائد الحملة ضد فكرة التنصير بين المسلمين لأنه فى نظرهم ينذر بشر مستطير .

أما الفصل الثانى فجاء بعنوان : سياسة الاستعمار التعليمية وعلاقتها بالتنصير

فذكرت فى هذا الفصل أن التعليم كان ولا يزال من أنجع وسائل التنصير وأخطرهما على

الإطلاق، وكان رأى كرومر أنه لابد من التآنى وعدم دعوة المسلمين صريحاً إلى النصرانية
فعمل على كبح جماح المنصرين فى الشمال وفتح الباب على مصراعيه لتنصير الجنوب والغرب.
واكتفى بحرب الإسلام عن طريق التعليم العلمانى فى الشمال فجاءت خطته أكثر احكاماً فنجح
فى نزع أجيال متعددة من مجتمع المسلمين وربطها ربطاً وثيقاً بالغرب، فصارت غربية فـ
عاداتها وتقاليدها ولسانها مفتونة بحضارة الغرب جاهلة بالإسلام، ورغم أن كثيراً منها آب
من غربته إلا أن السودان ما زال يتجرع مرارة العلمانية التى غرسها فيهم المعتد البريطانى
(كرومر) ونائبه على السودان (ريجنالد ونجت) .

أما الفصل الثالث فعنوانه : السياسة التعليمية فى جنوب وغرب السودان

وقد بينت فيه أن الاستعمار عن قصد وكَلَّ أمر التعليم فى جنوب السودان وغربه للهيئات
الكسبية ، وعاونها بالإمكانات المادية والمعنوية ، ووقف معها فى صف واحد ، أو فى الحقيقة
وقفت هى معه فى صف واحد لحرب الإسلام واللغة العربية بكافة الوسائل .
واهتمت الهيئات الكسبية بالتعميد أكثر من التعليم ففشا الجهل الوخيم على هذه
الأقاليم التى ما زالت تعاني الأمرين من جراء هذه المؤسسات التنصيرية .

أما الفصل الرابع فيعنوان : التطبيب وعلاقته بالتنصير

ذكرت فيه أن الهيئات الكسبية ركزت نشاطها الدبى فى الشمال لتجعل منه مدخلا
لتنصير المسلمين ، وأهملت هذا الجانب إهمالاً تاماً فى الجنوب والغرب ، مع أنها أشد
احتياجاً للتطبيب ، من الشمال لتفشى الأمراض فى هذه المناطق ، لأنها تريد أن تكسب عدداً
أكبر بمجهود وبذل أقل وكانت ترى أن هذين الاقليمين من السهل تنصيرهما دون كبير
عناء أو بذل عظماء .

والفصل الخامس عنوانه : الإعلام التبشيرى

وضحت فيه أن النصارى استغلوا الإعلام لترويج نشاطهم فالمدىاع للرعاة والزراع وكافة
الدعاة ، والكتب والمجلات ، والصحف ، للشققين عامة ، وكفوا نشاطهم الإعلامى فى المدارس .

أما الفصل السادس فعنوانه : الوسائل المستحدثة في مجال التنصير

وقد ذكرت في هذا الفصل أن النصارى استغلوا الظروف الصعبة التي تمر بها القارة الأفريقية بصفة عامة والسودان على وجه الخصوص لتحقيق أهدافهم التنصيرية فجاءوا يحملون الإنجيل في يد والخبز في الأخرى ، فلا يعطى الخبر إلا من يأخذ الإنجيل ، كما غزوا جنوب السودان تحت مظلات المؤسسات التنموية التي تأخذ أكر ما تعطي ، وتتسبب في التمرد وإراقة الدماء .

الباب الثالث وعنوانه : آثار الاستعمار والتنصير في ضعف المجتمع السوداني وتفككه

واشتمل هذا الباب على تمهيد ، وفصلين :
تعرضت في التمهيد لفترة الحكم التركي وكيف مهدت الطريق للاستعمار حيث إنهما كانت بداية الغزو الفكري الذي مهد للغزو الاستعماري .

أما الفصل الأول فعنوانه : آثار الاستعمار والتنصير في ضعف المجتمع السوداني

فتكلمت فيه عن الأثر التشريعي وكيف قضى على التشريعات الإسلامية ، وحصرها في أضيق نطاق وهو (نظام الأسرة) (الأحوال الشخصية) ولاحقها حتى في هذا المجال .
ويعتبر هدم الجانب التشريعي من أكبر عوامل هدم المجتمع الإسلامي لأن التشريع هو الذي يحرس الأخلاق ويحمي المجتمع من التردى في مهاوى الرذائل ، فإن الله سبحانه يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن كما قال سيدنا عثمان رضي الله عنه . فغياب التشريعات الإسلامية أدى إلى تحلل المجتمع وفساده تحت حماية القانون الموضعي ، حيث أبيحت جميع الموبقات من زنا وربما . . . الخ

أما الفصل الثاني فعنوانه : أثر الاستعمار والتنصير في تفكك المجتمع السوداني

ذكرت في هذا الفصل أن سياسة الاستعمار والتنصير تهدف دائماً إلى عدم قيام الوحدة الإسلامية ، أو التضامن الإسلامي ، ولذلك شرعوا منذ أن وطئت أقدامهم أرض السودان في إحياء العنصريات وقيام القبليات حتى في مناطق الوثنية ، ونفذتها المؤسسات الكسبية حتى في دور التنصير حيث تجد لكل فرع من فروع القبيلة الواحدة وقتاً محدداً لأداء الطقوس بلهجته

أما الباب الرابع والاخير فجاء بعنوان : طرق المواجهة

واشتمل على تمهيد وفصلين :

ففى التمهيد ذكرت أن المواجهة تقوم على محورين أساسيين محور الهدم ومحور البناء ، لأننا ورثنا أنظمة تحتوى على كثير من العوائق والمفاسد والقيود ، فلا بد من هدم العوائق وإزالة المفاسد وتحطيم هذه القيود وإزالة ركائزها من طريق الصحة الإسلامية لتؤسس بنياننا على تقوى من الله ورضوان ليقوم متينا معافى من الضعف.

أما الفصل الأول فجاء تحت عنوان : العودة إلى الطريق المستقيم

فذكرت وسائل العودة يتصدرها إصلاح المناهج التعليمية ، وأن يؤخذ كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله أساسا للنهضة التعليمية الشاملة فى ديار المسلمين وربط المناهج كلها بالإسلام مع العناية بتعليم الذكور والإناث مع الاهتمام الزائد بالمعلم الصالح لأنه قدوة المتعلمين .

وعرجت على الاهتمام بوسائل الإعلام فى البلاد الإسلامية وتنقيتها من المفاسد وتقويتها وتحسين أدائها لتكون عنصرا فعالا فى نشر الوعي الإسلامى ، وحث المسلمين على توحيد صفوفهم والسعى الجاد فى تكوين دولة مسلمة تضطلع بتبعات الدفاع عن الإسلام وتواجه جيوش التنصير فى جميع أنحاء العالم الإسلامى .

أما الفصل الثانى ، فعنوانه : السودان وطرق المواجهة

بالإضافة إلى طرق المواجهة العامة فى العالم الإسلامى الذى يعتبر السودان جزءا منه ذكرت أن السودان خاض تجارب عدة فى مواجهة الغزو النصرانى ، منها ما هو جاد ، فأثمر ثمرا طيبا ، ومنها ما هو دون ذلك ومنها ما هو فردى ومنها ما هو جماعى طوعى أو حكومى وكمثال للمواجهة الطوعية الفردية ذكرت تجربة الشيخين (محمد الأمين القرهظى) والشيخ (عيسى فرتاك) وإن كان الأخير قد واجه من خلال سلطته ، التى كانت محدودة كسلطة الزبير باشا . أما المواجهة عن طريق السلطة فجرىها فى عهد حكومة الجنرال عبود التى أبعدت المبشرين وواجهت التنصير مواجهة قوية كانت سبب سقوطها .

أما المنظمات الطوعية فذكرت كمال لها منظمة الدعوة الإسلامية، وهي منظمة رائدة رغم قلة إمكاناتها المادية . - كما - وهي المنظمة الإسلامية الوحيدة الجادة بين مؤسسات المنظمات والهيئات الكنسية ومع ذلك أزعجت النشاط الكنسي وأعوانه فسعوا لبتزنيشها بشتى الوسائل ولكن محاولاتهم كلها فشلت حيث نجحت في تقويض الحكومات التي حاولت التصدي لهذا النشاط، ثم بينت عظم المؤامرة العالمية وخطورتها على السودان . وختمت الباب بتوجيه النداء إلى عامة المسلمين حكاما وشعبا أن السودان محاصر فدوا إليه يد المساعدة قبل فوات الأوان . ثم ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها بعض النتائج والمقترحات ، وذيلت البحث بالفهارس .

الباب الأول

خلفية تاريخية عن النصرانية والإسلام في السودان
وليشتمل على تمهيد وأربعة فصول

التمهيد في : صلة السودان بمصر

الفصل الأول : النصرانية في السودان

الفصل الثاني : الإسلام في السودان

الفصل الثالث : نظام الحكم في السودان قبل الاستعمار

الفصل الرابع : الثورة الإسلامية بقيادة المهدي

تمهيد :

يرتبط السودان ارتباطا وثيقا بالعالم بصفة عامة ، وصلاته بمصر تشكل الحلقة الرئيسية في هذا الارتباط ، حيث عرف تأثر السودان بمصر من أقدم عصور التاريخ ، وتبلور في عهد أحسن الذي طرد الهكسوس وأسس الدولة الحديثة التي توغلت فسي فتوحاتها جنوبا حتى الشلال الرابع حيث وجدت الاثار الدالة على ذلك في (كرقس) بمنطقة الرباطاب جنوبي أبي حمد .^(١)

وفي عهد مملكة مروي سنة ٧٥٠ ق م وجدت آثار تدل على الثقافة المصرية فسي منطقة جبل البركل حول العاصمة (نيتة) ، تلك الآثار التي تمثلت في النقوش والتماثيل المصرية ، والاهرامات التي فاقت اهرامات الجيزة في عددها^(٢) ، وتنفيذا لسياسة التصير هذه فتح المجال لتعيين أبناء الرؤساء والزعماء في الوظائف وذلك بعد تنشئتهم تنشئة مصرية ، كما فتح المجال للمصريين من كهنة وصناع للدخول لاقالسيم النوبة فاختلطوا بالسكان وأثروا فيهم^(٣) وما من حاكم دانت له مصر الا فكر في امتداد نفوذه جنوبا الى ما كان يعرف بأرض (نوب) والنوب اسم للذهب عند قدماء المصريين الذين أطلقوا على مناطقه (بلاد النوبة)^(٤) ، وظل هذا المعدن من أقوى الدوافع التي تدفع حكام مصر لضم بلاد النوبة منذ عهد الفرعنة حتى العصر الحديث ، ففي القرن الماضي عند ما فكر محمد علي في غزو السودان كان هذا المعدن ضمن الأسباب التي دفعته لذلك ، والارتباط قائم بصرف النظر عن الذهب لاعتبارات كثيرة ففي العصر الحديث يقول اللواء محمد نجيب " ان السودان لم يكن بالنسبة لي مجرد ارتباط عائلي

(١) انظر مكي شبيكة ، السودان عبر القرون ص ١٣ نشر وتوزيع دار الثقافة ، لبنان بدون تاريخ

(٢) انظر ، محمد عمر بشير ، تطور التعليم في السودان ص ٢٢ ط دار الثقافي سنة ١٩٧٠

(٣) انظر ، د . ابراهيم الحارثي ، الرباط الثقافي بين مصر والسودان ص ٤ ط أولس سنة ١٩٧٧ دار جامعة الخرطوم للطباعة .

(٤) انظر الرباط الثقافي بين مصر والسودان ص ١ نقل عن وولتر مصر وبلاد النوبة

ص ١٠ ترجمة هندوسة .

ولا عاطفى وإنما كان أيضا إيماننا بأهميته وضرورته لمصر . . . ولم يكن مجرد فصل من حياتى وإنما هو أيضا فصل من حياة مصر .^(١)

ولم تكن مصر دائما غائمة غير غامرة وإنما ظلت بحكم جوارها قد بما وحدتها تشاطر السودان سراة ، وتشاركه فى ضرائه مما حدا بأحد الكتاب السودانيين المعاصرين إلى القول :

(فإنك لن تجد شيئا تتأثر به مصر لا يتأثر به السودان ، وما من شيء يصيبها من خير أو شر إلا أصاب السودان منه سهم علاقة عضوية جدلية فى الحياة والفكر والدم)^(٢) وكلما شب جيل فتح عيونه على مقومات حضارة مصر وأخذ منها بحظ وافر وصار كالمصري قلبا وروحا ،^(٣) ولذلك دان السودان بديانات مصر من فرعونية ورومانية وعن طريقهما كذلك عرف النصرانية والإسلام .

(١) اللواء محمد نجيب ، مذكرات محمد نجيب ، كتبت ريشة لمصر ص ٢٧٣ ط ثانية سنة ١٩٨٤ . الناشر المكتب المصرى الحديث

(٢) الرباط الثقافى بين مصر والسودان ص ٤

(٣) انظر المصدر نفسه والصفحة .

الفصل الأول النصرانية في السودان

المبحث الأول: متى وكيف دخلت النصرانية السودان؟

عند ما كانت مصر ولاية رومانية تابعة للدولة البيزنطية كان لا بد أن تدب بدورها وتأثر في جيرانها ومن هذا القبيل كان دخول النصرانية في السودان مملكة (نوباطيا) آنذاك شمال السودان الآن، وكان دخول النصرانية لهذه المملكة بالتحديد في النصف الأخير من القرن السادس الميلادي على اثر الصراع المذهبي الذي ساد تلك الفترة فقد كان الامبراطور جستنيان (٥٢٧-٥٦٥ م) على مذهب الكنيسة المملكانية (البيزنطية) فأراد أن يدخل القبائل الوثنية القاطنة على أطراف الامبراطورية الرومانية في حظيرة الدولة ولهذا سعى إلى اجتذاب النوبة إلى النصرانية ليتسنى له السيطرة على وادي النيل الأوسط،^(١) فكلف البطريق (ثيودوسيوس) ليقوم بنشر مذهبهم في أرض النوبة والسودان ففطن القاطنون على أمر الكنيسة المرقسية (الأرثوذكسية) لمراد الامبراطور فاستعانوا بزوجه (ثيودورا) التي كانت تتخالفه في المذهب فسارعت إلى إرسال (لونجينوس)، ويقال إن (جوليان) عرض عليها مشروعا تبشيريا لبلاد النوبة، فسرت به ووعدته بالمساعدة، وأخبرت زوجها بما عزمته عليه، فساءه أن يكون (جوليان) على رأس هذه البعثة لأنه من الحزب المعادي لقرارات خلقيدونية،^(٢) ولهذا عزم أن يرسل سفارة امبراطورية خاصة تحمل هدايا لملك النوباديين، وخطابا لحاكم طيبة البيزنطيسي، فعملت زوجه فحررت رسالة إلى حاكم طيبة طلبت إليه حجز سفارة زوجها حتى تصل سفارتها هي إلى بلاد النوبة، وهددت بالقتل إذا خالف أمرها، فنفذ أمرها، وحجز

(١) انظر د. مصطفى محمد سعد، الاسلام والنوبة في العصور الوسطى، ص ٥٦، ملتزم الطبع والنشر مكتبة الانجلو المصرية سنة ١٩٦٠ م.

(٢) المصدر السابق ص ٥٩.

(٣) مجمع خلقيدونية عقد على شاطئ البسفور الاسيوي سنة ٤٥١ م وسبب انعقاده أن الامبراطور ثيودوس الثاني أيد قرار مجمع أفسس الثاني بأن للمسيح طبيعة الهية واحدة وهو مخالف لمعتقد الكنيسة الغربية فاعتبر البابا مجمع أفسس غير شرعي وسماه مجمع اللصوص ووجه إلى الامبراطور ثيودوس الثاني طلبا يدعوه فيه لعقد مجمع صحيح وفي أثناء ذلك مات الامبراطور، وكان موته فرصة لتحقيق رغبة البابا ليمون فتعاطفت أخت الامبراطور وزوجها ماركيان مع البابا ودعوا إلى عقد مجمع خلقيدونية. انظر قصة الحضارة، مجلد ٤ ج ١ ص ١٠٢ وانظر يونس توري عقيدة التثليث والصلب وموقف الاسلام منهما ص ١١٥

سفارة زوجها مبررا فعله لرئيس بعثة الامبراطور بعدم وجود وسائل النقل ورواد الطريق وطلب منه الانتظار حتى يقوم بتدبير الدواب والمرشدين الخبراء بمسالك الصحراء^(١) وأصدرت ثيودورا أمرا بتعيين القس لونجينوس أسقفا لبلاد نوباطيا سنة ٥٦٦^(٢) ، وهى ملكة النوبة التى تقع شمال ملكة (المقرة) أما ملكة مقرة فقد اعتنق ملوكها النصرانية على المذهب الملكانى سنة ٥٦٩ ويرى البعض ان مقرة اعتنقت النصرانية بين (٥٧٠ - ٥٨٠) وحوالى سنة ٥٧٨ م بعث ملك علوة رسالة الى ملك نوباطيا يعلن فيها رغبته فى الدخول فى النصرانية رجاء أن يسمح للأسقف (لونجينوس) بالسفر إلى مملكته لتعميده فرجع (لونجينوس) من مصر إلى نوباطيا سنة (٥٨٠ م) فوجد رسالة ملك علوة بالدعوة لتعميده .

وإذا نظرنا إلى أى مدى تأثر النوبيون بالنصرانية وهل كان اعتناقهم لها عن رضا واقتناع فعملوا على نشرها بين طبقات الشعب أو كان اعتناقهم لها خوفا ومجاملة لملوك روما وأعوانهم فى مصر فأنحصرت فى عليقة القوم دون عاصمتهم . يجيب على هذه الأسئلة يوحنا الأفسس بقوله :

" إن جوليان ولونجينوس بدعا بتعميد الملوك ثم الأمراء ثم بعض أفراد النوبيين ، ومن غير المعقول أن يتم تعميد النوبيين جميعا فى المدة القصيرة التى قضياها ببلاد النوبة ، ولا بد أن قرارا صدر من الملوك النوبيين أن النصرانية دين الدولة الرسمى فاعتنقها الناس لا عن فهم واقتناع ولكن الناس على دين ملوكهم)^(٤) .

وهذا دليل واضح على أن النصرانية التى دخلت السودان هى نصرانية ملوك الرومان ، وليست المسيحية التى جاء بها عيسى عليه السلام ، ومهما حاول مؤرخو الغرب ومبشروه أن يشوهوا معالم التاريخ لهوى فى نفوسهم بأن يجعلوا من السودان المسلم قطرا ذا جذور مسيحية ضاربة فى عمق التاريخ فلن يجدوا لذلك سبيلا ولا لزعمهم دليلا كافيا يسهفهم فى تأييد ما ذهبوا إليه ولقد بدأت هذه المحاولة قبل الاستعمار واشتدت

(١) انظر الاسلام والنوبة فى العصور الوسطى ص ٥٨ / ٥٩

(٢) المصدر نفسه والصفحة .

(٣) انظر المصدر نفسه ص ٦٤ .

(٤) المصدر نفسه ص ٦٦ .

إبان فترته لخدمة أهدافه ، وحاول الاستعمار جاهدا أن يطوى سجل تاريخ الإسلام وأن يحو ثقافته من السودان وأن يقطع كل آصرة تربط حاضره بماضيه الإسلامي تعويقا لحركة الإسلام من الانسياب إلى أفريقيا، وما زالت المؤسسات الكسبية التي خلفها تواصل هذه الجهود . ونحن لا نشك أن النصرانية سبقت الإسلام إلى السودان بحوالى نصف قرن من الزمان ، ولكن كان هنالك فرق واضح بين دخول الديانتين حيث إن النصرانية فرضت بالقوة فدان بها الملوك قبل رعاياهم خوفا على ملكهم من أباطرة الرومان والنصارى انفسهم يشهدون على ذلك .
يقول ج . فانتيلى :-(١)

" ذكرنا أن الملك سلكو ملك نوباديا طرد البليبيين من وادى النيل حوالى سنة ٥٣٦م وفى أثناء هذه الفترة أبطل القائد (فرنسيس) عبادة الالهة (ازيس) التى كانت تتمتع بشعبية فى جزيرة (فيلة) واعتقل الكهان القائمين على خدمتها وأرسل تماثيلها إلى مدينة القسطنطينية " (٢)

والواقع أن الالهة ازيس ظلت تعبد بجزيرة (الفيلة) حتى سنة ٥٦٣ وهى السنة التى أرسل فيها الإمبراطور جستنيان قائده (فرنسيس) للقضاء على الوثنية وعلى عبادة ازيس ففعل وزج بالكهنة فى السجن واقفل معبد (الفيلة) وحمل التماثيل إلى القسطنطينية (٣)

(١) ولد بايطاليا سنة ١٦٢٣ رسم قسا سنة ١٦٤٧ ليعمل قسا بالسودان ، تعلم اللغة العربية بلبان ، نال دكتوراة اللغات والحضارات الشرقية بجامعة نابلى ، انضم لعضوية جامعة روما للتنقيبات الاثرية بالسودان (١٦٦٧-١٩٧٠) وعضوا لجمعية الدراسات النوبية بوارسو سنة ١٩٧٢ .
ومن الملاحظ أن مؤلفاته كلها تدور حول نبش رفات النصرانية المندثرة وهى : تاريخ المسيحية فى الممالك النوبية والسودان الحديث ، الحفريات بمكان فرس بالانجليزية - منابع تاريخ النوبة بالانجليزية - ومقالات فى الصحف عن تاريخ المسيحية .

(٢) جوفيانى فانتيلى ، تاريخ المسيحية فى الممالك النوبية ، والسودان الحديث ص ٥٤ ط الخرطوم سنة ١٩٧٨ .

(٣) انظر د . عبدالعزيز امين عبدالمجيد ، التربة فى السودان من أول القرن السادس عشر الى نهاية القرن الثامن عشر والاسس النفسية والاجتماعية التى قامت عليها ج ١ ص ١١ الطبعة الاميرية سنة ١٩٤٩

ويقول قاننينسى : (اعتنقت بلاد النوبة بشكل عام الديانة المسيحية من سنة ٥٤٣ هـ -

٥٨٠ م على يد بعض المبشرين القادمين من القسطنطينية ، وكان الملوك أول من

اهتدى إلى الديانة المسيحية فجعلوها ديانة رسمية ثم تبعهم رعائاهم^(١)

وفى واقع الأمر أن الدافع الرئيسى لحكام الرومان هو بسط نفوذهم السياسى

لا نشر المسيحية . وقد صرح المؤرخ المصرى يوحنا نيكيو سنة ٦٩٠ م أن ملك نوباطيا

طلب من الامبراطور القسطنطينى أن يبعث له المرسلين لنشر تعاليم الانجيل فى

بلاد هـ ، ويعلق أحد العلماء المتبحرين فى تاريخ بلاد النوبة فيقول : " إن الامبراطور

القسطنطينى كان يحرص على بسط نفوذه السياسى^(٢) .

ويقول : " وفى سنة ٥٦٨ قصد مدينة القسطنطينية وفد من قبائل القرعان وطلبوا

من الامبراطور البيزنطى عقد معاهدة معه سائلين أن يتعلموا مبادئ الديانة المسيحية

حسب معتقدات الامبراطور المذكور فوافقهم على ذلك^(٣)

ويقول : " إن وفدا من شعب مملكة (المقررة) قصد القسطنطينية سنة ٥٧٣ م

حاملًا الهدايا إلى ملك الروم وطلب عقد معاهدة معه^(٤) .

زيادة على ما ذكرنا من الأدلة على أن ملوك النوبة تظاهروا باعترافهم النصرانية

خوفا من ملوك الرومان ، فإن النصرانية التى دخلت السودان هى النصرانية التى غلبت

عليها وثنية الرومان لذا لم يكن الفرق كبيرا بين ما كان سائدا فى بلاد النوبة قبل دخول

النصرانية ، وبعد دخولها .

(١) تاريخ المسيحية فى الممالك النوبية ص ٤٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٥ .

(٣) و(٤) المصدر نفسه ص ٤٨ .

المبحث الثاني

دين المسيح عليه السلام

قبل أن نوضح ما لحق المسيحية من التحريف بعد المسيح عليه السلام ، ليوازن القارئ بين ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة عن المسيحية ، وما جاء في الأنجيل التي اعتمدها مع اعتراف الكثير من علماء النصارى أنفسهم أنها فقدت الثقة التاريخية ولم تتل الاحترام العلمي لما نالها من الاختلاف والتباين كما تعرضت لنقد شديد من علماء المسيحية الذين أسلموا عن رغبة واقتناع بعد بحث وتمحيص للوصول لمعرفة الحق مثل المسيو (انجيل دينيه) الفرنسي الرسام السدي هدا ، الله لحقيقة الألوهية فأعلن اسلامه سنة ١٩٢٧ بعد دراسات تاريخية ودينية لكتب الأديان فأصدر حكمه قائلاً : " أما أن يكون الله سبحانه قد أوحى الإنجيل إلى عيسى بلغته ولغة قومه فالذي لا شك فيه أن هذا الإنجيل قد ضاع واندثر ولم يبق له أثر ، أو أنه أبعد " (١)

كما تعرضت هذه الأنجيل لنقد شديد من علماء النصرانية الذين لم يسلموا كالدكتور نظمي لوقا الذي يقول : " وأعني بالمسيحية هنا ما جاء به المسيح من نصوص كلامه لا ما لحق بكلامه وسيرته من التأويل " (٢)

وسواءً رضى النصارى أم أبوا فإنه لا وجود لنصوص كلام المسيح عليه السلام إلا في القرآن الكريم ، فليس ثمة مصدر صحيح يرجع إليه لمعرفة كلام المسيح وتاريخ دينه جدير بالثقة والاحترام غير القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، فهذان المصدران هما المعتمدان لتاريخ الرسالات الإلهية منذ آدم أبى البشر إلى محمد خاتم الأنبياء والرسل صلى الله عليه وسلم .

فلا ستناد إلى هذين المصدرين في عرض حقيقة دين المسيح عليه السلام أمر ينهض أن يدعى إليه الباحثون عن الحق المنصفون له .

(١) ، (٢) انظر متولى يوسف شلبي ، أضواء على المسيحية ص ١٧ ، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م الدار الكويتية للطباعة والنشر والتوزيع .

ولهذا نجد القرآن الكريم قد اتخذ مكانته من الاحترام بين عقلاء الباحثين من المسيحيين .

يقول المستشرق الفرنسي الأستاذ (ديموبسين) أن النصف لا مناص له من أن يقر بأن القرآن الحاضر هو القرآن الذي كان يتلوه محمد صلى الله عليه وسلم (١)

ويقول السير وليم موپر في كتابه حياة محمد :

" كان الوحي المقدس أساس أركان الإسلام ، فكانت تلاوة ما تيسر منه جزءاً جوهرياً من الصلوات اليومية عامة أو خاصة ، وكان القيام بهذه التلاوة فرضاً وسنة يجزى من يومئذٍ جزءاً دينياً صالحاً ، ذلك كان إجماع الرأى في السنة الأولى ، وهو ما يستفاد كذلك من الوحي نفسه ، لذلك وعت القرآن ذاكرة كثر من الأولين إن لم يكونوا جميعاً (٢)

لهذا كان القرآن والحديث هما السند الذي يرجع إليه في حقيقة معرفة دين المسيح عليه السلام إذ ليس في الوجود كتاب إلهي محفوظ رسماً وتلاوة عدا هذا القرآن لأنه استند إلى التواتر والحفظ والصيانة برسمه وتلقيه كما اقتضت حكمة العليم الحكيم أن يتولى بنفسه سبحانه حفظه . قال تعالى " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون " (٣) يبين الله تعالى في هذه الآية الكريمة أنه هو الذي نزل القرآن الكريم وأنه حافظ له من أن يزداد فيه أو ينقص أو يغير فيه شيء أو يبدل ويبين هذا المعنى في مواضع (٤) آخر كقوله تعالى : (وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) (٥) وقوله : (وما تنزلت به الشيطان وما ينبغى لهم وما يستطيعون) (٦)

والمسيحية لم تكن بدعا من الرسالات ولا رسولها بدعا من الرسل الذين قال الله تعالى فيهم : (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فأعبدون) (٧)

(١) د . عبد الحليم محمود ، التفكير الفلسفي في الاسلام ص ٤٤ ، مطبعة مخيم بدين تاريخ

(٢) محمد حسين هيكل ، حياة محمد ص ١٠ .

(٣) سورة الحجر آية ٩ .

(٤) انظر الشيخ محمد الامين الشنقيطى ، أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن ج ٣ ص ١٠٧ ط ٢ سنة ١٤٠٠ هـ - ١٩٧٩ .

(٥) سورة فصلت الايات (٤١-٤٢) .

(٦) سورة الشعراء الايات (٢١٠-٢١١) .

(٧) سورة الأنبياء الآية ٢٥

قالله سبحانه واحد ودينه واحد كما قال جل شأنه (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه)^(١)

والقرآن الكريم يثبت إقرار عيسى عليه السلام بالمعبودية لله تعالى وهو في المهد (قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا)^(٢) كما يثبت أنه عليه السلام دعا إلى التوحيد الكامل واستقام عليه حتى رفعه الله إليه وهذا ما يقوله الله سبحانه وتعالى كاشفا عما يكون من عيسى عليه السلام يوم القيامة من مجاورة بينه وبين ربه تعالى^(٣) إن يقول :

(وإن قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانه ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتسى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد)^(٤)

هذه هى مسيحية المسيح عليه السلام فما هى الأسباب التى أدت إلى تشويهها ؟

(١) سورة الشورى الآية ١٣ .

(٢) سورة مريم الآية ٣٠ .

(٣) انظر الشيخ محمد أبى زهرة، محاضرات فى النصرانية ص ٩

(٤) سورة المائدة الايات (١١٦-١١٧) .

المبحث الثالث

أسباب تحريف المسيحية

أ - عصور الاضطهاد :

اتفقت جميع المصادِر على اختلاف أنواعها دينية وغير دينية على أن المسيحيين حلت بهم كوارث جعلتهم يستخفون بديانتهم ويفرون بها أحيانا ويصدون بها أمام المضطهدين مستشهدين أحيانا أخرى وأنهم في كل هذه الأحوال لا قوة تمنعهم وتحمي دينهم وكتبهم ، ويقرون أن أناجيلهم ورسائلهم التي اعتمدوها مصادِر لدينهم دونت أثناء هذه الاضطهادات ، وأن سلسلة هذه الاضطهادات بدأت في عهد الإمبراطور طيبارس والمسيح ما زال موجودا بينهم حيث كانت خاتمة ما أشار إليهما القرآن الكريم (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه . . . الآية)^(١)

ولقد خلف طيبارس هذا قيصران كانا شديدين على اتباع المسيح حيث قتل منهم الكثير وفي عهد ثانيهما دون أول الأنجيل الأربعة المعتمدة عند النصارى - وهو إنجيل متى - بالعبرانية وترجمه يوحنا إلى اليونانية على رواية ابن الهيريق^(٢) وأشد ما نزل بالمسيحيين من الأذى كان في عهد الأباطرة الآتي ذكرهم على سبيل المثال :

١ - الإمبراطور نيرون ٦٤ أو ٦٨ م حيث قتل أقطاب المسيحية مثل بطرس ، ومرقس ، وبولس وأحرقت روما في عهده فلم ينج من الحريق إلا ثلاثة أحياء فقط من جملة أربعة عشر حيا واتهم المسيحيين بإحراقها فصب عليهم جام غضبه فصلب بعضهم ، وأدخل البعض في جلود الحيوانات وطرحهم للوحوش لقتلهم ، وطلى بعضهم بالقار وعلقهم وأشعلت فيهم النيران واتخذوا مشاعل لإزالة حرائق القصر ، وكان هو نفسه يشق نفسا ضوئ هذه المشاعل البشرية^(٣) وفي عصر هذا الإمبراطور دون إنجيل مرقس ولوقا^(٤).

(١) سورة النساء (٥٧-٥٨)

(٢) انظر محاضرات في النصرانية ص ٢٧

(٣) انظر حبيب سعد ، فجر المسيحية ٥٤ ، ٥٥

(٤) محاضرات في النصرانية ص ٢٨

٢- الامبراطور طيطس سنة ٧٠ م

ملك هذا الامبراطور مصر وخرَّب بيت المقدس بعد المسيح بسبعين سنة بعد أن حاصرها وأصاب أهلها جوع عظيم وقتل من فيها من ذكر وانثى حتى كانوا يشقون بطون الحبال ويضربون بأطفالهم الصخور وخرَّب المدينة وأضرَم فيها النيران وأحصى القتلى على يده فبلغوا ثلاثة ملايين (١).

٣- ديمثانوس سنة ٩٠ م

أمر جميع ولايته بالقبض على المسيحيين والحيلولة دون اجتماعاتهم السرية التي يقيمون فيها صلاتهم وأعيادهم وطرحهم للوحوش تنكيلا بهم.

٤- تراجان سنة ١٠٦ م

أنزل بهم أشد أنواع العذاب فشنت شملهم ونقب عن دخالهم فتقرب إليه ولايته بتعذيبهم ، ورسالة واليه على آسيا الصغرى (١١١-١١٣ م) التي يبين فيها منهجه في التعذيب خير شاهد إن يقول :

" جريت مع من اتهموا بأنهم نصارى على الطريقة الآتية وهو أنى أسائلهم إذا كانوا مسيحيين ، فإذا أقرروا أعيد عليهم السؤال ثانية وثالثة مهدداً بالقتل فان أصروا أنفذ عقوبة الإعدام فيهم مقتنعا بأن غلظهم الشنيع وعنادهم الشديد يستحقان هذه العقوبة . وقد وجهت التهمة إلى كثيرين بكتب لم تذيل بأسماء أصحابها فأنكروا أنهم نصارى ، وكرروا الصلاة على الأرباب الذين ذكرت أسماءهم أمامهم وقد موى الخمر والبخور لتشال أفضيت به عمداً مع تماثيل الأرباب بل إنهم شتموا المسيح ، ويقال إن من الصعب إكراه النصارى الحقيقيين . . . ورأيت من الضروري أن أعذب امرأتين ذكروا أنهما خدمتا الكنيسة بيد أنى لم أقف على شئ سوى خرافة سخيفة مبالغ فيها (٢)

فرد عليه تراجان بقوله :

(إن الخطة التي سرت عليها يا عزيزي بلين في بحث حالات من اتهموا أمامك بأنهم مسيحيون خطة حكيمة يجب ألا تحد من البحث عن هؤلاء الناس ، ولكن إذا ما بلوت

(١) انظر ابن قيم الجوزية ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ١٦٩ ،

مؤسسة مكة للطباعة والاعلام توزيع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

(٢) ديورانت ، قصة الحضارة ج ٣ ، ص ٣٧٣ / ٣٧٤ ترجمة محمد بدوان ، نشر جامعة الدول العربية سنة ١٩٦٤ م . وانظر محاضرات في النصرانية ص ٢٨ / ٢٩ .

أمرهم وتثبت من جرمهم فعاقبهم ، فإذا أنكر الواحد منهم أنه مسيحي وأيد ذلك
بالابتهاال إلى آلهتنا فاعف عنه)^(١) .

٥- أد يانوس ١٢٤ م

تغنى في تعذيبهم أسوة بأسلافه فأصدر أوامره بقتل رؤسائهم وعذب عامتهم
بالضرب بالسياط وطرحهم عراة على حجارة مسننة لتمزيق أجسادهم .

٦- الامبراطور ماركوس (١٦١-١٨٠)

قتل بوليكارب عندما اعترف بأنه مسيحي ، وكان قد بلغ من العمر مائة سنة ،
وبعد قتله أمر باحراقه^(٢) .

٧- الامبراطور سفروس ٢٠٢ م

استعمل قوة القانون لمنع المسيحية في مصر وبعض ولايات أفريقيا^(٣) .

٨- الامبراطور كاراكلا ٢١١ م

قتل المسيحيين بالصلب ، وبالطرح للوحوش ، وضاعف الجزية عليهم في مصر ، وأقام
احتفالا كبيرا خارج الاسكندرية فخرج بعضهم لمشاهدته فأشار على الجنود بقتلهم
ولم ينج منهم إلا القليل^(٤) .

٩- الامبراطور دقلديانوس ٢٨٤

بطش بأهل مصر لتمردها واليهما عليه فأقفل الكنائس ، وأحرق الاسكندرية ، وأجبر
الناس على عبادة الأصنام ، وعرف عامه بتاريخ الشهداء وهو تاريخ السنة القبطية^(٥)
وفي عهده كان أصحاب الكهف وقد سار أباطرة الرومان على هذا المنهج حيث
يقص علينا القرآن الكريم جزءا من هذه الاضطهادات ، فالحافظ ابن كثير يرى أن أصحاب
الكهف الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم كانوا في عهد دقيانوس^(٦) ويرى غيره أنهم
كانوا في عهد ملك الروم داققيوس ، حيث يقول صاحب كتاب أخبار بطارقة المشرق :

(١) قصة الحضارة ٣ / ٣٧٤

(٢) انظر حبيب سعيد ، فجر المسيحية ص ٩٧ / ٩٨

(٣) المصدر السابق ص ٥٩ .

(٤) انظر رؤوف شلبي ، يا أهل الكتاب ص ١٢١

(٥) حسب الله محمد احمد قصة الحضارة في السودان الفترة التاريخية من ٣٤٠٠ ق م

إلى ١٩٠٠ م ص ١٥٣

(٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ج ٢ ص ١٣٠ ط ثانية مطبعة المعارف بيروت

(وفي عهد ملك الروم داققوس كان أهل الكهف وعددهم سبعة فتيمان من أهل أفسوس هربوا من يد هذا القتال واستتروا في مغارة وما توا فيها بعد ثلاثمائة وسبع سنين)^(١)

ومما لا شك فيه أن هذه الاضطهادات التي صاحبت المسيحية في نشأتها وتكوينها وليدة وفي تدرجها كان لها أثرها البالغ في تغيير الديانة الصحيحة حيث توارى المخلصون بعقيدة التوحيد خوفاً على أنفسهم وأظهر الضعفاء الوثنية وأبطنوا المسيحية.^(٢)

ولم تكن هذه الاضطهادات مقصورة على أباطرة الرومان فحسب بل كان اليهود زبانية الحكام في اضطهاد المسيحيين لمعرفةهم بدخائلهم لأنهم من بني جلدتهم وخير مثال لما نقول هو (شاوئلي) مؤسس النصرانية الذي سمي نفسه بولس.

إن لبولس هذا لشأناً في النصرانية فهي تنسب إليه أكثر مما تنسب لأحد سواء حيث تأثر النصارى بأعماله فاختدوا حذوه وسلكوا نهجه واعتبروه القدوة الأولى من أساطين ديانتهم.

فرسائله هي التي شرحت النصرانية وأسفاره هي التي نشرتها في الأقاليم فلا بد إذن من العناية بتاريخه لمعرفة هل كانت مكانته في المسيحية الأولى كنزله في النصرانية الحاضرة.

ففي سفر أعمال الرسل تفصيل لحياته وقد أخذت أعماله من ذلك السفر الشطر الأكبر^(٣).

فهو يهودي من فرقة الفريسيين المعروفة بعدائها الشديد للشيخ عليه السلام وقد كان بولس هذا في صدر حياته من أعداء المسيحية وأبلغهم كيداً لها وأكثهم إمعاناً في أذى معتنقيها كما يدل على ذلك ما جاء في سفر أعمال الرسل في مواضع كثيرة منه ، ففي الإصحاح الثامن من ذلك السفر (حدث في ذلك اليوم اضطهاد عظيم

(١) ماري بن سليمان ، أخبار بطارقة المشرق من كتاب المجلد ص ٩٢ ط في روما الكبرى ، وانظر معه الحضارة في السودان ص ١٥٣ .

بيد أن الخبر اليقين أنهم لبثوا في كهفهم ثلاثمائة وتسع سنين كما قال الله تعالى في سورة الكهف: « ولَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا » الآية ٢٥

(٢) انظر محمد عزت الطهطاوي ، النصرانية والاسلام ص ٢٦١/٢٦٢

(٣) انظر محاضرات في النصرانية ص ٧٠

على الكيسة التي في أورشليم فتشتت الجميع في كور اليهودية والسامرة ما عدا الرسل وحمل رجال استفافوس وعملوا عليه مناحة عظيمة ، أما شاول فكان يسطو على الكيسة وهو يدخل البيوت ويجر رجالا ونساء ويسلمهم إلى السجن^(١)

وجاء في أول الاصحاح التاسع:

(وأما شاول فكان لم يزل ينفك تهديدا وقتلا على تلاميذ الرب، فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجد أناسا في الطريق رجالا ونساء يسوقهم موثقين إلى أورشليم)^(٢)

ويعترف بولس نفسه بهذا الاضطهاد قائلا: (كنت غيورا كما جميعكم اليوم ، واضطهدت هذا الطريق^(٣) ، حتى الموت مقيدا وسلمنا إلى السجن رجالا ونساء كما يشهد لي أيضا رئيس الكهنة وجميع المشيخة الذين أخذت أيضا منهم رسائل للأخوة إلى دمشق ذهبت لآتي بالذين هناك إلى أورشليم لكي يعاقبوا)^(٤)

ب - بولس الرسول :

عند ما أعين بولس هذا الأسلوب إن لم يأت بشرة مفيدة انقلب فجأة من عدو لود إلى رسول حميم ينزل عليه الوحي والعجيب في الأمر أنه لم تسبق هذا الانقلاب أي مقدمات حيث ورد في سفر أعمال الرسل قصة دخوله في المسيحية كما يلي :

(وفي ذهابه حدث أن اقترب إلى دمشق فبغته أبرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض وسمع صوتا قائلا له : شاول ! لماذا تضطهدني فقال : من أنت يا سيد . فقال الرب : أنا يسوع الذي أنت تضطهده ، صعب عليك أن ترفض مناخس* فقال وهو مرتعسد ومتحيرا يا رب ماذا تريد أن أفعل . فقال له الرب قم وأدخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل)^(٥)

(١) أعمال الرسل : ٨ : ١ : ٢٠

(٢) المصدر السابق : ٩ : ١-٣

(٣) يعني طريق دعة المسيحية

(٤) المصدر السابق : ٢٢ : ٥-٦

* حريقت هذه الفئرة - من الشعة الثانية وهو أمر في غاية الغرابة .
انظر كتاب الحياة ، ط الثانية سنة ١٩٨٢ . انظر ص ١٦٩ منه

(٥) أعمال الرسل ٩ ، ٣ ، ٦

وفي نفس السفر:

(وتناول طعاما فتقوى وكان شاول مع التلاميذ الذين في دمشق أياما وللوقت جعل يكرز في المجامع بالسيح أن هذا هو ابن الله)^(١)

(ابن الله)

هذه هي الكلمة التي أفسدت المسيحية فكانت بذرة بذرها بولس ثم آتت ثمرتها الخبيثة في مجمع نيقية وما بعده من المجامع.

ولو كان انقلاب بولس السريع المفاجئ جعله مؤمنا متبعا لكان مقبولا . أما أن يصيح رسولا ينزل عليه الوحي ويكلمه الرب فهذا ما يرفضه العقل السليم ، بل أتباع المسيح أنفسهم لم يقبلوه بادئ ذي بدء ، وانما نفروا منه لما عهدوه فيه من عداة للمسيحية كما جاء في أعمال الرسل : (ولما جاء شاول إلى اورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ)^(٢)

يقول ويلز :

(بولس من أعظم من أنشأوا المسيحية الحديثة وهو لم ير عيسى ولا سمعه وكان اسمه في الأصل شاول ، وكان من مضطهدي المسيحية ، ثم اعتنق المسيحية فجأة وغير اسمه إلى (بولس) ، وكان شديد الاهتمام بمعقائد زمانه ، فنقل إلى المسيحية كثيرا من أفكارهم ، ومن ذلك قوله إن المسيح ابن الله نزل ليصلب ويفدى البشرية وذلك مثل الضحايا القديمة أيام الحضارات البدائية ، وقد صادفت فكرة ألوهية المسيح أرضا خصبة في عقول الذين لهم معرفة بالفلسفات التي سبقت المسيحية وساعد على هذا ما صادفه المسيحيون من الاضطهادات التي استمرت أكثر من ثلاثة قرون حتى جاء الإمبراطور قسطنطين سنة ٣١٣م الذي كان يمنا وبركة على النصارى لا على المسيحية .

ويقول ول ديورانت :

(من حقنا أن نعتقد أن بعض المبادئ الدينية والأخلاقية والروافية انتقلت من البيعة المدرسية في طرسوس إلى مسيحية بولس فهو يستعمل الألفاظ الروافية مثل (بيوما) أي

(١) أعمال الرسل ٩ : ٢٠-٢١

(٢) أعمال الرسل ٩ : ٢٦ العهد الجديد ص ٢٦٩

النفس، وكان في طرسوس كما كان في أعظم المدن اليونانية أتباع للرواقية وغيرها — من العقائد الخفية، ويعتقدون أن الله الذي يعبدون قد مات من أجلهم ثم قام من قبره وأنه إذا دعى بإيمان حق وصحب الدعاء الطقوس الصحيحة استجاب لهم وأنجاهم من الجحيم وأشركهم معه في موهبة الحياة الخالدة المباركة وأن هذه الأديان الفاسدة هي التي أعدت اليونان لاستقبال دعوة بولس^(١).

المسيحية وفلسفة الرومان :

يقول ول ديورانت : هل بولس قد تأثر بنبذ الأفلوطينية والرواقية للعادة والجسم واعتبارهما شرا وخبثا ، ولعله تذكر السنة اليهودية والوثنية سنة التضحية الغذائية للتكفير عن خطايا الناس . . . فأهملها أن كل ابن أنثى يرث خطيئة آدم وأن لا شيء ينجيه من العذاب الأبدي إلا موت ابن الله ليكفر بموته عن خطيئته وتلك فكرة كانت أكثر قبولا لدى الوثنيين منها لدى اليهود ، ولقد كانت مصر وآسيا الصغرى وبلاد اليونان تؤمن بالآلهة من زمن بعيد ، تؤمن بأوزيريس ، وأتيس ، وديونيسوس التي ماتت لتفقدى بموتها بنى الإنسان ، وكانت ألقاب مثل سوتر (المنقذ) و(اليوشريوس) (المنجى) تطلق على هذه الآلهة وكان لفظ كريوس (الرب) الذي سعى به بولس المسيح هو اللفظ الذي تطلقه اليونانية السورية على ديونيسوس الميت المفقدى .

ولم يكن في وسع غير اليهود من أهل أنطاكية وسواها من المدن اليونانية الذين لم يعرفوا عيسى بجسمه أن يؤمنوا إلا كما آمنوا بالكهنتهم المنقذين ، ولهذا ناداهم بولس بقوله (هوذا سر أقوله لكم)^(٢)

وهكذا محا بولس معالم التوحيد من المسيحية وقرب الشقة بين الوثنية والنصرانية فدخل الناس فيها أفواجا كما يروى التاريخ دخول كثير من الرومان والمصريين في القرن الثاني والثالث والرابع من الميلاد في النصرانية وفي رؤسهم تعاليم الوثنية .

(١) انظر قصة الحضارة ج ٣ مجلد ٣ ص ٢٤٩ قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية تأليف ول ديورانت ترجمة محمد بدران . اجازته وافلتحت على ترجمته الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٦٤

(٢) انظر قصة الحضارة ٣/٢٦٣/٢٦٤

كل هذه الأسباب مجتمعة جعلت بعض العلماء يبحثون عن قيمة كتب المسيحية ، كما جعلت بعض علماء المسيحية يعتذرون عن هذا الاضطراب الذي اعترى الأناجيل بأنهم نادون في عصور الاضطهاد . . . ولم تغف هذه الاضطهادات عند تحريف كتب المسيحية فحسب بل طاردت أنصار التوحيد وشردتهم ، ورغما عنها ظلوا هم الكرة ، ولكنها الكرة المستضعفة المقهورة بعسا السلطان ، بيد أن منهم قلة من الأقوياء الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فجهروا بعقيدة التوحيد ومن أشهرهم (أريوس) الذي يروي ابن البطريق مقالته فيقول (وكان (أريوس) يقول إن الأب وحده الله والابن مخلوق مصنوع وقد كان الأب إذ لم يكن الابن)

وكانت مقالته هذه مشهورة بين كثير من طوائف المسيحية كما يقر بذلك المسيحيون أنفسهم جاء في كتاب تاريخ الأمة القبطية ما نصه :

(الذي ليس على أريوس بل على فئات سبقت في إيجاد هذه البدع ، فأخذ هو عنهما ولكن تأثير تلك الفئات لم يكن شديدا كتأثير أريوس الذي جعل الكثير ينكرون سر الألوهية حتى انتشر هذا التعليم وعم)^(١)

ويقول ابن حزم :

(والنصارى فرق منهم أصحاب أريوس ، وكان قسيسا بالاسكندرية ومن قوله التوحيد المجرد ، وأن عيسى عليه السلام عبد مخلوق وأنه كلمة الله تعالى التي بها خلق السموات والأرض ، وكان في زمن قسطنطين الأول ، باني القسطنطينية وأول من تنصر من ملوك الروم)^(٢)

(١) انظر محاضرات في النصرانية ص ١٤٧ .

(٢) الامام أبو محمد علي بن احمد المعروف بابن حزم الظاهري ، الفصل في الملل والاهواء والنحل ج ١ ، ص ١٠٩ بتحقيق د . احمد ابراهيم نصر ، وآخر . ط أولى سنة ١٤٠٢ / ١٩٨٢ شركة مكتبات عكاظ .

ج- مجمع نيقية ٣٢٥ م

كان لرأى أريوس هذا مشايعون كثيرون . فقد كانت الكيسة في اسبوط على هذا
الرأى وعلى رأسها (مليتوس) وكان أنصاره في الاسكندرية نفسها كثيروالعدد أقوياء
حيث استطاعوا أن يجبروا بمعتقدهم ، كما كان لهذا الرأى مشايعون في فلسطين
ومقدونية والقسطنطينية . ولقد حاول بطريك الاسكندرية القضاء على أريوس بششتى
الوسائل ، كالطرد ، واللعن ، والنفي ، ولكن باءت كل جهوده بالفشل مما اضطر
قسطنطين امبراطور الرومان أن يتدخل بنفسه ليحسم النزاع بين أريوس وبطريك الاسكندرية
ولكنه لم يوفق ، فاضطر إلى أن يعقد مجمعا لذلك فجمع مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م الذي كان
معولا قضى على توحيد المسيحية

ويصف ابن البطريق هذا المجمع بقوله :

(بعث قسطنطين إلى جميع البلدان ، فجمع البطارقة والأساقفة فاجتمع في مدينة
نيقية ثمانية وأربعون ألفا كانوا مختلفي الآراء والأديان .

فمنهم من كان يقول : (إن عيسى وأمه الهان من دون الله ، ومنهم من كان يقول :
إن المسيح من الآب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار فلم تنقر الأولى بانفصال
الثانية منها . . . ومنهم من كان يقول : لم تحمل مريم تسعة أشهر وإنما مرفى بطنها كما
يمر الماء في الميزاب لأن الكلمة دخلت في أنبها وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها
ومنهم من كان يقول : إن المسيح خلق من اللاهوت كواحد منا في جوهره ، وأن ابتداء
الابن من مريم وأنه اصطفى ليكون مخلصا للجوهر الانسى صحبتة النعمة الإلهية وحلت فيه
بالمحبة والمشئة ولذلك سمي ابن الله . ويقولون : الله جوهر قديم ، واقتوم واحد
ويسمونه بثلاثة أسماء ولا يؤمنون بالكلمة ولا بروح القدس وهي مقالة بولس الشمشاطي .

ومنهم من كان يقول : إنهم ثلاثة آلهة صالح ، وطالح ، وعدل بينهما وهم المرقيون
أصحاب مرقين اللعين ، وزعموا أن مرقيون هو رئيس الحواريين ، وأنكروا بطرس .

ومنهم من كان يقول بالوهية المسيح وهي مقالة بولس الرسول ، ومقالة الثلاثئة أسقفا .^(١)

(١) انظر محاضرات في النصرانية ص ١٢٤/١٢٥ .

ويعلق شيخ الاسلام ابن تيمية على هذا الاختلاف قائلاً :

(وقولهم فالإله واحد خالق واحد ، ورب واحد ، هو حق في نفسه لكن قد نقضوه بقولهم في عقيدة إيمانهم) نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد إله حق من إله حق من جوهر أبيه مساو للأب في الجوهر)

فأثبتوا إلهين ثم اثبتوا روح القدس إلهها ثالثاً ، وقالوا إنه سجد له ، فصاروا يثبتون ثلاثة آلهة ويقولون إنما نشبث إلهها واحداً وهو تناقض وجمع بين النقيضين النفس والإثبات . ولهذا قالت طائفة من العقلاء :

إن عامة مقالات الناس يمكن تصورها ، إلا مقالة النصارى وذلك أن الذين وضعوها لم يتصوروا ما قالوا ، بل تكلموا بجهل وجمعوا في كلامهم بين النقيضين ولهذا قال بعضهم : لو اجتمع عشرة نصارى لفرقوا عن أحد عشر قولاً . وقال آخر : لو سألت نصرانيا وامرأته وابنه عن توحيدهم لقال الرجل قولاً ، وامرأته قولاً آخر ، وابنه قولاً ثالثاً^(١) وهذا الاختلاف قد حدث بعد أن دخلت طوائف الوثنيين الرومان والمصريين فتكون في المسيحية مزيج غير تام الاتحاد والامتزاج ، وكل قد بقي عنده من عقائده الأولى ما أثر على تفكيره وفي دينه وجعله يسير على مقتضى عقيدته السابقة من غير أن يشعر أو يريد في غالب الأمر ، ولقد كان هذا الاختلاف كما لم يظهر مدة الاضطهادات الرومانية للمسيحيين ، لأنهم شغلوا بدفع الأذى ورد البلاء حتى إذا رزقوا الأمان في عهد قسطنطين الأول الذي عطف عليهم وتظاهر بالدخول في النصرانية ، ظهر هذا الاختلاف واشتد بين طوائف المسيحية فتباعدت المسافات تباعداً شديداً فتنافرت هذه الطوائف وتناكرت ، وأصبح الوفاق بينها متعذراً بل مستحيلاً .

لكل هذه الأسباب مجتمعة بالإضافة إلى ما يسمى بالبدعة الأريوسية بعث قسطنطين إلى جميع البلدان فجمع البطارقة والأساقفة فاجتمع في مدينة نيقية ثمانية وأربعين ألفاً كانوا مختلفي الآراء والأديان .

وأمرهم أن يتناظروا لينظر الدين الصحيح مع من ، وأخلى لهم داراً للمناظرة وسمع مقالة كل فرقة من مثليها ، فعجب أشد العجب مما رأى وسمع ، ولكنه جنح إلى رأى

(١) شيخ الاسلام ابن تيمية ، الجواب الصحيح ص ٥٥ مطابع المجد التجارية .

(بولس) - وهو القول بالوهمية المسيح - وهو مقالة ثلاثمئة وثمانية عشر أسقفا من المجتمعين وعقد مجلسا خاصا لهؤلاء الأساقفة الذين وافقوا هوى في نفس الامبراطور وجلس وسطهم وأخذ خاتمه وسيفه وقضييه فدفعه إليهم ، قائلا : (قد سلطتكم اليوم على ملكتي لتصنعوا ما ينبغي ما فيه قوام الدين وصلاح المؤمنين) فباركوا الملك وقالوا له : أظهر دين النصرانية ، وذب عنه ، ووضعوا له أربعين كتابا فيها السنن والشرائع^(١).

وفي هذا يقول شيخ الاسلام ابن تيمية :

(فلما سمع قسطنطين الملك مقاتلهم عجب من ذلك وأخلى لهم دارا ، وتقدم لهم بالاكرام والضيافة ، وأمرهم أن يتناظروا لينظر الحق فيتبعه واتفق منهم ثلاثمئة وثمانية عشر اسقفا على دين واحد فناظروا بقية الأساقفة . . . وانحاز الملك الى الثلاثمئة والثمانية عشر رجلا القائلين بالوهمية المسيح ، فانفرد بهم في اجتماع خاص ، وصنع لهم مجلسا خاصا وجلس في وسطه ، وأخذ خاتمه وسيفه وقضييه فدفعها إليهم قائلا قد سلطتكم على ملكتي لتصنعوا ما بدا لكم ما فيه قوام الدين وصلاح المؤمنين فباركوا الملك ، وقلدوه سيفه وقالوا له : أظهر دين النصرانية وذب عنه)^(٢)

لقد كان هذا المجمع حدا فاصلا بين المسيحية والنصرانية حيث قضى على ما بقى من دين المسيح ووهج معالم النصرانية السائدة إلى يومنا هذا وقرر ألوهية المسيح وأنه من جوهر الله ، وأنه قد يم كدمه ، وأنه لا يعتريه تغيير ولا تحول ، وفرضت تلك العقيدة على المسيحيين قاطبة بلسان الامبراطور الروماني لا عنه كل من يقول غير ذلك والذين فرضوا هذا ثلاثمئة وثمانية عشر اسقفا وخالفهم فيما ذهبوا إليه ثلاثون وسبعمئة وألف أسقف لم يكونوا متفقين فيما بينهم على مذهب واحد .

والنقد الموجه إلى هذا المجمع هو اهماله لآراء المخالفين لهوى السلطان ، وليس الأمر كما يزعم ابن البطريق التلثي أن هؤلاء الأساقفة الذين اختارهم الامبراطور أفلجوا حجج مخالفيهم وهو زعم باطل نقله الكثير من الكتاب وأن الرواة المحققين يقولون : إن أريوس لما اجتمع بهم وألقى بدعوته ونحلتهم إليهم انضم إلى آرائه أكثر من سبعمئة أسقف وذلك العدد هو أكبر عدد نالته نحلة من تلك النحل المختلفة فلو كانت النصر بالكرة

(١) انظر محاضرات في النصرانية ص ١٤٩ وما بعدها .

(٢) الجواب الصحيح ج ٣ ص ٢٢ / ٢٣

النسبية لكان الواجب إذن أن يكون الغلب لأريوس الذى احتج بما تحت أيدىهم من الأنجيل فلما عارضوه بنصوص أخرى تدل على ألوهية المسيح بين لهم تعريفها وظهر جليا أن يد السلطان وعصاه كان لهما دخل كبير فى تكوين رأى القائلين بألوهية المسيح لأنه يروى أنهم لم يكونوا على اتفاق فيما بينهم بألوهية المسيح ، ولكن تحت سلطان الإغراء بالسلطة الذى قام به الامبراطور بالانفراد بهم فى مجلس خاص بهم دون الباقين لا اعتقاده إمكان إغرائهم حيث دفع لهم شارة الملك ليتحكموا فى الملكة ، فدفعهم حسب السلطان لموافقة هوى الامبراطور تحت سلطان الرغبة والرغبة وبذلك تقررت ألوهية المسيح وحمل الناس عليها بالقوة ، وقرر أن تعاليم المسيحية لا بد من تلقيها من أفواه أولئك العلماء ورجال الكهنوت ، وفرض المجمع نفسه حكومة وجماعة كهنوتية تلقى الأوامر على الناس الطاعة كرها وطوعا ، وأمر بحرق جميع الكتب التى تخالف رأيه ، وتابع إحراقها فى كل مكان ، وحث الناس على تحريم قراءة ما أفلت منها من الإحراق ، وبهذا خالف رجال الدين المسيح عليه السلام الذى نسبوا إليه فى الإصحاح العشرين من إنجيل متى ما نصه :

(رؤساء الأمم يسودونهم والعظماء يتسلطون عليهم ، فلا يكن فيكم هذا) ليطيعوا قسطنطين الذى أعطاهم شارة ملكه وسلطتهم على مملكته .^(١)

وخلاصة القول أن هذا المجمع حد للأخلاق حدود العقيدة المسيحية فى نظره مقريه ، وهو الذى رسم الطقوس لأكثر التقاليد الكسبية القائمة الآن ، وهو أعظم المجمع وأبعدها أثرا وأكبرها شأنا وأولها وجودا وأعظمها ذكرا وهو الذى فلح الأرض لتبذر بذور هذه النصرانية .

يقول المؤرخ ول ديورانت :

(أترى هل كان قسطنطين حين اعتنق المسيحية كان مخلصا فى عمله ؟ وهل أقدم عليه عن عقيدة دينية ؟ أو هل كان ذلك العمل حركة بارعة أملت بها عليه حكمته السياسية ؟ أكبر الظن أن رأى الأخير هو الصواب^(٢))

×

(١) انظر محاضرات فى النصرانية ص ١٢٦ .

(٢) ول ديورانت ، قصة الحضارة ج ٣ مجلد ٣ ص ٣٨٧

() وقد أثمر آخر الأمر ذلك الاجماع العسلى على العقيدة الأساسية التى اشتق منها اسم الكنيسة فى العصور الوسطى ، وهو الكنيسة الكاثوليكية ، فكان فى الوقت نفسه إيذانا باستبدال المسيحية بالوثنية ، وجعلها المظهر الدينى والمظهر القسوى للإمبراطورية الرومانية^(١)

لأن قسطنطين أراد أن يوفق بين الوثنية والمسيحية فخطا (كل خطوة بحذر ليحكم قبضته على مملكته التى تغلب فيها الوثنية ولذلك يستعمل ألفاظا توحيدية يقبلها كل وثنى فأمر بتجديد بناء الهيكل الوثنية كما أمر بممارسة أساليب العرافة ، واستعمل فى افتتاح مدينته القسطنطينية شعائر وثنية ومسيحية معا واستعمل رقى سحرية لحماية المحاصيل من الأمراض^(٢))

وأصدر مرسوما إمبراطوريا يأمر فيه بإحراق كتب أريوس ويجعل إخفاء أى كتاب منها جريمة يعاقب عليها بالإعدام^(٣) . ولم يقف عند هذا الحد بل أمر بإحراق جميع الأناجيل التى تخالف تلك العقيدة المنحرفة التى أقرها المجمع وحرّم تداولها وحظر قراءتها .

يقول عبد الأحد داود : (إن هذه السبعة والعشرين سفرا أو الرسالة الموضوعة من قبل ثمانية كتاب ، لم تدخل فى عداد الكتب المقدسة باعتبار مجموعة هيئتها بصورة رسمية إلا فى القرن الرابع بإقرار مجمع نيقية العام وحكمه (سنة ٣٢٥ م) لذلك لم تكن أى من هذه الرسائل مقبولة ومعتمدة لدى الكنيسة وجميع العالم العيسوى قبل التاريخ المذكور ، ثم جاء من الجماعات العيسوية فى الأقسام المختلفة من كرة الأرض ما يزيد على ألفى مبعوث روحانى ومعهم عشرات الأناجيل ، ومئات الرسائل إلى نيقية لأجل التدقيق ، وهناك تم انتخاب الأناجيل الأربعة من أكثر من أربعين أو خمسين إنجيلا ، وتم انتخاب الرسائل الإحدى والعشرين من رسائل لا تعد ولا تحصى ، وصدق عليها .

وكانت الهيئة التى اختارت العهد الجديد ، هى تلك الهيئة التى قالت بالوهيئة المسيح وكان اختيار كتب العهد الجديد على أساس رفض المسيحية المشتبهة على تعاليم

(١) قصة الحضارة ص ٣٩٦

(٢) المصدر نفسه ص ٣٨٨

(٣) المصدر نفسه ص ٣٩٦

غير موافقة لعقيدة نيقية وإحراقها كلها^(١) . وما يؤكد أن عمل قسطنطين كان سياسيا
بحسب (أنه لم يعتنق المسيحية رسميا ولم يسمح بتعميده إلا وهو على فراش الموت سنة
(٢)
٣٣٢ م) .

هذه هي النصرانية التي خطط لها بولس اليهودي الحاقد وجنى غراسها قسطنطين
ليحكم قبضته على العالم مخالفا في ذلك نهج أسلافه الذين فشلوا في حكم العالم بقوة
السلاح - كما أشرنا إلى صنيع بعضهم - فجاءت وفود الأقطار معلنة ولاها لقسطنطين
منضوية تحت لواء هذا الدين الجديد مكتفية بطقوس ليس لها من المسيحية إلا الاسم ،
فوصلت هذه النصرانية المشابهة للوثنية إلى السودان ، ولم يكن لها أثر كبير في حياة
السودانيين لأنهم لم يحسوا بفرق كبير بين ما هم عليه من وثنية وبين الدين الجديد -
الذي فرض على حكامهم ، أو اعتنقوه خوفا على زوال سلطانهم .
ثم دخل المسلمون مصر في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بقيادة عمرو بن العاص
وكان دخولهم مصر بداية لسيادة حضارة جديدة في أفريقيا ، كما كان نهاية لحضارات
شمال البحر المتوسط التي سيطرت عليها منذ عام ٢٣٢ ق م بغزو الاسكندر المقدوني
لمصر الذي بدأت بغزوه سيادة الحضارة الاغريقية في شمال أفريقيا ، ثم خلفه الرومان على مصر
واستمر حكمهم من سنة ٥٤ ق م إلى سنة ٦٤١ . وكان أثرهم يمتد جنوبا إلى مالكة النوبة .
وعندما دخل المسلمون مصر توقع حكام السودان غزو المسلمين لهم وهذا ما ألفوه عبر
التاريخ من أي حاكم سيطر على مصر ببسط نفوذه جنوبا على النوبة ، ولما لم يجدوا ذلك من
المسلمين بادئ ذي بدء ظنوا أن بهم ضعفا فبدؤوا يناوشونهم مما اضطر المسلمين
لغزوهم في عقروا رهم فذعروا لذلك وساد التفاهم علاقاتهم مع الشمال فبدأت الهجرات
العربية المنظمة إلى السودان^(٣) .

(١) د . أحمد شلبي مقارنة الأديان ، المسيحية ، ص ٢٠٥ ط ٦ سنة ١٩٧٨ ،
نشر مكتبة النهضة المصرية .

(٢) الاسلام والنوبة في العصور الوسطى سنة ٤٧

(٣) انظر قصة حضارة السودان ص ١٢٣

الفصل الثانى الاسلام فى السودان

الهجرات العربية عبر البحر الاحمر:

عرف العرب بلاد النوبة قبل ظهور الاسلام بوقت طويل وهذه حقيقة من الحقائق التى تؤيدها الكشوف الجغرافية والروايات التاريخية ، ذلك ، أن البحر الأحمر لم يكن فى وقت من الأوقات حاجزاً كبيراً يمنع الاتصال بين شواطئه الآسيوية العربية وشواطئه الأفريقية . إذ لا يزيد اتساع البحر على العشرين والمئة من الأميال عند السودان ، وليس يصعب اجتيازه بالسفن الصغيرة ، وتنقل هذه المسافة فى الجنوب عند بوغاز باب المندب حتى لا تزيد على عشرة أميال وهو الطريق الذى سلكته السلالات العربية إلى القارة الأفريقية منذ آلاف السنين .^(١)

وتشير بعض الروايات التاريخية إلى حملات عسكرية قام بها الحميريون فى وادى النيل الأوسط وشمال أفريقيا^(٢) وتركت هذه الحملات وراءها جماعات استقرت فى بلاد النوبة وأرض البجة وشمال أفريقيا ، وقد أشار العلامة ابن خلدون فى كتابه العبر إلى الهجرات الجبهنية من الشرق وانتشارها فى السودان قائلاً : (فجبهينة ما بين الينبع ويشرب إلى الآن فى متسع من برية الحجاز ، وفى شمالهم إلى عقبة أيلة مواطن (بلى) وكلاهما على العدو الشرقية من بحر القلزم ، وأجاز منهم أم إلى العدو الغربية وانتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة وكثروا هنالك سائر الأمم وغلّبوا على بلاد النوبة ، وفرقوا كلمتهم وأزالوا ملكهم ، وحاربوا الحبشة فأرهبوهم إلى هذا العهد)^(٣) .

الهجرات العربية عن طريق مصر :

أما الطريق الشمالى وهو طريق برزخ السويس فله دور خطير فى تأريخ العلاقات بين سكان الجزيرة العربية وسكان وادى النيل منذ فجر التاريخ ، ولم تنقطع صلة هذه العناصر العربية بمصر زمن البطالمة والرومان ، ولقد طبعت هذه العلاقات اللغة المصرية بالطابع السامى .

(١) انظر د . محمد عوض مجيد ، السودان ووادى النيل ، ص ٢٨ ،
والاسلام والنوبة .^٣ العصور الوسطى ص ١٠٧ .

(٢) الاسلام والنوبة ص ١٠٩ .

(٣) ابن خلدون كتاب العبر دىوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم
من ذوى السلطان الاكبر ، القسم الأول ج ٢ ، ص ١٦٥ منشورات دار الكتاب اللبنانى
للطباعة والنشر سنة ١٩٥٦

وتخل حملة عمرو بن العاص ٢٠ هـ ٦٤١م على مصر إحدى طلائع هذه المهجرات الكبرى التي شقت طريقها من قلب الجزيرة العربية عبر برزخ السويس مكونة من أربعة آلاف رجل، أو من خمسمئة وثلاثة آلاف رجل^(١).

يقول ابن عبد الحكم:

(حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أن عمرو بن العاص دخل مصر بثلاثة آلاف وخمسمئة^(٢))

فلما أبطأ الفتح على عمرو، كتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه يستمد، ويعلمه بذلك، فأمدّه عمر بأربعة آلاف رجل على كل ألف رجل منهم رجل مقام الألف، الزبير بن العوام، والمقداد بن عمرو، وعيادة بن الصامت، وسلمة بن مخلد، وقال له عمر اعلم أن معك اثني عشر ألفاً ولا يغلب أثنا عشر ألفاً من قلة^(٣).

وفى رواية المقرئ:

أن الخليفة أمدّه بأربعة رجال فقط يقوم أحد هم مقام الألف^(٤).

ولما طال الحصار على المصريين، قالوا لملكهم ما تريد إلى قوم فلأوا كسرى وقيصر وغلّبواهم على بلادهم. صالح القوم واعتقد منهم، ولا تعرض لهم، ولا تعرضنا لهم، وذلك في اليوم الرابع وناهدوهم فقاتلوهم فارتقى الزبير سورها، فلما أحسوه فتحوا الباب لعمرو وخرجوا إليه مصالحين فقبل منهم، ونزل الزبير عنوة حتى خرج على عمرو من الباب معهم، فاعتقدوا بعد ما أشرفوا على الهلكة، فسأجروا ما أخذوا عنوة مجرى ما صالح عليه فصاروا ذمة وكان صلحهم:

(بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم، ووطنهم، وأموالهم، وكنائسهم، وصلبهم، وبرهم، وبحرهم لا يدخل عليهم شئ من ذلك ولا ينتقص، ولا يساكنهم النوب، وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح، وانتهت زيادة نهرهم، وخمسين ألف ألف، وعليهم ما جنى لصوتهم*)

(١) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص ٨١، وخطط المقرئ ج ١ ص ٣٠٢.

(٢) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب ص ٨١ بتحقيق عبد المنعم عامر نشر لجنة البيان العربي بدون تاريخ

(٣) المصدر السابق ص ٩١

(٤) تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المعروف بالمقرئ، وخطط المقرئ ج ١ ص ٣٠٢، أصدر دار التحرير والنشر عن طبعة بولاق سنة ١٢٢٠ هـ

فإن أى أحد منهم أن يجيب رفع عنهم من الجزاء بقدرهم وذمتنا من أى بريئة ، وإن نقص نهرهم من غايته إذا انتهى رفع عنهم بقدر ذلك ، ومن دخل فى صلحهم من الروم والنوب ، فله مثل ما لهم ، وعليه مثل ما عليهم ، ومن أى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه أو يخرج عن سلطاننا ، عليهم ما عليهم أثلاثا فى كل ثلث جبايسة ثلث ما عليهم ، على ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمته وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وذمة الخليفة أمير المؤمنين ، وذم المؤمنين ، وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأسا ، وكذا وكذا فرسا ، على ألا يفزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة ، شهد الزبير وعبد الله ومحمد ابنا ، وكتب وردان وحضر^(١)

فتوبة (المقرة) هم الذين ورد ذكرهم فى المعاهدة التى أبرهما عمرو مع المقوقس وجاء فيها (أن النوبة الذين يدخلون فى صلح مع المسلمين عليهم أن يعينوا بكذا وكذا من الرؤس وفتح بلادهم لتجارة الصادر والوارد ، ويبدو أن النوبة لهم يلتزموا بهذا العهد مما دفع عمرا لغزوهم .

يروى ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب أن المسلمين لما فتحوا مصر غزوا نوبة مصر فقتل المسلمون بالجراحات وذهب الحدق من جودة الرمي ، فسموا رماة الحدق وكانت هذه الحملة فى ولاية عمرو بن العاص بقيادة عقبة بن نافع الفهري سنة ٢١ هـ

٦٤٢ م وعند ما سمع النوبيون ب وفاة الخليفة عمر وعزل عمرو عن مصر ، أرسلوا سراياهم إلى الصعيد فخربوا وأفسدوا ، واستعد عبد الله بن سعد بن أبى السرح الذى ولى مصر من قبل الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه لملاقاتهم وتمكن جيشه من التوغل جنوبا حتى (دنقلة) عاصمة مملكة النوبة (المقرة) ٣١ هـ ٦٥٢ م وحاصرها حصارا شديدا واستخدم المنجنيق فخربت كيستهم ، وينقل المقرئى عن ابن سليم الأسوانى قوله : (فبهرهم ذلك ، وطلب ملكهم قليد وروث الصلح ، وخرج إلى عبد الله وأبسى ضعفا ومسكة ، وتواضعا ، فتلقاء عبد الله ورفع وقربه ، وقرر القائد الإسلامى عقد صلح عرف بالبقط^(٢)

(١) الطبرى ، تاريخ الامم والملوك ج ٤ ص ٢٢٩ ، طبع روائع التراث العربى ، بدون تاريخ ، وانظر تاريخ الرسل والملوك ج ٤ ص ١٠٩ بتحقيق محمد الفضل ابراهيم طبعة دار المعارف ١٩٦٣ م

(٢) انظر د . مكى شبكة ، السودان عبر القرون ص ٢٥ / ٢٦ دار الثقافة بدون تاريخ وانظر د . حسن ابراهيم حسن ، انتشار الاسلام فى افريقيا ص ١٠

* البقط : ما يقبض من سبى النوبة كل عام ، ومعناه بعض ما فى أيدي النوبة

(٣) الاسلام والنوبة ص ١١٢ وانظر المقرئى الخطط والاعتبار ج ١ ص ١٩٩

يقول ابن عبد الحكم :

(ثم غزا عبد الله بن سعد الأسود وهم النوبة كما حدثنا يحيى بن عبد الله ابن بكير سنة إحدى وثلاثين ، وحدثنا عبد الملك بن مسلمة حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب قال كان عبد الله بن سعد بن أبي سرح عامل عثمان على مصر سنة إحدى وثلاثين فقاتله النوبة . . . قال ابن حبيب في حديثه ، وأن عبد الله صالحهم على هدنة بينهم على أنهم لا يغزونهم ، ولا يغزو النوبة المسلمين وأن النوبة يؤدون كل سنة للمسلمين كذا وكذا من السبي ، وأن المسلمين يؤدون إليهم من القمح كذا وكذا في كل سنة ، قال فكان الذي صولح عليه النوبة كما ذكر بعض مشايخ مصر على ثلاثمائة وستين رأساً^(١))

ولقد أورد المقرئ في كتاب الخطط هذه المعاهدة حيث جاء فيها بعد البسطة :
(عهد من الأمير عبد الله بن سعد بن أبي سرح لعظيم النوبة ، ولجميع أهل مملكته ، عهد عقده على الكبير والصغير من النوبة من حد أرض (أسوان) إلى حد أرض (علوة))
أن عبد الله بن سعد جعل لهم أماناً وهدنة جارية بينهم وبين المسلمين ممن جاؤهم من أهل صعيد مصر وغيرهم من المسلمين وأهل الذمة ، أنكم معاشر النوبة آمنون بأمان الله وأمان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن لا نحاربكم ، ولا ننصب لكم حرباً ولا نفزوك ما أقمت على الشرائط التي بيننا وبينكم على أن تدخلوا بلدنا مجتازين غير مقيمين فيه ، وتدخل بلدكم مجتازين غير مقيمين فيه ، وعليكم حفظ ما نزل بلدكم أو بطرقه من مسلم أو معاهد حتى يخرج عنكم ، وإن عليكم رد كل آبق خرج إليكم من عبيد المسلمين حتى تردوه إلى أرض الإسلام ، ولا تستولوا عليه ولا تمكوا منه ولا تتعرضوا لمسلم قصده وجاوزه إلى أن ينصرف عنكم وعليكم حفظ المسجد الذي ابتناه المسلمون بغناء مدينتكم ولا تمنعوا منه مصلياً ، وعليكم كسبه وإسراجه ، وتكرمه وعليكم في كل سنة ثلاثمائة وستون رأساً تدفعونها إلى إمام المسلمين ، من أوسط رقيق بلادكم غير المعيب يكون فيها ذكراً وإناث ليس فيها شيخ هرم ولا عجوز ، ولا طفل لم يبلغ الحلم ، تدفعون ذلك إلى والي السبي

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ٢٥٢/٢٥٤ وانظر مروج الذهب ج ٣ ص ٣٨/٣٩

أسوان ، وليس على مسلم دفع عدو عرض لكم ولا منعه عنكم من حد أرض (علوة) إلى أرض أسوان ، فإن أنتم آويتم عبداً ، لمسلم أو قتلتم مسلماً أو منعتم شيئاً من الثلاثمائة رأس والستين رأساً فقد برئت منكم هذه الهدنة والأمان ، وعدنا نحن وأنتم على سواء حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ، علينا بذلك عهد الله وميثاقه وندمة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، ولنا عليكم بذلك أعظم ما تدنونه به من نعمة المسيح وندمة الحواريين وندمة من تعظمونه من أهل دينكم وملتكم والله الشاهد بيننا وبينكم كتبه عمر بن شريحيل في رمضان سنة إحدى وثلاثين (١)

ولا شك أن هذه المعاهدة فتحت الباب على مصراعيه أمام المسلمين فأخذ الإسلام يشق طريقه إلى السودان لا عن طريق الفتح وحده بل عن طرق الدعاية والتجار والرعاة والباحثين عن معادن الذهب ولم يتوقف الحكام المسلمون عن الدعوة الجادة إلى الإسلام . يروى المقرئ أن القاسد جوهر بعث عبد الله بن أحمد ابن سليم الأسواني بكتابه إلى (قيرقي) مملك النوبة يعرض عليه الإسلام ويستأذن ما عليه من البقطة ،

فدعاه إلى الإسلام بحضرة شاهدين أخرجا معه ، فكبر ذلك عليه فجمع علماء وأساقفته وأحضر ابن سليم للمناظرة وقرأ عليه جواباً عن الكتاب الوارد معه يدعو جوهرًا إلى النصرانية ، ويحتج عليه بنسخ الشرائع فطالت بينهما المناظرة ثم عاد إلى ذكر طاعته وموالاته أبيه وأخيه من قبل ، فأعلمه ابن سليم : أن الذي دعى إليه يستلزم الشكر عليه لأنه اختار له ما اختار لنفسه ، ويجب أن يحمد الله على ما أولاه من إبقائه على ملكه لأن الإسلام لما ظهر أزال ملوكاً كباراً من الأكاسرة وغيرهم ، وأقر بها إليه أرض مصر ، فأيهما أكبر ملك مصر أم ملكك ، فقال له أما في الحال والمآل فمصر ، وأما في الرجال فنحن أكثر عددًا ومددًا فقال ابن سليم : إن احتججت عليك بأن رجال مصر أكثر من رجالكم ظلمتكم في الاحتجاج لأنك تقول لي : قد رأيت مصرًا رجالاً وغايتهم وما ورائي من البلد الفلاني والفلاني فلم ترهم ، غير أنني أحتج عليك بما لا يمكنك دفعه ، هل

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطيئ والانتار ، ج ١ ، ص ٣٧٥ ، مطابع بولاق و انظر الاسلام والنوبة ص ٩٦/٩

تعلم أن في الدنيا درجة فوق الملك؟ قال : لا . قال : فإن ملك مصر بعث الله إليه موسى وهارون أجل الرسل ، يقول لفرعون أنت ملك فيأبى عليه ، ويقول : بل أنا إله . فما ظنك بملك يبلغ طغيانه الخروج إلى هذا ، وقد أزاله المسلمون وملكوا أكثر كراسى النصرانية مثل الاسكندرية ، وبيت المقدس ، وأنطاكية وغير ذلك من البلدان والأصهار فيجب أن نحمد الله على ما أعطاك ، وتشكره على ما حولك وأبقاه عليك . ففعل ذلك وأكثر من التذلل لله عز وجل والشناء عليه^(١).

كما تذكر كتب التاريخ أن من أوائل هؤلاء الدعاة أبو عبد الرحمن عبد الله ابن عبد الحميد العمري الذي بلغه خبر المعدن وإثارة الناس للتبر فاشترى عبدا للعمل المعدن وسار إلى أسوان على سبيل التجارة ، ونزل وجالس شيوخها وجاراهم العلم ، ثم دخل أرض المعدن ، ونزل على حى من مضر ، فوقع بين المضرية والربعية خلاف بسبب رجل قتل من مضر ، فاجتمع الفريقان وأقيد القاتل ، ووهب إلى ولى الدم ، ولم يحضر العمري فغضب من ذلك ورحل عنهم فلحقته جماعة من القوم وقال نقت عليك اطراحى إن لم تحضرونى هذا الأمر . قالوا : ما علمنا أنك تختار هذا أما وقد رغبت إلى مثله فلا خلاف عليك منا ، ولا نور ولا نصدر بعد هذا إلا عنك وأتبعوا القول أيمانا مؤكدة فانتهر العمري الفرصة بيمين القوم وجعلها عقد بيعة . . . وسأل العمري النوبة أن يجعلوا له ولأصحابه طريقا لورود الماء لا يتجاوزون حدها فامتنعوا من ذلك ، وقتلوا من أسروا من أصحابه ، فشق عليه فعلهم ، وعاد إلى أصحابه واستنقذ الناس فاجتمعوا إليه وحلفوا له فأمرهم بإحضار آلة المعدن فأمر بضربها حرايا وسار إلى النوبة فى غفلة منهم فنكس بهم

(١) المقرئى نماذج من مخطوط كتاب المقفى تحقيق خليل عساكر وآخر ص ٢٠ / ٢١ * هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الحميد بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب - رضى الله عنهم - أبو عبد الرحمن العمري العدوى القرشى ولد بالمدينة المنورة ونشأ بها ، وقد م مصر وجالس محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، وسمع منه الناس ثم مضى إلى إبراهيم بن الأغلب بالقيروان ومدحه فوصله بألف دينار وعاد سنة ٢٤١ هـ إلى مصر ، وكانت فيه أدوات من فقه وأدب وشعر ومعرفة بالنجوم والفلسفة .

وقتل مقتلة عظيمة وكثر السبي عند أصحابه حتى إن أحد هم كان يحلق رأسه فيعطى
العزيم رأساً^(١)

ويتضح هدف العمري من دخوله أرض المعدن بالمحادثة التي دارت بينه وبين
قادة جيش الأمير أحمد بن طولون حيث بعث الأمير ابن طولون شعبة حركام البابكي على
رأس جيش إلى أسوان خوفاً من العمري . فقال العمري لأصحابه لا تعجلوا فإن هذا
رجل أعجمي وأنا أخاطبه بنفسى وانظر ما عنده .

ثم خرج من عسكريه وقال لمن قرب من عسكري شعبة (إني أريد أن أخاطب الأمير قبيل
وقوع الحرب بيننا فخرج إليه شعبة ووفقا بحيث يسمع بعضهم كلام بعض فقال العمري :
(إن الأمير أحمد بن طولون لم يبلغه خبرى على حقيقته ، وقد موه عليه فى أمرى ، إني لم
أخرج أبغى فساداً ، ويدلك على ذلك أنى لم أؤذ مسلماً ولا معاهداً وإنما خرجت فى
طلب أعداء المسلمين حتى كفانا الله أمرهم ، فأكف يدك عن القتال حتى أكتب إلى
الأمير أيدى الله واكشف له خبرى ، وتكتب أنت أيضاً ، فإن قبيل عذرى ، ولم تثقل
عليه وطأتى وأمن جانبى كتب إليك بالكف والانصراف عنى فانصرفت مشكوراً ، وإن أمرى غير
ذلك امتثلت أمره غير ملوم .)

فقال شعبه : ما أنا فيجا لك * أحمل كتابك ما بينى وبينك إلا السيف . فقال له
العمري : ما أنت بحمد الله شعبة الرجال ، بل أنت بلعبة النساء أشبه . . . ورجع
العمري إلى أصحابه ، فقال هذا رجل جاهل أحقق فدونكم وقتاله . . . فرزق العمري
على شعبة الظفر وهزمه أقبح هزيمة ، وغنم ما كان معه فشبع أصحابه بعد جوع واكتسوا .
ومضى شعبة على وجهه إلى القسطنطينية ابن طولون قائلاً : أسأت وأخطأت ،

(١) المصدر السابق ٧/٦

* الفيح - رسول السلطان على رحله فارسى معرب ، وقيل هو الذى يسمى بالكتسب
انظر لسان العرب المجلد الثانى (فيح) ط دار الفكر بيروت

وكت أمهله وكتبت إلينا بخبره على صحة لسرى فيه رأينا ولكك بغيت عليه فنصر
عليك^(١)

ثم دخل المعرى أرض المعدن وجرت له حروب أعظم من الأولى مع ربيعة، ثم غادر
إلى المعدن سنة ٢٥٥ هـ سنة خمس وخمسين ومائتين، وعلى ربيعة رجل يعرف بأشهب ابن
ربيعة من بنى حنيفة بن لجيم بن صعب، وآخر يعرف بإياس بن روح، وآخر يعرف بمحمد
ابن صريح على بنى قيس بن ثعلبة ابن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل وحلفائهم.
وكان على الجهنين رجل يعرف بعثمان بن سعدان، وعلى الشاميين رجل من سعد
العشيرة ورؤساء دون هؤلاء، فكثر بهم العمارة في البجة وصارت الرواحل التي تحمل
الميرة إليهم من أسوان ستين ألف راحلة غير الجلاب* التي تحمل من القلزم إلى عيذاب.
وعرض أحمد بن طولون لمنع ذلك بسبب المعرى، فكتب إليه أنه في مئة ألف أويديون
فعدل عن الاعتراض^(١)، ولم يمض كبير وقت حتى تكونت الممالك الإسلامية العربية القوية
التي انتزعت عروش النوبة وقوضت دعائم ملكهم الوثني النصراني حيث آل الملك إلى بنى
الكنز سنة ٨٣٣ هـ وهم من ربيعة وأول ملوكهم كسز الدولة بن شجاع بن نصر بن فخر
الدين بن مالك بن الكنز، ويرى بعض المؤرخين أنه بانتقال الملك إلى بنى الكنز انتهت
المملكة النوبية المسيحية وذلك سنة ٣٢٣ م^(٢).

(١) المصدر السابق ص ١٥/١٥

* الجلاب : السفن الصغيرة الحجم، جمع جلبلة

(١) المصدر السابق ص ١٥/١٦

(٢) انظر د. مصطفى سعد الاسلام والنوبة ص. ١٢

الفصل الثالث

نظام الحكم في السودان قبل الاستعمار

المبحث الأول : الحكم في السودان قبل دخول الأتراك

باعتلاء بني الكنز عرش النوبة انفتح باب الهجرة على مصراعيه أمام القبائل العربية لتنتشر في كثير من أجزاء السودان ، ولم يعد الشلال الثاني - كما كان سابقا - حاجزا يقف في وجه تدفق العرب جنوبا حيث اختلطوا بالنوبيين وانتشر الإسلام وزال ما بقي للمسيحية عن نفوذ لأن كثر الدولة استعان بالعرب المقيمين في بلاد النوبة للوصول إلى العرش لأنهم كانوا من القوة والكرّة بحيث تمكنوا من التغلب على بيوت الإمارة النوبية القديمة يقول النويري : (فاجتمع أهل النوبة على كثر الدولة وملكوه عليهم ، واستقل بالملكة وضم إليه العرب واستعان بهم على من ناواه)^(١)

ويرى عدد من الباحثين أن هزيمة ملك النوبة كرنيس آخر ملوك النوبة سنة ١٣٢٣م أمام بني الكنز تعتبر نهاية دولة المقرّة المسيحية .^(٢)

ثم إن غلبة العنصر العربي في بلاد النوبة واستقرار عرب جهينة بها أدى إلى زيادة الاختلاط بالنوبيين وتحويل الأقلية النوبية إلى الإسلام ، وأصبحت مملكة علوة المسيحية معرضة لما تعرضت له من قبل جاريتها (مقرّة) في الشمال ، وخاصة أنها كانت في غايّة الضعف والتفكك في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي ، وذلك لقطع الصلات بينها وبين العالم المسيحي حتى أصبح سكانها في جهل مزر إن يصفهم قسيس برتغالي زار الحبشة سنة ١٥٢٠/١٥٢٧م (أن أولئك النوبيين يجهلون دينهم فلا هم بالمسيحيين ولا هم بالمسلمين أو اليهود ، ويقال إنهم كانوا على النصرانية غير أنهم فقدوا دينهم ولم تبق لهم

(١) الإسلام والنوبة ص ١٧١ نقلا عن النويري

(٢) د . مكي شبكة السودان عبر القرون ص ٥٥

(١)
عقيدة .

وبهذا أصبحت ملكة علوة مفتوحة الأبواب للهجرات العربية الإسلامية ، حيث تدفق
العرب من كل حدب وصوب ، وربما كان أشد هذه الهجرات الجديدة تدفقا هجرة
جبهة التي أشار إليها العلامة ابن خلدون ، وهي واحدة من خليط هائل من القبائل
المدنانية والقحطانية ويطونها المختلفة التي تجمعت في أنحاء النوبة الشمالية ومن ثم
بدأوا ينظمون أنفسهم ويستقرون على ضفتي النيل ، وأصبحت كل تتخذ لها شيخا تحتكم
إليه ، فتكونت المشيخات العربية تحت قيادة زعيم عرب القوا سمة الشيخ عبد الله جماع^(٢)
وكونوا حلفاء مع (الفونج) * الذين كان يتزعمهم (عمارة دنقس) حيث تحالف الفريقان
بعضهم مع بعض ، وهاجموا دولة (علوة) وحاصروا عاصمتها (سوبا) فتم لهم النصر
وخرّبوا (سوبا) خرابا صار مضرب المثل ، وبانتصار هذا الخلف الإسلامي بدأت في
السودان سلطنة إسلامية عربية اتخذت من (سنار) حاضرة لمكها ، وتم الاتفاق بين الزعيمين
على أن يكون زعيم الفونج هو السلطان ، وأن يكون حليفه العربي وزيرا له ، وصار هذا
الاتفاق نظاما لهذه السلطنة حيث ظل سلاطينها من الفونج ووزراؤها عربا^(٣) .

ومن أبرز سمات هذه السلطنة الإسلامية تشجيعها للعلم والعلماء ، فوفد إليها
الفقهاء من الأندلس وشمال إفريقيا ، ومصر والحجاز وغيرها ، وهؤلاء الفقهاء هم الذين
نشروا العلم ، وكان سلاطين الفونج يجعلون الفقهاء ويجعلون لهم مكانة خاصة في الدولة
ومن أقوى هؤلاء الملوك (بادي أبو ذقن) ١٠٥٢ / ١٠٨٨ هـ / ١٦٤٥ / ١٦٨٠ م حيث امتد
نفوذه جنوبا حتى قبائل الشلك ، وغربا حتى (تقلي) وكان كريما جلدا ، معظما لأهل العلم

(١) انظر الاسلام والنوبة ص ١٨٦
(٢) انظر د . محمد صالح محي الدين ، مشيخة العبد لاب وأشرها في حياة السودان السياسية
ص ٩٧ دار الفكر طبعة أولى سنة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م
* أصل الفونج على أصح الروايات : انهم عرب من بني أمية ، هربوا من (السفاح) إلى
السودان وصاهروا ملوك (الفنج) فانتقل الملك إليهم وأول ملوكهم هو (عمارة دنقس)
انظر مشيخة العبد لاب ص ١٣٠ .

(٣) انظر الاستاذ ضرار صالح ضرار ، تاريخ السودان الحديث ص ١٤ / ١٥ .

والدين يرسل هداياه مع خبرائه إلى العلماء بمصر وغيرها وهو الذي مدحه الشيخ عمر
المغربى مفتى الأزهر ، وغيره من العلماء لما وصلهم بعطاياه الجزيلة مع خبيره (أحمد
وليد علوان) ، وهو الذى أتم بناء المسجد الذى أسسه والده ، ونظم حاضرة ملكه وأقام
فيها الدواوين والمباني اللازمة للإدارة ، وكان نجم المكارم ، ويكفى فى ذلك مدح علماء
الأزهر له بالقصائد الفرائد . ونذكر على سبيل المثال بعض أبيات منها :

يقول الشيخ عمر المغربى :

<p>إلى الغرب يهدى نحوه طيب الذكر وأزهرها المعمور بالعلم والذكر وقوف محب وانتهاز فرصة العمر ألد من الماء الزلال أو القطر وأعلى وأعلى من عقود من الصدر حتى بيضة الإسلام بالبيض والسمر مناقب قد جلت عن العد والحصر وأصبح صدرًا للعلا حائز الصدر أباد به جمع الطواغيت والكفر وفاز بأنواع الشوية والأجبر فما كان زيد النحوي سطو على عمرو وتاهت وباهت بالمسرات والبشر إليها بحق وإله هذا يندرى وسد منيع للإنعام من الفدر ولكنها بالجوود جابرة الكسر وألبسها ثوب السيادة واليسر</p>	<p>أيا راكبا يسرى على متن ضامــــر وينهض من مصر وشاطئ نيلها لك الخير إن يمت سنار قف بها وأهد سلاماً عطر الكون نشـرُه وأحلى وأهنا من وصال بلا جفـا إلى حضرة السلطان والملك الذى هو الملك النصور (بادي) الذى له حتى حوزة الدين الحنيفى بالقنا وجرد للإسلام والملك صارمــــا وجاهد هم فى الله حق جهاد وهدم أركان المظالم عدلــــه بدولته سنار قد زاد أنسها وما هو إلا رحمة الله أرسلــــت عماد يلوذ المسلمون بظلاله أياد له فى الناس كاسرة العدا به طمان أنه البلاد جميعها إلى قوله :</p>
--	--

<p>عن المدح إلا فيك يا ملك العصر منظمة كالدر فى خالص التبر سى ابن خطاب وقلبكم يندرى</p>	<p>وأنى لصوان لدر قلائد فخذها من العبد الفقير قصيدة هو المغربى المالكى وإنــــه</p>
---	---

ويقول فى قصيدة أخرى :

لك الخير ان وافيت سنار قف بها
وما هي إلا بلدة زاد أنسها
وعرج على قصر العزيز مليكها
هو الماجد السلطان (يادى) أخواله
هو الفارس المقدام فى حومة الوغى
ومردى العدا منه بطعن الأسنة

....

شجاع يرد الخيل عند اصطدامها
مدائح شاعت بشرق ومغرب
وعامل أرباب الفضائل والتقوى
بإنعامه الوافى وأعظم نجدة (١)

وهذه القصائد الرصينة خير شاهد على مكانة هذا الحاكم العادل لأنها شهادة

أولى العلم .

محاولة الغزو الصليبي الحبشى لسنار سنة ١٧٤٤م

حاول امبراطور الحبشة إياسو غزو سنار سنة ١٧٤٤م ، فجهز سلطان الفونج جيشا بقيادة الأمير خميس والتقى بالامبراطور إياسو فى يوم ٨ من مارس سنة ١٧٤٤ فهزم الامبراطور هزيمة شنيعة وانتصر الجيش الإسلامى على النصارى الأحباش فوق هـذا الانتصار موقعا حسنا فى نفوس المسلمين ، ورفع من شأن سنار بين الأقطار الإسلامية . ثم تضعف سلطان الفونج نتيجة لتدهور سلطات الملك بالخلافات الحادة بين الزعماء ، فضعفت السلطة المركزية فى البلاد وبالتالى انهدمت سلطة الفونج ، فلم تعد الدولة ذلك الجسم المتحد المتماسك ، وإنما آلت إلى مجموعة من الممالك ، والمشيوخ منها ما خضع للفونج رأسا ، ومنها ما خضع لهم بواسطة مشايخ العبدلاب ، كما ملك الجعليين ، والميرقات ، والرياطاب ، والشايقية ، وقد أغرى هذا التفكك محمد على باشا حاكم مصر بغزو السودان (٢)

- (١) أحمد بن الحاج على كاتب الشونة ، مخطوطة كاتب الشونة فى تاريخ السلطنة السنارية والادارة المصرية ، تحقيق الشاطر بصلى عبد الجليل ، طدار احياء الكتب العربية عيسى الحلبي ، بدون تاريخ .
- * نسبة لشيخ القبيلة عبد الله جماع وهو نسبه لجمع على غير قياس وكان ينبغى أن يكون العبادلة .
- (٢) انظر د . حسن احمد ابراهيم ، محمد على فى السودان ص ١ ، طدار التأليف والترجمة والنشر ، جامعة الخرطوم ، بدون تاريخ .

محمد علي باشا في مصر :

بعد جلاء الإنجليز والفرنسيين عن مصر سنة ١٨٠٣ ، تصارع الأتراك العثمانيون والمماليك على السلطة في مصر ، ولكن الأمر لم ينته إلى مصلحة أيٍّ من الفريقين ، وإنما أدى إلى سيطرة محمد علي على مقاليد الأمور سنة ١٨٠٥ م ولقد شعر محمد علي منذ البداية أنه لن يستطيع القضاء على منافسيه مرة واحدة فتعاون مع المماليك ضد الوالي التركي خسرو باشا ، وعند ما قضى عليه انقلب على المماليك مستغلا الخلاف الذي نشأ بين قادتهم - فشتت شملهم وأوهن عزمهم ، وساعده على تمكين سلطانه اقتناع المصريين بقيادة عمر مكرم ، أنه الأمل الوحيد لانقاذ مصر فعينوه واليا عليها سنة ١٨٠٥

وعند ما شعر السلطان التركي بقوة مركزه والتفاف المصريين حوله ، اضطر إلى الاعتراف

بولايته على مصر بموجب فرمان صدر في شهر يوليو سنة ١٨٠٥ .^(١)

البحث الثاني

السودان في ظل الخلافة وبداية النشاط الكفسي الحديث

من المعلوم تاريخياً أن معظم السلاطين والملوك الذين حكموا مصر من عهد —ود
الفراعنة والقيصرية، فكروا في مد نفوذهم وعند ما بسط السلطان التركي (سليم) الأول نفوذه
على مصر سنة ١٥١٧ م فكر في غزو السودان فتقدم إلى (سواكن) و (مصوع) فاستلكنهما
ودخل الحبشة بقصد الزحف على سنار ودعا سلطانها إلى طاعته، إلا أن سلطان
سنار أجابه بما مفاده (أنى لا أعلم ما الذى حملك على حربى واملاك بلادى، فإن كان
لتأييد دين الإسلام، فإنى وأهل ملكتى ندين بدين الله ورسوله، وإن كان لغرض مادية
فاعلم أن أكثر أهل ملكتى عرب بادية، وقد هاجروا إلى هذه البلاد لطلب الرزق، ولا
شيء عندهم تجمع منهم جزية سنوية، فعدل السلطان التركي عن غزو سنار م^(١)

لذا لم يكن مستغرباً أن يفكر محمد على فى التوسع جنوباً نحو السودان، وبخاصة
أنه كان طموحاً فى أن تكون لمصر شخصية بارزة مستقلة تحت قيادته، فبدأ يفكر جديداً^(٢)
فى الاستيلاء على السودان، فأرسل يستأذن السلطان العثمانى محمود بك الثانى فى
غزو السودان، فوافق السلطان على أن يضم محمد على ما يشاء من أرض بشرط أن يكون
ذلك باسم السلطان^(٣).

الاستطلاع قبل الغزو :

كان محمد على حذراً يحتاط حتى لصفائر الأمور فى سبيل تحقيق أطماعه، لذا فإنه
رأى من الحكمة أن يجمع المعلومات التى تتصل بمركز سلطان الفونج فى بلاد السودان
يختبر مدى قوته العسكرية خشية أن يدخل فى مغامرة خاسرة. فأرسل وقدأ —زوداً

(١) نعموم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، ج ٢، ص ٣٨٨، دار الثقافة بيروت لبنان

ط ٢ ثانية سنة ١٩٢٢ م .

(٢) انظر المصدر نفسه ج ٣ ص ٤٩٢ .

(٣) محمد فؤاد شكرى، مصر والسودان الوضع التاريخى للمسألة، ج ٥، دار الفكر العربى .

بالهدايا إلى ملك سنار سنة ١٨١٢م تحت ستار طلب اللاجئين إلى السودان من
المماليك وردهم إلى مصر، ^١وَأَنَّ الهدف الرئيسي من إرسال الوفد كان الاطلاع على
أحوال البلاد، وما يلزم من الجيوش لغزوها. (١)

وبعد التقرير الذي رفعه إليه وفده موضحاً ضعف سنار من الناحية العسكرية، وعدم
وحدتها السياسية قوى عزمه وأيقن أن سنار لقمة سائغة تنتظره، فسافر إلى صعيد مصر
ليجهز الحملة التي قرر إرسالها إلى السودان. (٢)

فجهز حملتين لغزو السودان إحداهما محاذية للنيل لشمال ووسط السودان بقيادة
ابنه إسماعيل كامل، حيث سقطت سنار في يده سنة ١٨٢١م ويسقوط سنار خضع السودان
رسمياً لسلطان الباشا المصري. والحملة الأخرى بقيادة صهره محمد بك الدفتردار عبر
الصحراء إلى كردفان ليضم غرب السودان إلى أملاك مصر، وفي يوم ١٦ من شهر أبريل
سنة ١٨٢١م التقى الجيش الغازي بجيش المقدوم مسلم في مدينة (بارة) ودارت بينهما
معركة فاصلة سقطت من جرائها كردفان في يد الدفتردار (٣). وهكذا دخلت البلاد
منذ اللحظة الأولى تحت السيادة العثمانية اسمياً، كما صار الباشا المصري يقوم بأعباء
الحكم فيها على أنها ملحقات تابعة لباشويته أو ولاية تحت السيادة العثمانية، وتأكيداً
لهذه السيادة الأسمية أصدر الباب العالي أمراً إلى محمد علي بتعيين ابنه إسماعيل
حاكماً على سنار في يوليو سنة ١٨٢٢م. (٤)

وبنهاية دولة الفونج الإسلامية انفتح الباب على مصراعيه أمام النشاط الكنسي.

يقول ج. سبنسر ترمنجهام سكرتير مجلس الرسائل في السودان في مؤلفه المسيحية

في مواجهة الإسلام في السودان: (إن المسيحية افتقدت صلتها بالسودان في غضون

(١) انظر محمد علي في السودان ص ٢٥، وتاريخ السودان الحديث ص ٢٤

(٢) انظر محمد علي في السودان ص ٢٤

(٣) انظر تاريخ السودان الحديث ص ٣٦

(٤) انظر مصر والسودان، الوضع التاريخي للمسألة ص ٥

حكم الفونج في القرن السادس عشر الميلادي وحتى الفتح المصري ، ذلك الفتح الذي فتح السودان لعهد من الاستغلال الذي لا نظير له ، مهد لأول عمل بطولي تبشيري ولو كان سابقا لأوانه^(١)

د واقع الغزو المصري للسودان :

اهتمت أوروبا في القرنين السابع عشر والثامن عشر اهتماما كبيرا بالقارة الافريقية ، وعلقت عليها آملا مستقبلها الصناعي والتجاري ، وأيقنت أن أهدافها لا تتحقق إلا بمعرفة مجاهل هذه البلاد ، ولذا شجعت الرحلات الاستكشافية ، وتكونت لذلك جمعية مسن مشاهير السياسة والعلم والصناعة ودعاة الانسانية ، وكانت كل طبقة تريد أن تحقق أطماعها على حساب الأخرى ، واختاروا لهذه الجمعية عنوانا يخفي هذه المطامع ولا يشير الانتباه وهو (مشروع دراسة جغرافية أفريقية)^(٢) وبالإضافة الى ذلك كانت سنار في السنوات الأخيرة من القرن السابع عشر والأولى من الثامن عشر ملتقى طرق للمبشرين والسفراء والمبعوثين لأغراض سياسية ، الذاهبين إلى الأحباش الكاثوليك تحت إشراف قنصل فرنساوي ميليت في القاهرة ، وكان هذا القنصل يسعى لتنفيذ المشروع السياسي الفرنسي ، وهو وضع الحبشة تحت الحماية الفرنسية ومعاونتها حربيا ضد سنار ، وضد موانئ الاتراك في مصوع وسواكن ، وهو مشروع استعماري جاء مبكرا في ذلك الوقت ، ولكن بمقتضى دى رول^(٣) سفير فرنسا لدى الحبشة في سنار ، والذي كان يسعى لتنفيذ المشروع انهارت مطامع دى ميليت كمثل لحكومته^(٤) . فعرفت أهمية السودان التجارية عن طريق هؤلاء الرحالة الأوروبيين أمثال جاك فرانسو أبونسيه ١٦٩٨ / ١٦٩٩^(٥) ، وكريم البافاري ١٧٠١ / ١٧٠٢^(٥) ودى سوار دى رول ، وجيمس بروس الاسكتلندي والرحالة السويسري بركهارت ١٨١٣ / ١٨١٥ الذين

(١) The Christian Approach to Islam in the Sudan P.1 Oxford University Press London 1948

(٢) انظر خضر مصطفى التبشيري والاستعمار في نيجيريا ص ٣٩ ، رسالة ماجستير مخطوطة بمكتبة جامعة ام القرى .

(٣) د . مكي شبكية ، السودان عبر القرون ص ٨٢

(٤) نفس المصدر ص ٧٤

(٥) نفس المصدر ص ٧٧

زاروا السودان في هذين القرنين وتحدثوا عن إمكاناته الاقتصادية ووفرة منتجاته كالصمغ
وسن الفيل وجلود المواشى^(١) وأطلعوا قناصل دولهم على هذه المنتجات فذكر قناصل
الدول كل هذا في تقاريرهم التي بعثوها عن السودان ، ولا شك أن والى مصر قد عرف
أهمية السودان التجارية من محادثاته مع هؤلاء القناصل ومقابلاته لرجال القوافل^(٢) ، ففكر
في غزو السودان متخذاً من الدين مدخلاً لتحقيق أطماعه ، لعلمه أن الدين خير وسيلة
لكسب عواطف السودانيين فحرص منذ الوهلة الأولى أن يصحب الجيش الغازي نخبة من
علماء مصر ، منهم القاضي محمد الأسيوطى^(٣) ، والسيد أحمد البقللى ، والشيخ السلاوى المغربى
المالكى ، ووهب لكل منهم خلعاً سنياً ١٥ كيساً ، وأوصاهم أن يحثوا أهل السودان على
الطاعة بلا حرب بحجة أنهم مسلمون ، وأن الخضوع لجلالة السلطان أمير المؤمنين وخليفة
رسول المسلمين ، واجب دينى ، واستصدر فتوى شرعية له فى فتح السودان ، إن كان
الاسلام ينشر الويته على ربوعه ولا يبيح الشرع الإسلامى حرب أهله أو سبيهم ، واسترقاقهم
بغير سبب ، وربما رجا بهذه الفتوى أن يؤثر على نفوس السودانيين فيسلموا له طائعين
مختارين^(٣) وإمعانا فى ستر دوافعه شجع الطرق الصوفية وأجرى على مشائخها الخلع
السنية .

أما الأسباب التى دفعت محمد على لغزو السودان فكثيرة منها :

أولاً : طموحه فى أن يجعل من مصر دولة ذات عزة ومنعة ولا بد لتحقيق هذا من إنشاء
جيش قوى يرد عدوان المعتدين ويخيب آمال الطامعين .

فبدأ يخطط المشاريع فى جميع المجالات الزراعية والصناعية والعمرانية والحربية ،
ومما لا شك فيه أن مثل هذه المشاريع لا تتحقق إلا إذا توفر لها المال والرجال ، وبما أن

(١) الاستاذ ضرار صالح ضرار ، تاريخ السودان الحديث ص ١٣ / ١٤ ط الثالثة سنة
١٩٢٥ نشر الدار السودانية مكتب الخرطوم

(٢) انظر محمد على فى السودان ص ٢٧

(٣) انظر الثقافة العربية فى السودان ص ١٠٤ / ١٠٥

المنتجات المصرية وحدها لا تحقق ما يصبو إليه محمد على كان لابد من إيجاد مصدر جديد لتمويلها لذا كان البحث عن المعادن هو ثانی الأسباب التي دفعته إلى غزو السودان ، خاصة أنه نعى إلى علمه أن السودان غنى بمعادنه الوفيرة وخيراته الكبيرة . وتتضح أهمية البحث عن المعادن لدى الوالى من رسالته التي بعث بها إلى السى الدفتر دار حاشا له على تشجير ساعد الجد والحمية لتحقيق مطلوبه إن يقول : (. . . فأعز مطلوبنا أن تبذلوا بعد اطلاعكم أنتم أيضا على هذا الشأن ما تقتضيه غيرتكم أنتم أيضا فى أن تتحققوا من الآن وتستوثقوا من المحال التي يوجد فيها جوهر هذا المعدن ^(١) المذكور قويا وسقادير وافية مباركة وأن تدبروا وتهيئوا الأسباب اللازمة التي تستوجبها سهولة استخراجها وصوغه ، وبذلك تشمرون عن ساق الجد والحمية عند وصول الأسطوانات المذكورين إليكم ، ولألا تدخروا وسعا فى معرفة المحال التي يؤمل وجود سائر المعادن الأخرى أيضا والتحرى عنها ، واستكشافها ، ولا فى أمر إعلامنا بما حصلتم عليه من العلم بشأنها . ^(٢)

وسبب ثالث هو القضاء على الممالك الذين لجأوا إلى السودان .

أما السبب الأول والمهم فهو جلب الرقيق كما بدا ذلك واضحا فى كتابات الباشا لعماله حيث يقول فى رسالة لابنه إسماعيل : (. . . المقصود الأسمى من هذه التكاليفات الكبيرة والمتاعب الشاقة ليس جمع المال كما كتبنا إليكم ذلك مرة بعد أخرى بل الحصول على عدد كبير من العبيد الذين يصلحون لأعمالنا ويجدرون بقضاء مصالحنا ^(٣))

ويقول لابنه ابراهيم : (وجلب السودانين هو غاية مطلوبنا المراد ونتيجة المقصود

سهما كانت الصورة التي يجلبون بها من أوطانهم ^(٤))

(١) يريد الحديد

(٢) محمد على فى السودان ص ٢٦ / ٢٧

(٣) محمد على فى السودان ص ٢٥

(٤) المصدر نفسه والصفحة

ويقول : (. . .) أن غرضنا الوحيد من انتداب نجلنا إسماعيل باشا إلى ديار السودان البعيدة وإيفاد ولدنا الدفتردار إلى بلاد كرد فان بهذه الاستعدادات والتكفلات الكبيرة بسواد من الجنود ومزودين بكثير من المهمات هو الاهتداء إلى طريق جلب هؤلاء العبيد المطلوبين لدينا كما أن المقصود من إرسالهم إلى دنقلا ، وإرسال محوبك إلى بربر هو رغبتنا في العبيد^(١) لذلك كان هدف ولاية محمد علي الأول هو تنفيذ رغبته ، فعند ما استولى إسماعيل على سنار أرسل سرية قوية إلى جبل تايي قرب سنار بقيادة قوجة أحمد أغا عادت بألف وستمئة من الزنوج أرسلها إلى مصر مع سليم أغا ، وبعد هزيمة المقدوم مسلم استولى الدفتردار منه على ألف ومئتي عبد وجارية أرسل منهم ثمانمئة إلى دنقلا ليرسلوا إلى مصر .

ولما كان محمد علي حريصا على جلب العبيد بكثرة من دارفور كحرصه على جلبهم من اقليم سنار وكرد فان لم يستطع الانتظار إلى أن يتم فتح ذلك الاقليم ، ويدخل فسي حظيرة حكومته ، بل كان عليه أن يتخذ كافة الوسائل الممكنة لتحقيق ذلك الغرض ، لذلك حاول منذ أوائل عهده محاولة جادة لعقد اتفاق مع سلطان دارفور بخصوص هذا الغرض^(٢) . ولم يكف بالاتصالات الرسمية مع سلطان دارفور بل إنه عمد إلى شراء العبيد المستوردين من دارفور من الخاصين الآتين من تلك الجهات . ومنذ بداية الأمر أصدر أوامرا واضحة وصريحة إلى الدفتردار بعدم السماح لأولئك التجار بتصدير العبيد الذين تتراوح أعمارهم بين الخامسة عشر والعشرين على أن يقوم بشرائهم منهم نقدا أو مبادلة بالجواري^(٣) .

ولقد أنشأ محمد علي معسكرا في أسوان لتدريبهم ، واهتم بأمر سلامتهم اهتماما

(١) المصدر نفسه ص ٢٦

(٢) المصدر نفسه ص ٤٧

(٣) المصدر نفسه ص ٤٨

بالغا، وما أن وصلت الأنبا بهلاك أعداد كبيرة منهم في الطريق حتى أصدر توجيهاته باتخاذ كافة الوسائل لضمان سلامة وصولهم، واستشار أعضاء المجلس في الوصول إلى أحسن الطرق المؤدية إلى هذه الغاية.

وعند ما علم أن تغيير الجوادى إلى هلاك بعض العبيد من سكان الجبال، أصدر أوامره للمسؤولين بالسودان باستبدال سكان السهول بسكان الجبال لأنهم أكثر تأقلا على جو مصر، وإبقائهم عندهم مدة من الزمن حتى يتأقلموا على الطقس الجديد وبعد ذلك، يرسلونهم إلى مصر. (١)

وعند ما اشتد خطر الكبابيش على عبيد الباشا وقويت غاراتهم على القوافل حاول محمد على استمالة هذه القبيلة فأرسل إلى شيخها (سالم) رسالة أعطاء فيها الأمان وأمر الدفتردار بالتودد إليه ليكسبه إلى جانب الحكومة.

وبجانب هذه الوسائل السلمية التي اتخذها لصد غارات العصابات واللصوص وقطاع الطرق رأى الباشا ضرورة تكوين قوة مسلحة لحراسة العبيد أثناء سفرهم إلى مصر، فأمر عامله على بربر بإعداد مئتي نفر من هجانة العبادرة وإرسالهم إلى الدفتردار لاستخدامهم في حراسة العبيد المرسلين من كردفان لمصر. (٢)

وبلغت فترة حكم محمد على للسودان تسعة وعشرين عاما وعلى الرغم من أنه كان فسي خلالها يهتم بكل صغيرة وكبيرة في البلاد، وأزال الفروق القبلية، وأوقف الحروب الأهلية إلا أن الدفتردار وحده أهلك في عامين "أضعاف ما أهلكته الحروب الأهلية وعلى الرغم من أنه وحد البلاد إداريا إلا أنها كانت إدارة متعسفة شردت آلاف العائلات مسن

(١) المصدر السابق ص ٤٨ / ٤٩

(٢) المصدر السابق ص ٤٨ / ٤٩

مساكنهم ومزارعهم فهجرت الأراضي الزراعية وشحت الموارد الغذائية في البلاد بأسرها حتى الرعاة هموا بالهجرة خارج البلاد عندما أمر الباشا بجلب ٠٠٠ ره ٢ رأس من الغنم دفعة واحدة، ولكن تصرف حكام السودان (خورشيد) حال دون ذلك. ولقد ساءت الأحوال في الشمال والجنوب على السواء^(١).

ففي الجنوب ثارت قبيلة الدينكا سنة ١٨٢٧ والشك سنة ١٨٣٠ وفي الشمال تعطلت أكر السواقي والأراضي الزراعية بصفة عامة من جراء الضرائب، وبدأ التمرد والامتناع فعزم الباشا على زيارة السودان ليقف على الأمر بنفسه وذلك في شتاء ١٨٣٨-١٨٣٩ والتقى بكثير من زعماء البلاد، وأظهر حرصه على احترام معتقداتهم الدينية، وجل فقهاءهم وأجرى عليهم المكافآت المالية واحترم ثقافتهم الدينية، فلم يشأ أن يحدث فيها تحويرا أو أن يدخل عليها تغييرا بل طفق بمنح الهبات لتعمير دور العلم القائمة في البلاد آنذاك فاطمأن الأهالي إلى رغبة الحكومة فأكثروا من التماس المنح والعطايا لترميم المساجد القديمة وبناء المساجد الجديدة في عدد من المدن الكبرى، وحصل كثير من الفقهاء على رواتب ثابتة من الحكومة كما شجع السودانيون على المجيء إلى الأزهر ووافق على إنشاء رواق السنارية^(٢).

توسع الباشا في أفريقيا بقلق الانجليز :

بعد أن حكم محمد علي السودان، وضمه اسميا لأمالك الخلافة الإسلامية، شرع في تنفيذ خطته الرامية إلى إنشاء دولة مترامية الأطراف حيث شرع يفكر في ضم الحبشة إلى ممتلكاته، ولكن هذه المحاولة أثارت مخاوف الإنجليز وقلقهم، ولذلك بذلت إنجلترا قصارى جهدها عن ضربيق قنصلها في مصر وكان إنذاك (هنري سولت) حتى يكف محمد علي عن

(١) انظر تاريخ السودان الحديث ص ٥١

(٢) انظر مصر والسودان ص ١١/١٠

تسيير الحملة إلى الحبشة ذلك البلد المسيحي الذي ما زال متمسكا بالمسيحية ،
(١)
والذي لا يمكن أن تسلم أوروبا وانجلترا خاصة بغزوه ، فعدل عن ذلك وأمر حكمداره بعدم
التوسع جنوبا إلى الحبشة بل كان طموح محمد علي أكبر من ذلك عند ما أرسل ابنه
إبراهيم على جيش احتل سوريا ، وأراد أن يجعلها منفذا للاستيلاء على الدولة
كلها وزحفت جيوشه نحو آسيا الصغرى فهزمت الأتراك في رقونية ، وتقدمت غربا حتى «بروسيا»
وبذلك أصبحت القسطنطينية نفسها في خطر عظيم ، (٢)
فتدخلت الدول الأوروبية لوقف
تقدم الجيوش المصرية عند ما شعرت بالخطر يهدد سلامة أوروبا نفسها وأجبرت الباشا
على الانسحاب وقبول الصلح الذي عقد في كوتاهيه سنة ١٨٣٣ والذي رضى بمقتضاه
الوالي المصري أن يكون سلطانا على سوريا والحجاز وأدرنة وكريت بالإضافة إلى مصر ،
ويتنازل للباب العالي عن الأناضول . (٣) وكانت هذه بداية نهاية الخلافة الإسلامية .

الفساد الإداري :

بلغت الحالة في السودان حدا بعيدا من سوء الإدارة (٤) وزيادة على ذلك أراد الباب
العالي أن يطبق التنظيمات الخيرية التي صدرت في نوفمبر سنة ١٨٣٩ تطبيقا كاملا حتى
ينقل بفضل ذلك (مصر وتوابعها) من ولاية ذات نظام وراثي وحكومة داخلية مستقلة إلى
مجرد مقاطعة من مقاطعات الدولة العثمانية .

ولقد أيدت فرنسا ، وروسيا ، والنمسا تركيا في سياستها فتعقدت الأمور ، ولم يستطع
عباس الخروج من هذا المأزق والمحافظة على الوضع الذي كلفته الفرمانات لمصر إلا بمعاونة
انجلترا له ، ومن أجل تفاهمه معها نجحت الدبلوماسية الإنجليزية في بطرسبرج

(١) انظر مصر والسودان ص ٢٥

(٢) انظر تاريخ السودان الحديث ص ٥٨

(٣) انظر محمد علي في السودان ص ١٠٩

(٤) المصدر السابق والصفحة

(٥) انظر محمد علي في السودان ص ١٠٩

والقسنطينية خصوصا في استمالة الدولة لتأييد عباس في موقفه فتمكن بذلك من المحافظة على مستند الولاية المصرية فضلا عن تقوية حكومته فيما بعد حتى صار لا يربطه بالباب العالي في آخر أيامه سوى رابطة السيادة الاسمية^(١).

وكانت انجلترا أكثر الدول اهتماما بتحديد دائرة هذه السيادة لأنها كانت تخشى من أن ييسط المصريون سيادتهم^(٢) على القارة البكر تحت حماية الباب العالي ولذا استعملوا دبلوماسيتهم لا قصائهم أولا ولا بتلاعها أخيرا، وكانت الحكومة المصرية تحتكر تجارة المنتجات اسودانية (الصمغ والستا ومنتجات سنار) كما كانت تحتكر الملاحة في النيل الأبيض الذي كان يعتبر من أكبر منافذ اصطيان الرقيق عند الأوربيين ولذا ضيق الخناق على الخديوى لإلغاء هذا الاحتكار تحت ضغط قناصل دول أوروبا - فألغى عباس هذا الاحتكار ضاربا بسياسة حكماداريه عرض الحائط فانهى الأمر باستدعاء الحكمدار عيسد اللطيف من السودان وكان من جراء ذلك أن نشطت تجارة الرقيق التي مارسها الأوربيون تحت ستار صيد الفيلة والحصول على العاج، واستطاعت هذه الشركات أن تحصل من حكومة الخرطوم الضعيفة على حقوق الاتجار في مساحات شاسعة في بحر الغزال، وجنوب دارفور وكردفان، وكذلك مناطق النيل العليا، وبخاصة ما وراء غندكرو، فكانت هذه الجهات عند وفاة سعيد خارجة تماما عن نفوذ الحكومة^(٣).

ولقد دمر هؤلاء الأوربيون قرى بأسرها، واستلبوا أموالها وأسروا رجالها ونساءها وأطفالها، وزاد الطين بلة ضعف رقابة السلطة المركزية مما دعا الإداريين أن يفرضوا الضرائب الباهظة التي أضحت عبئا ثقيلا على كاهل الأهالي فجأروا بالشكوى من شدة وطأتها ولا مجيب^(٤).

(١) المصدر السابق ص ٣٣.

(٢) المصدر السابق ص ٤٧.

(٣) انظر مصر والسودان ص ٢٧.

(٤) انظر المصدر السابق ص ٣٢/٣٣.

المبحث الثالث

بداية النشاط التبشيري المدعوم بالسلطة

بعد وفاة سعيد ووصول اسماعيل للولاية (١٢٨١ / ١٨٦٣)
خرج الأسر من مجرد التفكير في أنجع الوسائل
لتخفيف ويلات الإنسانية ، إلى ضرورة اتخاذ علاج سريع وحاسم للرق والنخاسة
لأن تجار الرقيق استطاعوا في عهد سعيد - كما رأينا - أن ينتزعوا من حكومة الخرطوم
السيطرة على جهات برمتها حتى تقلص ظل الحكومة وبات سلطانها مهدداً بالزوال إذا
ترك النخاسون يقوى ساعدهم في المناطق التي أنشأوا بها حظائرهم ومراكزهم المسلحة
ولذا كان اسماعيل أمام أمرين :

١- إما أن يترك النخاسين يعيشون في الأرض فساداً ، وهذا ما ياباه الضمير الحي .
وأما أن يرسل الجيوش لتأديبهم وفتح أراض جديدة^(١) . وبالفعل استطاع بسط نفوذه
على سواحل البحر الأحمر إلى مضيق عدن مما أثار مخاوف الإنجليز ، فأرسلوا حملة إلى
الحبشة بحجة تأديب ملكها سيود ورس على إيداعه قنصل بريطانيا المسجن في بلاده مع
أعضاء البعثة الذين قدموا إليه لا للوساطة في أمر خلاصه فحسب ، بل كانوا يريدون بذلك
- كما نرى إلى علم الخديوي - احتلال بعض أجزاء من الحبشة ، ويهدفون إلى الاستيلاء
على جزيرة مصوع على أن يعقب ذلك احتلال مصر ذاتها ، ولكنهم أخيراً أكدوا لخديوي
أنهم لا يريدون احتلال الحبشة ، وأيدوا ذلك بسحب الحملة من أجله^(٢) .
ولقد بذل الأوروبيون جهدهم السياسي في إيجاد نافذة ينفذون منها إلى إفريقيا
عامة والسودان بخاصة فوجدوا ضالتهم في فكرة محاربة الرق وتخفيف ويلات الإنسانية
تتزعهم في ذلك بريطانيا التي تناست أنها أعرق الدوا ، في تجارة الرقيق ، بل كان الرقيق

(١) المصدر السابق ص ٣٧ / ٣٨

(٢) المصدر السابق ص ٤١ / ٤٢

أهم سلعة لها مع أمريكا الأسبانية إذ أنها بعد عقد معاهدة جونزخت سنة ١٧١٣م احتفظت لنفسها بالحق في احتكار تجارة الرقيق للممتلكات الإنشائية في أمريكا، واجسرت فرنسا وأسبانيا على إعطائها احتكار تلك التجارة التي أعطتها الحق في تصدير ٤٨٠٠ زنجي في السنة وذلك لفترة ثلاثين عاما، فكان جملة ما أصدرته الشركات الأنجليزية بين ١٦٨٠ - ١٧٨٦ ثلاثين ومائة ألف زنجي (٢٠٠.٠٠٠ ر) واستمرت الأعداد تتصاعد عاما بعد عام. (١)

ورغم كل هذا اتخذ الغرب من دعوى محاربة الرق وسيلة لتحقيق هدفه الحقيقي وهو إيقاف المد الإسلامي الكاسح الذي هدد مصالحه في القارة الخضراء، التي علق عليها البابا جريجوري السادس عشر - رأس الكنيسة الكاثوليكية - آمالا كبيرة حينما أصدر أمرا بابويا سنة ١٨٤٦ باتخاذ أفريقيا الوسطى مقرا للنيابة البابوية، الأمر الذي جعل البعثة التبشيرية المرشحة تؤمل في هجر الزنوج ديانتهم بدخولهم في المسيحية وبالفعل وصل الفوج الأول من القساوسة النسائيين الكاثوليك الخرطوم في فبراير سنة ١٨٤٨، ورغم أن الهدف الرئيسي للبعثة كما زعمت هو أن يدن الوثنيون بالمسيحية إلا أن المبشرين أنكروا قرار الحكومة المصرية بمنع العمل التبشيري بين المسلمين واستطاعوا بالفعل الحصول على أرض في الخرطوم ليبيتوا فيها مركزا تبشيريا وساعد هم على ذلك ضعف الخديوي عباس الذي تبرع على عرش الخديوية المصرية في نفس العام (٢). فاستخف البابا بندائه هذا المبشرين فنفروا زرافات ووحدانا إلى أفريقيا عامة والسودان بوجه خاص فوصلوا إلى جنوب السودان، وأسسوا محطة غندكرو سنة ١٨٥١ ثم تلتها محطة الصليب المقدس سنة ١٨٥٥ في قرية انجوين، إلا أن هاتين المحطتين هجرتا تماما في عام ١٨٦٠ نتيجة

(١) انظر تاريخ السودان الحديث ص ٧٦

(٢) The Christian Approach to Islam in the Sudan P.2

(٣) انظر محمد على في السودان ص ١٠٩

لرسم العبور الباهظ الذى كان يؤخذ للإصلاح الزراعى من أجل وجود المبشرين .

وفى سنة ١٨٦١ تولى الرهبان الفرنسيسكانيون أمر الكهانة فاستقر فريق من ثلاثين

منهم بالقرب من (كاكا) على النيل الأبيض فمات منهم أربعة عشر فى عامين^(١).

ولذلك نقلت العناية التبشيرية إلى كلية فيرونا سنة ١٨٦٧ وعين (دانيال كمينونى) *

نائب قسيس لا فريقيا الوسطى

عهد إسماعيل يفتح الباب واسعا للتبشير:

وجد الغربيون ضالتهم فى عهد الخديوى إسماعيل (٢٨١ هـ ١٨٦٣ م) حيث شهد عهده

تدفق الأجانب على مصر والسودان وتغلغلهم فى الإدارات المختلفة وكان معظمهم من

المبشرين الحاقدين على الإسلام والمسلمين ، ورائد هم المبشر صموئيل بيكر^(٢) المستكشف

الانجليزى الذى وقع عليه اختيار الخديوى لأنه وصل إلى منابع النيل فى رحلاته الاستكشافية

وكان الخديوى يؤمل أن ينجح بيكر فى مهمته ليؤمن لمصر كل مجرى النيل ، ويأمن هو نقود

الأوربيين بشأن تجارة الرقيق .

(١)

* دانيال لويجى كمينونى : ولد فى بلدة (Limone) بإيطاليا سنة ١٨٣١ وتخرج

فى معهد مازا سنة ١٨٤٩ ، وتمهد بوقف حياته للعمل التبشيرى بأفريقيا وفى سنة

١٨٥٠ باشر دراسة اللاهوت ، وفى سنة ١٨٥٤ رسم كاهنا وفى سنة ١٨٥٧ توجه

للخرطوم وفى سنة ١٨٥٦ رجع إلى إيطاليا مع من بقى من المبشرين لأنه أصيب بالمalaria

وبعد شفائه جاب أقطار أوروبا لجمع المال وفى سنة ١٨٦٣ اتصل بمؤسسة كولونى

الخيرية يستمد منها العون لانجاح مهامه التبشيرية فى أفريقيا عامة والسودان خاصة ،

وفى سنة ١٨٦٤ عرض خطته التبشيرية على البابا بيوس التاسع والكاردينال برياهو

الذى أوعز إليه بالقيام بجولة فى أوروبا لجمع المال اللازم فزار للمرة الثانية كولونيا ،

ولندن ، وباريس ، والنمسا وفى سنة ١٨٦٧ أسس جمعية الرسولية ، ثم أسس معهدا

للافريقيين فى مصر وفى سنة ١٨٦٨ رجع مرة أخرى إلى دول أوروبا مستريدا العون لتحريك

نشاطه وفى سنة ١٨٧٠ حضر المجمع المسكونى بالفاتيكان وتقدم بخطته (من أجا ، زنج

أفريقيا) وفى سنة ١٨٧١ رجع ليقوم برحلة إلى أوروبا معرفا بمشاريعه وفى سنة ١٨٧٢

أسس جمعية راهبات امهات السودان وفى سنة ١٨٧٣ يعود للخرطوم لينظم أعماله

ويؤسس كنيسة بربر ثم عاد إلى إيطاليا سنة ١٨٧٩ ثم رجع السودان سنة ١٨٨١ وتفقد

أعماله فى الابيض والدلتا وجبال النوبة ورجع الخرطوم ليلقى حتفه سنة ١٨٨١

(٢) انظر على محمد بركات ، السياسة البريطانية واسترداد السودان ، ص ٩

فتحت الاتصالات بين الباشا وبيكر في عام ١٨٦٩ / ١٢٨٢ هـ ووضع بىكر شروط الخدمة مطالباً بمرتب سنوى قدره عشرة آلاف جنيه مصرى وأن تمتد خدمته لمدة عامين وبالرغم من أن المرتب الذى طلبه بىكر كان كبيراً جداً ، إلا أن إسماعيل رضى بدفعه نظير تنفيذ مشاريعه فى خط الاستواء ، وخاض بىكر المعارك الدامية ولكن نجاحه فى تلك المناطق كان ضئيلاً إذا قورن براتبه السنوى ثم عاد إلى وطنه مخلفا وراءه استياءً عاماً من المواطنين بسبب جبروته وسطوته^(١) ، ثم خلفه فى نفس المهمة المبشر النصرانى شارلس جورج غردون ، فهذان المسيحيان المتعصبان (بىكر- وغردون) هما اللذان أسسا العمل النصرانى الحالى فى السودان الذى تمخضت عنه أعزل مشكلة اقليلية فى إفريقيا وهى مشكلة جنوب السودان التى سوف يتطرق اليها ان شاء الله ، وهى التى اکتوى بنارها السودان شمالاً وجنوباً ومازال .

ورغم أن بىكر يعد أقل أثراً من غردون إلا أنه صاحب أول صيحة استنفارية للغرب الصليبي - بعد البابا - ليقوم بتحويل هذه البلاد إلى بلاد مسيحية حيث نادى مستصرخاً الحكومة البريطانية بقوله : (إن لم تتدخل بريطانيا فوراً فستصبح هذه الأراضى المباشرة بالإمكانات الضخمة قاعاً صفصفاً ، وتضيع قبل أن تمتد إليها يد الحضارة المسيحية)^(٢)

ويبدو أن المهمة الحقيقية التى انتدب إليها بىكر تحت ستار محاربة تجارة الرقيق هى رعاية المبشرين الذين يعملون فى جنوب السودان فأصبحوا شغله الشاغل ولذا كتب عن جهدهم قائلاً : (إن عمل المبشر عسر ويكاد يكون مستحيلاً ، فالوفد النسائى قد أخفق ومقارهم هجرت وصار جهدهم الدينى ميئوساً من نجاحه ، والآباء الأتقياء ماتوا على الأرض المجردة ، إن الوقت لمشروع تبشيري فى تلك البقاع لم يحن بعد ، ولكن فى الوقت ذاته

(١) انظر تاريخ السودان الحديث ص ٧٧

(٢) راندم عصمت حسن زلفو ، كبرى ، ص ٢٩ ، مطبعة التمدن المحدودة ، الطبعة الثانية ١٩٧٨

يستطيع الرجل العاقل أن يقدم نفعاً ببقائه بين المواطنين .^(١)

غردون :

بعد نهاية فترة بيكر بدأ اسماعيل في البحث عن الرجل المناسب الذي يخلف بيكر
على العمل في خط الاستواء وعن طريق نوبسارياشا الأرض - الذي اتخذته إنجلترا آنذاك
لها وثغرة تنفذ بها إلى شئون مصر - عشر على الضابط الانجليزي شارلس جورج غردون
حيث سافر نوبار إلى القسطنطينية وهناك التقى بهذا الضابط الذي كان يعرض خدماته
على الدول ، هنا وهناك متخذاً من ذلك ذريعة لتحقيق مآرب بلاده الاستعمارية ،
فوافق فوراً على العمل في السودان وأجاد الخداع والتلون عندما رفض المرتب البالغ عشرة
آلاف جنيه الذي كان يتقاضاه سلفه بيكر ، مكثفياً بألفي جنيه سنوياً أمعانا في ستر هويته
التبشيرية عن الحكومة المصرية التي كان يرأسها آنذاك نوبار نفسه .^(٢)

The Christian Approach to Islam in the Sudan P.2

(١)

(٢) د . ابراهيم احمد العدوي ، يقطعة السودان ، هامش ص ٤ طبعة ونشر الانجلو
المصرية سنة ١٩٢٩

المبحث الرابع

سياسة فرد ون التبشيرية

يعتبر فرد ون من أكثر المبشرين تعصبا ضد الإسلام ولذا قهل العمل في مناطق الشدة دون مبالغة في الأجرح حيث اكتفى بخمس ما كان يتقاضاه بيكر، وبذا نال ثقة الحكومة الخديوية فأملى عليها شروطه فأذنت لها، وأعلنت أمر تعيينه في الصحف البريطانية حيث أهرقت الدبلى تلغراف من القاهرة في ٢٧ من يناير سنة ١٨٧٤م بتعيين الكولونيل فرد ون حاكما على خط الاستواء، ومهدت إنجلترا كما سبق أمر التدخل في شئون السودان واقنعت الخديوى بتعيين فرد ون في وظيفة سامية، فأصدر أمره في أواخر سنة ١٢٩٠هـ (يناير ١٨٧٤م) بانتدابه لمأمورية سامية في أعالي النيل خلفا للسير صموئيل بيكر مأمور خط الاستواء الذى كان يخضع لحكم إدارية عموم السودان، بيد أن فرد ون منح الاستقلال في أعماله، كما منح مائة ألف جنيه من الخزينة المصرية نفقة لحملته الابتدائية، وكان فرد ون قد حضر إلى مصر في طريقه إلى السودان ف تلقى أوامر الخديوى التى اعتبرها شرحا لما تلقاه من وزارة خارجية بلاد^(١).

ويقال: إن الخديوى لم يكن مع ذلك مرتاحا لتعيينه في مأمورية إلى السودان خشية أن يكون من ورائه تنفيذ مقاصد إنجلترا التى كانت لا تخفى عليه فعينه وهو كاره^(٢).

وعند ما وصل فرد ون الخرطوم استقبله حكام أرهاة اسماعيل باشا أيوب استقبالا حافلا حيث استعرض له فرقة من العساكر لأداء تحية القدام وأطلقت المدافع فأكبر الناس شأن هذا القادم وعلموا أنه ليس كبقية حكام الأقاليم^(٣).

وبدأ (فرد ون) يسوس الأهالى بسياسة لينية لمحو آثار سياسة العنف التى سلكها بيكر، فأمر بإحضار رؤساء الأهالى في تلك الجهة فأحضروا وقابلهم مقابلة حسنة ووزع عليهم الهدايا

(١) ابراهيم فوزى باشا، السودان بين يدي فرد ون وكشنر ج١، ص ١، ط سنة ١٣١٩

(٢) (٣) نفس المصدر ص ٢

استمالة لقلوبهم ففرحوا وامتنوا وأظهروا تمام الإخلاص للحكومة^(١).

وهذا هو نهج المبشرين الناجحين في عملهم لأن الإحسان طريق لا متلاك أفئدة

الناس، وقد يما قال الشاعر :

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم * فطالما استعبد الإنسان إحسان^(٢)

غردون يمسع أساس مشكلة الجنوب :

لم يقف غردون عند حد العمل للتبشير وحماية المبشرين فحسب بل عمل جاهد لفصل

جنوب القطر عن شماله ليوقف مد الإسلام المتدفق إلى أفريقيا ويفتح الباب أمام التبشير

الكسبي بحجة محاربة تجارة الرقيق ويظهر ذلك بوضوح مما نشرته جريدة الجوائب فسي

عدد ها رقم ٦٩٦ بتاريخ ٢٧ ربيع الأول سنة ١٢٩١ هـ ان الكولونيل غردون الذي عينه

الخد يوى واليا على خط الاستواء خلفاً للسير صموئيل بيكر^(٣) أرسل رقبيا من الخرطوم بتاريخ

١٤ من مارس إلى حضرة سعاد تلو خيرى باشا مهردار الجنا ب الخد يوى قال :

شم إنى بحسب أمر الخد يوى أعلنت هذه الأوامر الآتية : بمقتضى ما فوض إلى الخد يوى

المعظم من إدارة حكومة البحيرات الكائنة بخط الاستواء أعلن :

أولاً : أن التجارة فى العاج خاصة الحكومة .

ثانياً : إنه لا يسوغ لأحد أن يأتى إلى هذه النواحي من دون تذكرة من حاكم السودان

المعسوم ، وهذه التذكرة إنما يعمل بها بعد النظر فيها من حكومة غندكرو وغيرها .

ثالثاً : إنه لا يسوغ لأحد أن يجمع رجالاً مسلحين داخل هذه الجهات .

رابعاً : جلب السلاح والبارود ممنوع

خامساً : إن كل من يخالف هذه المرسوم يجرى عليه الجزاء بحسب القوانين العسكرية^(٤).

(١) المصدر السابق الصفحة

(٢) المصدر السابق ص ٦٠ . وانظر ب.م. هولت ، السودان والمهدية ص ٣٩ ، ترجمة

د . جميل عيد ، واحمد عبد الرحيم مصطفى ، دار الفكر العربى بدون تاريخ .

زيادة على هذه القوانين العسكرية الصارمة أنشأ غردون ديواناً خاصاً بأعمال خط الاستواء منفصلاً عن حكمارية السودان ورتب له الكتاب والموظفين ، وأوجد له الأدوات اللازمة وسماه (ديوان خط الاستواء في الخرطوم) وعين له على أفندي سراج رئيساً فأصبح غردون بذلك أقوى سلطة من حكماء عموم السودان لأنه مدعوم من الخديوى - الذى اعتقد أن هدف محاربة الرق لا يتحقق إلا على يد رجل أوروبى - كما هو مدعوم من أوروبا عامة وبريطانيا خاصة لتنفيذ سياستها الرامية لتوسيع نفوذها فى أفريقيا ، ولذا كان أول خطوة خطاها فى إدارة الاقليم هى إبعاد المسلمين وتقريب الأوربيين من أى جنس كانوا ، فكانت هيئة أركانها تضم أمريكيين وإيطاليا وفرنسيا وثلاثة من البريطانيين الذين أصبحوا فيما بعد خمسة . أما الايطالى فهو (روموجيسى) الذى تولى فيما بعد إدارة بحر الغزال بعد أن غدر بسليمان الزبير باشا الذى خلف أباه فى إدارة هذا الإقليم ، عندما سافر لمقابلته الخديوى بمصر .

كما أخذ غردون معه إلى الجنوب أوربيا آخر هو (شنيتزر) *

الذى عرف باسم أمين باشا وأصبح مديراً للاستوائية فى ١٨٧٨ / ١٨٨٩ م وهكذا صحبت الحكم المصرى والإجراءات التى اتخذت ضد تجارة الرقيق زيادة عددية الموظفين الأوربيين (١) فأصبح الجنوب إقليماً مغلقاً أصابا لشلل تجارته واضطر معظم التجار إلى هجره ، وتوافد (٢)

* شنيتزر: المانى الاصل ، أصبح مديراً للاستوائية من ١٨٧٨ - ١٨٨٩ م ادعى اعتناق الاسلام وتسمى بالشيخ أمين وأكثر من الصلاة ، وتظاهر بأنه عالم نحير على مذهب أبى حنيفة وأنه من كبار المتصوفة ، وصار يعطى الطريق لمن أراد أن يسلك طريقته وتبادى فى غيه وضلاله دون أن يفطن له أحد ان ظل أمره مستترا إلى قيام المهديّة فهرب (يقظة السودان ، ص ٤٤)

(١) انظر المهديّة فى السودان ص ٣٨ .

(٢) نفس المصدر ص ٣٩

عليه المبشرون الذين استقد منهم (غردون) للتبشير .

يقول جراهام : (وفى سنة ١٨٧٨م بعد وفاة سميث وأونيل كتب الجنرال غردون محافظ الاستوائية* الذى كان مكرماً جداً لدى الدوائر الإنجليزية فى إنجلترا ، وكان يشمر بالغم من وحشة هذا الإقليم ومتطلباته الجسيمة مدركاً أن الأمل الوحيد قد بقى فى المسيحية ، ولذا كتب إلى سكرتير جماعة الكنيسة التبشيرية معلناً الحماية والمعاونة لأى طائفة عابرة داخل السودان إلى إقليم (متينا))

وأشار عليهم بوجود مناطق أفضل وأخصب بكثير وبدون عوائق ضارة وأشار عليهم بأن يبحثوا عن خطة أيسر إذا كان على جماعة الكنيسة التبشيرية أن تحقق الفرض الذى يقصده المسيحيون المخلصون المجردون من المجد الفارغ الملازم لرواد الكنيسة .

وصف المبشر الذى يطلبه فردون :

بعث غردون بالرسالة التالية إلى أخته - موضحاً فيها رأيه فى نوعية المبشر الذى يستطيع أن يعمل لعيسى فى تلك المناطق الوخيمة ، والرسالة فى حد ذاتها تعبير صادق عما انطوى عليه غردون من إخلاص لنصرانيته . يقول غردون : (أين تجد دين داعية؟ سألين ما أعنى بالمصطلح ، ينبغى أن يكون انداعية الرجل الذى يغنى تماماً من أجل الناس ، والذى ليست له أوامر من أى جنس والذى يحن إلى الموت ما سر الله أن يأخذه ، والذى يطيق الوحشة القاسية لهذه المناطق ، والذى ينشد رسائل قليلة ، والذى يؤمن أن يموت مبعداً . والآن فالرجال الذين يقبلون هذه الوظيفة أقلأء جداً أقلأء جداً لكن نصف الحل لا يصلح ، ينبغى على الرجل أن يقلع عن كل شئ ليفعل أى شئ للمسيح ، ههنا نصف الحل أو ثلاثة أرباع الحل لا تنفى بالحاجة ومع ذلك يا له من مجالى (١))

* لعل الكاتب خلط بين فترتي غردون فى السودان لان غردون أنهى أعماله كمحافظ للاستوائية سنة ١٨٧٦ وعين فى فبراير سنة ١٨٧٧ حاكماً على السودان .

وبلغ نجاح غردون في مهمته حداً أبعد من صموئيل بيكر لأنه استطاع أن يكسب ود تلك القبائل التي كان يهاجمها بيكر وخاصة قبائل (الباري) وذلك بمعاونة موظفيه الأوربيين من ألمان وأمركان وغيرهم^(١).

وأنهى غردون مدة عمله كحاكم على الاستوائية سنة ١٨٧٦م وعاد إلى بلاده عازماً على ألا يعود للعمل في السودان مرة ثانية ولم يد ر ما يخبئه له القدر من أن السودان سيكون مشواه الأخير .

(١) انظر تاريخ السودان الحديث ص ٧٨

المبحث الخامس الإسلام في الجنوب

على الرغم من الجهود النصرانية المكثفة والأوامر الإدارية الصارمة الموجهة إلى المسي الإاسلام ، فقد بدأ يتسرب إلى الجنوب عن طريق إقليم بحر الغزال ، وذلك بواسطة التجار المسلمين وفي مقدمتهم الزبير باشا رحمة^(١) الذي دخل الجنوب كما يدخل التجار المسلمون الذين حملوا عبء الدعوة إلى الله سبحانه ، ونشروا الإسلام في كثير من أرجاء المعمورة فدخّل الزبير إلى الجنوب يحمل هم الدعوة أكثر مما يحمل هم التجارة ، فبارك الله له في تجارته التي بز فيها الأقران ، وطرق أراضى جديدة في الجنوب لم يطرّقها غيره من تجار الشمال ، وصاهر بعض سلاطين القبائل وعقد المعاهدات مع بعضهم كالسلطان (تكينا) مما أدى إلى دخول قبيلة هذا السلطان كلها في طاعته ، فأصبح سيّدا مهابا ذا قوة ومنعة ، حيث كون قوات عسكرية خاصة من أبناء الجنوب الذين أسلموا على يديه وحملوا السلاح دافعا عنه فغزا بهم إقليم بحر الغزال ودارت بينه وبين قبائل الإقليم الوثنية مناوشات انتهت بانتصاره عليهم ، واتخذ من (ديم الزبير) عاصمة له ، ونشر الدين واللغة العربية فغزى الغرب من حركته الجهادية الجريئة فسلط عليه إعلامه فوصته الصحافــة الغربية بأنه أكثر تجار الرقيق شهرة في أفريقيا .

وتأثر كثير من المؤرخين الذين درسوا التاريخ في مدارس التبشير ، فصاروا أبواقا تردد مزاعم المبشرين والمستعمرين .

ولكن الزبير نفسه يتصدى لهذه الحملة وينفي هذه المزاعم في مذكراته التي كتبها بيده ، فأثبت أنه لم يبيع الرقيق وإنما اشترى ضحايا السلاطين ودرهم على حمل السلاح .

(١) يقول الزبير نفسه : (أنا الزبير بن رحمة بن منصور بن علي بن محمد بن سليمان بن ناعم بن سليمان بن بكر بن شاهين بن جمع بن جموع بن غانم العباسي هاجر أجدادي العباسيون من بغداد بعد هجوم التتار عليها سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٨ فأتوا مصر فوجدوا فيها الفاطميين حكاما فلم يطيعوا الإقامة معهم فخرجوا إلى بلاد السودان) نعوم شقير ، ج٢ ، في تاريخ السودان القديم ٥٦٨

يقول الزبير: (وكان من عادة أهل تلك البلاد (النيام نيام) * أنهم يبيعون أهل الجنايات كالسارق والزاني في الأسواق، ويذبحونهم ويبيعون لحومهم كالأبقار، ويشتريها أهل تلك الجهات ليأكلوها، فكلما رأيت ذلك أخذت أشتري من أجد فيه اللياقة لحمل السلاح وأفديه من الذبح حتى بلغ ما اشتريته نحو الخمسمئة تقريبا وصرت أعلمهم حمل الأسلحة النارية إلى أن عرفوا ذلك، وسلحتهم جميعا من الأسلحة التي أحضرتها معي^(١)) ويروى جون بترك الذي زار الجنوب سنة ١٨٦٥م أن من عادة قبائل النيام نيام قتل السارق والزاني^(٢) وفي هذا تأييد لما ذهب إليه الزبير من أن الوسيلة التي كون بها جيشه الذي غزا به إقليم بحر الغزال هي شراء هؤلاء الجناة وتهذيبهم وتدريبهم بعمد الإسلام على حمل السلاح وذوداً عنه.

حكومة الزبير :

أسس الزبير حكومة إسلامية ترأسها بنفسه وحكم المنطقة حكماً إسلامياً وكون مجلساً للشورى من بعض العلماء لاقرار أحكامه .

يقول الزبير (وحكمت البلاد بالكتاب والسنة وشرعت في تعديشها وعمارتها وتوسيع نطاق التجارة فيها وكونت مجلساً للشورى من اثني عشر عالماً، وحلفتهم على القرآن أنهم إذا رأوا في أحكامي إغواجا عن الشرع فينبهوني^(٣))

ومن الجدير بالذكر أن حكومة الزبير هي أول حكومة إسلامية تقام في الجنوب^(٤) حيث صارت ملجأً للتجار المسلمين الذين شردتهم الإدارة الحكومية شريكة المبشرين، فأحسن الزبير استقبالهم وكون منهم حلفاء قويا واجه به أعداءه واقتدى بعضهم به فتزوجوا من بنات

يعني قبائل الزاندي

(١) الاستاذ حسن مكي، السياسة التعليمية بالجنوب، ص ٥، بحث مكتوب بالرونيو

(٢) انظر المصدر نفسه والصفحة

(٣) المصدر نفسه ص ٦ وانظر في تاريخ السودان القديم لنعوم شقير ص ٧٧٥

(٤) انظر تاريخ السودان الحديث ص ٨٠

المكوك والسلطين وأصبحوا الطبقة الراقية التى قلد ها أهل الاقليم فى عاداتها من ملابس ومأكلا ، وفى عبادتها ومعتقداتها ، وبهم خضع الإقليم للزبير إداريا وتجاريا وعقد التجار له لواء الزعامة .

وكان طبيعيا أن يصطدم الزبير بحملات التبشير المنبثة فى الجنوب التى يدعمها إداريون الإنجليز ماديا ومعنويا لأنهم أحسوا بالخطر الذى أفزعهم زمنا طويلا يقترب ، وأن الإسلام إذا ترك فى هذه المنطقة ستذهب جهودهم أدرج الرياح ، وبالفعل أصبح الجزء الغربى من هذا الإقليم شبيها بشمال القطر المسلم .

يقول ترمنجهام فى مؤلفه (مواجهة المسيحية للإسلام فى السودان) عن مدينة (واو) :^(١)

(ومدينة واو فى وقت من الأوقات كانت كأنها إحدى مدن الشمال لنشاطها التجارى والآن وبعد التغيير الذى طرأ على سياسة الحكومة ، وبعد طرد التجار الدناقلة أصبحت كأنها إحدى المدن اليونانية).^(٢)

الحكومة تواجه الزبير :

أقصى الزبير مضاجع النصارى من مبشرين وإداريين فألبوا عليه الحكمدار ، فوضع خطة للسيطرة على إقليم بحر الغزال وانتدب لذلك الشيخ محمد البلالى الذى كان يجهل قوة الزبير العسكرية ظانا أنه كتجار الرقيق ، فنشب بينهم حرب ذهب ضحيتها البلالى وجنوده ، وأدرك الزبير بذكائه أنه إذا ما سارت الأمور بطريقها الرسمى فسوف تعدد الحكومة تائرا على سلطانها فتدرك الموقف ، ورأى أن يوسط لذلك حسين بك خليفة العبادى مدير بربر ونقلا وشرح له الموقف شرحا وافيا ، وأظهر الخضوع لسلطان الحكومة وأنه ما كان يريد أن يشتهر بالثورة على الحكومة .

(١) (واو) هى عاصمة مديرية بحر الغزال الحالية

(٢) نسبة إلى (نقلا) عاصمة المديرية الشمالية الآن

ونتيجة لاعتذاره رأى الخديوي أن يعفو عنه وأصدر أوامره لمدير قبلي السودان أن يعفيه

الأمان إذا ما حضر إلى الخرطوم، ولا داعي لحضوره لمصر، كما أبدى الزبير ذلك في طلبه بواسطة حسين بك خليفة، ولم يكف الخديوي بالمعفو عنه فحسب، بل رأى فيه من القوة وشدة البأس ومعرفة أحوال إقليم بحر الغزال ما يؤهله لتوطيد سلطان الحكومة في تلك الأصقاع النائية فصدرت الأوامر لإسماعيل باشا أيوب الذي ارتفع إلى رتبة الحكمدار بتشكيل مديرية لبحر الغزال وتعيين الزبير مديراً عليها، كما أمره أن يبحث معه حين قدومه الخرطوم أمر هذه المديرية الجديدة وما يلزمها من مستخدمين وجنود، فأرسل الحكمدار هذه التعليمات مع رسول خاص بطريق كردفان دارفور، ولكن عرب الرزيقات قطعوا على الرسول الطريق أما الزبير فقد عزم على القيام للخرطوم لتأكيد ولائه وإخلاصه حسب ما ذكر ذلك لواسطته، فسير بالفعل مراكبه محملة بالسلع التجارية (كالسمن، وريش النعام) وغيرها ريشاً يتم استعداداً. وقبل مغادرته نسي إلى علمه أمر غارة عرب الرزيقات على حدوده حيث قطعوا الطريق بينه وبين دارفور، فجهز جيوشه والتقى بالرزيقات فهزمهم، ولأن بعضهم بسطان الفور فكاتبه الزبير بقوله (إلى حضرة أمير الأمراء الكرام مولانا السلطان إبراهيم ابن السلطان حسين صاحب العزة والاقتدار والهيبة والفخار آدم الله علاه آمين).

أما بعد، فنحن عبيد أفندينا ولي النعم خديوي مصر المعظم أتينا منذ عام ١٢٧٠ هـ. . فدانت لنا بلاد الفراتيت برمتها وفتحنا الطريق منها إلى كردفان عن طريق (شكا) فتعهد بحفظه مشايخ الرزيقات نظير جعل معلوم وضعناه لهم على التجار. ولكن لم يكن إلا السير حتى نكت الرزيقات عن العهد وربطوا الطريق وأباحوا دماء المسلمين وأموالهم بدون وجه شرعي، وقد نهيناهم عن ذلك مراراً فلم ينتهوا بل كانوا يتفاخرون بقوتهم وخيولهم العربية وأسلحتهم النارية، وقتلهم للمقدوم عبدالعزيز أبي أحمد شطة وآدم طربوش أبي الوزير بخيت وغيرهما من الفرسان التابعين لدولتك الفورانية، فأوجب الله علينا حربهم بدليس

(١)

قوله: (فقاتلوا التي تبغى حتى تنفي إلى أمر الله).

ونحن نتقدم إليكم بهذا الكتاب ، واثقين أنكم متى علمتم حال هؤلاء العربان الطفلة الذين خرجوا عن طاعة سلطتكم منذ ثلاثين سنة ونيف تنددوننا بسرية من جيشكم حتى إذا ما تم لنا إذلالهم نعود فنسوى الأمر بيننا ، فاما أن تتركوهم لنا لنحكمهم بالقسط والعدل وأما أن نتركهم لكم فتفتحون الطريق وتقدمون لنا النفقات التي نيدلها على عما كرنا فسي الحملة عليهم ، ولا أمل الا فادة سريعا ، في حفظ الله آمين (١)

ولكن السلطان لم يستجب لطلب الزبير لأن الملتحقين به أعلنوا ولا هم بعد استفلال نيف على الثلاثين عاما ، فرأى سلطان الغور في ذلك كسبا له ، ولم يقف عند هذا الحد ، بل أرسل إلى الزبير تجريدة فالتقت به في (شكا) فدارت عليها الدائرة ، فغضب الزبير لا يواءم قطاع الطريق واعتداء السلطان وبدئه بالحرب ، ومن ثم واصل زحفه شمالا إلى سلطنة الغور ، وفي نفس الوقت كتب إلى الحكمدار يستمد له على عجل ، وظل يزحف من نصر إلى نصر حتى كانت القاضية على السلطان في معركة (منواشي) التي قوضت دعائم مملكة دامت ثلاثة قرون (٢)

ولما كان الزبير مؤمنا بالخلافة الإسلامية التي يعتبرها رمز القوة والوحدة الإسلامية ، وأن الخديوية المصرية تابعة للخليفة في تركيا فقد أعلن ضم إقليم دارفور للحكم الخديوي في مصر (٣)

بين الزبير وحكمدار السودان :

ذكرنا في معرض الحديث أن الزبير كتب يطلب المدد من الحكمدار وعندما سمع الحكمدار بانتصارات الزبير استحسن أن يسير بنفسه ببطء وحذر شديد ، فلما اقترب من

(١) تاريخ السودان القديم ص ٥٨٠ / ٥٨١

(٢) انظر د. مكي شبيرة ، السودان عبر القرون ص ١٨٤ وما بعدها

(٣) انظر الاستاذ عبد السلام سليمان سعد ر. م. عوامل تكوين الرأي العام في المجتمع الاسلامي ص ٩٤

الفاشر علم أنها سقطت في يد الزبير قبل خمسة أيام ، فأبرق إلى القاهرة بالفتح الذي تم على يد الزبير بعد أن أثنى على نفسه ثناء حسناً وبالح في إطاراً نفسه وما بذل من جهود ، ونتيجة لذلك أمر الخديوي بترقيته لدرجة فريق ومنح الزبير لقب الباشوية ، فبدأ الحكمدار في تنظيم المناطق الجديدة ، وكان من أول ما قام به فرض ضرائب عالية على الأهالي لئلا فأنهى الزبير اعتراضه ، وطلب من الباشا تخفيفها ، فعرف الحكمدار أن الزبير يريد أن يحكم المناطق التي فتحها فعزم على التخلص منه بأسرع ما يمكن قبل أن يقوى مركزه ويصبح خطراً عليه هو نفسه ، فأدرك الزبير أن الحكمدار غير راض عن اقتراحاته بتخفيض الضرائب ووضع البلاد تحت إدارته فطلب الإذن بالسفر إلى القاهرة لتوضيح الأمر للخديوي ، فكتم الحكمدار سروره وأرسل عدداً من البرقيات إلى الخديوي يشرح فيها خطورة الزبير إذا بقي حاكماً على المناطق التي أخضعها وضربها للخديوية ، وعند ما وصل الزبير القاهرة اكتمل الجو في وجهه حيث أبقاه الخديوي أسيراً ولم يسمح له بالعودة إلى السودان وصادرت الحكومة أمواله بحجة أنها نتاج تجارة الرقيق وعند ما اندلعت الثورة في السودان بدأت الصحف الغربية تلتفح الأخبار عنه لتفتت وحدة الشوار .

جاء في المروءة الوثقى ما يأتي :

(نقلت الجرائد الأوربية ما يعجب من نسبته لزبير باشا ذلك أنه شخص ثلاثة مئة أبناء إلى الثائرين ، ومع كل واحد منهم كتاب إليهم يشكر فيه الخديوي ودولة بريطانيا العظمى والجنرال غردون لردهم لكل أملاكه التي انتزعت منه ويقسم عليهم أن يرافقوا غردون إلى كرسكو ، ويقول إن كل معاملة تسيء إلى الجنرال تكسر خاطره)
ويعلق ناقل الخبر قائلاً :

(وأنا أبرأ ما في الرقيم ونسبته إلى الزبير باشا ، فأنا أعرف الرجل مسلماً فقيهاً في

دينه عالماً بفروضة وهو من سلالة العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم وفي نفسه حزازات

ما نكأه به الجنرال غردون عند ما كان حاكماً في السودان وليس من أحد يحفظ تاريخ غردون

ويحصى سيئاته كزبير باشا ، وعلمنا ذلك منه وهو يتنفس الصعداء من ذكرى مصائبه أيام كسا
فى مصر فكيف يمتدح الانجليز ويشكرهم وكيف يقوم بعمل يعود بالنعمة عليهم اغترارا بمسا
وعدوه من رد أملاكه إليه وهو يعلم أن كل ما يفيدهم لا يزيد قدمهم إلا رسوخا في أوطانسه
فلا يبعد أن يكون عدو الزبير أراد أن يشوه سيرته فرماه بهذه النسبة^(١)

ففيما تقدم خير برهان على أن الزبير كان مجاهداً إسلامياً ولم يكن نخاساً كما زعم
أعداؤه فلقد زاد عدد جيشه الإسلامى على الاثنى عشر ألفاً هزم بهم أكبر القبائل (قبيلة
الرزقات) كما قوض بهم دعائم ملكة الفور التى أعجزت الحكومة ولقد ظل هذا الجيش وفياً له
مدافعا عنه ومعظمه من قائل الجنوب فلو كانت الصلة بين الجيش وقائده هى الصلة بين
التاجر وبضاعته ما كان هذا الود والوفاء .

ويكفى الزبير فخراً أنه أول أستاذ علم أبناء السودان استعمال السلاح الناري وأن معظم
جنوده اشتركوا فى ثورة السودان الكبرى ، كما أن ثلاثة من أشهر قواد المهدي كانوا من
رجاله وهم (حمدان - الزاكي - والنور) وكان أول من بذر بذور الثورة الإسلامية ضد الفساد
الإدارى والعلمانى الذى مكن له محمد على ، ولو قدر للزبير أن يبقى فى السودان لاضطره
هذا الفساد إلى الثورة فى وجه الحكومة ولكنه أبعد فى الوقت المناسب^(٢).

وعند ما قامت الثورة بقيادة المهدي وهو فى مصر نقي إلى جبل طارق بحجة مساندته

الثوار .

(١) جمال الدين الافغانى ، محمد عبده ، العروة الوثقى ص ٣٤٦/٣٤٧ ، ط أولى

سنة ١٣٨١ هـ / ١٩٢٠ م

(٢) انظر الأستاذ حسن مكى ، السياسة التعليمية والثقافة العربية فى جنوب السودان

ص ١٢ ط معامل التصوير الطون السودانية ، بدون تاريخ .

المبحث السادس فردون يعود إلى السودان

اتصل الخديوي بفردون مرة ثانية واقترح عليه بأن يقبل منصبا جديدا هو منصب الحكمدار العام على جميع السودان فقبل العرض من غير تردد . بعد أن منحه الخديوي سلطات مطلقة يتصرف كيف يشاء وذلك في فبراير سنة ١٨٧٧م وحالفه التوفيق نوعا ما في عامه الأول . بعد أن بذل جهدا كبيرا في فرض سلام مضطرب على الحدود .

سياسة القمع والاستفزاز :

في شهر يوليو من سنة ١٨٧٨م بدأ فردون ينهج نهجا جديدا في سياسته ، حيث استعمل أسلوب القمع والإرهاب وأصبح أقسى وأقل حذرا في أساليبه السياسية ، وسلك نفس المسلك الذي كان يسلكه عند ما كان حاكما على خط الاستواء من عزل المسلمين وتعيين النصارى حيث عزل عددا كبيرا من المصريين واستبدل بهم الأوربيين^(١) الذين كان يستقدمهم من بلادهم وجلهم من المبشرين .

يقول سلاتين النمساوي في كتابه السيف والنار في السودان : (في شهر يوليو سنس ١٨٧٨م) عند ما كنت ملازما في آلاي ولي العهد (رودلف) عند حدود (البوسنة) تسلمت رسالة من الجنرال فردون يدعوني فيها أن أذهب إلى السودان واشتغل في خدمة الحكومة المصرية تحت إدارته .

وكنيت في سنة ١٨٧٤م قد سحت في السودان عن طريق أسوان ، فذهبت إلى (كرسكو) و (بربر) ووصلت في شهر أكتوبر من تلك السنة إلى الخرطوم وعرجت على جبال النوبة وبقيت مدة قصيرة في الدنج حيث كان مركز الرسالة الكاثوليكية النمساوية^(٢)

(١) السودان والمهدية ص ٣٩ .

(٢) سلاتين باشا ، السيف والنار في السودان ص ٩ ، ط ثانية دار الجيل بيروت سنة ١٩٧٨م نشر عالم الكتب

وهذا الإجراء الذى سلكه غردون وهو فصل المصريين المسلمين وتعيين النصارى الأوربيين
فاق ضرورة نفسه وأصاب الإدارة الخديوية وحكومتها نتيجة ما أشيع من خصومها عن خضوعها
لعناصر مسيحية ولم يكن هذا الإجراء ليقابل بالرضا من شعب السودان المسلم الذى رأى
فى تولية مسيحي أمور المسلمين خروجاً على الدين بالإضافة إلى أن هؤلاء الأجانب لم
يفهموا نفسية الشعب السودانى .^(١)

وكانت الميزانية تواجه عجزاً كبيراً بالرغم من أن الحكمدار موسى حمدى باشا رفع مجموع
الضرائب الذى كان فى ١٢٨٨هـ / ١٨٦٣م مئة ألف جنيه إلى ثلاثمئة ألف جنيه ومع هذا بلغ
العجز مئة وخمسين ألف جنيه وكان من العسير أن يجمع هذا من الوطنيين الذين اضطروا
إلى دفع ثلاثة أضعاف ما كانوا يدفعون^(٢) لذلك طلب الخديوى من غردون أن يضع أسساً
إنسانية للإدارة فى السودان ، وانعاش الحالة الاقتصادية التى كان يعاني منها السودانيون
وذلك بإيجاد بضائع للتجارة وتحسين المواصلات النيلية وإيصالها إلى أبعد الحدود ،
فعين غردون سلاتين النمساوى مفتشاً مالياً لحكومة السودان ، فباله سوء نظام الضرائب
ومقاييس تحديد ها وطرق جمعها حيث وجد الأغنياء يدفعون ضرائب أقل من البسطاء كما
وجد جامعى الضرائب لم يلتزموا القانون فى جمعها فجمع سلاتين ألوقا من الضرائب
والظلامات ورفع الأمر لغردون .^(٣)

ثورة كردفان ودارفور ضد الحكومة :

كانت منطقتا كردفان ودارفور تملكان سوقاً كبيراً ومركزاً للإمداد الرئيسى لسليمان
الزبير بالأسلحة والذخيرة فى إقليم بحر الغزال ، وأحس غردون بعجزه تجاه هذه المنطقة

(١) السودان والمهدية

(٢) على محمد بركات ، السياسة البريطانية واسترداد السودان ص ٩

(٣) انظر تاريخ السودان الحديث ص ٨٦

(٤) انظر عصمت حسن زلفو ، كررى ، ص ٢٨ نشر مطبعة التمدين ط ١٩٢٨

التي امتلأت بتجار الشمال ، وأغلبهم من قبيلة الجعليين - قبيلة الزبير المعتقل لدى الحكومة وابنه سليمان الذي خلف والده في قيادة جيشه - والد ناقله الموالين لهم ، ويقرر حاسم أمر غردون بإخلاء المنطقة منهم وحمل زعماء العشائر تبعة وجودهم في مناطقهم فشرذ التجسار وصودرت تجارتهم وأموالهم^(١) فشبت ثورتان في كردفان ودارفور عليهما التوالي ، وقاد غردون حملة إلى كردفان وقضى على الثورة المشتعلة فيها ، ثم تقدم للالتقاء (جسي) حتى يعد معه الترتيب اللازم لمواجهة الثورة الأخرى ، وبناءً على ما تم بينهما في هذه المقابلة تعقب (جسي) سليمان في دارفور حيث استسلم الثوار في يوليو سنة ١٨٧٩م وقتل سليمان وتسعة من قواده رميا بالرصاص في اليوم التالي بعد أن أغراهم بالأمان إذا سلموا ، وهذا الإجراء الذي سلكه (جسي) وصمه بالغدر ، وعلى الرغم من هذا فإن السلام الدائم لم يتحقق ، ولذا لجأ غردون إلى وسيلة قاسية هي التنبيه على شيوخ القبائل في المنطقة باصطياد الجلابة* وتسليمهم إلى الحكومة وحملهم مسئولية العثور على أي منهم في أقاليمهم بعد تاريخ حدده .^(٢)

وزاد خبر سوء المعاملة التي لقيها الجلابة في أنحاء البلاد كلها^(٣) وأصبح غردون مكروها لدى السودانيين كما يقول سلاتين : (فان الحاكم الذي أمر بطرد الجلابة من الجنوب فسي حرب الزبير كان خليقا أن يكرهه عرب الجعليين لا أن يحبوه ، فإن أمر غردون بطرد الجلابة قد أفقد عدداً كبيراً من الجعليين أبناءهم أو إخوانهم أو أقاربهم ولم يكونوا ينسون أن غردون هو السبب في كل ذلك .^(٤)

ويمكننا أن نتصور شعور السكان المسلمين عند ما يتولى أمرهم النصارى فذلك غاية الاستفزاز لمشاعرهم الدينية وزاد الطين بلة قتل سليمان الزبير وقواده غيلة بعد استسلامه

(١) المصدر السابق ص ٤١

(٢) اصطلاح يطلق على تجار الشمال

(٣) انظر السودان والثورة المهدية ص ٢٤

(٤) كررى ص ٤١

(٤) السيف والنار ص ١٤٧

نتيجة لوشايات كاذبة وبذلك فقد غردون ولاء الأهالي كما فقد عون الزبير الذي احتساج لانقاده وهو محاصر في الخرطوم - على ما سيأتى - ولكن بعد فوات الأوان^(١) .

وأخيرا صم غردون على اعتزال السلطة إذا ما زایل اسماعيل أريكة الحكم، وقبل أن يصل الخرطوم وفي طريقه من دارفور سمع بمفارقة اسماعيل لخدوية مصر وتبوء توفيق مكانه فسافر إلى مصر وقدم استقالته في أواخر سنة ١٢٩٦ هـ فقبلت^(٢)، وخلفه محمد رؤف باشا حكامدارا على السودان^(٣) .

ولم يكن هناك وضع ملائم للثورة الشاملة مثل الوضع الذي كان السودان عليه عام ١٨٨١م حكم نصراني فاسد ، يسنده جيش محتل قوامه ٤٠٠٠ ر . جندى به عدد كبير من جنود الزبير وابنه سليمان ، ضمتهم الحكومة إلى قواتها النظامية بعد نفي الوالد وقتل الولد ، فكانوا سند الثورة المهدية وقوادها ودرعها .

(١) انظر كبرى ص ٤١

(٢) انظر السودان عبر القرون ص ٢٢٢

(٣) المصدر نفسه ص ٢٢٤

الفصل الرابع

الحركة المهدية في السودان

المبحث الأول : أسباب قيام الحركة المهدية

ذكرنا فيما سبق أن محمد علي باشا غزا السودان في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) وكان دافعه الأول هو جلب الرقيق لاستخدامهم جنودا في جيشه لتكوين امبراطوريته التي كانت تسيطر على تفكيره ، كما كان يأمل في جلب خيرات السودان التي سمع عنها الكثير ، وقد صاحب هذا الغزو المسلح غزو فكري رائده رفاعة بك رافع الطهطاوي أول من أسس نظام التعليم الغربي العلماني في الخرطوم ، كما صاحب هذا الغزو منذ مراحله الأولى ثورات الأهالي في وجه الفزة كورة الشايقية في كورتس ، وثورة العبد لاب بقيادة عجيب المانجلك ، وتمرد الجعليين بقيادة المك نمر الذي أحرق إسماعيل بن محمد علي قائد الحملة النيلية الذي قضى على مملكة الفونج ، مما دفعه الدفتردار صهر محمد علي للقيام بحملة انتقامية حيث قضى على قرى بأكملها وأقام المذابح في الأسواق والطرقات فقتل حتى على النساء والأطفال .

ولم تهدأ ثورة الأهالي تجاه الفزة طوال سني الحكم التركي .

وعند ما ضعفت الإدارة وانتشر الظلم وعم الفساد وفرضت الضرائب الباهظة ، وفتش الباب على مصراعيه أمام المبشرين من كل دول الغرب أصبح الجو ملائما للثورة الشاملة يقول سلاتين : (وقد كان الأجانب من جميع الدول الأوروبية متمتعين بحق الدخول إلى السودان والخروج منه وهم في كلا الحالتين يتمتعون بالأمن والهدوء ، وإلى جانب ذلك سهلت المواصلات بين السودان وأبعد الممالك الأوروبية بواسطة الوسائل التلغرافية والبحرية المنظمة . إن معظم ما تمتع به السودان أثناء الحكم المصري الطويل هو قيام كل فرد بشعائره الدينية وينشر العلوم حسبما يوحى إليه ضميره ، فكت ترى مساجد المسلمين وكنائس المسيحيين يقصدها أبناءها بمطلق الحرية ، كما كنت ترى مدارس الأوربيين منتشرة

لتعليم العلوم الحديثة (١).

كما يرى المؤرخون أن أبرز الأسباب التي أدت إلى قيام الحركة المهدية الشاملة ما يأتي :

١- رفض المجتمع السوداني المسلم لحضارة الغرب الوافدة بمفهومها الغربي المادي ، وفتح

الباب أمام المبشرين .

٢- الضرائب الباهظة التي رأى فيها الأهالي مقدمة للزحف الاستعماري، متشلا فيما اتبع

من وسائل القسوة في جمعها واستخدام (الباشبوزق) في تحصيلها .

٣- محاربة المواطنين في أرزاقهم باحتكار الحكومة للتجارة . وتحريمها عليهم .

٤- ضعف الحكم القائم في شطرى وادى النيل، وفساده وخضوعه الكامل للاستعمار .

٥- وجود إحساس عام في أجزاء العالم الإسلامي - ومن بينها السودان - بضرورة تنقية

الإسلام من الشوائب التي لحقت به حتى يستطيع العالم الإسلامي مواجهة الزحف

التبشيري الاستعماري والأفكار الغربية الوافدة (٢).

كل هذه الأسباب عوامل مساعدة لاشتعال حركة المقاومة الشاملة بالإضافة إلى السبب

الرئيسي المباشر وهو:

٦- وجود رد فعل ديني ضد تدفق النصراني الأجانب وتسليمهم مقاليد أمور المسلمين ولم

يكن هذا مألوفاً في مجتمعات المسلمين ، ولذا كان هذا السبب من أقوى الأسلحة

التي شهرها المهدي في وجه الحكومة ، واعتبرها مارقة عن الدين لاسيما وقد صاحب

(١) السيف والنار ص ٤٠

* ليس معنى ذلك أن حركة المهدي كانت مبرأة من الشوائب ولكنها كانت أشل شئاً بالنسبة للمجتمع الذي قامت فيه فهو مجتمع صوفي أما إذا قورنت بالإسلام الصحيح فشوائبها لا تحصى ، لأنها نبتت من فكر صوفي خرافي منحرف كما سيأتي بيانه .

(٢) انظر اسيااسة البريطانية واسترداد السودان ص ١١/١٠

(٣) المهدي : هو محمد أحمد بن عبد الله ولد في جزيرة (ليب) بالقرب من مدينة دنقلا حاضرة الاقليم الشمالي حالياً في ٢٧ رجب سنة ١٢٦٠ هـ الموافق ١٢/٨/١٨٤٤ م من أسرة تدعى الشرف بنسبتها لآل البيت ، وكانت حرفتها صناعة المراكب النيلية (السفن) ارتحلت الأسرة من الشمال بسبب ندرة الأخشاب ، واستقرت في كررى بالقرب من مدينة أم درمان ، توفي الوالد بعد مدة قليلة من الرحيل ، وترك ابنه محمد أحمد

تدفعهم إلى السودان نوع من الإباحية والاستهتار الخلقى ، وهى ظاهرة واكبت مقدّمات الزحف الاستعماري لتد مير معنويات الشعوب ليشل مقاومتها ويذهب ريحها فلا تقوى على مقاومته وهذا الوضع عانت منه كثير من المجتمعات الشرقية ، ورغم كل هذه المعوقات فقد

— صغيراً مع إخوته الذين تعلموا حرفة الوالد . نشأ محمد أحمد محباً للتعليم من صغره فالتحق بالخلوة وبعد حفظه للقرآن الكريم حاول إخوته اجتذابه إلى صنعته فلم يستطيعوا وسمع الصبي بشهرة الشيخ محمد الخير وسعة علومه فسافر إلى بربر فتعلم من مبادئ العلوم ما يسره له الله مع زهد وعبادة وانقطاع للذكر مع ورع معه مشاركة الطلاب في ما كلهم بحجة أن بعضه يأتيهم من الحكومة التي كان يراها مثالا للظلم تتخذ من الإنفاق على الخلاوى ستارا لإخفاء مساوئها لتتال ثقة المسلمين ، فكانت الثورة على الظلم تعتمل في نفسه منذ الصغر ، وكان يذهب في ظلام الليل إلى النهر ليصطاد رزقه حللا طيبا ، فتناقل التلاميذ خبر زهده وورعه واجتهاده في العبادة ، فقد ر شيخه هذه النزعة فأشركه في طعامه الذي كان يأتيه من مزرعته الخاصة ، فأطمان محمد أحمد لذلك ووجد فسحة من الوقت للعبادة والتحصيل والذكر والتأمل ، فأظهر تفوقا وذكاء خارقا وعند ما أكمل محصول هذه الخلوة ، وهو المبادئ الأولية في علوم الدين من حديث وتفسير وفقه تآقت نفسه للتصوف فاتصل بالشيخ محمد شريف نور الدائم وذلك حوالي ١٢٧٥هـ / ١٨٦١ هـمره سبعة عشر عاماً ، فانتظم في سلك السمانية ودخل في عدد المريدين وشرع في قراءة كتب التصوف ، كتبت الغزالي وابن عربي وغيرهما مما كان له الأثر في تكوين ثقافة المهدي الصوفية ، وكان شيخه يتفقد التلاميذ ليلا فلا يجده إلا قارئا متهجدا أو ذاكرة وقل أن يجده نائما فلغت نظره هذا الشاب الذي لم ير له نظيرا في مريديه . وقضى في صحبته سبع سنوات من غير كلل أو ملل .

ثم فكر في مهنة يرتزق منها فأخذ في بيع الحطب ، فعلم أنه يشتري لصناعة العريسة (نوع من الخمر) فنفض يده منه ثم حاول الاتجار في الغلال فاختلف مع شريكة الذي يريد الاحتكار فقرر هجر الخرطوم وضواها واتجه إلى جزيرة (أبا) وانقطع للعبادة ، واجتذب إخوته إليه لتوفر الأخشاب الصالحة لصناعة المراكب ، وما زال حبل السود موصولا بينه وبين شيخه محمد شريف يزوره في الأعياد والمناسبات ولكن توترت هذه الصلات عند ما أقام الشيخ حفل رقص بمناسبة ختان أبنائه فعد التلميذ ذلك لهما واعترض على الشيخ فغضب الشيخ وسبه وطرده من داره أولا ثم من الطريق رغم الاعتذار والانكسار الذي أبداه محمد أحمد ، وبعد فترة قلق أفقده الطمانينة الصوفية وجدد ولائه الصوفي على الشيخ القرشي الزين ، ولم يكن القرشي بأقل شهرة من شيخه السابق فقد أخذ الطريق على يد مؤسسها الشيخ (الطيب) . بل إن محمد أحمد نفسه لم يقل شهرة عن شهرة مشايخه ولكن رأى كما يرى الصوفية أن من استلزمات الطريق الاتصال بشيخ ذي قدم راسخ وخاصة أن المريد ما زال دون الأربعين . وعند ما مات الشيخ القرشي فكر مريدوه في بناء قبة كعادة المشايخ وفي هذا الموضع التقى محمد أحمد بعبد الله التعايشي الذي آلت إليه خلافة المهدي فيما بعد ، حيث أصبح الرجل الثاني في دولة المهدي وقيل لأنه هو الذي أوعز إليه بأنه المهدي . وفي التاسع من رمضان سنة ١٣٠١ / ١٨٨٥ بعد فتح الخرطوم بستة أشهر لبي نداء ربه ولم يتجاوز الثانية والأربعين من عمره . رحمه الله .

أخذت اليقظة الإسلامية تنمو، حتى تبلورت في حركات جهادية، تطالب بعودة المسلمين إلى نقاء الإسلام الأول، وترى أن سبب تخلف المسلمين هو بعدهم عن الدين، وقد عاصرت المهدية في السودان حركات إسلامية جهادية، كالحركة السنوسية بليبيا، وحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بنجد، ولقد ساعدت على ظهور هذه الحركات الإسلامية ظروف العالم الإسلامي، فاختلفت آثارها تبعاً لاختلاف مشاربها الدينية، وتصوراتها العقدية، ومناهجها الدعوية، وتعتبر حركة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب نموذجاً يحتذى بسبب فهمها الصحيح للكتاب والسنة، والدعوة إلى عودة المسلمين إلى عقيدة السلف الصالح، ومحاربة البدع والخرافات، ولعل الله سبحانه لهذه الأسباب مجتمعة كتب لها الاستمرار حتى يومنا هذا.

أما المهدية فعلى ما بها من الشوائب العقدية التي سنذكر بعضها قريباً فقد حققت

المزايا الآتية:

- ١- سدت السبل في وجه النصرانية المتسللة إلى القارة الأفريقية عن طريق السودان وقامت بطرد النصرين.
- ٢- وحدت السودان لأول مرة عبر تاريخه الطويل تحت حكومة هيمنت على حدوده الحالية.
- ٣- صهرت القبلات المتنازعة لحين تحت راية المهدية.
- ٤- شجعت على حفظ القرآن وقيام الليل.
- ٥- أحييت روح الجهاد وحببت إلى النفوس الاستشهاد في سبيل الله.
- ٦- بعثت فكرة عالمية الدعوة وذلك بتوجيه الكتب والرسائل إلى الملوك والرؤساء ودعوتهم للدخول في الإسلام، يقول سلاتين: (إن الدوائر الدينية كانت بين آن وآخر تصدر إعلانات ورسائل تحض المسلمين على التقيد بأوامر الدين، وتأدية الواجبات الدينية وفي مقدمتها الصلاة على الوجه الأتم، ثم الابتعاد عن جميع الملذات العالمية^(١) والتوجه إلى عالم الخير الأعلى، ولم تكن الأوامر الدينية مقصورة على السودان، بل تعدته إلى جميع نواحي أفريقيا، وبلاد العرب وبلاد فلاتة ومكة والمدينة^(٢)).
- ومما لا شك فيه أن المهدي استقل العاطفة الدينية الجياشة عند السودانيين فانطلق بحركته ضد الاستعمار، موقناً أن السبيل الوحيد لنجاحها هو الاتفاف حول الدين فحث الناس على الدفاع عنه فأصبح كما جاء في اعترافات أعدائه سيد السودانيين الحقيقي فلم يكن يصدر أمراً حتى ييسار أنصاره لتنفيذه وهم على استعداد لفدائه بأنفسهم^(٣).
- ومع هذا فلنا على المهدية تحفظات وانتقادات وتصحيحات من خلال المقياس الإسلامي الصحيح حيث يبدوا اختلالها^{العمري} واضحاً في الآتي:

- ١- ادعاء قائد الحركة بأنه المهدي المنتظر واعتماد الفكر الصوفي منهجاً لدعوته.
- ٢- اختلاقه أقوالاً لا دليل عليها فهي أشبه بالأكاذيب إن لم تكن كذبا، مما جعل بعض قاداته يتشككون في أمره.

(١) لعله يقصد الملذات الدنيوية.

(٢) السيف والنار في السودان، ص ٣٠٥/٣٠٤

(٣) المصدر السابق ص ٤٦٢

فقد روى الشيخ محمد ^(١) البصير أنه قال : (ذات يوم بعد فتوح الخرطوم طلبني المهدي نصف النهار، وقال لي : ان أمر المهدي كان طويلاً، ولكن الإخوان غيروا وبدلوا، ونحن اخترنا الآخرة فقلت: كيف؟ وأنت وعدتني بفتوحات كثيرة، فأجاب بأنها كلها نسخت، لأنه لا يخفى أن القرآن ينزل من عند الله بواسطة جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم ويكون فيه النسخ والنسخ ^(٢) وهذا أمر فسي غاية الخطورة إلا إذا كان يقصد أنها اسقطت من خطه والله أعلم بالنيات ونرجو له المغفرة في هذا. وقال المهدي لسائله لما ألزمت أمر المهدي، تحتّم عليّ ولم أجد منه خلاصاً، كاتبت أهل المساجد وأهل الدين، وطلبت منهم اجابة دعوتي والقيام معي في تأييد الدين لتأتي المهديّة على حالة مقبولة عند العقلاء، فمنعهم الجاة من اجابة دعوتي، فدعوت هؤلاء الأعراب الأجلاف فأجابوني في الحال، وهاجروا معي في الحال ^(٣))

ومن هذا يتضح أن الذين استجابوا للمهدي هم الدهماء.

٣- دعواه اخبار سيد الوجود له يقظة لا مناماً. وفي هذا منافاة للإسلام، وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه: (إن كذباً عليّ ليس ككذب عليّ أحدكم، من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) ^(٤)

٤- اهمال السنة وعلومها اهماً لا كاملاً والاعتماد على منشورات المهدي، وأقواله التي يزعم أنه أخذها عن سيد الوجود، ونذكر منها على سبيل المثال قوله: (فأخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأنني المهدي المنتظر ^(٥) وخلفني عليه الصلاة والسلام بالجلوس على كرسى مراراً بحضرة الخلفاء الأربعة والأقطاب والخضر عليه السلام، وقلدني بسيفه صلى الله عليه وسلم بحضرة الخلفاء الأربعة والأقطاب والملائكة المقربين والخضر عليه السلام) ^(٦) وهو في هذا متأثر بأراء ابن عربي الذي أخذ جلّ تفكيره من فرقة الاسماعيلية وعرضي للمهديّة وفصلها في كتابه (عنقاء مغرب) وضمن كتابه (الفتوحات المكية) كثيراً من هذه الآراء التي تأثر بها المهدي الى حد بعيد، ونحا على النحو الذي تصوره. ^(٧)

فهذه الأفكار وأمثالها من المسائل والممارسات والمعتقدات التي وردت عن المهدي إذا ما قوبلها بالتقويم الإسلامي العادل فسنجد جنوحاً واضحاً عن المنهج الإسلامي القويم.

٥- الغاء المذاهب الفقهية ومحاربة الفقهاء الذين لا يروون عن المهدي وتكفير من لم يؤمن بمهديته، مما جعل المهديّة واهية البنيان ضعيفة الأثر في المجتمع فمجرد وفاة المهدي وب الخلاف الى صفوفها

١- محمد البصير من كبار قادة المهديّة.

٢ و٣- السودان عبر القرون ص ٣٨٥

٤- انظر منشورات المهدي ص ٢٥/٢٦

٥- متفق عليه.

٦- منشورات المهدي ص ٧٢

٧- انظر هامش المنشورات ص ٢١ تعليق دكتور أبو سليم

وبعجود قتل الخليفة عادات الأمور إلى ما كانت عليه قبل قيامها ان لم تكن قد ازدادت سوءاً .
٦- كذلك من سلبياتها أنها كانت تجهل العالم حولها جهلاً تاماً فشرعت تتوسع شمالاً بدلاً من
أن تتجه إلى الجنوب والغرب مما أفقدها خيرة قوادها وجنودها أمثال القائد عبد الرحمن
النجوى وجنوده ، ومع كل هذا فإن الحركة المهدية كانت رد فعل لحركات التنصير التي غزت
الدوران ولذا لزم التنويه بذكرها في هذا البحث .

دعوة المهدي السرية :

فكر المهدي كثيراً في الحالة التي آل إليها المسلمون من فرقة وشتات ، وبعد عن تعاليم
دينهم الحنيف وكيفية معالجة هذه الحالة ففكر في القيام بجولة إلى غرب السودان ، فتعرف
على زعماء القبائل ، موجهاً الدعوة إلى من وثق به وتأيدوه ، فعاهد بعض خاصة الملك
(آدم أم دبالو) ملك جبال تغلي ثم عاد إلى الجزيرة أبا وبدأ بالكتابة سرا إلى مشايخ
الطرق وعلماء الشرع ، وكان يلح ولا يصح بمهديته فيعضهم استجاب وبعضهم لم يعره اهتماماً
وكان ذلك في شعبان سنة ١٢٩٨ هـ وقد بلغ الأربعين من عمره فوقع بعض منشوراتـه
في يد الحكومة ، ولكنها أغضت الطرف عنه ولم يهتم حكام ارام السودان محمد رؤوف باشا
لأنه لم يظن أن درويشاً ضعيفاً يمكن أن يناوئ الحكومة ذات السطوة والقوة .

ولكن المنشورات تكاثرت داعية علماء الشرع لتأييد المهديّة الكبرى ونصرة الدين ، وبعد
ان كان يلح أشار إلى أنه أمر بإعلان المهديّة وسيمشي النصر بين يديه ، فبدأت ردود
الفعل تظهر هنا وهناك ، فأراد الحكمدار أن يتبين حقيقة الأمر ، فانتدب معاون الحكمدارية
محمد بك أبا السعود الذي أخذ معه بعض أقارب المهدي ، وكان على علم بتنسكه ، وبعد
مناقشة لا طائل منها قال المعاون للمهدي : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا
الرسول وأولى الأمر منكم)^(١) فقال المهدي : أنا ولي الأمر في هذا الأوان فمن شاء فليؤمن
ومن شاء فليكفر فقطع المندوب الرجاء وقفل راجعاً ، وأبرق إلى الحكمدار قبل وصوله الخرطوم .^(٢)

(١) سورة النساء ، الآية رقم ٥٩

(٢) انظر السودان عبر القرون ص ٢٥٦

الموقعة الأولى :

رأت الحكومة إصرار المهدي على دعوته وازداد أنصاره فخشيت أن يستفحل أمره فجهزت بلوكين بمعاونة أبي السعود ، فعلم المهدي بمقدمهم ، فأرسل إلى قبائل دغيم ، والعمارنة يأمرهم بالحضور وعند وصولهم كاشفهم بجلية الأمر وأخبرهم بقرب الحرب ، فمن أراد القتال جهاداً في سبيل الله فليبق ومن لم يرد فهو حر أن يذهب أنى شاء ، فبايعه الجميع على بذل النفس والولد والمال ، وبدءوا بالفعل يتدربون على الحرب ، وفي كل يوم يستعرضهم المهدي ويعظهم ويحثهم على القتال ، ويرغبهم في الشهادة ، واستمر على ذلك ثلاثة أيام قبل ملاقاته العدو .

وفي يوم الجمعة السادس عشر من رمضان سنة ١٢٩٨ هـ وبعد صلاة القيام أعلم المهدي بنزول جند الحكومة ، فأخذ الرايات وسار خلفها الأنصار فاشتبك الجيشان فحلت الهزيمة (١)
الساحقة بجيش الحكومة .:

فكانت هذه المعركة الأولى من أقوى الوسائل الإعلامية لدعوة المهدي حيث تسامع بها

عموم أهل السودان .

الهجرة إلى الغرب :

أيقن المهدي أن الحكومة وقد منيت بهذه الهزيمة الساحقة سوف تواجهه بقوة أكبر لا تصلح هذه الجزيرة لملاقاتها فعزم على الهجرة إلى جبال النوبة بعيداً عن متناول الحكومة فإذا حاولت مطاردته لاقت عنقا ومشقة ، وكان طريق هجرته إلى الغرب يمر على أراضي قبيلة

الجمع التي يعتبر رئيسها (عساكر أبو كلام) من عمال الحكومة فطلب من المهدي أن يمر جنوب أرض القبيلة لثلا يتهم من قبل الحكومة بالتواطؤ مع المهدي كما أبدى استعداد به بعد م التعرض لمن أراد أن ينضم اليه فلبى المهدي رجاءه، وعبر النهر فتكاملت له قبائل دقيم وكثانة والحسنات واتجه غربا فطلب منه الملك آدم ملك جبال تغلي مثل ما طلب رئيس قبيلة الجمع - على أن يمر بتغلي ليستقر في قد ير بعيدا عن منطقة نفوذ الملك آدم خشية اتهام الحكومة له بمعاوضة المهدي كما وعده بتقديم كل عون له وقد وفى بما وعد فكان خير صدق للمهدي يأتيه بأنباء الحكومة ويحث رعيته على الإحسان للأنصار . وظل المهدي يرسل منشوراته وخطاباته إلى جميع مشايخ الطرق وعلماء الشرع ورؤساء القبائل مستشهدا على مهديته بأقوال يرويها عن ابن عربي وأحمد بن إدريس (١) ولولا جهل الناس بالعقيدة الصحيحة لكنت هذه لدحض أفكاره الخرافية .
حملة راشد أيمن :

لما كانت جزيرة (أبا) تابعة لمديرية فاشودة التي يديرها راشد بك أيمن وسمع بالمعركة التي دارت فيها استأذن الحكمدار في القضاء على المهدي فلم يأذن له الحكمدار ولكنه سمع بضعف المهدي وأن الحمى قد فتكت بأتباعه فصمم على مهاجمته، وبالغ فسى كتمان أمره ولكن أمره ناع بواسطة امرأة أبلغت المهدي فاستعد له فكن هو وأنصاره فسى الطريق الوحيد وتلقوا رجال راشد قبل أن ينظموا أنفسهم فاستكوا نيران سلاحهم وأبادوا قوتهم المكونة من ٤٠٠ جندي نظامي وألف من الشلك بقيادة زعيمهم ، فقتل راشد نفسه وأسر ١١ من ضباطه وكان ذلك في يوم الجمعة ١٧ من المحرم ١٢٩٩ هـ .

يقول شقير في وصف هذه المعركة :

(وانتشر خبرها في أقطار السودان الأربعة وشاع أن المهدي يحارب بسيف القدرة ، وأنه يحول رصاص العساكر إلى ماء فلا يضر أنصاره ، وأن النار خرجت من حراب الأنصار

(١) جغرافية وتاريخ السودان ، ج٣ ص ٦٤٧/٦٤٨ ، وتاريخ السودان الحديث ص ١١/١١

وسيوهم فأحرقت العساكر وروى بعضهم أنهم رأوا بأعينهم اسم المهدي مكتوباً على ورق الشجر
وبيض الطيور في البرية ، وكان محمد أحمد بعد استقراره في قدير قد أرسل البعث إلى كل
الجهات فأخذ الناس يفدون إليه من سنار وكردفان ودارفور^(١) ولقد ساعد جهل الناس
بالدين الصحيح في نشر مثل هذه الشائعات ، وكاتب المهدي بعد هــ
الموقعة جميع مشايخ الطرق حاثاً لهم على الخروج على الحكومة والهجرة إليه ، وعاتب
(عساكر أبو الكلام) على ركونه لحكومة الترك ، وأخبره أن الذين يدخلون في سلك أنصاره قبل
(٢)
تجريدة الترك القادمة سيصلهم الضمان الخاص)

حملة الشلالى : (في رجب سنة ١٢٩٩ هـ مايو ١٨٨٢)

أرسلت الحكومة حملة بقيادة يوسف الشلالى الذى عينه (جقلا) باشا الألمانى الذى قام
بأعباء الحكم ارية بعد أن استدعت حكومة القاهرة رؤوف باشا فقرر القضاء على المهدي
فسمحت له حكومة القاهرة وأعطته حرية التصرف ، فجمع قوات الخرطوم وسنار والأبيض تحت
قيادة يوسف الشلالى الذى تقدم بهم غرباً إلى أن عسكروا بالقرب من قدير حيث يعسكر
المهدي ، ولم يحتاطوا بإقامة الجواجز والمتاريس حول معسكرهم ليتقوا شر المباغته فهجم
عليهم الأنصار في فجر يوم ١٢ من رجب ١٢٩٩ هـ الموافق ٣٠ من مايو ١٨٨٢ م وحصلوا
على نصر حاسم للمرة الثالثة حيث قتل قواد الحملة وعلى رأسهم يوسف الشلالى نفسه .
(٣)
وجمع المهدي الفنائم وأنشأ بيت المال ، وشرع في تأسيس حكومته في الجبال
فدعا إلى دفع الزكاة وعين القضاء ليحكموا الناس بالشرع ، وبدأ الناس يتوافدون عليه يعلنون
بيعتهم وانضواهم تحت لوائه ، ورأى أن الوقت قد حان لفتح الأبيض أكبر عواصم الحكومة
في الغرب .

(١) المصدر السابق ص ٦٥٧/٦٥٨

(٢) منشورات المهديّة ص ١-١٥ تحقيق د . محمد ابراهيم ابو سليم سنة ١٩٦٩ ،

والسودان والثورة المهديّة ص ٥١

(٣) انظر المهديّة في السودان ص ٦٦ والسودان والثورة المهديّة ص

فتح الأبيض :

رأى المهدي أن إثارة الحماسة للجهاد في كل بقعة من بقاع السودان ، أفضل وسيلة لنجاح حركته فعند منذ البداية ، إلى أن يشارك فيها أكبر عدد من السودانيين فجسدت الكتابة للفقهاء ومشايخ الطرق حاثا لهم على الثورة على الحكومة أو القدوم عليه ^(١) وأرسل عبدالله النور لتنسيق تعود القبائل وتحويلها إلى مقاومة شاملة ضد مراكز الحكومة ، فلبست القبائل النداء فشارك معظمها في المقاومة ، تتقدمها قبائل الحمر والبديرية والحوازمة والجوامعة .

فبدأت الاضطرابات في كردفان في شكل انتفاضات قام بها البدو ضد مراكز الحكومة ^(٢) فطفقوا يهاجمون قوات المدن الصغيرة والقرى ، فسقط كثير منها في أيدي الانصار ، وتقدم رحمة محمد منوف زعيم قبيلة الجوامعة على رأس قوة لمحاصرة (بارا) وتحرك الجيش الرئيسي بقيادة المهدي من قدير إلى الأبيض في يوم ١٢ من رمضان ١٢٩٩ هـ الموافق ٢٨ يوليو ١٨٨٢ ^(٣) وأرسل أمامه رسولين إلى مدبر الأبيض محمد سعيد باشا يطلب منه التسليم ، فأمر المدير بإعدامهما شنقا فاستاء لهذه الفعلة الذميمة المهدي ومؤيدوه ومن بينهم مدبر الأبيض السابق إلياس أم برير ، فخرج مع أهله وأعوانه بعد شنق رسولى المهدي وانضم إلى الشوار ، وقد بلغ جيش المهدي ١٠٠.٠٠٠ مائة ألف مقاتل ، أحس الحكمدار بخطورة ^(٤) الموقف في الغرب فأرسل نجدة من فرقتين نظاميتين وه ٧٢ من غير النظاميين ، فعرف المهدي أمر هذه القوة فأمر بردم الآبار الواقعة في طريقها فعانت الكثير وعند اقترابها من (بارا) اعترضتها سرايا المهدي فقتلوا قائد ١٥ ونصف جنودها وفر الباقون إلى بارا وفي

(١) تاريخ السودان الحديث ص ١٢٢ وجغرافية وتاريخ السودان ص ٦٥٤-٦٦٦

(٢) انظر السودان والثورة المهدية ص ٦٩

(٣) انظر تاريخ السودان الحديث ص ١٢٣ والسودان والثورة المهدية ص ٧

(٤) المصدر السابق ص ١٢٣ وانظر جغرافية وتاريخ السودان ص ٦٩

يوم ١٦ من صفر ١٣٠٠ الموافق ١/٦/١٨٨٣ سقطت بارا في أيدي الإنجليز وأعطت حاميتها يمين الولاء للمهدى وبسقوط بارا ضعفت الروح المعنوية لحامية الأبيض، وأطبق المهدى الحصار على المدينة حتى ضاق أهلها ذرعا ونفذ مخزون المؤن وتدهورت الأحوال وازداد تسرب أهلها سرا إلى المهدى وعمت المجاعة وبدأ الجنود يأكلون ممتلكاتهم مسن الجمال والخيول وغيرها بل دفعهم الجوع إلى أكل الحمير والكلاب وكان متوسط الموتى فسي اليوم ٤٠ شخصا ولم يعد الموقف يحتمل أكثر من ذلك فمن لم يمت بالسيف مات جوعا ، ولذا بدأوا يحملون المدير ومعاونيه على التسليم^(١) . فعقد الضباط مجلسا وافقوا فيه على التسليم وفي يوم الجمعة ٩ من ربيع الأول سنة ١٣٠٠ دخل المهدى المدينة على رأس جيشه وبدأ بالمسجد فصلى صلاة الشكر لله^(٢) .

وبسقوط الأبيض سقط أكبر مراكز التبشير في مدينة (الدنج) الذي كانت تخرج منه البعثات التنصيرية إلى جبال النوبة ، فتوقف نشاطها وأسلم رجالها وراهابتها^(٣) . يقول اسلاتين : (كانت الدنج وهي مركز المرسلين المسيحيين في حالة خطرة وكانت بها حامية مؤلفة من ثمانين عبدا ، وكان المهدى في طريقه إلى الأبيض ، وقد أمر أحد أنصاره وهو ملك عمر لكي يأسر أو يقتل من بها وكان الأب أوهر ولدر ، والأب بونومى قد اتفقا على الهرب إلى فاشودة ولكن تدبيرهما أحبط لجن الضابط الذي كان يقود فصيلة الجنود فاضطر إلى الإذعان وسرق منهما كل شيء وسيقا أسيرين إلى الأبيض وحاول المهدى وخليفته عبد الله أن يجعلاهما وسائر الراهبات مسلمين ، ولكنهم جميعا رفضوا .

وأفزع سقوط الأبيض الحكومتين الإنجليزية والمصرية على السواء ، ولذا تم تجهيز حملة

(١) انظر تاريخ كردفان السياسي ص ٣٧

(٢) انظر السودان والثورة المهدية ص ٧٥ وتاريخ كردفان ص ٣٧ وجغرافية وتاريخ السودان ص ٧٠٣

(٣) انظر تاريخ السودان الحديث ص ١٢٤

كبرى للقضاء على هذه الثورة بقيادة الكولونيل وليام هكس.

موقعة شيكان (١٣٠١ هـ - ١٨٨٣)

جهز الخديوى توفيق حملة بقيادة الكولونيل هكس الذى اختار ثمانية من الضباط الإنجليز لمعاونته وكان جل الجنود الذى اشتركوا فى هذه الحملة من فلول جيش عرابسى الثائر على الأوضاع فى مصر ، والذى سرحه الإنجليز لثورته ضد هم ، ولذا لم يكن هؤلاء الجنود راغبين فى حرب المهدي تحت راية الإنجليز الذين احتلوا بلد هم ، كما كانوا يسرون اختيارهم لهذه الحملة نفيا لهم إلى السودان كما نفى زعيمهم إلى سيلان زيادة على ذلك كانت القيادة متشاكسة منذ أن تحركت من الخرطوم لأن علاء الدين حكمدار السودان يرى أنه أحق بالقيادة ، وفى مدينة الدويم قال هكس عبارته الشهيرة التى تعبر عن هذا الاختلاف (... أنا كالسيح بين اليهود)^(١)

وبالرغم من عوامل الضعف والاختلاف فقد وجه هكس إنذارا إلى المهدي جاء فيه (اعلم أنا الجردة التى فى بطنها جردة والتى ليس بعد ها جردة أنا هكس أبو) (ذراع حديد)* فلو وقعت السماء أرفعها بالسنج وإن مادت الأرض أثبتها بالجزم وإن كان عمرك وأعمار د راويشك أراد ب من السمسم لأخذتكم بالقوة وأقتلكم عن آخركم) ويستنتج المؤرخون أن هكس قصد من هنا الإنذار أن يرفع روح جنوده المعنوية أكثر من أن يخوف المهدي .

وجاء رد المهدي هادئا يوحى بالثقة والانتصار قال فيه (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالى الكريم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فمن عبد ربه الفقير المعتصم بمولاه محمد المهدي بن عبد الله الى من يسمع من أهل الجردة ممن له عقل ، فإنه لا يخفى على ذى عقل أن الأمر بيد الله لا يشاركه فى ذلك بنادى ولا مدافع .

(١) انظر عصمت حسن زلغوء شيكان تحليل عسكرى لحملة الجنرال هكس ص ٦٦

* كلمة يراد بها قوة الساعد وهى كناية عن القوة

ولا صورا يخ ، ولا عصمة لأحد إلا من عصمه الله تعالى ، فإذا فهمتم ذلك فاعلموا أن الله واحد فلا تغفروا بأسلحتكم ولا بجنودكم التي تريدون أن تقاتلوا بها جنود الله فإنه لا قوة لشيء دون الله ، وإن قلتم إن المهدي يتناكذوبة فاعلموا أن الكذب إنما يصدر من يحسب الدنيا ويخاف المخلوق ويستعجز قوة الله ، فإذا فهمتم ذلك فلا تغفروكم أقوال علمائكم فإن الترك الذين قتلتمهم شكوا للحق عز وجل فقالوا يا إلهنا ومولانا إن المهدي قتلنا دون إنذار ، فأقول أنذرتهم يارب فلم يسمعوا وحضر على ذلك شاهداً سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وقال لهم : الإمام المهدي أنذركم فلم تسمعوا ، وسمعتهم قول علمائكم فذنبكم عليكم فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون فقال الذين استضعفوا للذين استكبروا لا لولا أنتم لكانا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا نحن صدقناكم عن المهدي بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين . فإن كان لكم نور تؤمنون بالله ورسوله والدار الآخرة وتصدقوا بالمهدي يتناكذوا ، إلينا مسلمين ، ومن سلم يسلم ، وإن أبيتم إلا الجحود فأسوتكم بمن سبقكم من الجنود والسلام (١)

وسار هكس بجيشه في تيه وخيلاء ظاناً أن تفوق سلاحه الناري سوف يحصد الدراويش كيف لا وهو سوط الامراتورية الذي قمعت به التمرد الهندي وأدبت به الامراتور ثيودور الحبشي وقد خرج منتصراً من كل هذه الحروب ، فما المانع من أن يضيف جديداً إلى أمجاده وهو المتفوق في العتاد الحربي . ومنذ أن فارق هكس النيل الأبيض موغلاً في الصحراء وجه المهدي سراياه لمناوشته والاقطاع من أطراف الجيش دون الالتحام به .

وعندما اقترب الجيش من الأبيض خرج المهدي لملاقاته فنزل ببركة المصارين وفي يوم

السبت ٢ من المحرم ١٣٠٠ هـ الموافق ٢ من نوفمبر ١٨٨٣ وقف المهدي خطيباً في

* هذه العبارة ترد كثيراً في منشورات المهدي ، فأما أنه كان يرى الشيطان أو كان يكذب على أنصاره

(١) منشورات المهدي ص ٧١ وشيكان ص ٩٦/٩٧ وجهاد في سبيل الله ص ٤

(٢) انظر شيكان ص ١٩٥ ، وانظر اسماعيل الكردفاني ، سعادة المستهدي بسيرة الامام

المهدي ص ٢٢٦/٢٢٧ بتحقيق د . أبو سليم الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م دار

الجيل . بيروت .

أنصاره حاثا لهم على الجهاد والصبر، ومما جاء في خطبته تلك (... أيها الناس أثبتوا واطمئنوا ونزلوا رواحكم واستريحوا فلا قدرة لهم مع قدره الله . ثم قال : غدا يوم الأحد نتوجه اليهم، وفي صبيحة يوم الاثنين بعد أنما لكم بمحاربتهم إذا تأخر أحدكم لإصلاح نعله لا يدركهم أحياء)^(١).

وفي يوم الاثنين ٥ من نوفمبر سنة ١٨٨٣ وقع جيش هكس في المصيدة التي نصبها له المهدي حيث أطبقت عليه جموع الأنصار في وادي شيكان من جميع الجهات فأفقدته السيطرة والتوازن وعطلت تفوقه الناري، وشيئا فشيئا خفت الانفجارات المتقطعة إلى أن أسكت نهائيا معلنة الانهيار الفعلي لآخر مظاهر المقاومة لأربعة عشر ألف جندي حيث صرعوا جميعا بما فيهم قادة الحملة وعلى رأسهم الجنرال هكس نفسه ولم ينج من القتل عدا ٢٥٠ فقط يقابلهم مائتا قتيل فقط من الأنصار^(٢).

ولقد كان لانتصار الأنصار على هكس دوى هائل فقد ردت أصداؤه السهول والوديان فسرى سريان النار في الهشيم واجتاز قفار السودان كأنما حمل على متن الريح وليس على ظهور قوافل الجمال البطيئة . فبعد عشرة أيام من المعركة تدوولت أنباء إبادة الحملة في دواوين الحكومة بالقاهرة ثم نزلت بسرعة البرق إلى أسواق القاهرة وظلت الدوائر الرسمية بين مصدق ومكذب.

أما بالنسبة للسودان فقد صار النصر مددا معنويا قويا لحركات العصيان، فدانت جبال النوبة بقيادة الملك آدم حيث بايع المهدي وتبعه بقية الطوك كما استسلم

(١) سعادة المستهدي بمسيرة الامام المهدي ص ٢٣٠ .

(٢) انظر نفس المصدر ص ٢٣٤/٢٣٥

رودلف سلاتين* حاكم دارفور، وأصبحت الخرطوم كجزيرة وسط خضم متلاطم تنتظر مصيرها .

يقول شقير: (وكان هذا الانخزال الذي أصاب الحكومة في شيكان ، قد قضى على نفوذها في السودان القضاء المبرم ، فمقلاء السودان كانوا قبل هذه الواقعة مترددين في اتباع محمد أحمد ينتظرون حربه مع هكس فلما علموا ما أصاب هكس وجيشه ، ورأوا عجز الحكومة وفدوا على المهدي بالأبيض أفواجا يبايعونه وفي جملةهم الملك آدم أم دبالو ملك جبل تقلى ، وانتشر خبر المهدي في العالم الإسلامي كله فجاءته الوفود من الحجاز والهند ومراكس لزيارته والتحقق من دعوته (١)

وقد ضاعف هذا الانتصار قوة المهدي حيث غنم ما لا يقل عن عشرة آلاف بندقيّة وعشرات المدافع والآف الدواب وأطنانا من المواد الغذائية وكميات كبيرة من الملابس امتلأت بها مخازن بيت المال .

ثم توجه إلى عاصمته ، وسمح لعدد كبير من رجال القبائل الذين أسهموا في المعركة بالانصراف إلى ديارهم لحين استدعائهم ليلتقوا جميعا على أسوار الخرطوم (٢)

* نساوى الأصل من الأوروبيين ان الذين اختارهم غردون لإدارة السودان كما أشرنا إلى ذلك ، أظهر إسلامه نفاقا قبل استسلامه ، وذلك عند ما سأل أحد كبار موظفيه عن مكانته بين جنوده فأخبره (أنهم لا يعترضون عليك لأنك أوروبي بل لأنك غير مسلم) ص ١٠٦/١٠٧ السيف والنار .

ويقول سلاتين في ص ١٣٥ من نفس المصدر: (صحيح أني أسلمت وتركت ديني ولكن لم أفعل ذلك إلا لكي أهدئ ثائرة الضباط والجنود وقد نجحت في غايتي أكثر مما كنت أتوقع ، ولكن هذا العمل لم يكن وفق مزاجي ، ولم أكن أدعي فهم الآراء الدينية بدقة تخولني الحكم على صلاح عمل أو فساد ، ولكني كنت في قرارة قلبي مسيحيا مثل جميع المسيحيين الذين أعرفهم) ويقول في ص ١٨٥ منه : (وكنت أودى الصلاة بعناية أمام الحرس وغيرهم وكان في يدي مسبحة أسبح بها كما هو الشأن بين المسلمين الطيبين ولكن الحقيقة أنني كنت أكرر عليها صلاة النصاري .) (أبانا الذي في السموات) وظل ينافق حتى هرب في أواخر حكم التعايشي وكان دليلا للجيش الاستعماري بقيادة كتشنر .

(١) جغرافية وتاريخ السودان ج ٣ ص ٧٢

(٢) انظر شيكان ص ٣٣١

التي أعلن رسميا الاستعداد لفتحها بعد ثلاثة أيام فقط من موقعة شيكان وذلك بنشور الطويل الذي وجهه للمتخاذلين يحرضهم فيه على النهوض لقتال الكافرين جاء فيه :

(وتقوموا بكامل همكم على الجهاد ومحاصرة الخرطوم)^(١)

وعندما وصل المهدي الأبيض استقبل استقبال الفاتحين العظام . علق (اوهر ولدر) أحد القسيسين الذين أسروا من (الدلنج) عن أحداث موقعة شيكان تعليقا يعتبر إنذارا لدول أوروبا عامة وإنجلترا خاصة لكي لا تقدم على مغامرة طائشة كمغامرة الجنرال هكس ، قال في تعليقه فليذكر الأوروبيون أن السلاح الناري الذي أُرهبوا به قبائل الزولو في جنوب أفريقيا والأمهرة في هضاب الحبشة والأشانتى في غرب أفريقيا ، لم يعد ذلك السلاح السحري الذي لا يقهر فجنود المهدي أيضا يستخدمونه بمهارة وإحكام^(٢) مما دفع بريطانيا إلى إخلاء السودان مؤقتا .

الإخلاء :

بعد هزيمة هكس أخطر أفدن بيرنج * - المندوب السامي بالقاهرة - مجلس الوزراء البريطاني بوابل من البرقيات الطويلة بشأن إخلاء السودان ف اتخذت الحكومة البريطانية قرارا حاسما بإخلاء كل السودان إخلاء تاما غير أن الوزارة المصرية كانت ترى أنه إن كان لا بد من الإخلاء ، فلا أقل أن تحتفظ بالخرطوم وطريق سواكن بربر ، وتخلي بقية السودان . ويرى بعض المؤرخين أن إنجلترا أشارت على مصر بالإخلاء لتنفرد بحكم السودان لأنها كانت لا تريد سيادة سلبية .

(١) سعادة المستهدى ، ص ٢٣٨

(٢) انظر شيكان ص ٢٥٢

* كرومر فيما بعد

يقول سلاتين : (كان من أثر هذه الهزيمة أن نبذ غلام ستون تلك السيادة السلبيّة
وتقدم إلى الحكومة المصرية يشير عليها بإخلاء السودان بحيث تنتهى حدودها الجنوبيّة
عند وادى حلفا وكان ذلك فى نوفمبر سنة ١٨٨٣)^(١) . جاء فى كتاب حاضر العالم الاسلامى
ما يأتى : (فأشار الإنجليز على مصر- والإشارة هنا بمقام الأمر- أن تتخلى عن
السودان وتتركه وشأنه ولم يكن ذلك إلا توطئة لفتحهم السودان ، فإنهم ما لبثوا أن جردوا
جيشا يقوده ضباط إنجليز رئيسهم الجنرال كشنر ، فاستفتحوا السودان برجال مصر ومال
مصر ، وعادوا يقولون للمصريين السودان مشترك بيننا وبينكم والحقيقة أنها شركة أسمية لأن
كل شئ فى السودان فى يد إنجلترا)^(٢)

وعند ما صمم الوزراء المصريون على التمسك بالسودان اضطر وزير خارجية بريطانيا
اللورد (جرانفيل) أن يبرق إلى السير إلفن بيرنج فى ٤ من يناير ١٨٨٤ بما يفيد استعداد
الحكومة الإنجليزية بتعيين وزراء إنجليز إذا تعذر وجود مصريين يقبلون تنفيذ أوامر
الخدوى تحت إرشاد الإنجليز)^(٣) .

حمل بيرنج أراء حكومته لشريف باشا رئيس الوزراء المصرى وزملائه الذين رفضوا رفضا
باتا قبول فكرة التخلي عن الخرطوم ، وكانت حجتهم أنهم إذا تخلوا عن الخرطوم فسيهدد
المهدى حدود مصر الجنوبية نفسها ، ولكن البريطانيين رفضوا التراجع عن سياستهم فاضطر
شريف إلى الاستقالة فخلفه نوبار باشا الذى بدأ فى تنفيذ سياسة الإنجليز وكان أن يتم
الإخلاء لولا تدخل الصحافة البريطانية بحالاتها المطولة التى مكنت إحدى الشخصيات
المرتبطة بالسودان من التدخل ، حيث أدلى الجنرال غردون بحديثه المشهور الذى
نشرته جريدة (بال مول جازيت) طرح فيه أفكاره المريضة موضحا تصوره للطريقة المثلى

(١) السيف والنار فى السودان ص ٥٧
(٢) حاضر العالم الاسلامى ، لوثر و ستوارد الامريكى ، ج ٢ ، ص ١٩٦ الطبعة الرابعة
١٣٩٤ هـ / ١٩٧٣
(٣) السيف والنار ص ٥٩ .

لقهر ثورة المهدي واحترم الرأي البريطاني آراءه كخبير في شئون السودان ، فأصبح
إيفاده إلى السودان بعد هزيمة هكس مطلباً شعبياً في لندن^(١) ، وكان بيرنج (كرومر) يرفض
استعمال غردون ، لأن الثورة دينية وغردون مسيحي متعصب لمسيحيته وبالفعل عند ما وصل
غردون القاهرة وضع له كرومر بجلاء^٢ أن مهمته هي سحب الحاميات من السودان .

عودة غردون إلى السودان :

في يوم ٢٨ من ربيع الأول سنة ١٣٠١^{هـ} غادر غردون مصر متجهاً إلى السودان ، وفي
أسوان التقى بالقسيسين الكاثوليك الذين كانوا دعاة للنصرانية في الخرطوم ، وعند ما أحسوا
بالخطر يحدق بها هربوا إلى مصر فسألهم غردون عن الأحوال ، فكانت إجابتهم مخيبة
لآماله ، وعند ما وصل ركب غردون إلى كرسكو كتب خطاباً إلى المهدي ومعه هدية من نسوع
الهدايا التي تقدم عادة لمشايخ الأعراب ، وكان مضمون الخطاب يحتوي على الاعتراف
بالمهدي سلطاناً على غرب السودان الذي أخضعه برجاله ولا شك أن هذا نوع من الانهزام
الواضح حيث يقول غردون : (إنني اعترف بك سلطاناً على السودان الغربي كله ، وملكاً مطلقاً
على كل أقاليمه التي هي كردفان ودارفور ، وأنني لما بلغني ما أصاب أهل السودان من سفك
الدماء وتوالي الحروب خامرنى غم شديد ، ولذا عينتني حكومة جلالة ملكة بريطانيا العظمى
وامبراطورة الهند واليا على السودان ، وصدقت على ذلك الحضرة الفخيمة الخديوية وإنني
من صميم قوايدي أرغب في توثيق عرى العلائق الودية بيني وبين سلطنتكم ، وأرجو أن تسمحوا
لي بإعادة المواصلات التلغرافية ، وأظن أن أدوات ذلك قد تلقت في غضون الخطوب ،
وقد أصدرت الأوامر إلى مركز الحكمدارية بأن يعطى لكم كل ما تطلبونه من أدوات التلغراف
وأن يستقبل رسولكم كما يستقبل أعظم سفير ، وقد داخلني حزن شديد لما علمت بقطع طرق

(١) انظر كرري ص ٦٥

السودان الشرقي التي جاءت حائلة بين مكة المكرمة التي تقصدونها في كل عام لأداء فريضة الحج ، وزيارة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام فها بنا نفتح هذا الطريق ، والقاء السلاح لتشييد أركان الراحة وتوطيد دعائم السلام .^(١)

هذا ملخص الخطاب ، وقد أ برق غردون حكمدارية الخرطوم يأمرها باستقبال سفير المهدي بإطلاق المدافع والزينات وإعطائه كل ما يطلبه من أدوات التلغراف .

وقد قوبل هذا الإجراء في الخرطوم بالدهشة والاستغراب ، ولكن الآمال كانت معقودة على أن غردون يرافقه جيش جرار ولذا كان حرصهم على مقدمه عظيما ، وقبل وصوله أ برق بتجاوز متأخرات الضرائب والأموال الأميرية كما تجاوز عن ضرائب ثلاثة أعوام في المستقبل وفصل وكيل الحكمداية وعين (عوض الكريم أبو سن) زعيم الشكوية مديرا للخرطوم كما عين عبد القادر بن أم مريوم قاضيا لقضاة السودان .^(٢)

ولما وصل غردون الخرطوم وخرج من الباخرة هو ورفيقاه أصيب الناس بخيبة أمل ، وقالوا أمن هؤلاء الثلاثة يخاف المهدي ؟

وأملى غردون على مأمور الضبطية خطبته الشهيرة التي كانت ترداداً لخطابه للمهدي صدها بقوله : (يا أهالي السودان عموماً إن الجناب العالي الخديوي يسلم عليكم صغيرا وكبيرا أحرارا وعبيداً غرانا وذكورا ، وكذلك جلالة الملكة فكتوريا ملكة بريطانيا العظمى وإمبراطورة الهند ، وأنكم لا تجهلون شفقتي عليكم ومحبتى لكم ، وقد ساءنى ما سمعته عنكم حيث نشبت الحرب بينكم وتعطلت تجارتكم وسفكت دماءكم ومنعتم من تأدية فريضة الحج وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد ساء هذا الحال كلا من جلالة الملكة وسمو الخديوى المعظم فانتدبت من قبل حكومة جلالة الملكة لأكون واليا على السودان ومرخصا فوق العادة

(١) السودان بين يدي غردون وكشنر ج١ ص ٢٦٧

(٢) المصدر السابق ج١ ص ٢٦٨/٢٦٩

(١) وقد صار فصل السودان عن مصر فصلا تاما وفوض إلى الحكم المطلق . . . الخ)

وما تبقى من الخطبة هو شرح ما كاتب به المهدي كما ألقى في هذه الخطبة وأمر منع
تجارة الرقيق ظنا منه أن هذا سينهي الثورة .

رد المهدي على غردون :

لما وصل خطاب غردون وهديته إلى المهدي ، كتب إليه خطابا ضمنه الاحتجاج عليه
بعدم جواز ولايته على المسلمين ودعاه فيه إلى الإسلام إن كان صادقا فيما يزعم وضمنه صورا
من إنذاراته لقادة حملات الحكومة ضده وشفعه بآخر شكره فيه على هديته واعتذر عن قبولها
لعدم حاجته إلى مثلها لأن ملابسه مما يليسه الزهاد الذين يعرضون عن متاع الدنيا
وهذه فقرات من رده :

بدأ المهدي رده بعد البسطة : (من العبد المفتقر . . . إلى عزيز بريطانيا والخدمية
غردون باشا . . . وإنما أنا عبد أحب المسكنة وأكره الفخر وتعزير السلاطين ونبوهم عن الحق
المبين لما جبلوا عليه من حب الجاه والمال والبنين . . فأيدني الله بالمهدية الكبرى
لدلائلهم إلى الله تعالى ، وليتركوا العز الفاني والنعيم الفاني إلى العز الدائم الأبدى . .
فأبت إلى الله الباقي وأخضع لجلاله وأطلب عز الآخرة ، ولا تظن أن هذه الدنيا دار حتى
تسعى لملكها وعزها ، وكيف من يكون على خلاف طريق النبي صلى الله عليه وسلم بفتح باب
زيارة قبره ، ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم ممن يرغب زيارة الكلاب كما ورد أن الدنيا
جيفة وطلابها كلاب ، ولم يكن يرغب ممن عبد غير الله ونسى الله وأعرض عن كلامه وطلب متاع
الدنيا الفانية ، فإن كنت مشفقا على المسلمين فبالأولى أشفق على نفسك وخلصها من سخط

خالقها وقومها على اتباع الدين الحق باتباع سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
الذى أحيا ما اندرس من ملك الأنبياء عليهم السلام وأتى مصداقا لما بين يديه من الرسل ،
فجميع الأنبياء عليهم السلام لو حضروا لما سلخوا غير ملته وكلهم يمتنون أن يكونوا من أمته ،
ومن حضر بعثته ومن بعدهم لا يقبل منه دين غير دينه فظهر نفسك أولا بالدخول في ملته
ثم أشفق على أمته بسلوك سنته ، فعند هذا تكون الشفيق ، ومن غير هذا فمالك من المحتسين
رفيق كيف وقد قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ،
بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين) إلى أن قال
(إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا . . الخ) وإنما قد امثلنا أمر الله فما نتخذ وليا إلا
الله ورسوله والمؤمنين . . . واعلم أنى المهدى المنتظر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلا حاجة لى بالسلطنة ولا بملك كرد فان ولا غيرها ولا فى مال الدنيا ولا زخرفها وإنما أنا
عبد الله دال على الله وإلى ما عنده فمن كان سعيدا جاني ومن كان شقيا أعرض عن دالتي
فأزاله الله عن موضعه وأهله . . . فبعد هذا البيان فإن اهتديت واتبعتى حزت شرف
الدنيا والآخرة ، وفزت بأجرى وأجر جميع من اتبعك وإلا هلكت فكان عليك اثمك ومثل آثام
جميع من اتبعك (١)

هذا ولقد كذب واقع الحال ما كان يظنه غردون لأنه لم يتصور أن دويشا يثير حماسا
دنيا يشتمل كالنار تأتى على اليابس والأخضر ، وهو الذى عرف فى تلك الطبقة من الناس
الانزواء عن المجتمع والتظاهر بالمسكنة والانكسار ، وعرف أن همهم دخول الخلوات والتدريس
للاتباع والمريدين وتلقى الإحسان من الحكومة والأعيان ، فما كان يظن طبقة كهذه تستطيع
التأثير على الناس وتقوم بشورة ضد قوات الحكومة الرهيبة وسطوتها المخيفة ونفوذها
الفعال ، ولقد كان أكبر ظنه أن اليد الخفية المحركة للشورة من وراء ستار هم كبار ملاك
الرقيق ، يعاونهم من اكنوى بنيران الضرائب الفادحة ، ومن رزحوا دهرًا تحت نير المظالم

القاسية، والمهدى زعيم هذه الحركة قد يكتفى بملك بسيط في غرب السودان إذا زال السبب الذى من أجله التفت حوله الناس، وعقدوا له لواء الزعامة^(١)

وقبل وصوله إلى الخرطوم أبرق إلى المهدى بتعيينه سلطانا على الغرب، كما أعلن إباحة الاتجار فى الرقيق وبعد وصوله أصدر أمرا بتعيين المواطنين فى الإدارات المختلفة ظنا منه أن هذه السياسة الجديدة كفيلة بالقضاء على الثورة، وما درى أن وجوده هو نفسه من أقوى أسباب هذه الثورة.

وبالإضافة إلى ما تقدم كان غردون حريصا منذ أن وصل القاهرة أن يصحبه الزبير عدوه القديم ليعينه فى سحب الحاميات، ولكن (بيرنج)، وحكومته استبعدوا ذلك واعتبروه ضربا من الهوس، ومع هذا أراد (بيرنج) أن يقطع أمل غردون فجمع بينه وبين الزبير فرفض الزبير مصافحة يد كانت السبب فى سفك دم ابنه وسبه وخرج، ومع ذلك لم يقتنع غردون الذى يرى فى الزبير مقومات الزعامة الكفيلة بمناوأة المهدى.

غردون يكتشف حقيقة المهدى:

عندما أيقن غردون أن الحركة دينية تريد أن تبعث الجهاد الذى يفزع الغرب، وقد أتت بالفعل على بنيانه التبشيرية من القواعد، على الحقد الصليبي فى صدره فتتكرس سياسة الإخلاء وبدأت تظهر فى رسائله عبارات جديدة لم يكن موافقا على مضمونها من قبل من إرسال (التجريدة) و(سحق المهدى) وهذه العبارات الجديدة أد هشت بيرنج^(٢) فأخبر حكومته التى فهمت أن غردون رعى بتعليماتها جانبا واتخذ خطة هجومية واستمرت المكاتبات بين الخرطوم والقاهرة ولندن فيما ينبغى أن يكون، وكان غردون ينتظر الرد على رسائله، وعند ما تأخر الرد كتب تقريرا مفصلا عن الحالة بتاريخ ١٨ / ١ / ١٨٨٤ ويبحثه مع معاونه استيوارت، فاعترضه

(١) انظر السودان عبر القرون ص ٣١٧ / ٣١٨

(٢) المصدر السابق ص ٣٣٠

الثوار وأتلفوا باخرته وقتلوه ومن معه، وأرسلوا التقرير والمستندات إلى المهدي فكان التقرير تبياناً للحالة التي عليها الخرطوم، وما فيها من عتاد حربي ومؤن غذائية والوقت الذي تستطيع فيه الصمود أمام الانقصار^(١).

وفي الثاني عشر من مارس سنة ١٨٨٤ فوجئ غردون بقطع الخط البرقي لسقوط برسر في يد الثوار على يد محمد الخير* فانقطعت أخبار غردون نهائياً وأطبق الحصار على الخرطوم فتحول الكلام في البرلمان الإنجليزي من إنقاذ الحاميات إلى إنقاذ غردون^(٢)، فرأى بعض الوزراء الإنجليز إرسال حملة لإنقاذه، ورأى آخرون أنه خالف أوامر الحكومة فلا ينبغي أن يضحى بقوة من أجل رجل^(٣) ولكن تحت ضغط الرأي العام الإنجليزي الذي حركه الإعلام وساندته المعارضة في البرلمان أذعنت الحكومة وقررت إرسال الحملة.

حملة الانقاذ :

قررت الحكومة البريطانية إرسال حملة بقيادة اللورد ولسلي لإنقاذ بطل المسيحية حيث اعتمد لها البرلمان ٣٠٠.٠٠٠ ثلاثمائة ألف جنيه استرليني، ووصل ولسلي القاهرة في ٩ سبتمبر ١٨٨٤ بعد أن عين قائداً عاماً في مصر، وأمرت جهات الاختصاص في مصر بتنفيذ مطالبه^(٤) وعندما سمع المهدي نبأ الحملة أمر بتشديد الحصار على الخرطوم فوجه قواته الإنذارات لغردون.

إنذارود النجوى أمير الأمراء :

جاء في رسالته: (أن الامام المهدي المنتظر قد تحركت ركائبه الشريفة من الرهد غازيا الخرطوم بجيوش لاعد لها، فأنصحك أن تقابله مع من تختار من الأعيان طالبا للأمان ولا شك

(١) انظر أصول السياسة البريطانية ص ١٨٤
* محمد الخير: هو الشيخ الذي تلقى على يديه المهدي مبادئ العلوم الشرعية بعد حفظه القرآن الكريم
(٢) انظر السودان عبر القرون ص ٣٣٢/٣٣٣
(٣) انظر المرجع نفسه ص ٣٣٦
(٤) انظر المرجع نفسه ص ٣٤، وجغرافية وتاريخ السودان ج ٣ ص ٨٢٨

أنه سيؤمّنك ومن معك، وذلك أولى من سفك الدماء، وأما ما ينقله إليك الجواسيس من أن الإنجليز قد أرسلوا حملة لانقاذك فكله كذب، وهم ينقلون إليك لتبذل لهم العطشاً كعادتك، وأنا بعون الله تعالى قادون على فتح الخرطوم وأخذها منك عنوة، ولكن سيد الجميع الإمام المهدي أمرني بنصحك والرفق بك حقاً للدماء، والسلام على من اتبع الهدى (١)

رد غردون:

(من غردون باشا والي السودان إلى ود النجومي (بالكلالة)* اعلم أنني لست بمسال بك ولا بسيدك المهدي، ولا بما معكما من الجيوش، وأما خبر قدوم الجيش الإنجليزي فليس هو من اختلاق الجواسيس، بل قد جاءني به أخبار رسمية من قبل الحكومة الخديوية، والدولة البريطانية العظمى، وسترى عن قريب ما يحل بك من الدمار وتقول يا ليتني مت قبل هذا، ولا تعد إلى مخاضتي بعد الآن فهذا آخر العهد بيننا والسلام ٩ من أكتوبر سنة ١٨٨٤) (٢)

وعند ما وصل المهدي الخرطوم ظلت رسائله مستمرة لغردون وأعداء ثم متوعدا وغردون في صلفه واستكباره. سمع المهدي نبأ وصول حملة الإنقاذ إلى السودان وفي طريقها عبر الصحراء اعترضتها قوات المهدية فمّنت بخسائر فادحة في آبار أبي طليح، فجمع مجلس حربه فقرروا مهاجمة الخرطوم، وأصدر أوامره الصريحة إلى قواده بالابقاء على غردون حياً ليقتدى به أحمد عرابي زعيم الثورة العرابية، وبينما كانت الضربات تتوالى على المدينة والمجاعة تفتك بسكانها أخرج غردون الأطفال والنساء والعجزة إلى معسكر المهدي وكتب له بذلك كتاباً يوم ٦ يناير سنة ١٨٨٥ يطلب فيه رعايتهم لأن المجاعة فتكت بما يزيد على خمسة آلاف شخص. (٣)

(١) سليمان كشه، تأسيس مدينة الخرطوم والمهدية ص ٦٣، بدون تاريخ، وجغرافية وتاريخ السودان ج ٣ ص ٨٢٨، والسودان عبر القرون ص ٣٤٤
* اسم قرية تقع جنوب غرب الخرطوم على ضفة النيل الأبيض وتبعد حوالي ٣٠ كلم عن الخرطوم
(٢) السودان عبر القرون ص ٣٤٤، جغرافية وتاريخ السودان ج ٣ ص ٨٢٨، تأسيس مدينة الخرطوم ص ٦٣
(٣) انظر الثورة المهدية وأصول السياسة البريطانية ص ١٧٥

ولما وصلت طلائع حملة الإنقاذ بالقرب من جزيرة (توتى)* هاجمت مدافع الأنصار السفن
المصاحبة لها ، فأيقنوا أن الخرطوم قد سقطت يوم ١/٢٦/ ١٨٨٥ وهو نفسه اليوم الذى
لقى فيه الجنرال غردون مصرعه .

وهكذا وصلت حملة الإنقاذ بعد فوات الأوان^(١) ورجع ولسلى إلى دنقلا وقبض على جميع
أقارب المهدي وأن خلهم السجن ، وأمرهم بالكتابة إلى قريبتهم ليفك الأسرى الأوربيين عامة
والقسيسين خاصة مقابل فكاكهم وإلا سيقتلهم جميعا ، فكتبوا بذلك للمهدي فويخهم على
كتابتهم له وأبلغهم أن المسيحيين الذين لديه أسلموا جميعا وتشرفوا بصحبته وصاروا
أقرب إليه من أقاربه ، فأطلق ولسلى سراحهم .^(٢)

(١) توتى : جزيرة صغيرة فى قلب النيل بين الخرطوم والخرطوم بحرى

(١) انظر المصدر السابق والصفحة

(٢) انظر السودان بين يدي غردون وكثشنر ج ٢ ، ص ٥٤ بدون

المبحث الثانى

قيام الدولة المهدية

سقطت الخرطوم ليلة التاسع من ربيع الثانى سنة ١٣٠٢ ، وبعد أربعة أيام من سقوطها عبر المهدى النهر وقصد المسجد الجامع وصلى الجمعة ووجه أتباعه إلى إصلاح المرافق ، واستئناف العمل فيها ، وعين حكام الإقليم ثم شرع يكتب لرؤساء الدول كالخديوى وملكة بريطانيا وغيرهم لمبايعته قبل الوقوع فى قبضته ، ولكن عاجلته منيته حيث مرض بالحمى فى الرابع من شهر رمضان ، وتوفى فى التاسع منه أى بعد خمسة أشهر من فتح الخرطوم بعد أن استخلف عبد الله التعايشى الذى لقبه بخليفة الصديق تمهيدا لتوليته السلطة .

سياسة المهدية مع التبشير النصرانى :

بعد سقوط الأبيض سنة ١٣٠٠ هـ دمر الثوار مراكز التبشير المسيحى فى الأبيض والدنج ولبس وأسروا الرهبان والراهبات طلائع الاستعمار الحديث وبعد هزيمة هكس أمر المطران انطونيوسوقاروا المبشرين الأوربيين بالانسحاب إلى القاهرة وهناك منحهم الخديوى قطعة أرض بالزمالك أقاموا عليها مزرعة لسد حاجاتهم كما أنشأوا إرسالية أطلقوا عليها اسم إرسالية السودان بالمنفى وكانت تحت إشراف الأسقف سوجاروا ثم خلفه فىسقى ادارتها الأسقف روفيجو^(١) وأصبح السودان منطقة مغلقة تماما فى وجه التبشير .

الحملة الإنجليزية على السودان -

لم يكن الصراع من أجل اقتسام أفريقيا إلا أحد مظاهر الاستعمار الاقتصادى الذى ساد السياسة الدولية بعد عام ١٨٧٠ ، وكان هذا الصراع عنيفا بقدر اتساع الحقل المفتوح أمام الشهوات المتنافسة حيث تنازعت القوى الأوربية على الأسواق الأفريقية

(١) انظر د . ابراهيم عكاشة التبشير النصرانى فى جنوب السودان وادى النيل ص ٥٠

عن طريق الاتفاقات والقروض والضم الذى يتبع فشل السكان فى الصراع المسلح لتفوق الغزاة بالأسلحة الحديثة مما جعل دفاع الوطنيين عن أملاكهم ضربا من المستحيلات^(١)، وبجانب هذا التسلط الاقتصادى الذى احتكر الأسواق وسرق المواد الأولية، والغزو السياسى الذى استهدف بسط نفوذ الأوربيين على الشعوب المقهورة كان الغزو الحضارى الشامل الذى استهدف السيطرة الروحية والفكرية على الشعوب المستعبدة المغلوبة على أمرها، وهذا ما عبر عنه (فاسكو داجاما) عندما حظ رحاله فى (كليوت)* قائلا: (لقد جئنا باحثين عن البهارات والتوابل ساعين لنشر المسيحية بين الناس) وهكذا ارتبط التبشير بالاستعمار منذ أول رحلة استكشافية^(٢)، وشعرت أوروبا عامة وبريطانيا بخاصة بالقلق تجاه تحرك الإسلام فى السودان فمن الناحية الاقتصادية لم يكن فى إمكانها ترك الإشراف على النيل فى أيدي أعداء عتاة لأن النيل تتوقف عليه حياة مصر الزراعية^(٣) وهذا ما وضح فى رد الوزير المصرى بطرس غالى على مذكرة لورد كرومر بقوله: (لم يبعد عن نظر حكومة سمو الخديو كما تعرف سيادتكم استرجاع مديريات السودان لأن هذه الأماكن بالنسبة لمصر ينبوع حياتها^(٤)) وشعرت بأن حركة المد الإسلامى الموشكة على الامتداد إلى المناطق المجاورة ستهدد مصالح أوروبا فى أفريقيا كلها فلا بد من التدخل الأوروبى السريع للحيلولة دون ذلك،

وأزعجت حركة الإسلام فى السودان إيطاليا التى رأت فى قيام دولة إسلامية فى قلب أفريقيا أكبر عائق لمخطط البابا الرامى إلى تنصير أفريقيا من القاهرة حتى رأس الرجاء، فألبت بريطانيا لتثبيت أقدامها فى السودان ولم تقف عند التأليب فحسب بل واصلت زحفها المسلح على حدود السودان الشرقية فى ذات الوقت الذى فُتحت فيه الخرطوم على

(١) انظر شارل اندريه جوليان، تاريخ أفريقيا، ترجمه طلعت عوض اباطة وآخرون ص ١١٣

ط دار نهضة مصر سنة ١٩٦٨

* كليوت على الشاطئ الجنوبى الغربى من الهند فهى ليست كلكتا المشهورة وصلها فاسكو داجاما يوم ٢٧/ ٥/ ١٤٩٨ م

(٢) د. م. شرعبد الرحيم، بين الاصلة والتبعية

(٣) انظر تاريخ أفريقيا ص ١٢١

(٤) انظر مشكلة الجنوب ص ٦٧

أيدي الأنصار وقتلوا غردون الذي كان يتولى الدفاع عن مصالح أوروبا عامة.^(١)

واتفقت فرنسا مع الحبشة على أن يجهز الفرنسيون حملة تزحف من مركزهم في السودان الغربي إلى جنوب السودان الأوسط ، بينما يزحف الأحباش بدورهم من جهة الشرق حتى يلتقوا مع الفرنسيين في فاشودة ومن ثم يعمل الفريقان لتوطيد سيطرتهم في جميع ربوع السودان ، وقد كانت بريطانيا قد أبرمت اتفاقا مع ألمانيا سنة ١٨٩٠ ، لتعيين مناطق النفوذ لكل دولة^(٢) وواصلت فرنسا العمل بنشاط محمود على توسيع ميدان نفوذها في السودان لتقطع على بريطانيا خط الوصول وبالفعل وصلت البعثة الفرنسية بقيادة مراهان إلى فاشودة^(٣) في أعالي النيل سنة ١٨٩٨ ، وكانت بريطانيا قد أخطرت وزارة الخارجية الفرنسية بأنها تعتبر السودان المصري منطقة مخصصة لنفوذها وأنها لن تسمح بأى تدخل أجنبي ، وذلك بعد أن ضمنت حياد ألمانيا التلقائي^(٤) ، كذلك توصلت بعد جهد إلى حياد الأمبراطور الحبشي كما ضمنت حياد تركيا باعترافها السابق لها بالسيادة على السودان وذلك في اتفاق عقد سنة ١٨٨٥ ، وكان غرضهم من هذا الاعتراف أن تتحمل تركيا عبء تحطيم الخليفة التعايشي ، وبهذا أصبحت حكومة الخليفة تحدق بها الأخطار من جميع الجهات بريطانيا ومصر من الشمال ، وفرنسا من الجنوب ، وإيطاليا من الشرق .

يقول سلاتين : (ولغنى تطلعنا وإلى الدول صواحب الشأن في تلك المناطق فإننا نجد في الشرق إيطاليا وإنجلترا وألمانيا وفي الغرب (الكونغو) بلجيكا وفرنسا وإنجلترا كل من تلك الدول تسعى سعيا حثيثا في زيادة النفوذ في جهات مختلفة ، وترمي جميعا إلى وضع الأيدي على أفريقيا الوسطى ، وقد بدأ رجال القبائل المتوحشة الذين يعتبرون أقرب إلى الحيوان منهم للإنسان يدركون حاجاتهم الضرورية)^(٥)

(١) انظر تاريخ أفريقيا ص ١٢١/١٢٢

(٢) انظر مصر والسودان ، الوضع التاريخي للمسألة ص ٦٣ .

(٣) (٤) انظر تاريخ أفريقيا ص ١١٨

(٥) السيف والنار في السودان ص ٣٩٨/٣٩٩

ويقول : (والآن أقول بأنَّ نجد في الناحية المتوسطة من أفريقيا بين الأراضى المذكورة أخيرا ، وحيال القوى الأوروبية الباسطة نفوذها في الشمال والجنوب والغرب ، نجد في تلك الناحية السودان المصرى والذي يخضع الآن لحكم الخليفة عبد الله وأشياع المهدي ، وهم أشد الحكام استبدادا وتسلطا . إنَّ الأوربي كائنا من كان لن يستطيع اجتياز ذلك السودان كزائر أو عامل أو تاجر ، أقول بأنَّ أقصى ما يصيب الأوربي في السودان هو الموت ، وأدنى ما ينتابه هو البقاء طول حياته أو أغلبها أسيرا مغلوبا على أمره^(١) . ويزيد في التأليب بالتشجيع على حكومة التعايشي فيقول : (ولئن كان الرقيق في بادى أمره مقصورا على العبيد فإنَّه بعد امتداد نفوذ عبد الله - يضم إلى دائرته العدد الكبير من مسيحي الأحباش والسوريين والأقباط المصريين والمسلمين^(٢) ويختم استعداداه بقوله :

(من ذلك البيان الموجز نطلع على الموقف الحالى من الناحية الدفاعية ، والهجومية للمهدي في السودان فإنه كامل العدة متين الشهرة في داخل أملاكه ، ومناطق نفوذه ، ولكنه مهدد من جميع الجوانب الخارجية ، وهو إزاء هذا التهديد لا يملك ما يدفع به غارة المجتاحين ، وعندى قليل من الشك في أن امبراطورية الخليفة ستحطم ويتقلص ظلها قبل هجوم قوى من أية دولة متدنة^(٣))

(١) المصدر السابق ص ٣٩٩ .

(٢) " " ص ٤٠٢ / ٤٠٣ .

(٣) " " ص ٤٠٧ .

المبحث الثالث

سقوط السودان في أيدي الانجليز

لقد اتخذ أعداء الإسلام المهدية غرضاً لتشويه نظام الإسلام . وقد ذكرنا فيما سبق أن الحكم التركي فتح الباب أمام النشاط الكسبي ، واستغل النصارى ضعف الخلافة العثمانية وتد هور نظام محمد علي الوراثي في مصر مما أوقع سدنته تحت سيطرة الأوربيين ، فصار الخديوي كالدمية في أيدي الانجليز ، يأتمر بأمرهم ويخضع لسلطانهم ويحقق أهوائهم ، ولا رضائهم أسند إدارة السودان إلى المبشرين رواد الاستكشاف وطلائع الاستعمار من أمثال (صمويل بيكر، وجسسى ، وسلاتين ، وغردون) والأخير لم يقف دوره عند تشجيع أعمال الإرساليات فحسب ، بل يعتبر من المؤسسين للتبشير في السودان ، والداعين له فمضى أن صار حاكماً على خط الاستواء سنة ١٨٧١ حرراً خطاباً لاتحاد الإرساليات الإنجليزية حاثاً لهم على الحضور لمديريته للعمل بها^(١) .

وعند ما قامت الثورة المهدية أخلت السودان كله من نفوذ المبشرين وسدت جميع السبل في السودان أمامهم حتى جاء الفوز الانجليزي المصري فوضع السودان بكامله تحت النفوذ الاستعماري ، ولم يكن السلطان العثماني على علم بما اتفق عليه الانجليز والمصريون ، ولا بعد إرسال الحملة ولذا كان رد الفعل عنيفاً من جانبه حيث أجاب على كتاب الخديوي بأن إرسال أية قوات مصرية إلى خارج البلاد لا سيما لمحاربة أمة مسلحة يعتمد أساساً على موافقته ، ومن المستحيل لو أخذ رأيهم أن يوافق ، وأمام هذا الإنذار الضعيف بدأ الخديوي يتعلل بالحجج الواهية التي من بينها أنه لا يمكن اعتبار الدراويش مسلمين حقيقيين .^(٢) وقد كانت أوروبا قد اتخذت من الثورة المهدية ونظامها غرضاً لتشويه الإسلام ، وذلك منذ

(١) انظر محمد عمر بشير ، مشكلة الجنوب ص ٣٣ ، ترجمة هنري رياغو آخر طدار نهضة مصر
الغزالة القاهرة ، التاريخ بدون .

(٢) انظر اسيااسة البريطانية واسترداد السودان ص ١٢٤/١٢٥ .

هروب المبشرين المسيحيين الذين اعتقلوا بمركز تبشير الدنج وغيره كبنومي^(١) واهرولد رسلاتين^(٢) الذى يقول فى مؤلفه (السيف والنار فى السودان) : (إن أول ما يتبادر إلى ذهن المفكر فى شئون السودان بعد قيام حكم المهديين ، هو مصير المدنية الناشئة الجديدة التى وجدت فى سنى حكم المصريين ، فليس من شك فى أن تغيير الحال ، وحلول الفوضى محل النظام يولدان فى العقل شعورا صادقا بانقضاء كل أثر ظهر للمدنية فى السودان قبل المهديين وهو ما حدث بالفعل فقد اندثرت معالم المدينة رغم طراوتها وجدتها ، والسبب الرئيسى فى اندثارها هو انتقال الحكم إلى أولئك المستبدين الجهلة بل أذهب إلى أكثر من ذلك فأقول إن سبب ضياع المدينة راجع إلى ظهور نفوذ أولئك المهجيين الذين أسسوا على أنقاض الحكومة السودانية المصرية السياسية نظاما جديدا كان إلى حد ما متبعيا خطوات النظام الماضى فى العرض ولكنه خالفه فى الجوهر ، فبدلا من الحق والعدالة والأخلاق نجد الظلم والباطل البربرى ، والتجرد من نظم الأخلاق فى حكومة المهديين وإنه لمن الواجب على أن أقرر للقراء بأننى لن أستطيع ذكر أمة ظلت فى حياة المدنية أكثر من نصف قرن ثم هبطت إلى الدرك الأسفل من المهجية^(٣))

ولم يقف حقد سلاتين عند هذا الحد لأنه رأى أن كل الجهود التى بذلها المبشرون ذهبت أدراج الرياح بل رأى فى هذا الحركة نذيرا يهدد مصالح أوروبا فى أفريقيا فدعا إلى إزالة هذه العفة الكاداة من وجه (المدينة) فقال : (لنفكر لحظة واحدة فى تلك القوة

(١) بنومي : رئيس بعثة الروم الكاثوليك التى وصلت إلى كردفان قبل قيام المهديّة ١٨٧٥
(٢) اهرولد رسلاتين : أحد أفراد بعثة بنومي قبيل عليه مع أفراد البعثة سنة ١٨٨٢ واعتقل لفترة طويلة فى أمد رمان ، ثم هرب فى عهد الخليفة إلى سواكن وألف كتابه (عشرة سنوات فى سجن المهديّة) وهو شبيه بكتاب سلاتين فى التحريض على غزو السودان .

(٣) السيف والنار فى السودان ص ٤٠١ .

الجديدة التي برزت بروز الشرود عت إلى القوضى في ربوع السودان ما اعتبرها الأوروبيون بحى عقبة كأداء في سبيل المدينة الناهضة ونذيرا بفشل المساعى الكبرى التي بذلوها في السنوات الأخيرة في الكثير من جهات تلك القارة الافريقية الفسيحة^(١) ولقد اتخذ الغرب الصليبي الذى تتزعمه بريطانيا من مقتل غردون مدخلا لفـسـزو السودان وألف النصارى كتباً للتأليب والاثارة.

وانتشرت هذه المؤلفات المفرغة في كل أنحاء أوربا لا فى انجلترا وحدها فتار الرأى العام الأوربى عامة والإنجليزى خاصة وخاصة بعد مقتل غردون واشتد ضغط النصارى على الرؤساء فاسرعوا بتطويق القارة وتضافر نشاط المبشرين على المناطق المتاخمة للسودان منذ مقتل غردون خشية أن يمتد نفوذ الإسلام إليها . يقول الأستاذ (ايندلى)

(لقد أصبحت المناطق الشمالية من نيجريا موضع اهتمام الهيئات التبشيرية بصورة خاصة منذ قيام ثورة المهدي في السودان الشرقى واغتيال المبشر غردون في الخرطوم، وقد قامت روح حماسية معادية للإسلام في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، عندما بدأت جيوش المهدي وخليفته من بعده تحرز انتصارات باهرة متتالية، وكذلك اعتقال خليفته للمسيحين الكاثوليك الفرنسيين، وتقهقر قوات أمين باشا أمام قوته . وإذا كان احتلال بريطانيا ليوغندا بعد سنة ١٨٩٠/١٣٠٨ يعد دليلا على عدم استطاعة الخليفة توسيع حدود دولته الإسلامية إلى ناحية الجنوب، فقد كان هنالك قلق شديد لتوقع زحف حركة المهدي إلى اتجاه الغرب لتطويق المناطق المعروفة بالسودان الأوسط، وهى ما عرفت اليوم بمناطق شمال نيجريا تقريبا وقد كانت الهيئات التنصيرية تتربص وتتوكل بلهف شديد يوما يقوم فيه المسيحيون بأخذ الثأر من قتلة المبشر غردون وتد مير الحكومة الإسلامية في السودان

الشرقى^(٢) وهكذا أخذ النصارى يهولون الأمر ولهم ويصمون المسلمين بالتعصب واضطهاد

(١) المصدر السابق ص ٤٠٢

(٢) انظر الأستاذ خضر مصطفى الفيشيرو الاستعمار في نيجريا ص ١٠٨ مخطوطة بالملسة

المركزية - جامعة دم القرى فخر الله E. A. Ayandele P 118

المسيحيين فأحيوا ذكرى بؤس الناسك الذى هيج الجماهير النصرانية على العالم الإسلامي^(١) فجاءت جيوشهم تغلى حقد الاستئصال شأفة المسلمين بيد أنهم لم يتخذوا من الصليب شارة لهم كما فعل أسلافهم الصليبيون من قبل . وصدرت الأوامر من بريطانيا إلى سردار الجيش المصرى هربرت كتشنر (Kitchener) بغزو السودان ، فكون جيشا يتألف من ستمائة وسبعة عشر ألفا من الجنود مضافا اليه خمسمائة والسفى جندى من غير النظاميين أكثره من الإنجليز ، وتحركت هذه القوات من مصر فى مايو ١٨٩٨ وفى يوم ٧ من أغسطس ١٨٩٨ سقطت دنقلا فى أيدى الغزاة ، ورفع العلم التركى الذى أنزل قبل أحد عشر عاما ، ثم واصل المستعمرون زحفهم إلى عاصمة الدولة المهدية (أم درمان) وزعم قائد الجيش المستعمر أنه أتى ليخلص المسلمين من شر الخليفة وأعدائه كما بدأ ذلك واضحا من إنذاره الذى وجهه للخليفة قال فيه : (من سردار الجيوش المصرية والإنجليزية إلى عبد الله التعايشى زعيم السودان ، اعلم أن شرورك فى السودان ولا سيما قتلك الجسم الفقير من نفوس المسلمين الأبرياء ، أوجبت تقديى بجيوشى إلى هذه البلاد لك سلطتك وإراحة البلاد من شرك وبغيك ولكن بين جيوشك الكثير من الأهلين الكارهين لك ولحكومتك ومن العجزة والنساء والأولاد الذين لا نريد أن يلحق بهم سوء فأعزل عن هؤلاء ديمك^(٢) إلى مكان لا تصله القنابل والرصاص لئلا يقتلوا وتكون أنت المسئول عن دماءهم أمام الله وأثبت أنت وأشياعك فقط فى ساحة القتال لتلاقوا النعمة التى أعد ها الله لكم .

وأما إن كنتم تودون التسليم حقنا للدماء فاعلموا أننا نستقبل رسلكم استقبالا حسنا ونعاملكم بالعدل والسلام^(٣)

وفى فجر اليوم الثانى من سبتمبر سنة ١٨٩٨ تقابل الجيشان وأما المكان فسهل ضيق

يحضنه جبل كررى من الغرب حيث وقفت بضع سفائن مصفحة ، خفقت بنو ها وتراصت جنود ها

(١) انظر محمد العروسى المطوى ، الحروب الصليبية ص ٣٢

(٢) ديم : معسكر

(٣) السياسة البريطانية واسترداد السودان ص ١٧٣

وانطلقت مدافعها ، وقد امتد منها إلى الجبل جسر من الخيالة ، والمشاة والرماة ، وما هي إلا ساعة من الزمان حتى غطت الجثث الكُبان ز ، ولندع السير ماكمايكل يصف المشهد : (فلما ابتلع السكون صدى آخر قذيفة لم يكن باقيا من أحد عشر ألف محارب الا أشلاء دامية تبعثرت من حولها مزق من الأعلام وكسر من الرماح وانتهى عهد وبدأ عهد) وهكذا انكسر جيش الخليفة واحتل الإنجليز السودان (١)

وهكذا أقام الإنجليز على تلال كررى مجزرة من أبشع المجازر التي عرفها التاريخ فى القرن التاسع عشر ، ووصفها استيفنس مراسل الديلى ميل الذى شهد ها بقوله : (لم يكن فى وسع جيش من البيض أن يبقى خمس دقائق أمام سيل الموت لو واجه نفس الظروف التى واجهها المهديون ، ولكن هؤلاء البقارة السود واصلوا التقدم وكانت الخيران تكتنفهم فتقاضى على جماعات بأكملها ، وكان الصف يتشكل ويتقدم تحت طلقات المدافع وشظايا القنابل ، ثم يتوقف إلى الأبد فتشكل صفوف غيره فتحصد حصدا وتحل محلها صفوف أخرى فتلقى نفس المصير ، إنهم لا يريدون التقهقر ولا يستطيعون التقدم فى نفس الوقت ، إنها لم تكن معركة ولكنها مذبحه (٢)

وهكذا سقطت أم درمان عاصمة المهديية بعد أن دافع عنها المسلمون دفاع الأبطال وسقط أكثر من عشرة آلاف مقاتل على أرض المعركة لتفوق الغزاة بالأسلحة الحديثة وبمجرد دخول الغزاة أم درمان أمر كتشنر بهدم قبة المهدي بد ١٤ فى محو آثار المهديية ، وتمهيدا لغرس مبادئ الحضارة المسيحية وطاردت قواته الخليفة عبد الله ورفاقه إلى أن قتلتهم نفس أم د بيكرات فى يوم ٢٤ / ٢ / ١٨٩٩ م ١٣١٧ هـ ثم كتب كتشنر إلى مارشان فى فاشوودة يهنيئه بالانتصار (٣) مما يدل دلالة قاطعة على وحدة الهدف لأن الرجلين ليسا على وفاق .

(١) مآسى الانجليز فى السودان ص ١٣٢

(٢) السياسة البريطانية واسترداد السودان ص ١٩

(٣) انظر د . مكى شبيكة ، مقاومة السودان الحديث للغزو والتسلط ص ١١ ، طبعة معهد البحوث والدراسات الغربية سنة ١٩٧٢

وأخيرا تم الاتفاق بين فرنسا وبريطانيا على أن تنسحب فرنسا من فاشودة وتتوسع نحو الشرق بعيدا عن مناطق النفوذ الانجليزي .

الحكم الثنائي :

لقد رأى كرومر أنه من الممكن أن يجعل من السودان بلدا لا هو بالمصري ، ولا هو بالانجليزي ، وإنما هو بين بين ^(١) . وترجم المستشار القضائي هذه الفكرة السياسية إلى لغة قانونية .

وفي ١٩ / ١ / ١٨٩٩ عقد اتفاق بين الحكومتين على رفع علميهما على أراضي السودان فأصبحت الإدارة الفعلية للانجليز والاسمية لمصر ، حيث نص الاتفاق على أن يكون رأس الإدارة المدنية والعسكرية انجليزيا يلقب بحاكم عموم السودان ترشحه بريطانيا ويعينه الخديوى ، ويتمتع هذا الحاكم بسلطات مطلقة في تنظيم إدارة السودان وغيرها من الأعمال التى يراها ضرورية لبقاء النفوذ البريطانى سائداً فى السودان ، وهذا ما نصت عليه المادة الثالثة من الاتفاق ، وهذا نصها : (تفوض الرئاسة العليا العسكرية والمدنية فى السودان إلى موظف واحد يلقب بحاكم عموم السودان . ويكون تعيينه بأمر خديوى عال بناء على طلب جلالة الملك ، ولا يفصل من وظيفته إلا بأمر خديوى عال يصدر برضا الحكومة البريطانية) ^(٢)

وجاء فى المادة الرابعة منه : (. . القوانين وكافة الأوامر واللوائح التى تكون لها قوة القانون المعمول به يجوز تحويلها ونسخها من وقت لآخر بنشور الحاكم العام) ^(٣) وهكذا قضى الاستعمار على المهدية وقوانينها الإسلامية ورسومها معالم حضارتهم

المادية فى السودان .

(١) انظر د . مكى شبكية ، مقاومة السودان الحديث للغزو والتسلط ص ١٢٣

(٢) المصدر السابق

(٣) مصر والسودان فى المسألة

(٤) المصدر السابق ، وانظر السودان فى قرن ص ٣١٢

الكتاب الثاني

وسائل النشاط الكنسي في السودان

ويتكون من تمهيد وستة فصول

التمهيد في : خطة الغرب في استبدال جيوش الصليبية المسلحة
بجيوش التنضير

الفصل الأول : إحياء المؤسسات الكنسية التي دمرتها المهدية

الفصل الثاني : سياسة الاستعمار التعليمية وعلاقتها بالتنضير

الفصل الثالث : السياسة التعليمية في جنوب وغرب السودان

الفصل الرابع : التطبيب وعلاقته بالتنضير

الفصل الخامس : الإعلام التبشيري

الفصل السادس : الوسائل المستحدثة في مجال التنضير

التمهيد :

إن ما يواجهه الإسلام من ملة الكفر، هو امتداد لمعركة طال أمدها بين الحق والباطل بدأت منذ هبوط الإنسان والشیطان على الأرض، هي معركة الإيمان والكفر، قال تعالى :

(قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى)^(١)

وجاءت الرسالات الالهية تترا، تبين معالم الهدى، وكلما عدت عليها العوادي، وانتابها التحريف، وعملت فيها يد المحو والتغيير، أرسل الله رسولا لهداية الإنسانية إلى صراط العزيز الحميد، حتى كانت الرسالة الخاتمة كما قال تعالى (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب)^(٢) حيث وجدت الناس قد اجتالهم الشياطين، فعبدوا الملوك، لتسلطهم وجبروتهم، كما عبدوا رجال الدين اتخذاعاً بأن كان يبيهم، قال تعالى (اتخذوا أهبأهم ورهبأهم أربأبا من دون الله)^(٣) وقال سبحانه (ما كان لبشر أن يؤتیه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لی من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون)^(٤)

فأخرج الله سبحانه بهذه الرسالة الخاتمة من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، وأورث الله سبحانه المسلمين عروش الأكاسرة، والقيصرة، وكراسى النصرانية في آسيا، وأفريقيا، وجنوب غرب أوروبا، ومنذ ذلك العهد ملأ الحق قلوب أعداء الإسلام، فصاروا يتربصون به الدوائر حتى تجسم حقهم في الحروب الصليبية التي استمرت قرنين، فعجزت عن تحقيق أهداف الصليبية وخارت قواهم وردوا على أعقابهم يجرون أنيال الهزيمة ويتجمعون ممرارة الغش.

وكان الملك الصليبي لويس التاسع ملك فرنسا نفسه قائد الحملة الصليبية السابعة التي احتلت بعض المدن المصرية واتخذت من (دمياط) نقطة ارتكاز لتحتل القاهرة، وذلك فسمى عهد الملك الصالح أيوب الذي كان على فراش الموت، وبعد مضي تسعة أيام على احتلال الحملة

(١) سورة طه، آية رقم ١٢٣ .

(٢) سورة المائدة، آية رقم ١٥ .

(٣) سورة التوبة، آية رقم ٣١ .

(٤) سورة آل عمران، آية رقم ٧٩ .

لد مياط، توفي الملك الصالح، في شعبان سنة ٦٤٧ هـ الموافق لنوفمبر سنة ١٢٤٩ م فكنست جاريته (شجرة الدر) أمر موته إلا عن بعض خاصة القواد، وأخذت تدبر معهم الأمر، وتصدر الأوامر باسم الملك الصالح ريشما يصل ابنه وولى عهد الملك المظفر (توران شاه) فاستطاعت بذلك حفظ المعسكر الإسلامي من الاضطراب والغوضى^(١)، وأبلى في مواجهة هذه الحملة المماليك بقيادة (الظاهر بيبرس) بلاء حسنا، وعند ما عاد (توران شاه) وتولى الموقف كان أول عمل فكر فيه هو أن يقطع على الحملة سبل الإمداد، فتمكن من إنزال سفن حملت على ظهرها الجمال، فأنزلت في النيل بين الحملة و (دمياط) ففتك الجوع والعرض بكثير من رجالها، وهزمها المسلمون هزيمة ساحقة وأبادوا منها ثلاثين ألفا، ووقع الملك (لويس التاسع) مع خمسة آلاف من جنوده في الأسر، وذلك في المحرم سنة ٦٤٨ / ١٢٥٠ م وأقْبِلْ إلى معتقله بدار القاضي (إبراهيم بن لقمان) بالمنصورة^(٢)، يتجرع مرارة الهزيمة ويشعر بخيبة الأمل، ويفكر في وسيلة أخرى بعد أن أيقن أن الحروب الصليبية لم تعد قادرة على القضاء على هذا الدين الزاحف، فلا بد من البحث عن وسيلة أخرى للقضاء عليه.

يقول المؤرخ (جرانفيل) الذي رافق الملك (لويس التاسع) : (إن خلوته في معتقله بالمنصورة) أتاحت له فرصة ليفكر بعمق في السياسة التي كان أجدر بالغرب أن يتبعها إزاء المسلمين، والماخذ التي أفضى بها إلى أعوانه المخلصين أثناء رحلته إلى (عكا) مقلعا من (دمياط)^(٣) في عام ٦٤٨ هـ الموافق مايو ١٢٥٠^(٤) قاده تفكيره إلى أن النعرة الدينية فسى الغرب قد خبت جذوتها فلم تعد كافية لإثارة الحروب ضد الإسلام والتغلب على المسلمين لأن الحروب الصليبية أنهكت قوى الغرب البشرية والمادية، وأن قوى الصليبيين في الشرق قد انهارت، ومات الحافز الروحي الذي كان يدفعهم إلى خوض الحروب وتبدل بحوافز مادية

(١) انظر محمد العروسي المطوى، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ص ١١٩ .

(٢) نفس المصدر ص ١٢٢ .

(٣) انظر محمد علي القنيتي، من الحروب الصليبية إلى حرب السويس المرحلة الأولى

في الصراع بين الشرق والغرب ص ٦٥ .

(٤) انظر الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ص ١٢٢ .

لا صلة لها بالروح وإنما تتصل بالمغانم والأسلاب التي أصبح الطمع فيها هو الباعث الوحيد في الاشتراك في تلك الحملات، ولقد جره تفكيره الخبيث إلى أن القضاء على الإسلام، أو وقف مداه الزاحف الذي هو هدف أوروبا مجتمعة، وفرنسا على وجه الخصوص لم يكن في وسع الكنيسة أو فرنسا القيام به، بل إن هذا العبث لابد أن تضطلع به أوروبا كلها لتضييق الخناق على الإسلام حتى يتم القضاء عليه فيتم لها التخلص من الحاجز الذي يحول دون تملكها (آسيا) و(أفريقيا).

وعزم لويس على ألا يعود للحرب المكشوفة مرة أخرى بيد أنه لم يف بما قطع على نفسه من عهد، لأنه عندما سمع بالضربات الموجعة التي وجهها المسلمون بقيادة (الظاهر بيبرس) إلى الصليبيين في الشام أثبت عليه صليبيته إلا الخروج مرة ثانية لحرب المسلمين، فقاد الحملة الصليبية الثامنة والأخيرة التي كانت وجهتها إلى المشرق فحولت إلى (تونس) استجابة لطلب أخيه، فحاصرها المسلمون حصاراً محكماً حتى فتكت بها الأمراض وكان لويس نفسه ضمن الموتى (١) وبعد موته بدئ في تنفيذ مشروعه التنصيري الذي أدخله في نطاق عظماء مفكرى الغرب وهو التخطيط المبدئى للسياسة التي رأى أنها تمكن الغرب من مواجهة الإسلام، والنيل من قوته فتحولت الحملات الصليبية العسكرية إلى حملات تنصيرية صليبية ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب، تهدف إلى نفس الغرض مع اختلاف نوعية السلاح المستخدم في المعركة لحرب الإسلام ووقف مداه. (٢)

يقول المؤرخ رينيه جروسيه :

(إن الملك لويس التاسع كان بذلك في مقدمة الساسة الذين وضعوا للغرب الخطط الرئيسية لسياسة جديدة شملت مستقبل آسيا وأفريقيا بأسرها) (٣)
وما يزال الهلع الذي أدخله لويس التاسع في قلوب الغربيين، يشعل كل يوم حقداً نحو الإسلام واتباعه.

جاء في مجلة العالم الإسلامى الناطقة بالانجليزية ما يلى :

-
- (١) انظر الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ص ١٣٦ .
(٢) انظر عماد شرف، حقائق عن التبشير ، ص ١٠ ، الطبعة الأولى ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م المختار الإسلامى
(٣) من الحروب الصليبية الى حرب السويس ص ٦٧ .

(إن شيئاً من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربي ، لهذا الخوف أسباب منها :
أن الإسلام منذ أن ظهر بمكة لم يضعف عدداً ، بل دائماً في ازدياد واتساع ، ثم إن الإسلام
ليس دينا فحسب بل إن من أركانه الجهاد ، ولم يتفق قط أن شعباً دخل الإسلام ثم عساد
نصرانيا^(١)
وقال لورانس براون :

(لقد كنا نخوف بشعوب مختلفة ، ولكننا بعد الاختبار لم نجد مبرراً لمثل هذا الخوف .
لقد كنا نخوف من قبل بالخطر اليهودي ، والخطر الأصفر من اليابان وتزعيمها على الصين ،
وبالخطر البلشفي ، إلا أن هذا التخوف كله لم يكن حقاً كما تخيلناه .
إننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا ، وعلى هذا يكون كل مضطهد لهم عدونا الأكبر ، ثم رأينا
البلاشفة حلفاء لنا ، أما الشعوب الصفراء فهناك دول ديمقراطية تتكفل بمقاومتها . . . ولكن
الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام ، وفي قدرته على التوسع والإخضاع ، وفي حيويته ،
إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي^(٢))

ويقول أيضاً : (إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية ، أمكن أن يصبحوا لعنة على
العالم وخطراً ، أو أمكن أن يصبحوا نعمة له ، أما إذا بقوا متفرقين فإنهم سيخلون بلا تأثير^(٣)
وبراون ومن على شاكلته يعلمون أن المسلمين كانوا عبر تاريخهم الطويل في فترات قوتهم
وتماسك وحدتهم ، قوارب إنقاذ للأمم المستضعفة على مختلف عقائدها ، ووحات تفي وإليها
عندما يلغحها جور حكامها ، تستشعر معنى الإنسانية وتمارس شعائرها بحرية مما دفع كثيراً
منها إلى اعتناق الإسلام من غير إكراه .

فبراون وأمثاله من أعداء الإنسانية الذين لا يريدون لها الخلاص ما تكابد ، على
أيديهم يؤججون نيران الحقد على الإسلام خوفاً على مصالحهم .

يقول رود تسون :
(كان الكفاح ضد الإسلام مسألة مطروحة دائماً)^(٤)

(١) مجلة العالم الإسلامي الناطقة بالانجليزية بمقدونييو ١٩٣٠ تحت عنوان الجغرافيا
السياسية للعالم الإسلامي ، انظر الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار العربي ص ٤٦٦ ،
وانظر التبشير والاستعمار ص ١٣١ .

(٢) د . مصطفى الخالدي ، وعمر فروخ ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية ص ٢٨ ، وانظر
محمد البهسي ، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار العربي ص ٤٦٦ .
(٣) انظر الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ص ١٣٦ .
(٤) رود تسون : صورة العالم الإسلامي في أوروبا سنة ١٩٢٠

ويقول سايمون :

(إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب السمر وتساوهم على التخلص من السيطرة الأوروبية ولذلك كان التبشير يعمل على إظهار الأوروبيين في ثوب جذاب ، وعلى سلب الحركة الإسلامية من عنصرى القوة والتمركز للذين هما فيها ، وإذا كانت الوحدة الإسلامية تفقد حجة من حججها ، وسببا من أسباب وجودها ، من أجل ذلك قالوا : يجب أن نحول بالتبشير مجارى التفكير فى الوحدة الإسلامية حتى تستطيع النصرانية أن تتفغل فى المسلمين ، وعلى هذا الأساس أصبح الأتراك خطراً على أوروبا ، لا لأنهم مسلمون ، بل لأنهم أصبحوا قوة تستطيع أن تقف فى وجه الأطماع الأوروبية^(١))

هكذا ملأ الحقد المشوب بالخوف قلوب ساسة الغرب ومفكره ، ومن الواضح من تصريحاتهم أن كثرة المسلمين وحدها لا تخيفهم وإن تسببت فى إزعاجهم ، وإنما يخيفهم أن تعى هذه الكثرة وتنظم صفوفها فتصبح قوة من الصعوبة مواجهتها ، وهى تملك جميع عناصر القوة - وفى مقدمتها العقيدة الصادقة التى ذروة سنامها الجهاد فى سبيل الله لإعلاء كلمته - وتحول دون تحقق أطماعهم ، وهم يعلقون آمالهم على العالم الإسلامى عامة وأفريقيا على وجه الخصوص حيث يعتبرها الغرب مخزناً للثروات الطبيعية والزراعية والحيوانية ، وزيادة على ذلك موقعها الممتاز حيث تربط قارات العالم القديم ، كما تشرف على أهم طرق التجارة العالمية فتطل على المحيطين الأطلسى والهندي ، والبحرين الأبيض المتوسط والأحمر ، ويدين معظم سكانها بالإسلام حيث تبلغ نسبة المسلمين ٦٠ ٪ تقريباً من مجموع سكانها ، مما يجعلها ذات وزن سياسى فى حسم النزاع بين المسلمين واليهود فى فلسطين وبين المسلمين والنصارى فى الحبشة ، وكينيا ، ويوغندا ، وأفريقيا الوسطى ، وغيرها مما جعلها حلبة الصراع العالمى ، والاسلام هو فارس هذه الحلبة ، والسودان من أهم ميادين هذا الصراع ، والمنصرون هم جنودها لخوض هذه المعارك التى تبدأ سلمية فما تلبث إلا أن تكون تمهيداً للاستعمار ثم تفرز أعزل المشكلات الدائمة المستعصية الحل .

يقول سيرجونسون : (إن هذه الطريقة السهلة التى يتم بها تثبيت أقدام الأوروبيين فى أفريقيا يرجع الفضل فيها إلى جهود الهيئات التبشيرية أكثر من استخدام الأسلحة

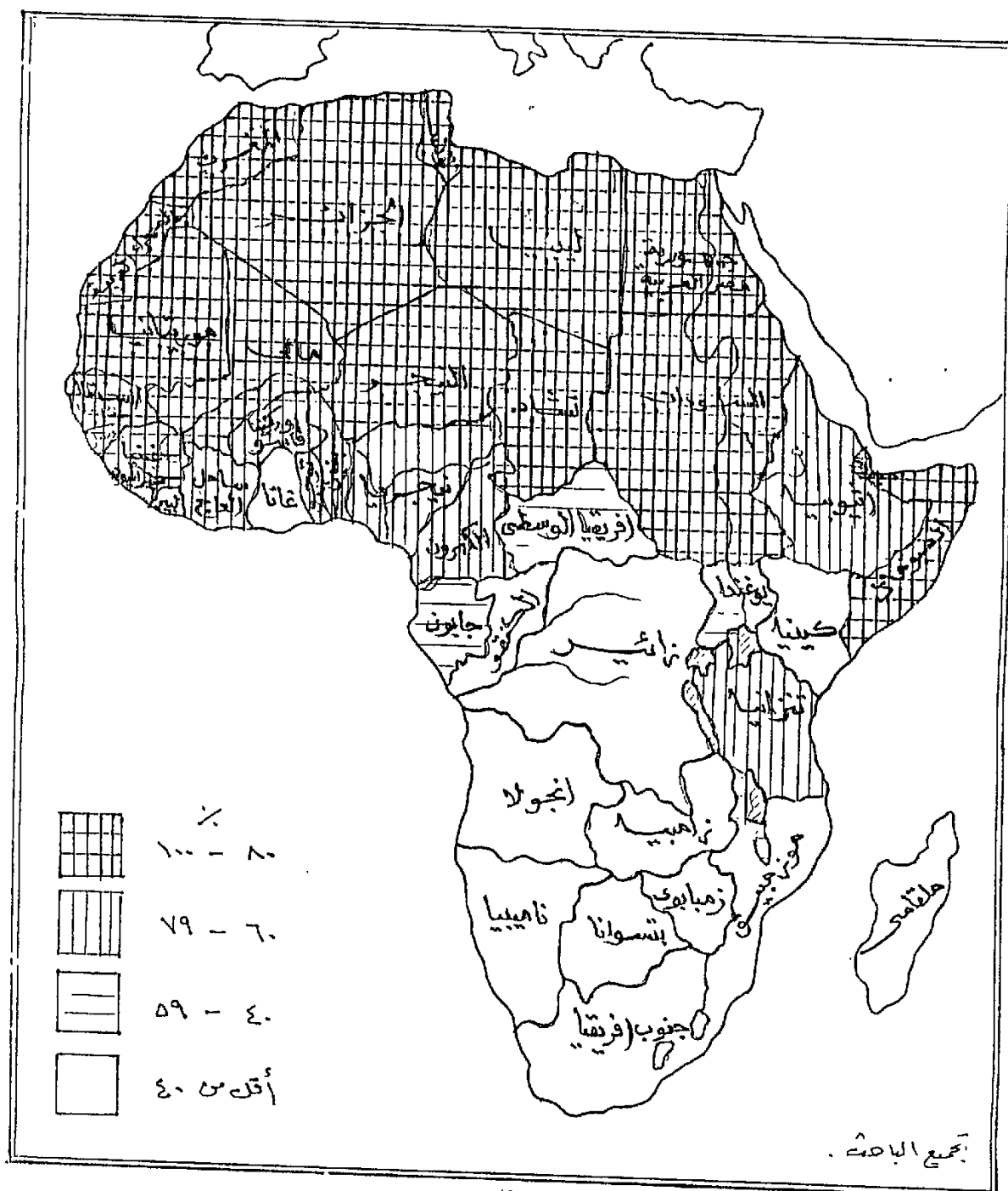
(١) التبشير والاستعمار ص ٣٧

(٢) انظر الشكل رقم (٢)

النارية، ولكن لو ترك الأمر بعد ذلك في أيدي الهيئات التبشيرية، لما تمكنت من إقامة المحميات والمستعمرات الحديثة إلا قليلا، ولم يكن في استطاعتها ان تقوم بأعباء مسئولياتها المطلوبة^(١).

وهكذا ارتبط التنصير والاستعمار ارتباطا وثيقا، بعد فشل الحروب الصليبية الأولى فأدار الغرب على المسلمين حربا صليبية جديدة عن طريق التنصير، واستخدم في ذلك الكنائس والمدارس والمستشفيات، وعند ما ثار المسلمون في السودان على هذه الحملات التنصيرية وقتلوا حاميتها الجنرال (غردون) الذي كان يعتبر من أكبر حماة النصرانية في أفريقيا ثار الغرب عامة وبريطانيا على الأخص وطالبا بأخذ الثأر من قتلته باعتباره نصرانيا ولم يكن أخذ الثأر هو الدافع الحقيقي بقدر ما كان دافعهم إزالة العقبة الكاداة التي قطعت الطريق أمام أطماعهم في القارة البكر والمتمثلة في دولة المهديّة التي قامت على أساس الإسلام، واستمدت بقاءها من تعاليمه وطردت المبشرين، وأغلقت الطريق أمامهم، فدفعهم الحقد الصليبي إلى تكوين حملة مسلحة ارتكبت من الفظائع ما سبقت الإشارة إليه وبزوال دولة المهديّة تم التحالف بين الاستعمار والتنصير على محو الإسلام من القارة الإفريقية.

(١) انظر الشكل رقم (٣)



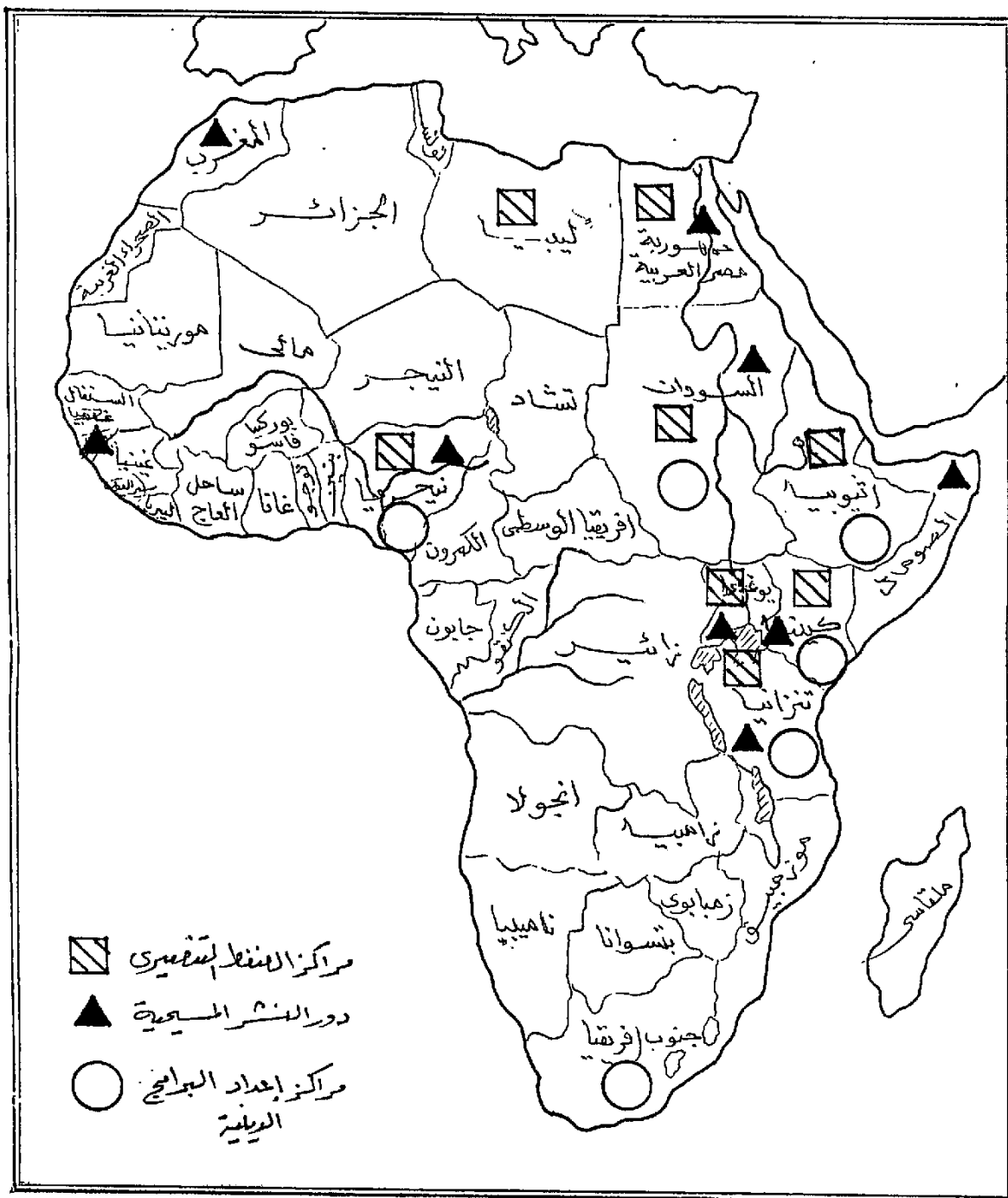
شكل رقم (٢)
 المساهمون في إفريقيا بالنسبة المئوية
 (١) إيطير العالم الإسلامي : إفريقيا (١٩٥٠/١٩٥١)
 (٢) د. خالد المبري : دراسات في مساهمة العالم الإسلامي

احصائية تبين عدد المسلمين ونسبتهم المئوية من مجموع
سكان قارة أفريقيا حسب احصاء عام ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م (١)

الدولة	مجموع السكان	عدد المسلمين	النسبة المئوية	ملحوظات
السودان	٢٩٩٠٠٠٠٠	١٤٨٥٧٠٠٠	٨٣٪	
اثيوبيا	٢٩٤٠٠٠٠٠	١٩١١٠٠٠٠	٦٥٪	
أفريقيا الوسطى	١٩٠٠٠٠٠	٠٧٥٠٠٠٠	٤٪	
الجزائر	١٨١٥٥٠٠٠	١٧٩٧٣٤٥٠	٩٩٪	
السنغال	٥٠٨٥٠٠٠	٤٨٣٠٧٥٠	٩٥٪	
الصومال	٣٥٠٠٠٠٠	٣٥٠٠٠٠٠	١٠٠٪	
الكفوبرازفيل	١٤٠٠٠٠٠	٠٢٨٠٠٠٠	٢٠٪	
المغرب	١٨٩٥٠٠٠	١٨٧٦٠٠٠	٩٩٪	
النيجر	٤٩٠٠٠٠٠	٤٦٠٦٠٠٠	٩٤٪	
انجولا	٦٣٠٠٠٠٠	١٥٧٥٠٠٠	٢٥٪	
بنين	٣٣٠٠٠٠٠	١٩٨٠٠٠٠	٦٠٪	
بوتسوانا	٠٧٠٠٠٠٠	٠٠٤٧٠٠٠	٧٪	
بوروندي	٣٩٠٠٠٠٠	٠٧٨٠٠٠٠	٢٠٪	
تشان	٤٢٠٠٠٠٠	٣٥٧٠٠٠٠	٨٥٪	
تنزانيا	١٦٠٠٠٠٠٠	١١٢٠٠٠٠٠	٧٠٪	
توجو	٢٣٠٠٠٠٠	١٣٨٠٠٠٠	٦٠٪	
تونس	٦٥٠٠٠٠٠	٦٢٤٠٠٠٠	٩٦٪	
جابون	٠٥٠٠٠٠٠	٠٢٥٠٠٠٠	٥٠٪	
جامبيا	٠٦٠٠٠٠٠	٠٥١٠٠٠٠	٨٥٪	
جنوب أفريقيا	٢٤٠٠٠٠٠٠	٠٤٨٠٠٠٠	٢٪	
جيبوتي	٠٢٠٠٠٠٠	٠٢٠٠٠٠٠	١٠٠٪	
بواندي	٤٥٠٠٠٠٠	٠٢٧٠٠٠٠	٦٪	
زائير	٢٦٣٠٠٠٠٠	٢٦٣٠٠٠٠٠	١٠٠٪	
زامبيا	٥٢٠٠٠٠٠	٧٨٠٠٠٠	١٥٪	
زمبابوي	٦٨٠٠٠٠٠	١٣٦٠٠٠٠	٢٠٪	
ساحل العاج	٧٠٠٠٠٠٠	٤٢٠٠٠٠٠	٦٠٪	
سيراليون	٣٤٠٠٠٠٠	٢٠٨٠٠٠٠	٦٥٪	
غانا	١٠٤٠٠٠٠٠	٣١٢٠٠٠٠	٣٠٪	
غينيا	٤٧٠٠٠٠٠	٤٤٦٥٠٠٠	٩٥٪	
غينيا الاستوائية	٠٣٠٠٠٠٠	٠٠٩٩٠٠٠	٣٣٪	
غينيا بيساو	٠٥٠٠٠٠٠	٠٣٥٠٠٠٠	٧٠٪	
فولتا العليا	٦٤٠٠٠٠٠	٤٠٩٦٠٠٠	٦٤٪	
كمرون	٦٧٠٠٠٠٠	٤٠٢٠٠٠٠	٦٠٪	
كينيا	١٤٤٠٠٠٠٠	٤٦٢٠٠٠٠	٣٠٪	
لوسوتو	١٢٣٠٠٠٠	٠١٢٣٠٠٠	١٠٪	
ليبيا	٢٦٢٠٠٠٠	٢٦٢٠٠٠٠	١٠٠٪	
ليبيريا	١٧٠٠٠٠٠	٠٥١٠٠٠٠	٣٠٪	
مالاوي	٥٣٠٠٠٠٠	٢١٢٠٠٠٠	٤٠٪	

(١) انظر الدكتور السيد خالد المطري، دراسات في سكان العالم الاسلامي ص ٥١٠، طبعة
لجنة البحث العلمي لكلية الآداب، جامعة الملك عبد العزيز سنة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م
وهناك احصائية تشير الى أن مجموع السكان حوالي ٢٢ مليون ونسبة المسلمين ٨٥٪
وانظر احصائية رابطة العالم الاسلامي التي نشرت في ذي القعدة ١٤٠٢ هـ -

الدولة	مجموع السكان	عدد المسلمين	النسبة المئوية	ملاحظات
مالى	٦٣٠٨٠٠٠	٥٦٧٧٢٠٠	%٩٠	
مصر	٤٢٠٠٠٠٠	٣٩٤٨٠٠٠	%٩٤	
ملاسى	٧٩٠٠٠٠	١٦٧٥٠٠	%٢٥	
موريتانيا	١٧٥٠٠٠	١٧٥٠٠٠	%١٠٠	
موزمبيق	٩٥٠٠٠٠	٢١٨٥٠٠	%٢٣	
نامبيا	٠٩٠٠٠٠	٠٠٦٣٠٠	%٧	
نيجيريا	٧٤٦٠٠٠	٥٢٢٢٠٠	%٧٠	
جزر القمر	٠٤٠٠٠٠	٠٣٧٦٠٠	%٩٤	
موريشيوس	٠٩٠٠٠٠	٠٦٣٩٠٠	%٧١	
يوغندا	١٣٢٠٠٠	٦٦٠٠٠	%٥٠	



المصدر: (د) عبد الحاميد زبيح (١٩٨٤) التفسير في إفريقيا
شكل رقم (٣)
مراكز الضغط التنصيري في إفريقيا

الفصل الأول

أحياء المؤسسات الكنسية التي دمرتها المهدية

المبحث الأول : الشروع في تنفيذ الخطط التنصيرية المرسومة

كتب ج . كرايف رائد جمعية الكنيسة التبشيرية C.M.S. وهذا اختصار

لـ Church Missionary Society لشرق أفريقيا في

السنوات الأخيرة من عمره : (إن فكرة إنشاء سلسلة متصلة من المحطات التنصيرية تمتد من رأس

الرجاء الصالح إلى القاهرة سوف تتولى تنفيذها الأجيال القادمة حيث إن الأفكار تدرس^(١)

دائما قبل أن يجرى العمل بحشرات السنين ، وأنا أوصي بهذا الفكرة لكل مبشر قادم إلى

شرق أفريقيا ، وبعد سقوط أم درمان بدأ الطريق مفتوحا لإنشاء حلقات وصل جديدة فسي

سلسلة بعثة كرايف السائحة وقد كانت جماعة الكنيسة التبشيرية تتطلع لشل هذا العمل^(٢)

منذ مقتل غردون في الخرطوم حيث جمعت ثلاثة آلاف جنيه إنجليزي لإنشاء إرسالية تذكارية

لغردون ، وذلك في سنة ١٨٨٦ واقترحت مدينة (سواكن) في شرق السودان مقرا لهذه

الإرسالية لأنها خارجة عن نطاق سيطرة الخليفة غير أن زيارة الدكتور هاربر سنة ١٨٩٠

أقنعت الجماعة بأن الوقت لم يحن بعد لشل هذا العمل ، وقد كان لجماعة الكنيسة التبشيرية

وإرسالية الكنيسة المشيخية للولايات المتحدة الأمريكية خبرة طويلة في العمل بالبلاد

الإسلامية فاستعدتا بخططهما لمحاولة تنصير السودان ، وبعد سقوط آمد درمان بثلاثة أشهر

رجع السردار كشنر إلى بلاده لقضاء إجازته ، واغتتم فرصة رجوعه والاحتفاء به فخطب مستفرا

شعبه للإسهام في ترميم ما دمر من منشآت وتخریب ما عسر من العقول المدركة لحقيقة

الغزو الإنجليزى الصليبي . وفي نفس اليوم الذى تسلم فيه درجة الدكتوراة الفخرية فى

القانون من جامعة أدنبرة فى التاسع والعشرين من نوفمبر سنة ١٨٩٨ تسلم مفتاح المدينة

(١) انظر الشكل رقم (٣)

فى اجتماع حاشد جزاء ما حقق من انتصار لشعبه ، وقال اللورد (روزيرى) فى تحيته له فى
الحفل . . إن على البريطانيين إذا أرادوا ألا تد همهم مرة أخرى غيمة مظلمة من (البربرية)
أن يبدؤوا فى إنشاء مركز للتعليم ، وحث سامعيه قائلا - أى عار وأى انتكاس - إذا لم تشترك
هذه الأمة العظيمة الفنية الفخورة بالتححرر من نير الحاضى ، المباهية بما فعله كثنش من أجلها
وأى معنى لتكريمه إذا لم تحقق مطالبه وتسا نده فى كل ما يطلبه وتشترك معه من القصر حتى
الكوخ . ولما جاء دور كثنش ليرد على التحية والمجاملة اغتنم فرصة الحماس ليوجه النداء
لتنفيذ مشروعه فذكر سامعيه أن العلمين الانجليزى والمصرى يرفرفان فوق الخرطوم نتيجة
لحملته على السودان ، وأعرب عن أمله فى أن لا ينزلا أبداً ، وأعلن أن المهمة الأولى التى
تشغله هى تمدين تلك المناطق الشاسعة ، وقال : إنه يتمنى للشعب الانجليزى أن يتدخل
ويعطى ما لا تعطيه الحكومة وقال : إن المهدى ككل مستبد شرقى آخر كان يقف فى وجه
التعليم ، وقال إن البلد حين يزد هر ولا بد سيزد هر سيكون باستطاعة الناس أن يدفعوا
نفقات تعليم أبنائهم .

وقال إنه بصدور تأسيس كلية غردونية تذكارية على نمط انجليزى بواسطة أساتذة انجليز
ليقدموا التعليم الذى يرتبط بالتطور فى المستقبل ، وأن الكثير يمكن أن يقال عما نحققه لإزالة
التعصب والعبودية ، ثم قال إننى أؤكد وأنا أخطب جمهورا اسكتلنديا أنكم وقد ورثتم أرضا
خصبة لم تحرث منذ ثلاثة عشر عاما فلا بد أن تخصصوا بعض الإنفاق لحراثة الأرض لتمكسوا
من الحصاد . ثم وجه كلامه إلى أولئك الذين ينفقون مبالغ كبيرة للإعلان عن بضائعهم قائلا :
إنه من المفيد لكم أن تنفقوا شيئا من المال لتعليم سكان تلك السوق الجديدة التى فتحت
أمامكم ليقرأوا وإعلاناتكم ، وأنكم إذا لم تعلموا ذلك الشعب فإن آخرين غيركم سيعلمونهم
ويغرسون فى عقولهم أفكارا ومؤثرات قد تؤدى إلى صعوبات عظمى . ووضح أن المبلغ المطلوب
لإنشاء الكلية مائة ألف جنيه لتكون الكلية فى المستوى اللائق بالأمة الانجليزية ، وأن تسهمين
ألفا من أصل هذا المبلغ ستخصص لضمان مرتبات الأساتذة الانجليز . وأخيرا شكر اللورد

روزيرى والحكومة واللورد كرومر على العون الذى يلقاه منهم ، ووجه نداه للامة الانجليزية حكومة وشعبا وإلى شعوب المستعمرات للمساهمة فى هذا المشروع وختم حديثه بتوجيه الدعوة إلى أمريكا قائلا : إننى أدعو شعب الأمة الشقيقة العظيمة الناطقة بالانجليزية أمريكا لمساعدتى فى إنشاء كلية تذكارية جديدة بفردون فى الخرطوم .

وكانت الاستجابة فورية وجادة حيث وصل المبلغ الى ١٣٥٠٠٠ جنيه استرليني فى أقل من شهرين ، واهتمت الملكة نفسها بالمشروع وأصبحت راعية له وعلى الفور وضع قيد التنفيذ (١) واغتنم مندوبو جماعة الكنيسة التبشيرية هذه الفرصة وزاروا كوتشتر ليحصلوا منه على إذن لتنفيذ خططهم الرامية لنشر التنصير فى وسط مسلمى السودان فقبلوا برفض الطلب لأنه ينافى ألا يفعل ما يثير حماس المسلمين الدينى ولكن اللورد كوتشتر لم يعترض على عمل التبشير فى المناطق الوثنية (٢) فكوتشتر ينفذ السياسة التى رسمها له كرومر ، وهى سياسة تختلف عن سياسة المبشرين فى الوسيلة وتتفق معها فى الغاية . فالمبشرون يسعون إلى نزع الأفراد ممن مجتمعاتهم ومثل هذا الأمر مع تعذره وصعوبته عمل خطير فى نظر كرومر ، وليست خطورته مقصورة على المبشر بل الحكومة نفسها لا تنجو من خطره .

سياسة كرومر :

بنى كرومر سياسته على أن يسلخ المجتمع بكامله من الإسلام فى هدوء وتؤدة ، وهو رجل آله نكاؤه ومكره لإنجاح السياسة التى جنى ثمارها فى مصر واتخذ من حماقة الفرنسيين درسا علمه الكثير . ولذلك قسّم منطقة نفوذه (مصر والسودان) إلى ثلاث مناطق لكصل سياستها التبشيرية التى تناسب ظروفها .

(١) د . ناصر السيد ، التعليم فى السودان ص ١٠٢/١٠١

(٢) انظر محمد عمر بشير ، مشكلة جنوب السودان ، ص ٥٠/٥١

المنطقة الأولى :

مصر ، وغالبية سكانها من المسلمين الذين تتخللهم فئة كبيرة نالت حظا من التعليم الغربى يجعلها أداة طيعة لتنفيذ سياسة بريطانيا ، مع وجود فئة غير قليلة تعتنق المسيحية منذ قرون خلت ، وقد كان اتصال مصر الطويل بأوروبا قد ساعد على انتشار التعليم العلمانى ونظم الحكم الأوربية^(١).

المنطقة الثانية :

وتشمل الجزء الشمالى من السودان وغالبية العظمى من المسلمين وكلهم فى وضع أبعد عن المدنية الغربية من أخوانهم فى الإسلام بمصر ، وليست بينهم طبقة مثقفة ولم يكن اتصال السكان بالغربيين أو نظم الحكم الأوربية قد حدث فى السودان إلا منذ سنوات قليلة ، وهذه المنطقة يقول عنها كرومر إن أهلها سذج ، وأنهم مهيتون إلى حد بعيد للإثارة الدينية التى تجعلهم غنيمة سهلة للذين يستغلون الدين فى نشر مبادئهم الزائفة كما حدث من قبل .

المنطقة الثالثة :

تتصرف فى جنوب السودان ، وسكانه من الوثنيين الذين لم يتم احتكاكهم بالمسيحيين حتى فى السنوات القريبة جدا ، إلا فى بعض الحالات النادرة التى كان يقوم بها الرحالة ، أما صلاتهم بالمسلمين فكما نت تتحل فى نظرتهم لقوة الدراويش فى فترة حكم التعايشى ، وغارات تجار الرقيق^(٢).

وعلى أساس هذا التقسيم وضع كرومر سياسته العامة للتصير فى السودان خاصة وأفريقيا بشكل عام ، فبينما أعطى المبشرين حرية واسعة للعمل فى مصر ، كان يرى أنه من المستحيل أن تتبع نفس السياسة بالنسبة لشمال السودان ، وأن يترتب عليها من المخاطر ما لا تحمد
(١) يعنى كرومر بذلك أن مصر قد قطعت شوطا بعيدا فى العلمانية فتبدل حسبها الدين فلا خوف على المبشرين منها
(٢) انظر د . ابراهيم عكاشة ، التبشير النصرانى فى جنوب السودان وادى النيل ، ص ٦١ .

عواقبه . وعزا ذلك لجهل السكان وعدم تمدنهم الذى يؤدى بهم إلى عدم التمييز بين المبشر والإدارى ، سواءً أكان بريطانيا أم أوروبياً من أى جنسية ، لذا كان يرى أنه إذا أطلق العنان للنشاط التبشيرى فسوف لا تكون النتيجة غير مشمرة فحسب بل ستخلق شعوراً بالاستياء يؤدى حتماً إلى حدوث اضطرابات تطيح بكل الأعمال التى تقوم بها الحكومة فى مضمار المدنية لتلك البلاد سواءً أكان لها ارتباط بالنشاط التبشيرى أم لا ولذلك أقر أن الوقت لا يزال بعيداً لممارسة العمل التبشيرى بين المسلمين .

أما فيما يتعلق بالمنطقة الثالثة التى حددتها بجنوب (فاشودة) فإنه يرى ألا ضرورة لوضع قيود على المبشرين بهذه المنطقة ، بل يعلن استعداد الحكومة لتقديم المساعدة المادية للمبشرين^(١) .

موقف الإرساليات من سياسة كرومر :

جاء رد الإرساليات وجمعيات التبشير على تلك السياسة التى انتهجها كرومر عنيفاً ، حيث زعمت مؤسسات التنصير بأن المسيحية كانت الدين الرسمى لسكان السودان منذ عدة قرون ، وأن إعادة فتح السودان أتاح الفرصة لفرسها من جديد فى إقليم كان أصلاً تابعاً لها^(٢) .

ترمنجهام وسياسة الحظر :

تعاطف سينسر ترمنجهام سكرتير جماعة الإرسالية التبشيرية مع سياسة الحكومة فقال :

(يستلحق الإنسان التعاطف مع وجهة نظر كرومر ، فطبيعى أن تكون الحكومة التى وقع عليها عبء حكم الشعب - الذى أبدى الإسراف فى الحماسة الدينية - حذرة من أن يثير المبشرون المسيحيون المسلمين عليها ، وعند ما تخفف شدة هذه القيود فينبغى أن تظل مراكز النشاط قريبة من مراكز السلطة .

(١) The Christian Approach to Islam in the Sudan P. 16/17.

(٢) مشكلة الجنوب ص ٤٩ / ٥٠

وإنه لجلّى لأى أحد يعلم شيئاً عن ذكاء المسلم* أنه ينبغي تأييد الموقف الرسمى للحكومة الذى يحظر العمل التبشيري ، لأنه بالتأكيد سيجعل الشعب يحس بأن الحكومة تتشدّ تنفير عقيدته ، ولقد كانت الحكومة حكيمة فى حذرها لأن روح الشهادة لم تمت بعد .^(١)

وكانت هذه السياسة فى نظر الإرساليات عائقاً لتنفيذ الأهداف ومخيبة لآمال وتطلّعات غردون .^(٢)

ولذلك اجتمع مجلس الكنائس وقرّر ما يلى : (إنّ الشعور العام فى بريطانيا يطالب بحق بأن أى مجهودات مبذولة لتخليد ذكرى غردون يتعين أن تنطوى على نشر تعاليم المسيح بين جميع الأجناس والقبائل التى تقطن فى حوض أعالي النيل وأنّ علينا والحال هذه تقوية مؤسساتنا بمصر لتمتد رسالتنا إلى الخرطوم والمناطق المجاورة لها عندما تسمح العناية الألّهية بذلك .^(٣)

وفى الاجتماع المئوى لجماعة الكنيسة التبشيرية ، فى الثانى من مايو سنة ١٨٩٩م خطب سكرتير الجماعة خطبة مشيرة قال فيها : (إنّ اللجنة مستعدة لأن ترسل فرقاً رائدة إلى السودان الفسيح عن طريقين من أهدي الطرق إلى بلوغه ، ففى طرابلس تدرس فئة (البوسا) والمؤمل فى خريف هذا العام أن تنطلق فئة إلى ما وراء النيل لتشغل بعض المواقع فى المديرية الاستوائية بشرق السودان - إنّ اللجنة لتتوقع أن يستجيب الله لابتهاالاتها فيفك - عن قريب - حظر النشاط التبشيري فى أعالي النيل^(٤) . وظلت الجمعيات التبشيرية

وبعض الأفراد فى بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية يطالبون كرومر وكثرتن بفك حظر النشاط التبشيري فى شمال السودان وجنوبه على السواء وكان كل الحماس يدور على تخليد ذكرى غردون باعتباره بطلاً مسيحياً استشهد فى سبيلها ، وتصورهم للإسلام كقوة معادية للمسيحية وحائلة دون تطلّعاتهم نحو أفريقيا لذلك لم تغتر همهم بالمطالبة .^(٥)

* وهذه الشهادة من سكرتير جماعة الكنيسة التبشيرية تردّهم كرومر بأن المسلمين جهلة
The Christian Approach to Islam in the Sudan P.18 (١)

(٢) مشكلة الجنوب ص ٥٠

(٣) مشكلة الجنوب ص ٤٦

(٤) The Christian Approach to Islam in the Sudan P.13

(٥) انظر مشكلة الجنوب ص ٤

المبحث الثاني طلائع المبشرين تصل السودان

بدأ المبشرون يقدمون على السودان زرافات ووحدانا وكان من أبرز هؤلاء المبشرين الذين وصلوا السودان (ليولن . هـ . جوين) الأسقف التابع للكنيسة التبشيرية والسدي يعتبر المؤسس الحقيقي للعمل التنصيري في مصر والسودان وهو أول مبشر لجماعة الكنيسة الإنجليزية يدخل السودان بعد سقوط أم درمان ، وكان على الدوام باعث النشاط بـ المبشرين ، وكان ذا قدرة فائقة حيث استطاع أن يستميل المبشرين من كل الطوائف وأن يجعل من الإدارة الانجليزية أداة طيعة في أيدي المبشرين (١).

لقد اتجه لولين . هـ . جوين من بريطانيا إلى السودان عن طريق القاهرة في ٣ من نوفمبر سنة ١٨٩٩ وعند ما وصل مصر حيل بينه وبين دخول السودان لعدم استتباب الأمن وبعد مقتل الخليفة سمح له بالدخول هو والدكتور هاربر مدير مستشفى جماعة الكنيسة التبشيرية بالقاهرة بشرط ألا يتحدثوا عن المسيحية للمسلمين ، لأن النشاط التبشيري مازال محظورا بينهم ، وكان المبشرون يعتقدون أن الحكومة مبالغة في سياسة الحذر ، يدفعهم الحماس الديني والتعصب ضد الإسلام مع جهلهم بالفوارق بين سكان أفريقيا ، فحسبوا أن السودان كالمناطق الأفريقية الأخرى المأهولة بالسكان غير المسلمين ، وكانوا كما قال كرومر في خطاب بعث به إلى لورد سالزبرى : (يرون ألا بد من السعي لتنصير جميع سكان البلاد مسلمين ووثنيين ، شماليين وجنوبيين ، وقد وصف كرومر الضغوط الشديدة التي تعرض لها للنزول على وجهة نظر المبشرين في خطاب خاص أرسله إلى لورد (لانزادون) جاء فيه :

(إنني ما زلت أحاصر حصاراً عنيفاً يحيي بي من كل الجهات كيما أصح بالتنصير في السودان

الكاثوليك ومن خلفهم الحكومة النمساوية، والكنيسة الانجيلية يدعمها عدد من الآباء ذوي النفوذ والجاه، والجمعية المسيحية وغيرها من الجمعيات التبشيرية كلهم ينعقون بنفوس الشعار . وإننى لا أمانع فى السماح للمبشرين بمزاولة نشاطهم بين الوثنيين من سكان الاقاليم الاستوائية، أما أن يطلق لهم العنان فى الوقت الحاضر بين مسلمى الشمال المتسككين بإسلامهم فتصرف أحق يوشك أن يكون جنونا^(١)

ولم تدم هذه السياسة الإدارية طويلا فمضد أن وصل (لولين - جوينى) الخرطوم بد^(٢) فى التأثير على الإداريين طالبا منهم رفع الحظر على العمل التنصيرى فى الخرطوم معللا ذلك بأن سكانها لم يكونوا جميعا مسلمين بل فيها كثير من المسيحيين من الطوائف المتباينة، فضلا عن ذلك فهى مقر الحكومة، ولذا فإن أى نشاط تبشيرى صادر عن جماعة يمكن مراقبته باهتمام . يضاف إلى ذلك أن السكان المسلمين متصلون اتصالا مباشرا بالسلطات الحاكمة أكثر من المقيمين فى الحدريات القاصية كما أن هناك حاجة شديدة للتعليم بين المسلمين والمسيحيين، والحكومة لم تستطع تلبيتها بما يكفى من موارد ههنا الخاصة . وتحت هذه الظروف أذن بفتح مدارس الإرساليات فى الخرطوم، وبدأت الحكومة تخفف من القيود تحت تأثير أمثال (جوين) والدكتور (هول)، لاقتناعها أن هؤلاء المنصرين أدركوا سياستها تجاه المسلمين وكشفت صحيفة الدكتور (هول) مدى تقيد به بقرار حظر الحديث عن الدين للمسلمين بالرغم من أن ذلك أحزنه لإضاعته فرص الإيمان بالمسيح كما زعم وكانت على زعمه تعرض له دائما ويقول (هول): (إن شرف مبادرة اقتحام الأديم الصخرى لتعصب السودانين الدينى ضد المبشرين الصليبيين يعزى لعدم الاسكندرو (إيفاهول) المكرسة وتضحيتها حتى حلت الصداقة محل التحزب والريبة، ويسوق (هول) شاهداً على ما ذكر فيقول: قدمت

(١) مدثر عبد الرحيم، مشكلة الجنوب ص ٣٥ / ٣٦

(٢) حسن مكى، التبشير فى العاصمة ص ٢

امرأتان من منزل النسيخ على التوم، وفي خلال انتظارهما لمقابلتي قالتا لزوجي : قبسل
حضوركم كما نصدق القول بأن الرجال مفسدون وكنا نمر بالمنزل عن بعد ، ولكن ما عدنا
نصدق ذلك . وهذا إقرار مشجع على أهمية عمل النساء العاملات في السودان . إن
الاسكندر وايفاهول امتلكتا إلى حد كبير سمات الصبر والأمل السمات التي بدونها لا يجرؤ
أحد أن يكون بينهم مسيحياً (١)

وشددت الإرساليات الضغط على الحكومة فوجههم كرومر في تقريره سنة ١٩٠٢ بقوله :
(. . أما من وجهة نظر الإرساليات البريطانية فإن هذه القيود حتى الآن ليست ضرورية
حيث أن مجالات العمل في الجزء الجنوبي من السودان وحاجتها للتمويل أكبر من أن
تستوعب نشاط الإرساليات) (٢) وأخيراً سمحت الحكومة لإرساليتين ذاتي خبرة في العمل
وسط المسلمين * بمزاولة العمل الطبي والتعليمي في المدن التي يوجد فيها مسيحيون
ولم يسمح لهم في البداية بمخاطبة المسلمين بالمسيحية ولكن نظراً لاحتكاك المسؤولين
الحكوميين برجال الإرساليات تبين لهم أن طريقة عمل المبشرين وسط المسلمين لا يشكل
خطراً على الأمن العام لذلك تغيرت نظرة المسؤولين إلى عمل المبشرين فخففت القيود شيئاً
بشيئاً ومع ذلك لم يسمح لأى جمعية أخرى غير الجمعيتين المذكورتين بالعمل وسط المسلمين . (٣)
يقول جويني : (بينما كنت مهموماً حزينا في دارى على أثر عدم التصريح لى بتنصير
المسلمين إذ جاءنى رسول يدعونى مستعجلاً لقصر الحاكم العام ، فذهبت والدنيا مظلمة
أمامى ، وإذا بى ألتقى معاملة مذهلة فقال لى الحاكم العام مبتسماً : لقد صرح لك بافتتاح
مدارس في الشمال ، فرقص قلبى فرحاً وأيقنت أن الله استجاب دعائى . فما الفرق بين السماح
لى بتنصير المسلمين والسماح لى بتعليم أطفالهم) (٤)
وأصبح السودان حلقة للصراع الكسفى لمختلف المذاهب المسيحية من شتى أقطار
الغرب لا يجمع بينها إلا حرب الإسلام وتنصير المسلمين .

The Christian Approach to Islam in the Sudan P. 16 (١)

Ibid P.14 (٢)

* الإرسالية الاسقفية والانجيلية الامريكية

Ibid P.17 (٣)

(٤) التبشير في العاصمة ص ٨

المبحث الثالث

المؤسسات الكنسية العاملة بالسودان

البعثة الكاثوليكية:

لقد كانت الكنيسة في روما أول من فكر وحاول العمل التنصيري في السودان كما سبقت الإشارة إلى ذلك فوصل الفوج الأول من القسيسين النمساويين الكاثوليك سنة ١٨٤٨ م إلى الخرطوم، حيث تلقاهم بها (لويجي منتوري) الذي هرب من أثيوبيا عقب اضطهاد الكنيسة الاثيوبية للكاثوليك ولجأ إلى السودان سنة ١٨٤٢ م وبالرغم من أن الحكومة المصرية منعت التبشير وسط المسلمين فقد حصل هذا القس على قطعة أرض بنى عليها كنيسة ومقبرة كما بنى بها مدرسة صغيرة بحجة تعليم أبناء النصارى^(١). ونسبة لقرار الحكومة المصرية فقد حصر المبشرون الكاثوليك نشاطهم في المناطق الوثنية في جنوب السودان خاصة، ولكن حالت دون نجاحهم عوائق أدت إلى وقف أعمال التنصير في هذه الفترة، ذلك أن الأوروبيين لم يألفوا المناخ الاستوائي الوخيم المرتفع الحرارة الملى بالأمراض المهلكة التي قضت على أربعة وستين مبشرا في وسط أفريقيا في خلال أربعة عشر عاما، وفرّ الباقون شمالا إلى الخرطوم فأمر البابا بإغلاق هذه الإرساليات وعودة العاملين بها إلى روما ونقلت مهامهم التبشيرية إلى كلية فيرونا سنة ١٨٦٧ م، وتم تعيين دانيال كمبوني نائب قسيس لاfrica الوسطى فوصل الخرطوم سنة ١٨٧٣ على رأس فوج من المبشرين الكاثوليك وقد سبق أن زار الخرطوم ضمن زمرة من المبشرين سنة ١٨٥٧ م، ويعتبر مؤسس الكاثوليكية في شرق أفريقيا والسودان بصفة خاصة، وقصته شبيهة بقصة بولس^(٣). وقد زعم كمبوني كما زعم بولس قبله أن الله أوحى إليه أن يواصل عمله بالرغم من إغلاق الإرساليات في السودان، وطاف على كل العواصم

(١)(٢) تاريخ المسيحية ص ٢٢٨

(٣) انظر ص ١٤ من هذا البحث .

الغربية حتى موسكو معلنا عن خطته داعيا اليها كما فعل بولس من قبل فأسس قبل قدومه الأخير إلى السودان مدرسة في فيرونا سنة ١٨٦٧ لإعداد المبشرين للعمل وسط أفريقيا وأسس جمعية أخرى للراهبات سنة ١٨٧٢ فعينه البابا رئيسا لإرسالية وسط أفريقيا ، وأعطاه سلطة لإعادة فتحها ، ومنذ وصوله السودان شرع في العمل لتنصير السكان وامتد نشاطه إلى كل الأقطار الأفريقية المجاورة . وركز على السودان فبنى مركزا تبشيريا فسي مدينة بربر وأقام المزارع المسيحية حول الأبيض في (ملبس) و (الدلنج) وكان ينوى إقامة مزرعة أخرى في شرق السودان في مدينة القصارف وامتد نشاطه إلى الجنوب حيث أنشأ كنيسة وسط الدينكا وروضة لأبناء النوير^(١) فكافأه البابا على جهوده فعينه سنة ١٨٧٧ أسقفا لأفريقيا الوسطى ، وفوضه الخديوى بمرسوم عال ليجوس خلال السودان بحجة محاربة تجارة الرقيق .

واستغل هذا المطران ظروف الجفاف سنة ١٨٧٨ والفيضان سنة ١٨٧٩ ، وهى ظروف شبيهة بالظروف الحالية التى يمر بها السودان فذهب إلى أوروبا طالبا العون من أجل منكوبى المجاعة والفيضان ، ووظف كل ما جمعه لتنصير السودانين - كما هى عادة المبشرين يستغلون ظروف الحاجة لينشروا سمومهم - ولأجل ذلك أطلق عليه لقب (أبو السودان) . وكان حريا بأن يدعى سرطان السودان لأنه المؤسس الحقيقى للنشاط الكنسى المتكامل ، فمجرد وصوله إلى الخرطوم^(٢) سنة ١٨٧٣ أعاد فتح مدرسة الإرسالية ، وجلب لها عددا من السودانين والسودانيات للعمل بها بعد أن تخصصوا فى أوروبا ومصر فى أعمال التنصير وفتح مدرسة للبنين وأخرى للبنات بالأبيض وطور المزارع إلى مراكز زراعية فى قرية (ملبس) من ضواحي الأبيض سنة ١٨٧٥ وأنشأ مركزا ماثلا بالدلنج سنة ١٨٧٨ واستمر عمله المتواصل فى السودان عامة مع التركيز فى جبال النوبة . وبعث كبوتى عددا كبيرا من السودانين نذكور وإناثا ليتخصصوا فى أعمال التنصير ، وكان تفكيره منذ قدومه السودان أن يؤسس عملا

(١) انظر التبشير فى أفريقيا ص ١٣٢ .

(٢) انظر تاريخ المسيحية فى العمالك النوبية القديمة والسودان الحديث ص ٢٣٧ .

تنصيريا متكاملًا ومستقرا فشيد المؤسسات الكسبية بالمواد الثابتة وركز على أن يتولى العمل أبناء السودان وأقام الحواجز الضخمة في وجه التقدم الإسلامي إلى جنوب وغرب السودان وظل يعمل حتى هلك قبل الثورة المهدية سنة (١٨٨١ م) ولقد أوقفت الثورة المهدية نشاط المبشرين وأغلقت السودان في وجههم .

استئناف عمل المبشرين الكاثوليك :

استأنفت مؤسسات كمبوني عملها في السودان سنة ١٨٩٩ بقدم اثنين من الكاثوليك الألمان أحدهما (اوهرلر ولد ر) الذي عرف السودان وكان يعمل بمركز تبشير الدنيسج وعند ما سقطت الأبيض كان من ضمن المعتقلين وقضى عشر سنوات في أم درمان حتى تمكن من الهروب سنة ١٨٩٢ وكتب كتابا بعنوان (عشر سنوات في معسكر المهدى) والثاني (بانهورلر) تقدم هذا القسيسان بطلب لكثشنر لاسترجاع مباني الإرسالية الكاثوليكية بالخرطوم وكانت الحكومة قد استولت عليها ، لكن كثشنر منحهما قطعة أرض على النيل عوضا عن أرض الإرسالية القديمة فأقاما عليها الإرسالية الكاثوليكية وهي الآن كتدائية القديس (متي) ومدرسة الراهبات الكاثوليكية الموجودة حاليا أمام دار الاتحاد الاشتراكي السوداني (سابقا) (١) وفي أواخر سنة ١٨٩٩ قاد المطران (روفيغو) مطران الخرطوم الجديد أول دفعة من جمعية كمبوني ووصل أم درمان سنة ١٩٠٠ وبدأ في شراء المنازل ، وجمع المسيحيين المقيمين في أم درمان وحول بعض هذه المنازل إلى مساكن للراهبات ومدرسة للبنين ثم اشترى منازل أخرى وحولها إلى مدرسة بنات وكنيسة لجميع المسيحيين من كل الطوائف ، وفي أكتوبر من نفس العام وصلت دفعة جديدة من الراهبات ليستأنفن نشاطهن بين النساء وفتحن مدرسة للبنات بأم درمان وأخرى وسط الخرطوم (٢) وظلت الإرسالية الكاثوليكية تنمو وتتسع حتى صار لها بالعاصمة

(١) كان في عهد حكومة جعفر نميري التي سقطت في أبريل ١٩٨٥

(٢) انظر تاريخ المسيحية ص ٢٢٨

ثمانى كائن بالإضافة إلى مقر القاصد الرسولى^(١) الذى أنشأه البابا فى ديسمبر سنة ١٩٢٤ استجابة لطلب القسيسين حيث أنشئت منطقتان تبشيريتان الأولى فى الشمال ومقرها الخرطوم والثانية فى الجنوب ومقرها جوبا وفى مايو سنة ١٩٢٥ أقامت حكومة النمرى علاقات دبلوماسية مع الفاتيكان على مستوى السفراء وهذا ما لم تكن الكنيسة تحلم به فى الستينيات^(٢) وأدرك (رفيجو) ضرورة مواصلة العمل بالجنوب فشرع يجمع التبرعات واشترى باخرة من إنجلترا تم تركيبها فى أمد رمان سنة ١٩٠١ وسافر بها إلى الجنوب وأقام أول إرسالية فى قرية (لول) وسط قبيلة (الشك) وكان يهدف إلى إحياء الإرسالية الكاثوليكية القديمة ولكن لم يجد أذنا صاغية من الإدارة البريطانية فتوجه إلى بريطانيا ليشكو الإدارة إلى الملكة، وفى طريقه هلك فى القطار بمحطة بربر سنة ١٩٠٢^(٣) وجاء خلفه فواصل العمل بالجنوب وأسس مركزا تبشيريا آخر فى (تونجا) ببلاد (الشك) كما أسس ثلاثة مراكز ببحر الغزال سنة ١٩٠٤-١٩٠٥ وهى مراكز (كيانغو) و(أميلى) و(واو)^(٤) بيد أن العمل التبشيرى لم يستقر من أول وهلة بمدينة (واو) لما سبق القول أنها كانت شبيهة بمدينة شمالية للأثر الإسلامى، فيها ولذا عارض الأهالى أعمال التبشير وتطورت هذه المعارضة حتى أدت إلى إحراق مساكن الإرسالية ثلاث مرات ما بين سنة ١٩٠٥-١٩٠٨ وكانت خسارة الكنيسة فادحة فى المرة الأخيرة لأن الحريق أتى على كل ممتلكاتها كما قضى على مواد تموينها لسنة كاملة مما اضطر النصارى إلى إقامة المباني بالمواد الثابتة (الحجر والطوب المحروق) تفاديا للحريق^(٥). وتعتبر مديرية بحر الغزال ومدينة واو بالتحديد من أقوى المنافذ للإسلام تجاه الجنوب لذلك ركزت الإرساليات بمعاونة الحكومة البريطانية لوقف الزحف الإسلامى على الجنوب وسميت هذه السياسة (السياسة الجنوبية) هدف هذه السياسة إلى منع تغلغل الإسلام فى مناطق القبائل النيلية. ولقد أفزع اعتناق بعض القبائل

(١) انظر التبشير فى العاصمة ص ٤

(٢) The Catholic Church in the Sudan A golden opportunity lost P. 12

(٣) تاريخ المسيحية ص ٢٤٧

(٤) المصدر السابق ص ٢٤٧

(٥) انظر المصدر السابق ص ٢٤٨

الواقعة في غرب بحر الفزال للإسلام - (كالكريش) (فوروقي) (وباندا) . الخ - أفزع ذلك المبشرين والمستعمرين فهرعوا يقيمون السدود في وجه الزحف الإسلامي المتدفق من جنوب دارفور حيث صار رؤساء هذه القبائل يستخدمون العربية ويعتبرون أنفسهم من المسلمين وقد كتب المبشر (أرشيكون شو) سنة ١٩٠٩ ما لم تنتصر جميع هذه القبائل السوداء خلال السنوات القليلة القادمة فإنها ستتحوّل لا مندوحة إلى المحمدية^(١).

كما استأنف الكاثوليك نشاطهم بغرب السودان سنة ١٩٠٦ إلى ١٩١٦ حيث مات آخر قسيس كاثوليكي بالدلنج وعطلت الإدارة البريطانية نشاطهم أثناء الحرب العالمية الأولى وحولت امتيازهم بغرب السودان سنة ١٩٣٤ إلى الكنيسة الأسقفية للعمل بهذه المنطقة وعموما تعتبر الكنيسة الكاثوليكية من أكبر المؤسسات الكسبية التي تهدد أمن البلد واستقراره كما سنوضح ذلك فيما يأتي إن شاء الله.

الإرسالية الأسقفية :

بدأت محاولات هذه الإرسالية لتأسيس عملها بالسودان في سنة ١٨٧٠ بواسطة المبشرين الألمان، وعند ما كان غردون بالسودان أعرب عن أمله في قيام بعثة لهذه الكنيسة، وكل هذه المحاولات لم يكن لها أثر يذكر قبل غزو السودان ووصول المطران (لولين جويني) الذي وصل مع هاربر سنة ١٨٩٩ بموجب اتفاق تم بين المندوب السامي (كرومر) بمصر (وكتشنر) حاكم السودان و C.M.S. للعمل في المناطق الوشنية، ولكن (جويني) لم ينفذ الاتفاق، فمكث بأمد رمان خمس سنوات محاولا العمل التبشيري بين المسلمين وبالرغم من أن كرومر وكتشنر دحشا من قرار C.M.S. بالبقاء بأمد رمان إلا أنهم لم يجبراها على تنفيذ الاتفاق ولكل منهما لم يرخصا لها في العمل وسط المسلمين.

وعند ما أعلن (بليث) أسقف الإرسالية الإنجليزية بالقدس ضم السودان إلى انجليزى المصرى لأسقفية القدس سنة ١٨٩٩ حذّر رسميا من قبل المسئولين البريطانيين بحكومة السودان من

(١) The Christian Approach to Islam in the Sudan P.38

(٢) انظر تاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث ص ٢٥٣

(١) ممارسة أى نشاط تبشيري فى القطر.

وفى سنة ١٩٠٣ هدأت الأحوال فعين (جوين) تسييسا للجيش وأعطى تصريحاً للعمل فى المناطق الوثنية فأبحر مع ثلاثة من أتباعه هم (شو ، وتوم ، وهادو) يصحبهم آخرون إلى الجنوب ليؤسسوا هناك أول مركز لهم فى (واد المان) وهى قرية تبعد حوالى ٩ أميال جنوب (منقلا) عاصمة الاستوائية فى ذلك الوقت. وعانى هؤلاء المبشرون الكثير بسبب الأمراض الاقليمية التى أنهكت قواهم وأودت بحياة أكثرهم إذ لم ينج منهم إلا (جوين) و(شو) وتعلم الأخير لغة الدينكا .

وفى سنة ١٩٠٨ عين (جوين) أسقفا مساعدا لرئيس أساقفة القدس وأصبح مسئولاً عن رعاية الأسقفية فى مصر والسودان وأثيوبيا واتخذ من الخرطوم مقراً له^(٢) وفكر جدياً فى انشاء أسقفية منفصلة للسودان وكان قد وضع حجر الأساس لها سنة ١٩٠٤ فعاونته الإدارة البريطانية لتنفيذ مشروعه فجمع فى نفس العام الذى عين فيه مساعدا لأسقف القدس ١٩٠٠ تسعة عشر ألف جنيه استرلينى لقيام أسقفية السودان التى تم بناؤها سنة ١٩١٢ وحدد السادس والعشرون من يناير من نفس السنة موعداً لافتتاحها ، لأن غردون كان قد قتل فى مثل هذا اليوم ، ودعى لحضور حفل الافتتاح أسقف لندن ، ولكن ونجت

كتب لجوينى أن أسقف لندن قد وضع نفسه غرضاً لهجوم الشيخ على يوسف كاتب (المؤيد) المتعصب بمهاجمته الاسلام فى خطاب سلمه إلى مبشرى C.M.S. بقاعة البرت. لذا ألقى كتشنر دعوة الأسقف مع اقتناع ونجت بضرورة الاحتفال وزيارة الأسقف ولكن الخوف من حدوث اضطرابات حال دون حضوره وتم الافتتاح فى موعد ، وبسبب هجوم أسقف لندن على الاسلام ألقى المسئولون عطلة الأحد التى كانت مقررة فى كل محافظات السودان بحجة أن الموظفين أغلبهم من البريطانيين ، وأصبحت العطلة الرسمية لكل موظفى الدولة ما عدا

(١) انظر تاريخ المسيحية فى الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث ص ٢٥٣

(٢) المصدر السابق ص ٢٥٥

بورتسودان والمحافظات الجنوبية هي الجمعة بدلا عن الأحد^(١)، وبعد أن عين جويسن أسقفا للسودان اهتم بالجنوب اهتماما زائدا، فسافر للمرة الثانية سنة ١٩١١ وكان برفقته (شو) فزار بحر الغزال ويامبيو، ومريدي، ولوكا، رغبة في اختيار أماكن مناسبة للعمل هناك.

وفي سنة ١٩١٢ أقام الدكتور (كليف غور) وامراته في يامبيو وبدأ العمل بين قبيلة الزاندي، ونقل الانجيل الى لهجة الزاندي وألغا معجما من الإنجليزية الى لهجة الزاندي واستقر الراعي (لول جيبسون) سنة ١٩١٢ في (يحي) وتعلم لهجة (الكاكو) وبدأ يبشر بها. أما (فريزر) وزوجه فقد استقرا في (لوي) حيث أقاما مستشفى تبشيري بين قبيلة (المورو)^(٢) وظل جويني ينادي بضرورة فتح المجال التبشيري بين المسلمين وهو مطلب ضمنته C.M.S. البريطانية في مذكرة رفعتها الى السردار في أيامه الأولى من الاحتلال ووقع عليها عدد كبير من الشخصيات الإنجليزية البارزة من ضمنهم أفراد من العائلة المالكة وكان نتيجة هذا الضغط التصريح بفتح المدارس^(٣) دون العمل المكشوف لأن وقته لم يكن بعد، وبدأت الإدارة متعاطفة مع الإرساليات بصفة عامة والأسقفية بصفة خاصة، وخاصة عند ما خلف ونجت كتشنر حاكما عاما للسودان فقلل من القيود التي وضعها كرومر وكتشنر على التبشير في الشمال لأن ونجت نفسه يعتبر من المبشرين مع إيمانه أن التبشير السافر سيجره الى مشاكل. ولذا أثر التبشير الهادي، الهادف ففتح المجال أمام المبشرين في أخطر المرافق (التعليم- الطب)^(٤) كما سنذكر ذلك مفصلا في موضعه إن شاء الله.

(١) Gabriel Warbwry the Sudan under wingate P.111

(٢) تاريخ المسيحية ص ٢٢٥

(٣) The Sudan under wingate P.110

(٤) Opcit P.111

الكنيسة الأمريكية المشيخية:

استقدمت الإدارة البريطانية كثيرا من المسيحيين للاستعانة بهم في بعض الوظائف الكتابية والحسابية وكان من بين هؤلاء المسيحيين بعض المصريين والسوريين الذين اعتنقوا المذهب الإنجيلي، ومن الجدير بالذكر أن هذا المذهب دخل مصر سنة ١٨٥٤ م عن طريق المجلس المشيخي للرساليات الأجنبية الذي اشتهر باسم الرسالية الأمريكية. وكان عدد أتباع هذا المذهب المستقدمين للعمل بالسودان حوالي ٢٥ شخصا. وفي نهاية سنة ١٩٠٠ أوفد المجلس اثنين من رجاله الأمريكان وهما (جون كلي جفن) والدكتور (مكلوخلن) للاستطلاع ورفع تقرير عن إمكانيات العمل بالسودان فالتقيا في أم درمان بجويني وهاربر رائدي جمعية C.M.S. حيث وحا كفاهم وبدأ عهد التعاون بين الرساليتين وكان ذلك من سمات العمل التبشيري في السودان. (١)

اقترح رائد الرسالية الأمريكية أن يكون ميدان العمل التبشيري للكنيسة الإنجيلية المصرية الناطقة بالعربية هو السودان الشمالي المسلم، وبناء على هذا الاقتراح أوفدت الكنيسة الإنجيلية المصرية القسيس (جبر حنا) ليعمل بين المسلمين متخذا من الرعايا الإنجلييين مبررا لعمله. وفي سنة ١٩٠٢ سافر (جفن) و(مكلوخلن) إلى الجنوب لإنشاء العمل الإنجيلي فيه، فوصلا إلى مصب نهر سوبط ونزلا على ربوة على الشاطئ أطلقوا عليها اسم (دوليب هل) أي تل الدليب. وكان وصولهما في السابع والعشرين من مارس سنة ١٩٠٢ بعد سفر استمر ثلاثة وعشرين يوما على المراكب الشراعية. (٢)

أما العمل الإنجيلي الجاد فقد بدأ بالفعل بوصول الدكتور (سورلين) سنة ١٩٠٣ حيث اشترى أرضا أقام عليها الكنيسة الإنجيلية الواقعة شرق مستشفى أم درمان الحكومي، ثم انشئت بعدها الكنيسة الإنجيلية بالخرطوم التي انتظمت سنة ١٩٠٧ وأصبحت كنيسة مستقلة تتبعها

الكنايس الإنجيلية في وود مدني والحصاحيصا والدويم وكوستي والأبيض وبورتسودان وشندي وعطبرة ووادي حلفا وكريمة^(١).

يقول تيرمينجهام : (كانت السمة الهامة لعمل الإرسالية الأمريكية إيجاد كنيسة منذ بدء نشاطها وذلك لتدفع أعضاء هذه الكنيسة في وظائف كتابية بالسودان ، وتنظيم المحافل المدنية وجلب دعاة كسبيين وتشيد كنائس في المدن الثلاث (الخرطوم - الخرطوم بحري - أم درمان) وعطبرة ووود مدني وبورتسودان ثم انتظمت هذه الكنائس الست في مجمع مشيخي سنة ١٩١٢ .

وقد كان للكنيسة التي يشكل المصريون أغلبية أعضائها مظهر مستقل قوي ، وكان راعى الكنيسة في أم درمان يخصص وقته كله للعمل الإنجيلي بين المسلمين . . . وتعتبر جمعيات الإنجيل النسوية العاملة في البيوت في (المدن الثلاث) وفي وود مدني ، من السمات الخاصة لعمل الإرسالية الأمريكية وفي أم درمان توجد مدرسة للتدريب على هذا النوع من العمل تسمى (البيت النصراي للتدريب على العمل داخل البيوت)

وتعطي جمعية الإنجيل للنساء دروسا أسبوعية في القراءة والكتابة للسودانيات فسي حيشانهن وتتخذ الإنجيل مادة للتدريس وتدرّك العاملات جيدا أن النساء لن يصبحن نصرانيات ولكنهن يأملن في التأثير على الحياة البيتية لأولئك النسوة لإخراجهن من الدائرة الضيقة لمفهوم الحریم^(١)
مجمع مشيخة السودان :

يعتبر مجمع مشيخة السودان فرعا عن هذا الأصل وهو عبارة عن طائفة تضم المصريين والسودانيين الذين تنصروا على أيدي المبشرين الأمريكيين ، وكانت الإرسالية الأمريكية تشرف عليهم وتتولى شؤونهم وتتحين الفرص لتشبيت قديمها وتوسيع نفوذها عن طريقهم ، ولما زاد

(١) انظر المصدر السابق ص ٢٦٦

عدد هم وصارت لهم ممتلكات دفعتهم الإرسالية الأم ليقدموا طلبا للسلطة للاعتراف بهم كهيئة كسبية وطنية فتم لهم ذلك سنة ١٩٣٩ وذلك ليكونوا ملاذا للإرسالية إذا جد في الأمر شيء. ولما صدر قانون تنظيم الهيئات التبشيرية سنة ١٩٦٢ أرادت الإرسالية الأمريكية التحايل عليه لتمارس نشاطها باعتبارها طائفة دينية وطنية لا تخضع لقانون الإرساليات التبشيرية حسب فتوى النائب العام ولما لم يتم لها ذلك حولت الإرسالية بعض ممتلكاتها في عطبرة والأبيض والخرطوم بحرى لمجمع المشيخة رغم مخالفة ذلك للقانون^(١).

الكنيسة الأرثوذكسية:

عرف الأرثوذكس السودان كما عرفه الكاثوليك في أواخر القرن السادس الميلادي حيث تنافس الإمبراطور (جستنيان) وزوجه (ثيودورا) فأوقدا الإمبراطور البطريرك (ثيودوسيوس) لنشر مذهب الكنيسة البيزنطية وهو المذهب الذي يدين به، وعند ما علست زوجه بنوايساه اتصلت بالأسقف (لونجينيوس) ليسبق بعثة الإمبراطور لنشر المذهب الأرثوذكسي الذي تدب به وبالفعل وصل قبل منافسه سنة ٥٦٩م وقبلها الحكام على أساس أنها دينانية قياصرة الرومان^(٢) كما أشرنا إلى ذلك.

وبعد سقوط ممالك النوبة وقيام سلطنة الفونج انتهت المسيحية فلم يعد لها أثر وفى ذلك أقوى دليل على أن المسيحية لم تكن ذات جذور عميقة في مجتمع السودان^(٣). وبعد غزو محمد علي للسودان أرسل البطريرك (بطرس الجاولي) ١٨٠٩-١٨٥٧ بعض القسيسين إلى الخرطوم والأبيض وبعد ظهور المهدي أصدر غردون أوامره بطرد الأسقف (أنبا مكاريوس) من السودان كما فعل مع الكاثوليك، وبقي بعض الأقباط بعد سقوط الخرطوم في يد المهدي فمنهم من أظهر الإسلام ومنهم من سالم وما زال حييهم يعرف (بالمسالمة) في أمدرمان. وظلوا مسالمين لم يظهر لهم أي نشاط تبشيري حتى مطلع القرن العشرين. وفي سنة ١٩٠٤ أعاد البطريرك (كيرلس) الخامس بابا الاسكندرية للأقباط الأرثوذكس تنظيم كنيستهم بالسودان

(١) انظر التبشير في العاصمة ص ٧

(٢) حسب الله محمد أحمد، قصة الحضارة في السودان ص ١٥٤/١٥٥

(٣) أما أن يكونوا قد نزحوا لأننا لانجد أسرة واحدة تدب بالنصرانية التي دخلت السودان قبل الاسلام، وإنما كل النصارى في السودان أما نزحوا إليه معزومحمد على وأحفاده أو غزوا الانجليز أو من تنصر على أيدي المنصرين في هذين العهدين.

فصارت لهم مطرانيتان الأولى مطرانية الخرطوم ويوغندا ومقرها الخرطوم ، والثانية مطرانية أم درمان وشمال السودان ومقرها أم درمان^(١) وقد تأسست كندارائية السيدة العذراء وتلاها تأسيس الكنائس الأخرى في الخرطوم بحرى وود مدنى والقضارف والأبيض وكاد قلى .

وقد أنشأ الأقباط الأرثوذكس عددا من مدارس البنين والبنات في مدن السودان الكبرى وألت إدارة هذه المدارس مؤخرا إلى وزارة المعارف المصرية سنة ١٩٥٨ بموجب اتفاق تم بين الوزارة وسلطات الكنيسة . وبعد زيارة البابا شنودة الثالث بابا الاسكندرية للسودان ، بدأ الأقباط نشاطا تبشيريا واسعا وشرعوا في توزيع الصلبان والكتب ، وتدفع الأقباط من مصر على السودان في مهن حرفية وتعليمية وتجارية وبدأت الكنيسة تحثهم على شراء العقارات في وسط العاصمة وتدعمهم ماديا^(٢) وشرعوا في التبشير في مناطق الوثنيين في الغرب والجنوب وأصبحوا خطرا يهدد السودان ومصر ، وما يدل على خطورتهم ماها في المقولة الآتية التي قيل انها نتجت عن اجتماع عقده البابا شنودة بالكرامة المرقسية بالإسكندرية بتاريخ ١٥/٣/١٩٧٣^(٣) والتي نقلها الأستاذ إبراهيم سليمان الجبهان تكشف تأمرهم على المسلمين وهذا فحواها :

(بدأ البابا شنودة كلمته بأن بشرهم بأن كل شيء يسير على ما يرام حسب الخططة الموضوعه ، والتخطيط المرسوم لكل جانب من جوانب العمل على حدة ، في إطار الهدف الواحد ، وقد تحدث في عدة موضوعات تشمل عدة نشاطات ، وهي كما يلي :

(١) عدد شعب الكنيسة :

صرح بأن مصادرهم في إدارة التعبئة والإحصاء أبلغتهم أن عدد المسيحيين فى مصر أصبح يقارب ثمانية ملايين^(٤) ويجب أن يعلم ذلك شعب الكنيسة ، كما يجب عليهم أن ينشروا ذلك ويؤكدوه بين أفراد فئات المسلمين ، وقال : إن ذلك سيكون سندا لنا فى المطالب التي سنطلبها من الحكومة ، وسندكرها لكم اليوم .

(١) انظر تاريخ المسيحية ص ٢٢٧

(٢) انظر الأستاذ حسن مكي ، التبشير في العاصمة المثلثة ص ٥٧ مطبوع على الالة الكاتبة .

(٣) انظر حسن مكي ، التبشير المسيحي في العاصمة المثلثة ص ٧ . هكذا أشار الكتاب للتاريخ ، والصواب انه ١٥/٣/١٩٧٢

(٤) الاحصاءات الرسمية تثبت أن عدد النصارى بمصر لا يتجاوز ثلاثة ملايين

والتخطيط العام الذى تم الاتفاق عليه بالاجماع والذى صدرت بشأنه التعليمات ،
وضع على أساس بلوغ شعب الكنيسة إلى نصف الشعب المصرى ، حتى يتساوى عدد شعب
الكنيسة مع عدد المسلمين لأول مرة (منذ الاستعمار العربى والغزو الإسلامى لبلادنا ^(١))
والمدة المحددة فى التخطيط للوصول إلى هذه النسبة هى بين (١٢ - ١٥) سنة من الآن
ولذلك فإن الكنيسة تحرم تحديد النسل أو تنظيمه ، وتعتبر كل من يفعل ذلك خارجا عن
تعليمات الكنيسة ومضيعا لمجده ، وذلك باستثناء الحالات التى يقرر فيها طبيبا
الكنيسة خطر الحمل والولادة على حياة المرأة ، وقد اتخذت الكنيسة لتحقيق هذه الخطة
بالنسبة لزيادة عدد المسيحيين ما يأتى :

أ - تحريم تحديد النسل وتنظيمه بين شعب الكنيسة .

ب - تشجيع تحديد النسل وتنظيمه بين المسلمين خاصة وأن أكثر من ٦٥ ٪ من الأطباء
وبعض موظفى الخدمات الصحية هم من شعب الكنيسة .

ج - تشجيع الاكثار من النسل بين شعب الكنيسة بوضع الحوافز والمساعدات المادية
والمعنوية للأسر الفقيرة من شعبنا .

د - التنبيه على العاملين بالخدمات الصحية على المستوى الحكومى وغير الحكومى بمضاعفة
الخدمات الصحية بين شعبنا المسيحى ، وبذل العناية والجهد الوافرين ، وذلك من
شأنه تقليل نسبة الوفيات ، بين شعبنا المسيحى على أن يكون تصرفهم على غير ذلك مع
المسلمين .

هـ - تشجيع الزواج فى السن المبكرة بتخفيض تكاليفه ، وذلك بتخفيض رسوم فتح الكنائس
ورسوم الكهنة بالكنائس الكاثوليك بالأحياء الشعبية .

و - تحرم الكنيسة تحريما باتا على أصحاب العمارات تأجير أى مسكن أو شقة أو محل تجارى
للمسلمين ، وتعتبر من يفعل ذلك من الآن مطرودا من رحمة الرب ورعاية الكنيسة ، كما

يجب العمل بشتى الوسائل على إخراج المسلمين الذين يسكنون العمارات والبيوت

(١) لقد كان الفتح الإسلامى لمصر تحريرا من طغيان القياصرة بدليل أن رؤساء القبط كانوا
طليعة القوات الإسلامية التى كانت تتعقب فلول الروم . يقول جيبون : لقد كانت نفوس الأهلين
تتوق لهلاك التروم الظالمين وطرد هم من البلاد فلم يدخروا وسعا فى مد يد العون
ماديا وعسكريا لهم . ويقول أميل لود ويچ فى كتابه (النيل) : لقد استقبل أقباط مصر جيوش
العرب والمسلمين استقبال المنقذين لاستقبال الغزاة الفاتحين ، ومضى عمرو فى زحفه مؤيدا
بالشعب القبطى الذى أرهقه حكم البيزنطيين ، وسلطة الكنيسة التى مكنته للأشراف
فى ركوبه للاضطهاد . وفيما عدا الجزية فإن عمر أبى العاص لم يفرق فى المعاملة بين الفريقين
وقد أعلن حمايته لكل الأديان (انظر معاول الهدم والتدمير فى النصرانية والتبشير ص ٢٥)

المملوكة لشعب الكنيسة وهذه السياسة الإسكانية إذا استطعنا تنفيذها بقدر الامكان ، فإن من شأنها تشجيع الزواج بين الشباب المسيحي ، وتضييقه بقدر الامكان على المسلمين ، مما يكون له أثره الفعال للوصول إلى هذا الهدف حيث لا يخفى أن الفرض من هذه القرارات هو انخفاض معدل الزيادة بين المسلمين وارتفاع هذا المعدل بين الشعب المسيحي .

٢- انتشار شعب الكنيسة :

إن المال يأتينا كما نطلب وأكثر مما نطلب من ثلاثة مصادر هي : (أمريكا ، والحبشة ، والفاتيكان) ولكن يجب أن يكون الاعتماد الأول في تخطيطنا الاقتصادي على مالنا الخاص الذي نجعله من الداخل ، وبالتعاون والزيادة من فعل الخيرين أفراد الشعب المسيحي كذلك يجب الاهتمام بشراء الأراضي وتنفيذ القروض والمساعدات لمن يقومون بذلك لمساعدتهم على البناء ، وقد أثبتت الاحصاءات الرسمية أن أكثر من ٦٠٪ من تجارة مصر الداخلية بأيدي المسيحيين ويجب العمل على زيادة هذه النسبة ، وتخطيطها في المستقبل . يركز على افقار المسلمين ونزع الثروة من أيديهم ، وبالقدر الذي يؤدي إلى إثراء شعبنا .

لذلك يلزم المداومة على تذكير شعب الكنيسة والتنبيه لهم مشددا من حين لآخر لمقاطعة المسلمين اقتصاديا والنهي عن التعامل معهم نهيا تاما ، إلا في الحالات المستحيلة وذلك بمعنى مقاطعة المسلمين ممن هم في سلك المحاماة ، والمحاسبين ، والمدرسين ، والأطباء ، والصيادلة وكذلك مقاطعة العيادات ، والمستشفيات التي يملكونها والمحلات التجارية ، والجمعيات الاستهلاكية فيما أمكن ، وما دام يمكن التعامل مع شعب الكنيسة لسد حاجاتهم وكذلك مقاطعة صناع المسلمين وحرفييهم والتعامل مع الصناع والحرفيين المسيحيين ، ولو كلف ذلك الفرد الجهد والمشقة ، ان هذا الأمر مهم جدا وخطير بالنسبة للتخطيط المالي والتخطيط العام على المدى القريب والبعيد .

٣- الجانب التعليمي :

انه يجب بالنسبة للتعليم العام للشعب المسيحي الاهتمام بالسياسة التعليمية حاليا ففى الكنائس مع مضاعفة الجهد ، خاصة وأن بعض المساجد بدأت تقوم بمهام تعليمية كالتي تقوم بها كنائسنا وذلك سيجعل مضاعفة الجهود المبذولة أمرا حتميا حتى تستمر النسبة التي نحصل عليها من مقاعد الجامعات وخاصة الكليات العلمية .

انى اذ أهني شعب الكنيسة وخاصة المدرسين منهم بهذا الجهد وهذه النتائج حيث

وصلت نسبة الوظائف الخطيرة العامة كالطب والهندسة والصحة إلى أكثر من ٦٠ ٪ من الشعب المسيحي فإننى أدعو لهم الرب يسوع المخلص أن يمنحهم بركاته ، وتوفيقه حتى يواصلوا الجهد لزيادة النسبة فى المستقبل القريب .

٤- التبشير:

يجب مضاعفة الجهود التبشيرية الحالية على أن الخطة التبشيرية التى وضعت بنيت على أساس أن الهدف الذى اتفق عليه من التبشير فى المرحلة القادمة هو التركيز على التبشير بين الفئات والجماعات أكثر من التبشير بين الأفراد ، وذلك لزيادة أكبر عدد من المسلمين عن دينهم ، أو عن التمسك به ، على أن لا يكون من الضرورى دخولهم فى المسيحية ويكون التركيز فى بعض الحالات على زعزعة الدين فى نفوس المسلمين وتشكيك الجموع الغفيرة فى كتابهم وفى صدق محمد ، وإذا نجحنا فى تنفيذ هذا المخطط التبشيرى فى المرحلة القادمة فإننا نكون قد نجحنا فى إزالة هذه الفئات عن طريقنا ، وحتى هذه الحالة إن لم تكن لنا فلن تكون علينا .

على أن يراعى فى تنفيذ هذا المخطط أن يتم بطريقة لبقة ذكية حتى لا يكون ذلك سبباً فى إثارة حفيظة المسلمين ، ويقظتهم ، والخطأ الذى حدث فى المحاولات التبشيرية الأخيرة بنجاح مبشرين فى هداية بعض المسلمين ، لأن ذلك من شأنه تنبيه المسلمين ويقظتهم ، وهو أمر قد ثبت من تاريخهم الطويل معنا أنه ليس بالأمر الهين ، وهذه النقطة بالذات من شأنها أن تفسد علينا مخططاتنا المدروسة ، وتؤثر فى نتائجها وتضيع جهودنا هباءً .

لذلك فقد أصدرت التعليمات بهذا الخصوص ، وستنشر فى جميع الكنائس ، لكى يتصرف الجميع من شعبنا مع المسلمين . بطريقة ودية لا تثير غضبهم ، وإقناعهم بكذب هذه الأنبياء ، كما تم التنبيه على رعاة الكنائس والآباء والقساوسة لمشاركة المسلمين احتفالاً بتهمة الدينونة وتهنئتهم بأعيادهم وإظهار المودة والمحبة لهم ، وعلى شعب الكنيسة فى المصالح والوزارات والوؤسسات وكل أماكن الاحتكاك إظهار هذه الروح لمن يخالطونهم من المسلمين .

إننا إن ننتهز ما هم فيه من نكسة ومحنة لأن ذلك فى صالحنا ولن نستطيع إحراز أية مكاسب ، أو أى تقدم إذا انتهت المشكلة مع إسرائيل سواء بالسلم أم بالحرب . . . ليعلم الجميع وخاصة ضعاف القلوب أن الدول الكبرى فى العالم تقف وراءنا ، ولسانعمل وحدنا

ولا بد أن نحقق الهدف، ولكن العامل الأول والخطير في الوصول إلى ما نريد هو وحدة شعب الكنيسة وتماسكه وترابطه، ولكن إذا تبدت هذه الوحدة، وهذا التماسك فلن نكون هناك قوة على الأرض مهما عظمت في إمكانها أن تساعدنا.

وسوف لا أنسى موقف هؤلاء الذين يريدون أن يفتتوا وحدة شعب الكنيسة، وعليهم أن يبادروا فوراً بالتوبة وطلب الغفران وانصفتح، وألاً يعودوا لمناقشة ومخالفة أوامرنا وتشريعنا والرب يغفر لهم.

ثم صرح بعدد المطالب التي سيتقدم بهارسميا للحكومة وهي :

- ١- أن يصبح مركز البابا الرسى في البروتوكول السياسي للدولة بعد رئيس الجمهورية وقبل رئيس الوزراء.
- ب- أن يخصص لهم ثمانى وزارات في الوزارة
- ج- أن يحدد لهم ربع القيادات العليا في الجيش والبوليس
- د- أن يخصص لهم ربع القيادات المدنية لرؤساء مجالس المؤسسات، والشركات، والمحافظين ووكلاء الوزارات والمديرين ورؤساء مجالس المدن.
- هـ- أن يؤخذ رأى البابا عند شغل هذه النسبة في الوزارات والمراكز العسكرية والمدنية الرئيسية وسيكون له حق ترشيح بعض العناصر والتعديل.
- و- أن يسمح لهم بإقامة إذاعة خاصة بهم من تمويلهم الخاص.
- ز- أن يسمح لهم بإقامة جامعة خاصة بهم، وقد وضعت الكنيسة بالفعل تخطيط هذه الجامعة، وهي تضم المعاهد اللاهوتية والكليات العملية والنظرية، وتمول من مالهم الخاص وأخيراً ختم حديثه بتبشير الحاضرين، وطلب منهم نقل هذه البشرى إلى شعب الكنيسة حيث إن أغلبهم الأكبر في عودة البلاد والأراضي إلى أصحابها من أيدي (الغزاة العرب) قد بات وشيكاً وليس في هذا أية غرابة، وضرب لهم مثلاً بأسبانيا النصرانية التي ظلت بأيدي المستعمرين المسلمين قرابة سبعة قرون ثم عادت لأصحابها النصراني، وقال: ونسى التاريخ المعاصر عادات أكثر من بلد لأهلها بعد أن طردوا منذ قرون عديدة (يقصد إسرائيل^(١))

(١) الاستاذ ابراهيم سليمان الجيهان، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ص ٢٤ - ٣٢ ط الثانية ١٣٩٨/١٩٧٨ مطابع الريل.

وما يدل على صدق نسبة هذه الوثيقة إلى الأنبا شنودة إشارة الهيئات الرسمية المصرية إليها، حيث أشارت تحريات المحكمة إلى أن بابا الأقباط جمع الطوائف المسيحية للمطالبة بتعديل المادة ٢ من الدستور، ووقع على الطلب، كما أشارت صورة مضبطة مجلس الشعب بتاريخ ٢٨ / ١١ / ١٩٧٢ المحتوية على تقرير لجنة تقصى الحقائق عن الحوادث الطائفية بالخانكة إلى أن الناس تناقلوا أخبار تقرير عثرت عليه جهات الأمن الرسمية نتج عن اجتماع عقده الأنبا شنودة في ١٥ / ٣ / ١٩٧٢ بالكنيسة المرقسية بالاسكندرية وقد صيغ على نحو يوهي بصحته كتقرير رسمي، وتضمن أقوالا نسبت إلى المطريك في هذا الاجتماع كما أشارت التحريات إلى صورة مذكرة الكنيسة القبطية التي قدّمها المجلس المقدس بخصوص حد الردة جاء فيها ما يلي :

(إننا أمام ضمايرنا لن نستطيع أن نقبل مشروع هذا القانون - يقصد قانون حد الردة - ولن نخضع له إذا نفذ . وبحكم ضمايرنا سنسعى وراء كل مسيحي ترك مسيحيته لكي نرد إليها^(١) مهما حكمت مواد هذا القانون بالقتل على التحريض ونحن مستعدون أن ندخل في عصر استشهاده جديد من أجل ديننا والشباب فيه ، ولن يلومنا أحد لأن هذا هو عملنا كرعاة وآباء بل تلومنا ضمايرنا إن تركنا إنسانا نيرتد عن مسيحيته دون أن نحاول إرجاعه)

وأشارت مضابط المحكمة إلى صورة قرار المجلس الأعلى العام بجلسته بتاريخ ٢ / ٢ / ١٩٧٥ بضرورة تشييل الأقباط باللجنة المركزية وتشكيلات الاتحاد الاشتراكي^(٢) .

كانت هذه الأسباب ضمن أسباب كثيرة فضحت مخطط الأقباط بمصر وأدت بالتالي إلى أن يصدر رئيس الجمهورية المصرية قراره رقم ٤٩١ بتاريخ ٢ / ٩ / ١٩٨١ القاضي بإيقاف قراره الجمهوري رقم ٢٧٧٢ لسنة ١٩٧١ الخاص بتعيين بابا الاسكندرية بطريكة للكراسة المرقسية وتشكيل لجنة من خمسة أساقفة للقيام بمهام البطريك^(٣) ولم يكن مخطط الأقباط مقصوراً على مصر وحدها بل مخططهم يشمل السودان كذلك والمنطقة العربية كلها والخطاب الذي أرسله أحد زعمائهم إلى زميلة له في العمل لتنفيذها تكشف ذلك ، وهذا نصها :

(عزيزتي/أيضيس: تحية الرب الربّ حافظك بعنايته وبعد - الحمار الكبير دخل المصييدة والانحرافات بدأت تعم المجتمع وسياسة التجويع التي اتبعناها اتبعت سياسة الانفتاح

(١) يعني هذا القرار العمل على تنصير المسلمين المصريين لأنهم كانوا نصارى سابقا

(٢) انظر نبيل عبد الفتاح ، المصحف والسيف صراع الدين والدولة في مصر ، ص ٢٤٧ .

(٣) المقدر السابق ص ٢٤٥

ساعدتنا الآن على التحكم في مصادر التمويل لأية نشاطات تجارية أو عمرانية مما يوجب علينا الآن إقامة المجتمع القوي الفرعوني العظيم تحت راية الصليب التي ستعم أرض النيل من شماله لجنوبه قريباً قريباً جداً .

(فبعد وفاة فرعون العروبة وإلى الآن لم تتعرض تصرفاتنا أو مدارسنا أو النشاطات في كنائسنا لأي تحرش أو مضايقة . والآن أصبحنا نفرض الضرائب على أنفسنا (طوعية) لنقوى من شوكة المجتمع ولتكون لنا أرض صلبة نقف عليها داخلياً وخارجياً ، ولكن في بعض الأحيان نسمع نهيقاً هنا وهناك كالشيخ كشك وأتباعه ولكنها تضع أذراج الرياح .

(والآن بفضل الرب لدينا الملقن والأمر وأصحاب الرأي لاستنباط الأحكام ولدينا الآن المحكمة العليا بقواعدها ودستورها ولم يبق إلا نقل تلك اللوائح إلى الجنوب ، وكان حزب النفس والظهور والسيطرة والجشع من أهم مميزات مسلمي مصر الأمر الذي جعلهم ينقسمون أحزاباً وشيعاً يحتكرون الآيات التي تصبغ عليهم الشرعية ولا شرعية ، ويفترون على الرب كذباً وعدواناً بأنه مؤيد لهم وناصرهم .

(والذين يدعون بالأخوان المسلمين نالتهم يد السلطة الحالية وحصدت من نشاطهم

وأكلتهم الفول بدون ملح ، وهم الآن يصيحون ولا يجيب .

(ومما يجدر ذكره أن حركتنا الآن موجودة فعلاً تحت ستار شركة تمويل عالمية اسمها

Jewish Fina WCIS وتسيطر مباشرة أو بالتوجيه على ما لا يقل عن

ثلث مال هذا العالم وستقوم قريباً بردع النظم والحكومات التي لا تتماشى سياستها وسياستنا

العالمية ، وليكن في علمك أننا حكومة عالمية حقيقية تعمل معنا وكالات المخابرات العربية

ونظمها وصحافتها التي يهيمن عليها الآن مناصرون لنا من يهود وغيرهم بما فيهم جماعة

السهرريين التي لا يعلمها إلا القليل فاحفظي ما يلي :

١- المعجزات لا تحدث كل يوم

٢- كل من يتعدى تعاليمنا يستحق الموت

٣- الرجل الذي في سلته خبز ليس كمثل الذي لا شيء في سلته

٤- الأجدربك أن تكوني رأس أسد من أن تكوني رأس ثعلب

٥- تذكرى صديقك له صديق وصديق صديقك له صديق فكوني حليفة في كتم أسرارك .

٦- الديك واليوم كلاهما ينتظر الفجر ، يقول الديك لليوم إن النور ينقص ولكنها لم تنتظر .

(وهاهى إسرائيل اليوم أو غداً ستدخل مصر وهو بلا شك نصر مؤزر لنا .

لنا الآن القاعدة الأساسية ، لنا أحكامنا الخاصة ، لنا حياتنا الخاصة ، بعيدون عن هؤلاء الفوغائيين ، وحكامهم ، قريباً سيلتف حبل المشنقة حول أعناقهم وسيترفع الصليب عالياً في سماء مصر بفضل مساندة السهريين ، وسنعلنها حكومة صليبية في كافة أنحاء العالم الذى يدعى الآن بالعالم العربى ، فإسلامهم في القرن الأفريقى قد انكسر وحركتنا ففى جنوب الوادى (السودان) قائمة على قدم وساق كما فى الشمال ، يوجد فى الجنوب الاتصال ، الاتصال مباشر ، كذلك ظهرت الدولة المارونية فى لبنان ترسل لهم المساعدات رجالاً للحرب وحكيماً ، وفى سوريا والعراق والأردن حركة صليبية عالمية تتحكم الآن ففى رقاب العباد هناك ، لن نسمح لمنظمة التحرير أو أى فلسطينى هناك بحمل السلاح أو القيام بأى نشاط مهما كان نوعه ليعيد نشاط الإسلام والمسلمين فى تلك المناطق والبلاد ، بل إن الصليب حكماً فى رقاب العباد والبلاد (قريباً سأرسل إليك أكثر تفصيلاً أكتبى بالى عن نشاط المجموعة لديك حاولى تجنيد أكبر عدد من مناصرينا ، اتصلى بالمســـــــــــــــــتر

- Dmahews Dr. Chorley - وعنوانه لديك فى أية

مساعدة مالية أو سياسية أو غيرها فهو على أتم الاستعداد لتنفيذ تعليماتك ، عند انتقالك من السكن الحالى إلى المقر الجديد فى (هامستن) اتصلى بى لتحويل الرسائل إلى هناك وإن النصر المؤزر لقريب .

ملاحظة : (الآن أصدرنا مرسوماً بإعلان الأخطاء والتعاليم الواردة فى القرآن ، وسنرسم قواعد وممارسة ومصادرة أعداد من نسخه كما سنفرض رقابة على طبع نسخ جديدة منه ، والآن صدر مرسوم ثان بوضع علامة على كل منتسب لنا للتمييز ، كما أعلن لك بأن المساجد المسلمة هى بمستوى القاذورات وأن الواعظين فيها أشبه بالكلاب النابحة ، وأن قتل المسلم من الأمور المأمور بها ، وأن العهد من المسلم لا يكون عهداً صحيحاً يلزم المسيحى القيام به . وأن من الواجب علينا أن نلعب ثلاث مرات رؤساء المذاهب الإسلامية وجميع الملوك والرؤساء والأفراد الذين يتظاهرون بالعداوة ضدنا .) انتهت (١)

هكذا يخطط الأقباط أو يخطط لهم للاستيلاء على مصر والسودان وهذه الوثيقة تكشف

هذا المخطط الأثيم فهل ينتبه المسلمون قبل فوات الأوان ؟!

(١) نشرت هذا الخطأ ب مجلة المجتمع الكويتية فى عدد ها رقم ٦٥٤ بتاريخ ٧ يونيو ١٩٨٣ ص ٢٩ / ٢٨

أرى خلل الرماد وميض نـار
فان النار بالعودين تزكو
ويوشك أن يكون لها ضرام
وان الحرب أولها كلام
فما تقدم يتضح أن أمهات النشاط الكنسى فى السودان بل فى أفريقيا والعالم
الإسلامى هى الكنيسة الكاثوليكية ، والإرسالية الانجليزية والأمريكية والارثوذكسية تتبعها
مؤسسات كنسية ثانوية .

الارساليات الثانوية العاملة فى السودان - وأغلبها بروتستانتية :

١- ارسالية أرض أفريقيا African Island Mission.

ومقرها تورنتو بكندا .

٢- ارسالية السودان المتحدة Sudan United Mission.

تكونت فى بريطانيا سنة ١٩٠٤

٣- ارسالية السودان الداخلية The Sudan Internal Mission.

(١)

ومقرها أيضا تورنتو بكندا .

لهذا
هذه الإرساليات ركزت نشاطها على الجنوب والغرب واكتفت بوجود رموزها فى العاصمة .
كذلك أنشأ (ونجت Wingate) حاكم السودان العام الذى خلف كتشنر
كنايس الجاليات التى ابتدأت نشاطها بين أبناء الجالية بيد أنها شرعت تدريجيا فى ممارسة
النشاط بين الوافدين ثم مدته إلى مناطق التخلف ، ومن هذه الكنائس كنيسة الأرمن
الكاثوليكية .

الكنيسة الأثيوبية البطريكخانة المارونية ، وحتى اليهود أنشأوا لهم مجمعا كنسيا
بالخرطوم سنة ١٩٠٨ يقوم بخدماهم ويتولى إدارته حبر الاسكندرية (٣) ثم امتد نشاطهم إلى
جنوب السودان فأقاموا كنيسة بجوبا عاصمة الاستوائية . تسمى كنيسة الادفنتست السبعية (٣)

وهى كنيسة أمريكية تسير وفق أهداف الماسونية العالمية ، وتشق مع سياسة الصهيونية فيما
يختص بمجيء المسيح وبناء الهيكل (٤)

كما توجد بجانب هذه الارساليات الرئيسية منظمات فرعية كثيرة نذكر بعضها على سبيل المثال :

(١) انظر التبشير فى العاصمة ص ٧

(٢) The Sudan under Wingate P. 112

(٣) رحلة ميدانية Seventh day Adventest Church of the Sudan.

(٤) ابراهيم خليل أحمد ، الاستشراق والتبشير وصلتهما بالامبريالية العالمية ص ٢٧
مكتبة الوعي العربى ، بدون تاريخ .

منظمات كسبية ذات نفوذ واسع في السودان :

(أ) مجلس الكنائس العالمي : The World Council of the Churches

وهو تنظيم مسيحي مقره جنيف يجمع كل الكنائس ما عدا الكاثوليكية، ويعتبر هذا المجلس قوة ذات نفوذ عالمي ومن أهم نشاطاته الإشراف على المؤسسات التبشيرية ومساعدة اللاجئين والإشراف على البحوث الاجتماعية والدينية^(١) ورصد تحرك الإسلام والمسلمين^(٢) وقد قدم العمون للمتمردين في جنوب السودان في الحرب الأهلية الدائرة الآن وكان عنصرا هاما في اتفاقية أديس أبابا سنة ١٩٧٢ كما كان لمجلس الكنائس العالمي موقفه المناهض ضد العرب في فلسطين وللمجلس مقر بالخرطوم كما له وكالة متخصصة في شؤون الاغاثة بالسودان.^(٤)

(ب) مجلس الكنائس الأفريقي :

وهو شبيه بمجلس الكنائس العالمي إلا أن نطاقه ينحصر في أفريقيا، وهو محاولة لإنشاء كنيسة قارية تهتم بشئون قادة أفريقيا ولإدارة بالخرطوم^(٥) واشترك مع مجلس الكنائس العالمي في اتفاقية أديس أبابا لحمل مشكلة الجنوب.^(٦)

(ج) مجلس الكنائس السوداني :

وهو الذي يقوم بتنظيم أعمال الكنائس في السودان وله ارتباط بكل من مجلس الكنائس الأفريقي والعالمي وهو عبارة عن سكرتارية دائمة للمجلسين فله الدعوة للاجتماعات للنشاطات الكسبية المشتركة والإشراف عليها.^(٧)

(د) جمعية أفريقيا للتبشير :

من الجمعيات التي عملت بالسودان بعد حتى سميت (بجمعية أبناء القلب المقدس) أنشأ هذه الجمعية كمبوني سنة ١٨٦٧ وعرف المبشرون التابعون لها بـ (أبناء فيرونا)* وللجمعية مراكز لتدريب المبشرين في كل من الولايات المتحدة الأمريكية وإنجلترا وإيطاليا وأسبانيا وأثيوبيا وألمانيا وأبها مراكز متعددة في أقطار أفريقيا منها مصر والسودان.^(٨)

(١) التبشير في أفريقيا ص. ٦

(٢) نفس المصدر ص ٤٨

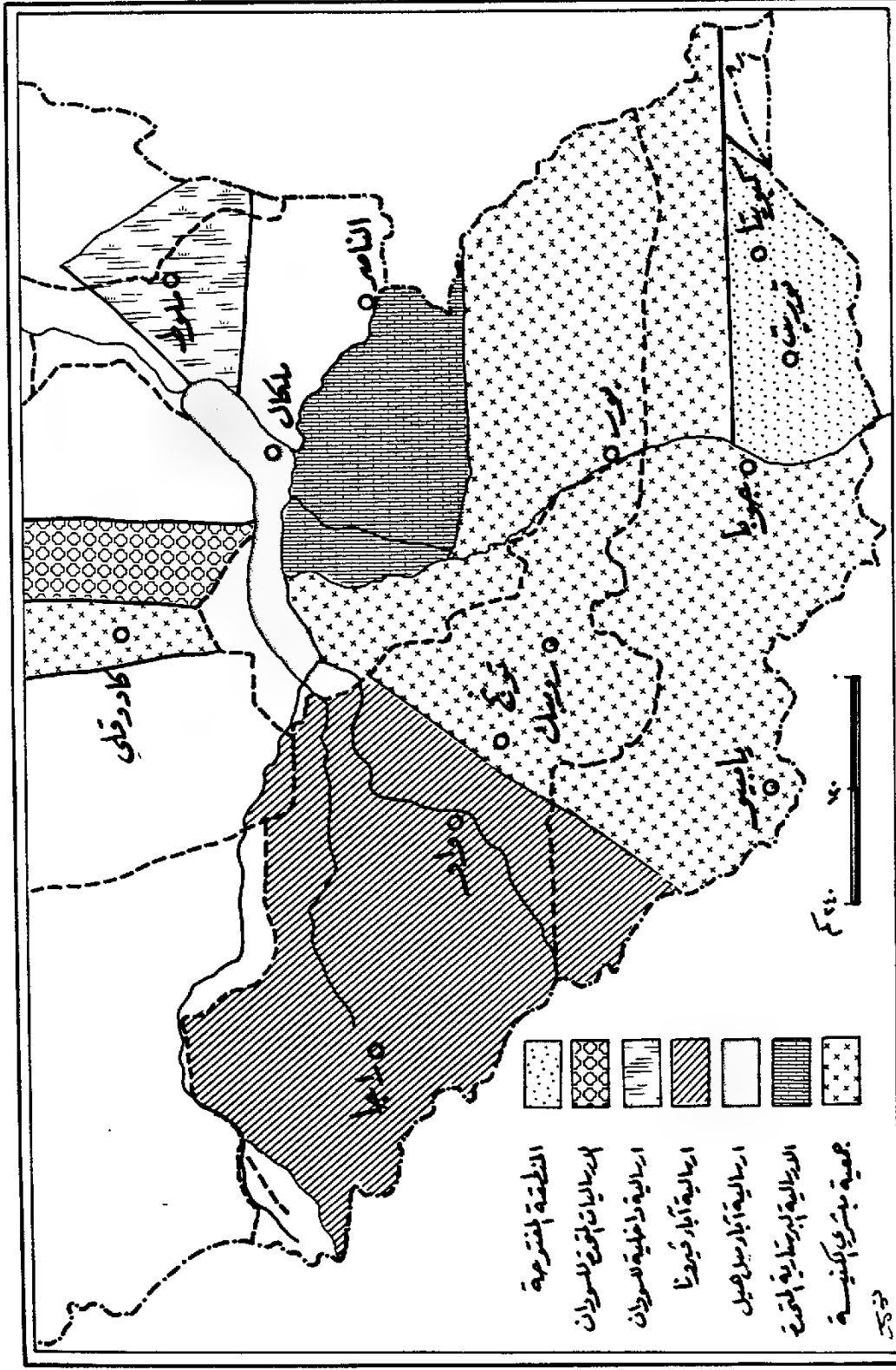
(٣) و(٤) و(٥) انظر التبشير في العاصمة المثلثة ص ٧.

(٦) انظر مقالة لاستاذ تموتى سى نابوك ص ١٢٤

(٧) انظر التبشير في العاصمة المثلثة ص ٧

* نسبة لهم بمدينة فيرونا بشمال إيطاليا

(٨) انظر التبشير النصراني ص. ١٠



المصدر: Sudan Government (1928) Annual Report of the Education Department

د. عبدالمعطي سعودي من أفرودنت منطقة جنوبية السودان.

تحديد مناطق نفوذ الإرساليات:^(١)

اشتد ضغط الإرسالية البريطانية على الإدارة لتفتح مجال التصير بين المسلمين فكذب كرومر في ٧ من مارس سنة ١٨٩٩ إلى كتشنر بالموافقة للإرساليات بإنشاء مرافق تبشير طبية وتعليمية مع الموافقة التامة للإرساليات لتباشر مهامها التبشيرية جنوب خط عرض عشرة شمالا فبدأ الصراع بينها في جنوب السودان مما اضطر (ونجت) حاكم عام السودان أن يصدر قرارا يحدد فيه مناطق النفوذ لكل إرسالية في جنوب السودان .

(أ) الإرسالية الأمريكية الانجيلية:

خصص لها الضفة الشرقية للنيل الأبيض بمديرية أعالي النيل^(٢) . وتضم هذه الرقعة نهر سوبات وبحر الزراف، ويحدها جنوبا خط عرض خمسة شمالا ، وشرقا الحبشة ويحدها من الغرب مناطق نفوذ الإرسالية البريطانية التي سيرد بيانها في رقم (ج) .

(ب) الإرسالية الكاثوليكية:^(٣)

خصصت لها الضفة اليسرى^(٤) (الغربية) للنيل الأبيض بمديرية أعالي النيل حتى جنوب كوك بنفس المديرية والجزء الأكبر من مديرية بحر الغزال ما عدا ريمييك

(ج) الإرسالية الانجليزمية:

ومجال تبشيرها مناطق الضفة الغربية للنيل الأبيض بالمديرية الاستوائية ، ومنطقة بحر الجبل ، والمنطقة المتوسطة لنفوذ الجمعيتين الأمريكية والكاثوليكية .

أما الضفة الشرقية للنهر من نفس المديرية فتشمل إقليم اللاد والذي كان تحت نفوذ ملك البلجيك لأنه كان (مستعمرة بلجيكية) أطلق عليه مستعمرة الكنفو الحرة ثم آل إلى حكومة السودان سنة ١٩١٠ م بعد موت ملك البلجيك فطالبته به كل من الإرسالية الكاثوليكية والإرسالية البريطانية فقرر ونجت تقسيمه بين الإرساليتين واسترضى الإرسالية البريطانية بمنطقة الزاندي وبحر الغزال^(٥)

(د) أما جميع المناطق التي تقع شمال خط عرض عشرة وهي السودان المسلم فقد وافق القرار على أن تحتفظ كل إرسالية بمنطقة نفوذها سابقا ، وبموجب هذا انقرار المعروف

(١) انظر شكل رقم (٤)

(٢) انظر تاريخ المسيحية ص ٢٤٧

(٣) انظر التبشير النصراني ص ٧٨

(٤) انظر شكل رقم (٥)

(٥)

بـ) (تحدد مناطق الإرساليات) أصبح لكل كنيسة حتى لا يسمح لكنيسة أخرى بانتهاكه للعمل التبشيري أو تواجعه ، ويعد زمن ليس بالقصير سمحت السلطات لرجال الكنائس بزيارة رعاياهم الذين ليسوا في منطقة نفوذهم .^(١)

وبالرغم عن كل هذه التنازلات من جانب الإدارة لم تكن الإرسالية البريطانية راضية عن سياسة الحكومة التي حرمتها من العمل التبشيري الصريح وسط المسلمين مما يدل على أن هدفها ليس هو نشر الإنجيل كما يزعم مبشروها ، وإنما تريد أن تشفى حقد هـا الصليبي الذي حرك كوامنه مقتل غردون في الغرب بصفة عامة وفي إنجلترا بصفة خاصة ، والذي عبر عنه رائد هـا (جوين) بإقامة أول قداس لميلاد المسيح بعد سقوط امدرمان مباشرة في مبنى محمد أحمد المهدي كما عبر عنه محرر جريدة التايمز بقوله :

.. ان المبشرين حقا قد سمح لهم بإنشاء مراكز تبشير تعليمية وطبية في الخرطوم ، إلا أن نشاطهم الديني قد انحصر في نطاق الوثنيين ، وقد قدمت لهم التسهيلات للتقدم إلى فاشودة حيث سيكونون أحرارا في تنصير الزنوج الوثنيين في الجنوب .

إن فاشودة تمثل صحراء سيبيريا بالنسبة للسودان ، ولكن ترسل إلى فاشودة يعنى إرسالك إلى خارج نطاق مجتمع السودان .

إن صراعنا الطويل ليس مع السود وإنما مع العرب وأنصار المهدي الذين قتلوا غردون فكان لابد من شفاء هذه الضغينة^(٢) .

فهؤلاء الصليبيون قتلوا عشرات الآلاف بحجة الثأر لغردون ، وقبعوا على صدر الأمة أكثر من نصف قرن يعتصون دماءها وخيراتها ، واستعملوا أبشع الوسائل لقمع الإسلام والمسلمين وكل ذلك لم يشف لهم غليلا لأن مكايدهم ما زالت مستمرة حتى اليوم في شمال السودان وجنوبه وصدق الله العظيم القائل : (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق)^(٣) والقائل : (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم)^(٤)

ولقد اتخذت هذه المؤسسات الكنسية وسائل متعددة للتنصير في بلاد المسلمين ، فوجدت في التبشير بالتعليم والتطبيب أنجع الوسائل التنصيرية ، فكرسوا جهودهم فيها فهدموا بهما في نصف قرن ما لم تستطع الحروب الصليبية هدمه في عدة قرون ، حيث أفسدوا عقول النش ففسدت عقيدتهم فصاروا حربا على الإسلام والمسلمين .

(١) تاريخ المسيحية ص ٢٦١

(٢) التبشير النصراني ص ٧٧/٧٦

(٣) البقرة الآية ١٠٩

(٤) البقرة الآية ١٢٠

الفصل الثانى

سياسة الاستعمار التعليمية وعلاقتها بالتنصير

المبحث الأول : أثر الثقافة المصرية على السودان

ذكرنا أن السودان ظل يتأثر بالثقافة المصرية عبر القرون ، وأكبر شاهد على هذا التأثير أن السودان عرف المسيحية والإسلام عن طريق مصر كما تقدم ، ومنذ دخول الإسلام شهدت البلاد ثقافة جديدة ، وهى الثقافة الإسلامية ، وأصبحت لغة القرآن ، هى لغة السكان ، كما ظل التعليم الدينى أمراً لازماً للمسلم إن يتعين عليه حفظ جزء من القرآن من أجل عبادته ، الأمر الذى يدفعه لمعرفة القراءة والكتابة ^(١) ، وقد ذكر (بور كهارت) الذى زار منطقة الشايقية سنة ١٨١٣م أن عدداً كبيراً من الشايقية يعرفون القراءة والكتابة ، كما لاحظ بأن العلماء منهم كانوا يحظون بالاحترام الزائد من قبل المواطنين ، وكانت تدرس مع علوم الدين علوم الرياضيات والفلك ^(٢) . وزاد ارتباط السودان بالعالم الإسلامى فى عهد سلطنة الفونج الإسلامية ، حيث استقدموا العلماء من مصر وشمال أفريقيا ، والحجاز وأغدقوا عليهم العطاء ، فانتشرت تعاليم الإسلام من قراءة وتفسير ، وتوحيد ، كما انتشرت خلاوى القرآن فى القرى والحضر ، بجهود المشايخ الذين وفدوا على السودان وفى مقدمتهم غلام الله بن عائذ الركابى وأبناءؤه ممن بعده ^(٣) وكانت المساجد مراكز للتعليم جميعه وعندما ازداد عدد التلاميذ أنشئت الخلاوى بجوارها لتستوعب طلاب العلم ، وهكذا استطاع العلماء والفقهاء فى عهد الفونج أن يقدموا للسودان نوعاً من التعليم ملائماً لظروف البلاد واحتفظ بطابعه الإسلامى حتى بداية الحكم التركى سنة ١٨٢١ وحظى باحترام الوالى المصرى محمد على باشا عند زيارته السودان سنة ١٨٣٩/٣٨ فتودد للمواطنين باحترام تعليمهم السائد وأجرى العطايا والتهبات على المشايخ ، والمساجد والخلاوى المنتشرة فى أنحاء البلاد ، وزاد الاقبال على الأزهر لسلامة الطريق وأمنه وتأسيس رواق السنارية به سنة ١٨٤٦م . وبجانب هذا كانت زيارة الوالى المصرى بداية لادخال التعليم الحديث ، حيث نصح وجهاء السودان بأن يرسلوا أبناءهم إليه ليعلمهم أحدث الطرق الزراعية ^(٤) وأكد لهم أنه سيعاملهم معاملة أبناءه ، وبهذا الترغيب وفد

(١) انظر عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، ص ٤٤٧ ، بدون ذكر المطبعة ولا التاريخ

(٢) انظر تطور التعليم فى السودان ، ص ٣٣ نقلاً عن بركهارت ، ج ١ . رحلات فى أرض النوبة ص ٧٠ لندن سنة ١٨١٩

(٣) المصدر السابق ص ١٠

(٤) انظر عبد العزيز أمين عبد الحميد تاريخ التربية فى السودان ج ٢ ص ١٦ ، ط الاميرية ١٩٤٩

إلى مصر ستة من أبناء الوجهاء فأمر محمد على بمعاملتهم معاملة حسنة ، وأمر بأن يكون على علم بأحوالهم وما يتم في أمرهم ، وبالفعل تم قبولهم في المدرسة التمهيدية التي فتحت سنة ١٨٢٥ ، لتعد التلاميذ لمدارس الطب ، والهندسة ، والمساحة ، والفرسان ، والبحريّة ، بالإضافة إلى التخصص في بعض اللغات ، وكانت المدرسة الزراعية التي أوصى محمد على بإعداد الطلبة السودانيين لدخولها إحدى هذه المدارس المتخصصة التي تقبل من المدارس الثانوية ويذكر رفاعة رافع الطهطاوى الذى كان مديراً لمدرسة الألسن في القاهرة ان مجموعة الطلبة السودانيين بعد أن تخرجت في مدرسة الزراعة ، تحولت إلى مدرسة الألسن ، وكان القصد من التحول على حد قول رفاعة أن يذوقوا طعم المعارف والتدوين لينشروها في بلادهم^(١) ، أما المحاولة الأخرى فقد جرت على يد الخديوى عباس سنة ١٨٥٠ حيث فتح أول مدرسة على النمط الغربى في السودان ، واختار لنظارتها رفاعة الطهطاوى الذى كان يرى في اختياره لنظارتها نفعاً له عن مصر ، وليس تقديراً لخدماته ، ولذا لم تستمر طويلاً إن أغلقت أبوابها بعد نهاية حكم عباس . وغادر رفاعة إلى القاهرة .

وكان حكام السودان موسى حمدى جاداً في تعليم أبناء العلية من السودانيين على النمط الغربى ، فكتب إلى الخديوى محمد سعيد يستشير في فتح مدرسة ، فصادفت رغبته بداية حكم إسماعيل الذى كان مولعاً بالغرب وثقافته ، وبعد شهر فقط من استيلائه على أزمة الأمور على رسالة حاكم السودان بقوله : (بما أنه من أقصى الآمال انتشار حالة التمدن والرفاهية وحسن التواطن والعمارية ومن لزوم ذلك استحصال الرعايا على اكتساب العلوم ليمتازوا بها ، ويكونوا دائماً مجبولين على حب الوطن ومتشوقين لنوال ثروة الامتياز والتقدم في الفنون ، فلذلك قد سنح لخاطرنا لزوم تجديد وتنظيم مكتب على طرف المدير بالخرطوم بحيث يترتب به خوجات تركى عربى ممن يثبت مهارتهم في ذلك ليعلموا قدر خصمائه نغز تلامذة من أهالى تلك الجهات ، وأصدرنا أمراً هذا إليكم لتبذلوا مزيد اعتناكم في ترتيب ذلك المكتب وتعينوا بيان الدروس التي يلزم دراستها فيه على حسب ما يليق لأجل تحصيل ما ذكر مع إشهار ما يلزم من التشويق والترغيب إلى الأهالى في استحصال هذه الشرات المدنية . . .)^(٣)

(١) رفاعة الطهطاوى ، مناهج الالباب المصرية في مباحج الآداب المصرية ، ص ٢٦٣ ، ط القاهرة سنة ١٩١٢
(٢) لعله يقصد بالمصرية
(٣) انظر تاريخ التربية في السودان ، ج ٢ ص ٧٢-٧٦

وحثه على العناية القصوى بهذه المدرسة وتشويق الأهالى وترغيبهم فى التمدن ، وأخبره أنه على استعداد لفتح مدرسة أخرى إذا لم تكف هذه كما أنه على استعداد كذلك لإرسال مستلزمات التعليم ، وصادف هذا التشجيع هوى فى نفس حاكم السودان فأرسل خطة متكاملة لفتح خمس مدارس بحيث تكون لكل مديرية* مدرستها الخاصة ، مع الاحتفاظ بالعدد المحدد فوافق الخديوى على الخطة ووجه ديوان التعليم بالقاهرة ليزود السودان بما يلزمه من الأدوات التعليمية والكتب وأن يكون ذلك خصصا من مالية السودان^(١) واستمرت هذه المدارس فى أداء رسالتها حتى قيام المهدية . وكما أدخل الحكم التركى المصرى التعليم الغربى فى السودان فتح المجال للإرساليات ، حيث أصدر محمد على أوامره لولاياته فى الخرطوم بتقديم كل عون للإرساليات وإعفاءها من الضرائب^(٢) كما ساهمت فى نشر التعليم العلمانى مدفوعة بالحدق الصليبى تجاه الإسلام وبرغبة نشر النصرانية لا فى السودان فحسب ، بل فى أفريقيا عامة لموقع السودان فى وسطها^(٣) ، وكان أول الرواد فى هذا المجال القس لويجى منتورى الذى جاء هاربا من أثيوبيا لاضطهاد مطران الكنيسة الأثيوبية للكاتوليك وذلك فى سنة ١٨٤٢ فحصل على أرض وأقام عليها مدرسة وكنيسة وأخرى أقام فيها مقبرة نصرانية^(٤) .

أما كمبونى الذى جاء مبشرا إلى السودان سنة ١٨٥٢ فقد رأى أن اعتناق الوطنيين الأفارقة للنصرانية لا يتم إلا بواسطة قسيسين من جنسهم يدرسون لهذا الغرض ، وكان يسرى فى التعليم أنجع الوسائل لتحقيق ذلك ، ووضح رأيه هذا فى كتيب نشر فى عام ١٨٦٤ ، وفى عام ١٨٦٧ تم تأسيس معهدين لهذا الغرض فى (فيرونا) بإيطاليا أحدهما معهد ملان السود

يقوم بتعليم وتدريب القسيسين للعمل التبشيرى فى أفريقيا . وثانيهما معهد الأمهات الصالحات لأرض السود لتدريب الراهبات ، كما أسس كمبونى معهدين آخرين لنفس الغرض فى القاهرة^(٥) ، وفى عام ١٨٦٧ أسس فى فيرونا مدرسة خاصة بتربية من يرغب فى أداء العمل الرسولى فى أواسط أفريقيا^(٦) ثم أنشأ فى إيطاليا اتحاد الراعى الصالح للقيام بتقديم العون

* كانت المديريات آنذاك هى : الخرطوم ، بربر ، دنقلا ، التاكا ، كردفان

(١) انظر تاريخ التربية فى السودان ، ج ٢ ، ص ٧٢-٧٦

(٢) انظر محمد عمر بشير ، تطور التعليم فى السودان ص ٤٩

(٣) المصدر نفسه والصفحة

(٤) تاريخ المسيحية فى الممالك النوبية والسودان الحديث ص ٢٢٨ وانظر تطور التعليم

فى السودان ص ٦٩

(٥) (٦) انظر تاريخ المسيحية فى الممالك النوبية والسودان الحديث ٢٤٣/٢٤٢

المالى للتصير، وفى عام ١٨٧١ بدأت طلائع مشروعه تنخرط فى نشاط التعليم التنصيرى واتخذ من منطقة جبال النوبة بكرر فان مركزا لنشاطه ^(١) وأسس جمعية أخرى للراهبات فى عام ١٨٧٢ وبهذا كافأه البابا (بيوس التاسع) بلقب نائب رسولى وعينه رئيسا لرسالية أواسط أفريقيا وأعطاه السلطة لإعادة فتحها ^(٢)، وكانت خطته تهدف إلى القرب من جنوب القارة، وربط رساليات الروم الكاثوليك فى حوض النيجر بالرساليات الكاثوليكية فى شمال القارة، ففتح مدرسة (العبيد) فى كردفان سنة ١٨٧٣ وهو نفس العام الذى عاد فيه من إيطاليا إلى الخرطوم وفتح فيه مدرسة الخرطوم ^(٣)، ثم فتح بالأبيض مدرسة حرفية بلغ عدد طلابها فى عام ١٨٧٦ مائة وخمسين طالبا يتلقون التعليم فى مختلف الحرف، وفى عام ١٨٧٧ بلغ عدد التلاميذ بمدرسة الخرطوم خمسمائة طالب، ثلاثمائة منهم من البنين ومائتان من البنات أكثرهم من السودانيين ^(٤) وهى المدرسة التى بدأ بناءها (لنوبلخر سنة ١٨٥٣ وأتم هو بناءها سنة ١٨٧٨) وأقام أول مدرسة مهنية بالسودان ودفعت جهود هذه الخديوى لإسماعيل باشا أن يعطيه السلطة المطلقة ليحرر من يشاء من الذين ما زالوا يرزحون تحت نير العبودية، وذلك بمرسوم خديوى عال يمنع تجارة الرقيق فى جميع أشكالها ^(٥) كما دفع نجاحه فى حقل التعليم المبشرين غردون وجسى ^(٦) وأمين باشا الذين عينهم الخديوى حكاما للمديرية الجنوبية، أن يطلبوا منه تنظيم النشاط التنصيرى والتعليمى فى جنوب السودان ولكنه هلك سنة ١٨٨١ قبل أن ينفذ رغبتهم، وباندلاع الثورة المهدية فى البلاد (١٨٨٥-١٨٩٨) تم القضاء نهائيا على النشاط التنصيرى بأجمعه فى السودان كما سبقت الإشارة إلى ذلك ورجعت المهدية بالنظام التعليمى إلى ما كان عليه الحال قبل الحكم التركى المصرى، وشجعت على حفظ القرآن الكريم وتعليم القراءة والكتابة فبلغ عدد الخلاوى فى أم درمان وحدها ثمانمائة خلوة فى عهد الخليفة ^(٧) وتأثرت العلاقات بين مصر والسودان لاختلاف نوع الحكم فأوصدت أبواب الأزهر فى وجه الطلبة السودانيين لأن مصر فى هذه الفترة أصبحت مستعمرة

(١) انظر تطور التعليم ص ٥٣، وتاريخ المسيحية فى الممالك النوبية ص ٤٣٦

(٢) تاريخ المسيحية فى الممالك النوبية ص ٢٣٦

(٣) التعليم فى السودان، وتاريخ المسيحية ص ٢٣٧

(٤) انظر تطور التعليم ص ٥٤/٥٥

(٥) تاريخ المسيحية ٢٣٨/٢٣٩

(٦) روموجسى ايطالى

(٧) انظر تطور التعليم فى السودان ص ٥٤/٥٥

انجليزية لاحتلال بريطانيا لها سنة ١٨٨٢ وفى سبتمبر سنة ١٨٨٣ عينت انجلترا (سيرافلس بيرنج - لورد كرومر) معتمدا بريطانيا بمصر، وأطلقت يده ليعمل ما يشاء فكان صاحب الكلمة الأولى والأخيرة فى هذه المرحلة التى يمكن أن يطلق عليها مرحلة (كرومر) حيث اتجه بمكره ود هائه إلى ميدان التعليم لتخريج جيل عميل لبريطانيا يقدم مصلحتها على مصلحة بلده ولقد وجد المعتمد البريطانى الطريق أمامه سهدا لتتفيذ مخططه لأن محمد على كان قد قطع فيه شوطا بإرساله الرواد الأوائل إلى فرنسا فعادوا دعاة للتغريب - حتى رفاعة الأزهرى الذى رافق البعثة إماما - أصبح داعية لتقليد الغرب ، بيد أن كرومر لم يكتف بهذه الدعوة ففكر فى إنشاء أجيال من الداخل يتم تغريبهم تغريبا كاملاً من الماضى كله مع قطع أكسر الوشائج التى تربطهم بهذا الماضى ، اجتماعيا ، وثقافيا ، ولغويا ، وملء الفراغ الناشئ بالعلوم والآداب والفنون ، ولكن علوم الغرب وآدابه وفنونه ورأى أن أحسن من يقوم بتنفيذ هذه السياسة رجل ملئ حقا على المسلمين ودينهم وثقافتهم ذلكم هو القسيس (د وجسلاس دانلوب) الذى كان مبشرا ومدرسا للغة الانجليزية والخط الأفرنجى بمدرسة رأس المنين الثانوية^(١) ، فرفعه كرومر إلى العمل فى نظارة المعارف وعينه سكرتيرا للوزارة هام ١٨٩٧ م ثم قبل أن يتقاعد كرومر بسنة واحدة رفعه إلى مستشار للوزارة سنة ١٩٠٦ ، ويعتبر دانلوب واضع المخطط الأساسى لتغريب التعليم والتربية ، وإقصاء الاسلام ولغته من برامج التعليم فى المدارس المصرية^(٢) ، وهو أيضا منفذ المخطط والمشرف عليه لسنوات طويلة حتى بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، وعمل دانلوب على محاربة اللغة العربية والأزهر ، ونشر لواء الانجليزية وأهلها للسيطرة الكاملة على شئون التعليم ففضى بذلك على نفوذ العربية حيث خرج من مدارس كنية يعينون فى دواوين الدولة برواتب تعد بالجنبيات بينما لا يتجاوز راتب الأزهرى ثلث ما يتقاضاه المتخرج فى المدارس المدنية ، وهذا منتهى الاغراء ، وهكذا عرف الانجليز كيف يقضون على مقومات الشعوب بمكرهم ود هائهم .

قال كرومر فى سنة ١٩٠٠ : (من المحقق أنه كلما مرت سنة على الاحتلال زاد الموظفون فى الحكومة المصرية معرفة بلغة الأهالى وأخلاقهم وعاداتهم ، وخبرة بما تحتاج إليه إدارة

(٢) انظم الاستاذ أنور الجندى ، التربية وبناء الأجيال فى ضوء الاسلام ص ٦٦ ، دار الفكر اللبنانى ط أولى سنة ١٩٧٥ ، وانظر الاستاذ محمد قطب ، هل نحن مسلمون ، ص ١١٨ وما بعدها ط الثانية مكتبة وهبة .

البلاد ، وخبرة بعادات أهلها . . وأن مصالح الإنجليز والمصريين متفقة^(١) وفي سنة ١٩٠٦ بعد ربع قرن من الاحتلال أضاف قائلاً :

(إنه لا يحق للمصريين أن يشكوا من استخدام عدد معتدل الكثرة من الأوروبيين على شرط أن يبذلوا الجهد في تعليم المصريين وتدريبهم ، وهذا أمر أود أن أرسخه في أذهان رؤساء المصالح ، وأرجو أن يرسخوه أيضاً في أذهان مرؤوسهم لأنى أرى أنه لا يمكن أن يزداد تعليم الذين هم تحت الموظفين الأوربيين وتدريبهم عما هم عليه)^(٢) ، ولقد قاوم كرومر التعليم العالي في مصر وعاونته مستشاره داللوب ، وسجل كرومر ذلك في تقريره سنة ١٩٠٧ بقوله (إن إنجلترا لا تريد نشر التعليم العالي بمصر لأنها لا تريد إلا إعداد طبقة من الأفندية ليشغلوا الوظائف الثانوية في الحكومة ، لأن المصريين لا يصلحون للعلوم العالية ، لأن زيادة التعليم تصرفهم عن فلاحه الأرض وتقود مصر إلى الإفلاس)^(٣) وهم يوقنون أن زيادة التعليم تقود مصر إلى التفكير في بناء نفسها والتخلص من سطوتهم ، واستمرت خطة التفريب التي وضعها الاستعمار والتبشير في مصر إلى وقت قريب ، وما زال التعليم بمصر يعاني من آثارها .

(١) د . أميل فهدى ، التعليم الحديث دراسة وثائقية ص ١٤٤

(٢) المصدر السابق والصفحة .

(٣) التربية وبناء الأجيال في ضوء الاسلام ص ٦٧

المبحث الثاني

نقل الخطة التعليمية المصرية الى السودان

ثم نقلت الخطة السياسية التعليمية نفسها إلى السودان بواسطة جيمس كرى الذى كان من أبرز الشباب الذين استعان بهم د انلوب حيث رشحه للعمل بالإدارة المصرية كموظف فى وزارة التعليم سنة ١٨٩٩ وكان كرى ود انلوب من طينة واحدة ، فكلاهما من اسكتلندا (١) ذو تربية كسبية ، فوالد جيمس كرى كان رئيسا لكلية التربية لكنيسة أسكتلندا فى ادنبرا . وبعد أن أشرب جيمس سياسة أستاذه د انلوب تجاه التعليم ، ودرب تديبا كافيا رعى به السودان لتنفيذ نفس المخطط الذى نفذ بمصر ، وأسندت إليه إدارة إحدى مد يريسات السودان بقصد معرفة الأحوال فقضى مدة حاكمالهنه المديرية حيث باشر تنفيذ مشروع محكم التنظيم لتمكين أعضاء الجهاز التعليمى للقيام بالدور المطلوب فى خدمة الإدارة لاكتساب معرفة مباشرة بالجهاز الحكومى (٢) وبعد سنة ونصف السنة من المراقبة الدائبة والتجوال المتواصل فى أنحاء البلاد انكشفت أمامه الأهداف المباشرة لسياسة الحكومة التعليمية التى وضعت من مناشدة كرومر وونجت للبعثات التصيرية بإنشاء معاهد أولية بسيطة للتعليم الصناعى والزراعى حتى يتمكن الأهالى من تقدير عملها فى يسر وسرعة (٣) ومن ثم احتكرت الإرساليات التعليم بصفة عامة فى السودان وفى الجنوب بصفة خاصة باستثناء بعض المدارس فى الشمال وعلى رأسها كلية غردون التذكارية إن جاز هذا الاستثناء لأنها هى الأخرى كانت قد أنشئت تلبية لرغبة جماعة التبشير الكسبية التى نادى بها قبل سقوط أمدرمان كما سبقت الإشارة الى ذلك ، وعند ما رجع كشنر بعد سقوط أمدرمان بشهرين إلى بريطانيا نشر بيانا فى الصحف يحث على إنشاء كلية غردون التذكارية مدعيا أن إنشاءها سيجعل لبريطانيا المركز الأول فى أفريقيا كقوة حضارية وصادف هذا النداء هوى فى نفوس الصليبيين فجمعوا أكثر مما كان متوقعا ، وفى ١٥ / ١ / ١٩٠٠ وضع كرومر حجر أساسها باسم الملكة فكتوريا ، وافتتحها كشنر رسميا سنة ١٩٠٢ م ، وتم بناؤها سنة ١٩٠٣ ، وتكون هيكلها من المدارس الأولية التى أنشئت من أموال التبرعات التى جمعها كشنر لإنشاء الكلية

(١) انظر جيمس كرى ، التجربة التعليمية فى السودان البريطانى المصرى ، مقال نشرته مجلة

الجمعية الافريقية ج ٢٣ ص ٣٦٣ اكتوبر ١٩٣٤ .

(٢) انظر التعليم فى السودان ص ١٠٣ / ١٠٤

(٣) محمد عمر بشير ، مشكلة الجنوب ص ٥٦

والمدارس هي :

- ١- مدرسة أم درمان الابتدائية ١٩٠٠
- ٢- كلية تدريب المعلمين والقضاة ١٩٠٠
- ٣- مدرسة الخرطوم الابتدائية ١٩٠١
- ٤- مدرسة الصناعة بأم درمان ١٩٠١ (١)

مضافاً إليها مدرستا سواكن وحلغا الابتدائيتان اللتان أنشئتا في إبان الحكم التركي ولم تمتد إليهما يد المهدية، ثم خضعتا للإشراف الحكومي سنة ١٩٠٢.

ور طمعا في جذب الطلبة السودانيين وترغيبا للمسلمين في إرسال أبنائهم إلى الكلية، ودفعاً للشبه أدخل الدين الإسلامي مادة في برامجها، وأوفدت الحكومة بعثة إلى القاهرة ضمت جيمس كرى مدير المعارف، كما ضمت البعثة مدير الكلية، وذلك لحث الطلاب السودانيين بالأزهر على العودة إلى السودان للالتحاق بالكلية وقد نجحت في حصيل البعض على الحضور^(٣) وكان أكثر الدارسين بها من أبناء الزعماء القبليين، وأبناء أمراء المهدية بالإضافة إلى أبناء المصريين والمستخدمين في الجيش^(٤)، ولم تكن المسيحية ضمن برامجها التعليمية - إما لاختلاف طوائفها وتعدد مذاهبها في الاعتقاد أو لعدم إشارة المسلمين ضدها - الأمر الذي أوغر عليها صدور المبشرين فصبوا عليها جام غضبهم، ونادت بعض الإرساليات بالقضاء عليها لأنها إسلامية لحما ودما من ناحية دينية كما أنها فسي نظرها اسم على غير مسمى ولا يمكن إلا أن تكون غشا للشعب المسيحي في بريطانيا العظمى وأن الجنرال غردون لم يخلد له ذكر في هذه الكلية، بل خلد النبي محمد - (صلى الله عليه وسلم) - ولعل تسمية الكلية : (مدرسة محمد الروحية في أعالي النيل) تكون أليق لأنها بكل تأكيد تقوم بتدريس الشريعة والقرآن أكثر من أي علم آخر، حيث أصبحت المؤسسة الرئيسية للتعليم الحكومي الإسلامي، تحتفل بالأعياد الإسلامية، وتفلق أبوابها يوم الجمعة مما يضطر المسؤولين المسيحيين أن يعملوا نهار الأحد^(٥)، واستطرد الكاتب منتقدا استخدام الأساتذة

(١) تطور التعليم في السودان ص ٨٩
 (٢) حكومة السودان، مذكرة العلاقات المالية بين مصر والسودان ص ٦٥ سنة ١٩١٠، وانظر كذلك تطور التعليم في السودان ص ٨٩ .
 (٣) انظر التعليم في السودان ص ٦٤/٦٥
 (٤) انظر تطور التعليم في ص ٨٩

المصريين في الكلية لأنهم نتاج أزهرى، والأزهر معروف عالمياً بأنه أعظم وأشد المعاهد الدينية تعصبا للإسلام.^(١)

ثم أنشئ بالكلية قسم ثانويان في عام ١٩٠٥ لتخريج مساعدى المهندسين والمساحين ولم تكن مادة الدين ضمن مواد الأقسام الثانوية خوفاً من انتقاد الإرساليات، ثم قررت مادة الدين الإسلامى في سنة ١٩٣٢، ولم تعارض سلطات الكلية تدريس المسيحية للطلاب المسيحيين بها إلا للصعوبات العملية، والمخاطر التى تشتر نتيجة لاختلاف الطوائف المسيحية لأن تدريس أى مذهب لأى طائفة لا يكون مقبولا لدى غيرها من الطوائف^(٢)، وكانت لغة التعليم بالمدارس الوسطى والكلية هى اللغة الإنجليزية، وانحصرت العربية فى الكتاب والمدارس الأولية.

المنهج والإدارة :

بين المستعمرين والمبشرين من أى جنس كانوا اتفاق كامل فى الخطة والهدف، وإن اختلفت وسائل تحقيق هذا الهدف. فالمبشرون يدفعهم حماسهم للنصرانية للجهر بدعوة المسلمين لاعتناقها، ويرى المستعمرون فى سلوكهم هذا تنغيلاً وإثارة للمسلمين على النصرانية وحكوماتها الاستعمارية، ولهذا سارعوا إلى إنشاء مدارس غير المدارس الكنسية مدارس وطنية اسماً غربية قلباً وقالياً، لغة ومنهجاً وطريقةً وتدريساً وإدارةً، ليضمنوا تشكيل الأجيال الناشئة وفق الأهداف الرامية إلى إبراز عناصر ثقافية جديدة^(٣) صالحة لغرس المفاهيم العلمانية.

يقول المبشر الألمانى (اكسفيلد) فى رده على (بيكر) عضو مجلس المستعمرات :

(إن الحكومة لابد لها من القيام بتربية الوطنيين المسلمين فى المدارس العلمانية، مادام هؤلاء ينفرون من المدارس المسيحية، ونحن نعترف بهذه الحقيقة، على الرغم من اعتقادنا

(١) انظر تطور التعليم فى السودان ص ٩١

(٢) خطاب كرومر لماكلىن، القاهرة ١٦/ ٥/ ١٩٠٦

(٣) انظر د. حسان محمد حسان، وسائل مقاومة الغزو الفكرى للعالم الإسلامى ص ٦٦،

دعوة الحق، عدد (٥) رابطة العالم الإسلامى

بأن المدارس العلمانية تزيد الإسلام نمواً وارتقاءً، وإذا نحن طالبنا الحكومة بتقدير مقاصدنا ومصالحنا، فيجب علينا بداهة أن ندرك أهمية المعضلة من حيث واجبات الحكومة ومصالحها (+)

والمعضلة المعنية هنا هي الإسلام فالمستعمرون والمبشرون يجمعهم الحقد على الإسلام، لأنه يحول دون تحقيق مصالحهم ثم إن كرومر الذي رمت به بريطانيا مصر كان يغلى حقداً على الإسلام وأمه الأمر الذي دفعه إلى انتخاب القسيس وجلاس دانلوب ليكون مستشاره في شئون التعليم بمصر وهو يدرك تماماً أن مصر إذا سلس قيادها للثقافة الغربية فسيكون لها أثر كبير على العالم الإسلامي قاطبة، فمنجح دانلوب في المهمة التي أوكلت إليه نجاحاً منقطع النظير وحقق ما عجز الصليبيون حتى حملة نابليون عن تحقيقه .

منهج التعليم في مصر :

يقول الأستاذ محمد لطفي جمعة : (إن دانلوب العظيم العبقرى أعظم ما انتجته إنجلترا لقتل مصر والشرق، تمكن في عشرين عاماً من تخريب العقول، والنفوس، والضامير، والمواطف، أكثر مما لو جندت بريطانيا مليون جندي على مصر .

فإننا لما دخلنا المدارس التحضيرية في أوائل هذا القرن وجدنا أساتذة التاريخ من الإنجليز أشال (هيل) ومستر (كرونسكروفر) أخذوا يملون علينا مقتطفات بالإنجليزية عن تاريخ الدولة الرومانية، والقرون الوسطى، وحروب الأديان والنزاع بين الكاثوليك والبروتستانت وسلطة البابا، وفردريك الأكبر، وكاترين العظمى، كل ذلك في فصول مختصرة مختلفة سقيمة الأسلوب، عقيمة المعنى، وكان امتحاننا يدور حول هذه المسائل، ولم نعط كتاباً ملهماً بهذه الموضوعات، لا جيداً ولا ردياً . أما تاريخ الشرق والغرب ومصر فلم نأخذ منه كلمة واحدة، كأننا نشأنا من العدم، وإلى العدم نعود ودائماً إذا ذكر الشرق كان يذكر في مجالس الانحطاط والسقوط والفشل والحروب التي فاز فيها عليه الغرب مثل صد الرومان للفرس، والفرنسيين للعرب (٢)

وذلك ما أملاه علينا أستاذنا هيل بالإنجليزية أن اثنين من رجال أوروبا أنقذا المدنية

(١) أ. ل. شاتليه، الغارة على العالم الإسلامي ص ١٣٦، لخصها ونقلها للعربية مساعد اليافى ومحب الدين الخطيب، الدار السعودية للنشر، بدون تاريخ .

(٢) ثنور الجندی، الموسوعة العربية الإسلامية (١٦) ، التربية وبناء الأجيال في ضوء الإسلام ص ٦٠

الغربية من السقوط على أيدي البرابرة المتوحشين أولهما تمستوكليس اليوناني الذي هزم قورش الفارسي في موقعة سلاميس الشهيرة، والثاني شارل مارتل الذي هزم العرب في موقعة بواتيه. الأولى حصلت في سنة ٤٨٠ ق.م. والثانية سنة ٧٣٢م أي بينهما اثنتا عشرة ومائتان وألف سنة.

وقد كتبنا هذا بأنفسنا وبأيدينا وبإملاء أستاذنا الإنجليزي الذي مثل لنا أمة العرب - التي أنجبت مئات الألوف من رجال العلوم والآداب والفنون، الذين علموا أوروبا وهذبوها - في وحشية وقسوة تعادل وحشية الفرس الوثنيين قبل الميلاد بخمسة قرون، فصدقنا وآمنا به وتعلمناه وحفظناه وأدبنا فيه امتحانات عشرة^(١)

وهذه الخطة اتبعها الغربيون لسرقة الضائع وقطع الأواصر التي تربط هذه المجتمعات بالماضي وهي خطة اتبعوها ونفذوها بدقة في كل الأمم التي استعمروها بسلا استثناء. يقول أحمد خبير: (ولما كانت المناهج المدرسية في ذلك الوقت خلوا من المناهج التجريبية تعذر عليهم تناول المؤلفات المتعمقة في العلوم)^(٢)

الإدارة والنهج في السودان:

لم يكن السودان أحسن حالا فيهما من مصر، ففي مجال الإدارة كان ونجت ينوب عن كرومر في تنفيذ خطته الإدارية، كما كان كرى ينوب عن دانلوب في مجال التعليم، فالقائمان بالإدارة على شاكلة واحدة كما كان القائمان بأمر التعليم في كلا البلدين من طينة واحدة وشربا من منبع واحد، وكلية غردون التذكارية هي الأم لما سعى بالمدارس الوطنية التي بسط الاحتلال عليها نفوذ، فكانت كما وصفها أحد أساتذتها: (مدرسة حكومية في بلد الحكومة فيه شناعة، فقد كان الإنجليز المشرفون على كل شيء كاساتذة وحكام في نفس الوقت، وكانت الثانية تغطي الأولى، وكان ينتظر من الطلاب أن يظهروا لهم الخضوع والإذعان للكرام وقد شعر الطلاب أن وراء أي أستاذ إنجليزي قوات الحكومة مستعدة للقتال، حتى لو كان الأستاذ إنسانا طيبا ورحيما، فإن القوة الحكومية من خلفه في نظر طلابه، ابتداء من مدير التعليم والسكرتير الإداري، والحاكم العام، والحكومة البريطانية كلها، ومن ورائه أيضا يقف مفتش المركز الذي يحكم أهله في القرية، والأستاذ نفسه غالبا ما يصير في يوم من الأيام مفتش

(١) التربية وبناء الأجيال في ضوء الإسلام ص ٦٤

(٢) أحمد خير، كفاح جيل، ص ٦. ط الدار السودانية، بدون تاريخ.

مركز يحكمهم ويتحكم في آبائهم وذويهم^(١) فالكلية في حقيقتها خديعة للمسلمين وضربة للإسلام لأنها أكبر معاقل العلمانية في السودان ، ومنها تخرج أوائل القادة العلمانيين الذين عاونوا الاستعمار في إدارة شئون البلاد ، فعملوا موظفين في شتى الوظائف .

وكان القائمون على شئون التعليم بالسودان من نوع ما أشار إليه الأستاذ محمد لطفي بمصر ، أساتذة مهرة من أمثال هولت وبيرد وهيود وقرنت والأخير ظل المسئول الأول أكثر من ربع قرن لمعهد التربية ببخت الرضا^(٢) أكبر معهد لإعداد المعلمين بالسودان ، فجعل منه أكبر حقل للتجارب الناجحة للغزو الفكري لعقول ناشئة السودان .

ووضعت المناهج كما يقول الأستاذ محمد قطب عبارة عن برنامج دعائي لأوروبا وأمها : (فأوروبا هي القوة ، وهي الحضارة وهي العلم ، وهي العدالة الاجتماعية ، وهي الحرية ، وهي الإخاء ، وهي المساواة ، وهي التقدم الصاعد في كل ميدان)^(٣)

فالطالب الذي يتخرج من المرحلة الوسطى يلم الماما واسعا بما وصلت إليه أوروبا من رقي وحضارة بصفة عامة مع الخبرة التامة بما في بريطانيا والولايات المتحدة من التقدم والازدهار فلا يغادر التلميذ فيها صغيرة ولا كبيرة إلا درسها حتى المواصلات والممرات التي مدت تحت الأرض يدرسها ويؤدي فيها الامتحان أما السودان فلا يعرف عنه إلا ما علمته يد المستعمر كشروع الجزيرة وخزان سنار وخطوط السكة الحديدية أما قبل ذلك فتشويه لتاريخ التركية والمهدية ووصفهما بالهمجية والظلم واستعباد الناس وخاصة الأخيرة حيث وصفت بأنها بربرية جعلت السودان سوقا لتجارة الرقيق مع وصفها بالتعطش لإراقة الدماء . كما سموا فتح الخرطوم على يد المهدي سقوطاً وسقوطها في يد كتشنر فتحاً وما زالت هذه المفاهيم المغلوطة تهيمن على عقول كثير من مدرسي التاريخ وتلاميذهم . أما الزبير باشا فوصف بأنه أكبر تاجر للرقيق في أفريقيا . . هكذا كان يدرس التاريخ في المراحل التعليمية على يد الإنجليز وما زال حتى الآن .

كما اهتم الأساتذة الإنجليز بتدريس الشخصيات الغربية البارزة من الملوك والرؤساء والساسة والمكتشفين والمخترعين في المجالات العلمية المختلفة ، فإذا ذكروا شيئاً عن الإسلام فإنما

(١) Atia Edward, An Arab tells his story P. 141

(٢) V.L. Griffiths Teacher centred quality in Sudan Primary Education (1930 - 1970) P.5

(٣) الأستاذ محمد قطب ، هل نحن مسلمون ، ص ١٧ ، الطبعة الثانية ، مكتبة وهبة ، بدون تاريخ .

هى الأباطيل والآكاذيب التى وضعها أعداؤه من اليهود والنصارى الحاقدين من أشال جورج زيدان ومن على شاكلته من المستشرقين، إمعانا فى التشويش والتغيير من الإسلام، ونسوق على سبيل المثال لا الحصر ما وضعه الاستاذ ج. أ. هيوود فى كتاب (قصص من الماضى) الذى كان مقررا على تلاميذ السنة الرابعة من المرحلة الابتدائية. قال فى بداية الدرس الثانى من فتح الأندلس (لقد رويت قصص كثيرة عن سقوط ملك الأندلس لكرامية الناس له. وكان يحكم شمال أفريقيا فى الساحل المقابل لبلاد الأندلس رجل عبرى اسمه موسى، وفى ذات يوم ذهب أحد رجال حاشية الملك ممن كانوا يكرهون الملك، وطلب مقابلة موسى عارضا عليه المساعدة إن هو - أعنى موسى - أرسل جيشا لبلاد الأندلس لمحاربة ملكها البغيض، وكان لموسى أمير اسمه طارق... أرسل موسى طارقا بجيش صغير سجل على صفه نصرا مبينا على الأعداء حتى إن موسى أمده بفصائل أخرى، فاستمر فى تقدمه تدبىر له القلعة تلو الأخرى، وسرعان ما التحم جيشا ملك الأندلس وطارق فى معركة حامية الوطيس انهزم فيها الأندلسيون هزيمة شديدة نسبة لأن أكثرهم فر والتحق بجيش العرب وتمكن ملكهم من الهروب من الميدان حيا... سار طارق من نصر إلى نصر، وكان جيشه يستولى على الغنائم الكثيرة من أهل الأندلس.

أما موسى فعندما سمع بنصر قائد تملكه الحقد والحسد بدلا من السرور، لخوفه من أن يعظم الناس طارقا عليه ولذلك فقد سارع وعبر البحر إلى الأندلس لى يتولى قيادة الجيش بنفسه، ولما قابل طارقا لم يكافئه كما كان يجب أن يفعل، بل أخذ يوبخه ويلومه على توغله فى داخل البلاد دون إذن من سيده، ولقد بلغ به الأمر فوق هذا أن أمر بجلده على ملاء من الناس وتصفيده بالقيود ثم تولى قيادة الجيش بنفسه^(١)

والظاهر من هذا المثال أن المؤلف أراد أن يجرى المسلمين من مزية فتح الأندلس حيث عزا هزيمة الأندلسيين إلى كراهيتهم ملكهم، وبانضمامهم إلى جيش طارق الصغير كانوا هم السبب فى هزيمة ملكهم البغيض، ثم مبالغة فى التغيير وصف موسى بن نصير بالحقْد والتذالة والبغى.

أما المثال الآخر فمن قصة الفارس (رولاند) حيث قال: (وسرعان ما بلغ العرب فى فتوحاتهم أقصى بلاد الأندلس، وهناك اعترضتهم سلسلة من الجبال العالية... وتقع خلف تلك الجبال

بلاد مسيحية كثيرة الخيرات، تعرف بفرنسا . . لقد تعدى العرب تلك الجبال وتد فقوا في سهول فرنسا، وأحواش أنهارها بسرعة فائقة حتى ظن الناس أن العرب سيفتحون فرنسا بنفس السهولة التي افتتحوا بها بلاد الأندلس، ولكن هب ملوك أقياء صدوا هجمات العرب، وأوقفوا تيار غزوهم، ورد وهم على أعقابهم، لأن تلك الجبال رغم علوها لم تكن خالية من السكان، فقد كانت موطناً لقوم يسلم عرفوا حب الحرية وكرهية الأجانب، فكان أولئك القوم يقاتلون كل غريب يدخل بلادهم (١)

(عاش رولاند في عهد ملك عظيم من أشهر ملوك فرنسا، وكان ذلك الملك شجاعاً مولعاً بالحرب، ويعتقد أن واجبه نحو وطنه يحتم عليه أن يهزم العرب حتى يسلم بلادهم من خطرهم، فجمع حوله ثلة من الفرسان المختارين يعهد إليهم بأداء المهام الحربية الخطيرة، التي تستوجب الشجاعة والإقدام، وكان رولاند بطل قصتنا أشجع تلك الجماعة من الفرسان وقد ذاع صيته بين الناس ولكن كان بين رجال الملك فارس يحسد رولاند على شجاعته وشهرته ومحبة الملك ورجاله إياه، فدفعه حسده إلى أن يذهب إلى أمير العرب ليطلعه على الخطة المرسومة ليؤكد إلى غريمه رولاند، فامتطى جواده وأسرع مختفياً إلى معسكر العرب. فأطلع أمير العرب على الطريق الذي سيسلكه رولاند ورفاقه، وكان الطريق المقصود يسير في واد ضيق بين الجبال، فسلك رولاند ورفاقه ذلك الطريق، وما د رولاند أن العرب قد اختبأوا على جانبيه للفتك بهم، وعندما دخلوه انهالت عليهم الصخور فأصيب بعض الرجال وعدد من الخيل بأذى بليغ فاضطر الفرسان إلى التراجع، وإذاك أمطروهم العرب بوابل من سهامهم، فكانت تتساقط عليهم من كل صوب، فدعشوا رغم شجاعتهم وأمعنوا النظر في الصور المحيطة بهم فإذا بجنود العرب يحيطون بهم من كل جانب وكانهم مردة نزلوا عليهم تزيلاً، فنشبت معركة حامية الوطيس تطايرت فيها الرؤس والأشلاء، فقتل الأمير العربي وكثيرون من جنوده، وهلك الكثير من فرسان رولاند وبالطبع كانوا قلة (١) بالنسبة للعرب المهاجمين فلم يكن لديهم أمل في النصر، وبعد برهة من الزمان تراجع العرب عن القتال (١) لأنهم قد أجهدوا أنفسهم كثيراً. وكان رولاند أثناء المعركة ينفخ في بوقه نفخاً شديداً يستثير حماس رفاقه ويطلب النجدة من الملك، وبعد انسحاب العرب ووقف القتال نظر حوله ملياً فلم يبصر سوى جثث فرسانه وأعدائه على السواء، فتحسر شديداً، وقبض على بوقه

فنفخ فيه نفخة قوية أحدثت منه صوتاً لهوى شديد ، ثم التفت فرأى فارسين أو ثلاثة من رفاقه يمدون نحوه تلبيةً لندائه ، وعند ذلك هاجمهم العرب من جديد واستؤنفت المعركة بنفس الحماس السابق ، فدافع الفرسان عن أنفسهم بشجاعة وإقدام ولكنهم كانوا قليلين العدد بالنسبة إلى أعدائهم العرب الكثيرين الذين أطبقوا عليهم من كل جانب فذبحوهم كلهم واحداً بعد الآخر .

وما هي إلا برهة حتى التفت رولاند فوجد نفسه وحيداً في ساحة القتال وقد جرح جرحاً بليفاً لا يستطيع معه الدفاع عن نفسه فانتأى مكاناً قصياً ثم نزل عن حصانه وجلس تحت شجرة مسنداً ظهره إلى صخرة كبيرة . . تخيلوه وهو جالس تلك الجلسة الحزينة وقد اشتد به الألم وتملكه اليأس وأيقن أنه هالك . إنه لن يخشى الموت ولكنه يخشى أن يخلف إلى أعدائه ممتلكاته ما يستفيدون منه ففكر أولاً في التخلص من سيفه ذلك الرفيق الحبيب الذي خاض به المعارك وجندل به الأعداء أتركه لأعدائه ؟ كلا فحاول كسره بضربه على صخرة كانت بجواره بكل ما أوتي من قوة فلم يفلح لأن السيف كان قوياً وهو جريح فهو ي وعند ما أعوزته الحيلة في كسره ألق به على سفح الجبل متمنياً ألاّ يعثر عليه أحد ممن أعدائه العرب وبذا تخلص منه .

وأكثر ما كان يخشاه ألا يكون الملك وجيشه قد شعروا بما يداهم من الخطر لأن أعداءهم العرب ربما يتعقبونهم ، فبقى عليه أن ينذر الملك بالخطر فقبض على بوقه وجمع كل ما تبقى له من قوة ونفخ فيه نفخة أحدثت منه صوتاً عالياً ارتجت له الجبال ورجعت صداه . . فسمعه الملك وجنوده فأسرعوا نحوه فوجدوه قد فارق الحياة فتحسروا عليه^(١)

هكذا شوها التاريخ ودرسه أحقاداً وأطماعاً وأساطير ونشأوا الصغار على حب رولاند الفارس الشجاع ورفاقه الذين ظلوا يقاتلون أعداءهم رغم قلتهم وكثرة أعدائهم جبناء فنشأ الصغار على حب رولاند وكره العرب .

فالمناهج بصفة عامة في بلاد المسلمين وضعها الأوروبيون لمآرب ، وهي في مجملها ترمى لتحقيق ثلاثة أغراض :

أ- الغرض الرئيسي الذي يؤدي إلى تحقيق الغرضين الآخرين تشويه المفاهيم الإسلامية ومحوها من الأذهان وغرس المفاهيم المادية الغربية ، فالتعليم في نظر الغربيين خير

وسيلة لا قتلاع الإسلام من جذوره ومحو أثره من مجتمع المسلمين ، أو بتعبير آخر خير وسيلة لا قتلاع ناشئة المسلمين من مجتمعهم وربطهم فكرياً وثقافياً وحضارياً بالغرب ، ولقد تحقق ذلك فأفسدت هذه المناهج التصور وعقدت الألسنة فصارت لا تفقه إلا لغة المستعمر ، وصارت المؤسسات التعليمية أجزاءً من الأقطار المستعمرة فشلا حتى وقت قريب كان الداخل إلى جامعة الخرطوم - كلية غردون سابقاً - من البوابة الرئيسية حتى نهايتها يجد كل الإعلانات وأسماء التلاميذ كتبت بالإنجليزية .

ب - الغرض الثاني :

تخريج عدد من الحرقين الأكفاء ، وقليل من الكتبة والمحاسبين لمساعدة الحكومة فسي أدائها مهامها بقدر الضرورة ، مع نشر قليل من الوعي بين أفراد الأمة بالقدر السدى يعينهم على التعاون مع السادة الحكام ، ومن ثم وضعت أسس نظام تعليمى لسد هذه الضرورات الملحة للحكم الجديد ، وضيقت الإدارة البريطانية نطاق التعليم فحددت فرصه بعدد وظائفها ، معللة ذلك بالضيق المالى ، ولقد ظلت كلية غردون التذكيرية حتى نهاية عام ١٩٤٤ بمثابة مدرسة ثانوية حكومية ،^(١) وفقاً على تحقيق الغرضين السابقين .

ج - الغرض الثالث والبعيد وهو تخريج جيل عميل بديل يخلف الاستعمار إذا اقتضى الأمر خروجه فلم يلتفت إليه رسمياً إلا فى عام ١٩٤٥ فقد كان قبل هذا التاريخ يرسل الطلاب الذين يؤمل أن تؤول إليهم مقاليد الأمور إلى مدارس التبشير الملىا ، كالجامعة الأمريكية ببيروت وكلية فكتوريا بمصر ، أما فى العام المشار إليه فقد اتخذ قرار بتسجيل طلاب الكلية الممتازين لنيل درجة البكالوريوس العامة الخارجية من جامعة لندن فى الآداب والعلوم^(٢) لتقود هذه النخبة الممتازة المجتمع على نفس الطريق ، وبذلك يأمن الاستعمار على مصالحه ويضمن استمرارها .

وظلت هذه السياسة التعليمية التى رسمها كرومر وأعوانه هى الهييطرة على مقاليد الأمور ، وخاصة فى مجال التعليم حيث قررت أن أوربا الحديثة المخترعة المتقدمة فى كل الميادين لم تصل إلى ما وصلت إليه إلا بعد أن تحررت من الدين وكسرت قيده وخلعت ريقته من عنقها ونبذته وراءها ظهرياً ، وبذلك خلقت فى أجواء الحضارة والعلم والحريسة

والمعرفة، وتوصلت باكتشافاتها العلمية إلى حقائق الأشياء وأسرار الكائنات كما توصلت إلى أن الأديان من وضع الإنسان البدائي فلا تقدم ولا رقي معها .

وأن الكائنات الحية مرت بأطوار عدة وظلت في تطور مستمر حتى ظهرت القردة ومنها تطور الإنسان واستقر على ما هو عليه، وأخذت هذه المزاعم التافهة كما أخذت حقائق العلم وقضايا المسئلة، ونقلت إلى المناهج التعليمية لتصادم معتقدات المسلمين الثابتة عن طريق الوحي الإلهي .

ففي المرحلة الابتدائية حيث يمتاز الصغار بقوة الاستيعاب والتحصيل، وتملأ الدروس عليهم آفاقهم فيعيشونها واقعاً مسلماً فتكيف سلوكهم وخلقهم، وفي هذه المرحلة الخطرة كانوا يدرسون مبادئ النظريات الفلسفية كما كانوا يتلقون مبادئ العلوم فيدخل أستاذ الدين فيحكمهم عن الله الخالق العظيم الذي خلق هذا الكون بأحيائه وجماده ومائه وخلق آدم أباً البشر من الطين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل نسله من سلالة من ماء مهين فأدم أبو البشر ومنه تناسلت ذريته المكرومة على سائر المخلوقات الأرضية وسخر لها الله سبحانه هذا الكون وأمرها بعبادته وطاعته حمداً وشكراً على ما أنعم عليها . ثم يعقبه أستاذ الطبيعيات فيعفى على أثره بما يلقي عليهم بأن الطبيعة زودت الجمل بكذا والزرافة بكذا وأن الإنسان أصله قرد، ومن هنا تبدأ الإزواج الفكرية ويكون التلميذ في حيرة بين ما قاله معلم الدين عن الله الخالق وبين ما قاله أستاذ الطبيعيات والعلوم عن الطبيعة المزودة الخلاقة، ومن المؤسف أن كل العلوم أواخرها تنتهج هذا النهج الإلحادي وأن مقرر الدين وزممه لا يساوى شيئاً بجانبها، وأن أستاذ الدين نفسه في غالب الأحيان تنقصه

الدراية والجديّة في تقرير حقائق الدين بل ربما يكون هو نفسه مادة تدرس للسخرية فيرسم في صورة مزرية متخيلاً تلميذه سبورة ينقش عليها المعلومات أو جرة يملأها بها بينما رسم رصيفه من معلى

العلوم الحديثة في شكل وجيه التف حول تلاميذه يدهم بالعلم الصحيح والتوجيه السديد .

ومن هنا تنعكس في ذهن التلميذ شخصيتان شخصية أستاذ الدين الباهتة وأستاذ العلوم الحديثة، فمعلم الدين كان في أغلب الأحيان يختار من الشيوخ الأزهريين الطاعنين في السن، ليدرس الدين ولغته العربية، ولم يكن للمادتين نصيب في درجات الامتحان، ولا لوم

(١) انظر مرشد التعليم الأولى لمدارس البنين بالسودان ص ٦٢/١٦ من القسم العربي و٤٠/٣٩ من القسم الانجليزي، وزارة المعارف السودانية ط سنة ١٩٥١ شركة

ولا عقاب لمن لا يحضرهما ولهما من الزمن آخره حيث توضع حصصهما في آخر الوقت من آخر الأسبوع وخاصة بالنسبة للدين فيدخل الشيخ حجرة الدراسة فلا يجد إلا القليل من التلاميذ قد أنهكهم عناء الدروس فلاعب النوم أجفانهم فتزبد هم شيخوخة الشيخ نعاسا ، وأستاذ اللغة والدين إلى جانب ما ذكر هو أقصّل هيئة التدريس مرتبا وأقلهم مكانة ، والغرض من كل ذلك تصوير الدين بهذه الصورة الباهتة لتتفرغ منه النفوس. (١)

أما أستاذ العلوم الحديثة ، فكان مثال الشباب والحيوية والاحترام وتنمو الفكرتان المتعارضتان في ذهن التلميذ الصغير ، ويتسع هذا التعارض في كل مرحلة لأن كل مرحلة تسلمه إلى أخطر من سابقتها حيث يجد أساتذة علمانيين تتلمذوا على أيدي مستشرقين غربيين في الفلسفة والاجتماع فملأوا رؤسهم بالترهات والأكاذيب عن الإنسان حيث درسوا لهم الإسلام مجموعة من الشبهات مجموعة من المظالم الفكرية والروحية والاجتماعية والسياسية تبينه في نظر الناس شيئا ضيئلا هزيلًا من ناحية ، ومن ناحية أخرى تبينه رجعية وجمودًا وتأخرًا ينبغي الانسلاخ منه والتخلص من هذه السبة التي تسمى الدين ولذا أفلح هؤلاء في تخريج جيل عميل مزعزع الثقة في نفسه و أمته لأن أساتذته علموه أنه من أمة مهزومة عبر القرون ، أمة أبرزت عيوبها وضحمت وطمست محاسنها ومحييت .

هكذا خرجت مناهج الغرب جيلا يتغنى بمحاسن الغرب ويدعو إليها ويعتق مبادئ الفلسفات المادية والشيوعية ، ويضرب أمثاله بالشورات الفرنسية والبلشفية ولا يعرف عن تاريخه وحضارته إلا الشبهات التي تلقاها عن أعداء أمته وحضارته من المستعمرين وأعوانهم من المبشرين .

(١) انظر هل نحن مسلمون ص ١١٢/١١٨

المبحث الثالث

المدارس التبشيرية

اعترف د هاة السياسة من الغربيين بأن مدارسهم ومناهجهم في بلاد الإسلام كان لها من الأثر في ضرب الخلافة الإسلامية ما فاق أثر دول أوروبا المتحالفة، جاء هذا الاعتراف على ألسنة المبشرين حيث قالوا: (اتفقت آراء سفراء الدول الكبرى في عاصمة السلطنة العثمانية أن معاهد التعليم الثانوية التي أنشأها الأوربيون، كان لها تأثير على حل المسألة الشرقية، يرجح على تأثير العمل المشترك الذي قامت به دول أوروبا كلها ^(١)) وتتميز لهذه المهمة كان الاستعمار وراء إنشاء مدارس التنصير في بلاد المسلمين، ولما كان التنصير في شمال السودان محظوراً للخوف من إثارة المسلمين سمح بإنشاء مدارس التنصير في الشمال بحجة تعليم أبناء النصارى المستخدين من أصول غير سودانية، وكانوا هم الأكرية في بادى الأمر ولكن لم يمض وقت طويل على إنشاء هذه المدارس حتى ولع بها المسلمون فاجتذبت أبناءهم سواء كانوا سودانيين أم مصريين، وخاصة عندما نقل المركز التعليمى التنصيرى إلى أم درمان فأصبح المسلمون هم الأكرية ^(٢) وتضافرت جهود المبشرين وتكالبت الإرساليات على أبناء المسلمين تكالبا الأكلة على القصعة، فولد هذا التكالب رد فعل لدى المسلمين وبدأت الأصوات ترتفع فخشيت الحكومة الاستعمارية أن يتنبه المسلمون لعمل الإرساليات، فوضعت شروطا شكلية غير ملزمة لتقييد التعليم نوجزها فيما يلى :

- ١- أن يخطر ولى أمر التلميذ قبل قبول ابنه بالمدسة بأنها مدرسة مسيحية .
- ٢- أن يتلقى مسئول المدرسة موافقة ولى أمر التلميذ كتابة أن ابنه سيتلقى تعليما مسيحيا .
- ٣- اذا لم يوافق ولى أمر التلميذ على تعليم ابنه الدين المسيحى لا يكره على ذلك .
- ٤- أن تخضع المدرسة للتفتيش الحكومى
- ٥- أن يكون رئيس المدرسة مسؤولاً عن تنفيذ هذه الشروط. ^(٣)

ولكن الإرساليات لم تلتزم بهذه الشروط، فاضطرت الحكومة فى سنة ١٩٠٦ إلى المبحث عن إمكان إخضاع المدارس التبشيرية للتفتيش الرسمى عن طريق سيرجيمس كرى مدير المعارف، الذى رأى أن التفتيش هو الذى يكبح جماح ثورة المسلمين، وأقنع الحاكم العام بذلك، إلا أن

(١) الفارة على العالم الاسلامى ص ١١٩

(٢) The Christian approach to Islam in the Sudan P.16

(٣) انظر التعليم فى السودان ص ٦٦/٦٨

كرومر رأى أنه من غير الحكمة أن يقوم الحاكم بهذه المهمة ، كما كان عدم اللجوء إلى التفتيش أساساً هو رأى د انلوب مستشار كرومر للتعليم حيث أعد تقريراً جاء فيه : أنه متى أقرت الحكومة هذه الخطوط العامة في التفتيش ، فلا شك أن المدارس الإرسالية ستطالب بمنهج مدرسية لا مفر من إعطائها . فوافق كرومر في ذلك ، وأرفق تقريره مع خطاب إلى (ونجت) الذي كان مصراً على التفتيش الذي سيكون في نظره رداً على انتقادات المسلمين ، وأخيراً تحت هذا الإلحاح وافق كرومر على التفتيش على أن يكون محدوداً من أجل تلك الغاية .^(١)

وبينما كان الحاكم العام للسودان - ويوافقه كرومر - حريصين على تحاشي انتقادات المسلمين كان د انلوب حريصاً على ألا تتورط الحكومة في تفتيش المدارس التبشيرية بشكل منتظم لأن الوقت في رأيه غير مناسب لأن تتحمل الحكومة مسئولية عمل مدارس التبشير لأنها في نظره لا تستطيع ذلك^(٢) وفي أثناء هذه المحاورات والمداولات بين د هاقنة الإدارة ودعاة التنصير في القاهرة والخرطوم ، كانت المعارضة الإسلامية للتعليم التنصيري قد وصلت إلى صحافة القاهرة ، ففي السابع عشر من شهر ديسمبر سنة ١٩٠٦ ظهرت مقالة قوية بدون توقيع تحت عنوان : (ماذا وراء الأكمة) هاجم فيها الكاتب المعتمد البريطاني اللورد كرومر في القاهرة و(ونجت) حاكم السودان واتهمهما بخداع المصريين في تقاريرهم عن مدارس الإرساليات بالسودان ، وأن ما جاء في تقاريرهم هون على المسلمين أمر إرسال بناتهم إلى مدارس التنصير بعد أن خدعهم سراب الوعود التي قدمت لهم من أن البنات لن تدخل مكان العبادة ، ولن تلقن شيئاً من النصرانية التي تدرس لزميلتها المسيحية . ولكن ما إن تترك الفتاة دارها وتدخل المدرسة حتى تصبح في عهدة القسيس والراهبات كالميت بين يدي غماسله .

واستشهد الكاتب على ما يقول بحادثة عيان شهد ها أثناء وجوده بالخرطوم في عيد الأضحى عندما تدارست جماعة من وجهاء المسلمين قضية مدارس البنات بحضور المستر كرى مدير المعارف وطلبوا منه إنشاء مدرسة للبنات المسلمات في الخرطوم ، فرد عليهم بقوله إنه يشق بالمدارس التبشيرية ، وخاصة التي يديرها المستر جوين القسيس الرسمي للبلاط الحكومي وعند ما ردوا عليه بأن تلك المدارس تعلم بنات المسلمين الدين المسيحي وتحملهن

على حضور الصلاة المسيحية دون موافقة أهلهم رغم الضمانات التي قدمت لهم. أجاب كرى بأنه يشك في ذلك، وطلب تقديم دليل على ما قيل، فأحضرت بنت صاحب المنزل فسألها كرى عن موضوع حضور الصلاة فأجابت بأنها وجميع زميلاتها يحضرن دون التتصير، فطلب منها أن تتلو الصلاة فبدأت تقول: (أبانا الذي في السموات... إلى آخرها دون أن تخطئ في حرف منها بينما كانت تجهل جهلاً تاماً بسم الله الرحمن الرحيم ولم تكن تعرف حرفاً واحداً من فاتحة الكتاب، واستطرد الكاتب قاهلاً: إن العلاقات الطيبة التي كان يراها الحاكم العام قائمة بين المدارس التبشيرية والأهالي المسلمين قد بدأت تتوتر في هذه الأيام، لأن مدارس التبشير قد بدأت بتغيير عقيدة البنات، ولذا فإنها قد انحرفت عن الضمانات التي أعطتها لذيوبهن، وترتب على ذلك أن عدداً من الأهالي فسى الخرطوم ألزموا بناتهم البقاء بمنزلهن ومنعوهن الذهاب إلى هذه المدارس مفضلين جهلهم على كفرهم، ثم ختم الكاتب مقاله بقوله: (هذا غيض من فيض مما هو مستور، وإن الزمان لكفيل بكشفه).^(١)

فوقعت هذه المقالة موقع المصاعقة على الحكومة وحلفائها المبشرين فجعل الحاكم العظم كلا من (كرى) و(جوين) وبدأ ثلاثتهم يتدارسون المقال فوصلوا إلى أن هذه بداية ثورة وبدأت الاستخبارات البحث عن صاحب المقال، فوجه الحاكم الاتهام إلى القاضي الأكبر مستدلاً على ما ذهب إليه بتصرفات القاضي العربية التي دفعتها إلى تقديم استقالته وسفره إلى القاهرة قبل نشر المقال بأيام.

أما جوين فأراد أن يصرف نظر الحكومة عن موضع الاتهام بقوله: (إن المقال جزء من من التحريض ضد النفوذ الإنجليزي الذي دخل السودان عن طريق مصر، وأن الكاتب لم يكن يهتم بقضية تعليم البنات بمقدار ما كان يرمى إلى إضعاف الهيبة الإنجليزية في نفوس الأهالي).^(٢) ووجه بدوره تهمة المقال إلى موظف بالأشغال يدعى حسن أفندي، مستدلاً على ما ذهب إليه بأن المذكور كتب رسالة إلى صحيفة قاهرية يحرض فيها على فتح مدارس

(١) المؤيد، القاهرة، عدد ٥٠٤٣ بتاريخ ١٧/١٢/١٩٠٦، وانظر التعليم في السودان ص ٧٣/٧٢

(٢) رسالة جوين إلى ونجت بتاريخ ١٧/١٢/١٩٠٦، وانظر التعليم في السودان ص ٧٣/٧٢

حكومية للمسلمين ، ورأى جوين أن الحكومة إذا استجابت لهذا التحريض فستكون النتيجة هي أن جميع الطالبات المسلمات في المدرسة الإرسالية سيتبررون تحت ضغط الرأي العام الإسلامي المحلي على حضور التعاليم الدينية^(١) واقتراح أن يكون رد الحكومة على هذه الحملة أنه ليس لدينا أموال لتعليم البنات في الوقت الحاضر وأننا نتساءل طالما أنكم غير راضين عن التعليم في المدرسة التبشيرية فلماذا لا تفتحون مدرسة محمد يسة لبناتكم ، فإذا كان الأوروبيون يستطيعون توفير المال ، والسيدات للتعليم في الخرطوم ، فلاشك إذا كنتم تقدررون تعليم بناتكم أنكم تستطيعون توفير ما يلزم من معلمين وأموال^(٢) . ولكن مدير المعارف لم يكن موافقا على رأي القسيس (جوين) وهو يعلم تماما أنه إذا فتح المجال أمام المسلمين فسوف يهرغون لإقامة المدارس ، وذكر أن أمامه طلباً مدعوماً بحجج قوية ، عليه توقيعات بعض المسؤولين المصريين يطالبون بفتح مدرسة للبنات ، ومع هذا فقد مال الحاكم العام إلى رأي القسيس جوين لذلك شدد في تقريره على أنه ليس من المستطاع فعل شيء بهذا الصدد في الوقت الحاضر كما رأى أن في رد جوين كثيراً من الصواب ، وطلب من كرومر أن يوافق إذا أمكن على كتابة شيء للصحف في هذا الموضوع ، ونسبة لحساسية الموضوع فإنه لم يرد أن يقدم على عمل مستقل في هذا الأمر بدون الرجوع إلى كرومر . فسلفت الصحف الحكومية ، كاتب المقال وموضوعه بالسنة حداد ، وبينما كانت الحملة الصحفية مستمرة كان كرومر يقوم بتقصي الحقائق حيث طلب أن ترفع إليه تقارير في الموضوع^(٣) فكلف الحاكم العام جوين بصفته المسئول الأول عن سبب هذه الحملة بإعداد تقرير وأن يكون حذراً في كتابته ، كما طلب من مدير الشؤون الأهلية بصفته مسئولاً عن تفتيش مدارس الإرساليات أن يعد هو الآخر تقريراً مفصلاً فجاء في تقريره حسب زيارته للمدارس وتلقى المعلومات من مديرها ما يلي :

الدرسة الكسية	تاريخ زيارة المفتش	مجموع تلاميذ المدرسة	عدد المسلمين	عدد الذين يقاطعون الدروس الدينية
الصبيان الأمريكية	١٩٠٧/١/١٥	١٩	١٢	١
الصبيان النسائية	١٩٠٧/١/١٦	٤٢	٢	٢
البنات النسائية	١٩٠٧/١/١٦	٦٥	١١	١١
التبشير الكسية	١٩٠٧/١/١٧	٦٦	٦١	٢

- (١) انظر تطور التعليم في السودان ص ١٠٠
- (٢) يعني تنظرون الى هذا الامر نظرة تقدير
- (٣) رسالة جوين الى ونجت بتاريخ ١٩٠٦/١٢/٢٩ وانظر التعليم في السودان ص ٧٤
- (٤) انظر تطور التعليم في السودان سنة ١٩٠٠/٩٩ ، والتعليم في السودان ص ٧٤
- (٥) انظر التعليم في السودان ص ٧٥

وعند ما قارن كرومر بين التقريرين وخاصة الجدول الذى قدمه مدير الشؤون الأهلية فوجئ بهذه الأرقام فأرسل برقية إلى (ونجت) يشير فيها إلى أنه تبين من تقرير مدير الشؤون الأهلية أن جميع الأولاد فى المدارس النسائية ، وعدد هم ثلاثة عشر تلميذا وتلميذة لا يتلقون الدروس الدينية ، بينما يتلقى جميع الأولاد المسلمين فى المدارس الأمريكية وجمعية التبشير الكسبية وعدد هم أربعة وسبعون تلميذا وتلميذة الدروس الدينية باستثناء ثلاثة منهم مما يدل على مفارقات رهيبية فأرجو تفسير سبب هذه المفارقات وكان رد الحاكم العام على تساؤل (كرومر) بتقريرين أعد أحدهما مدير الشؤون الأهلية ، وأعد الآخر رئيس الكنيسة الأسقفية ومجمل ما فى تقرير مدير الشؤون الأهلية :

(أن النسائيات لم يهتموا بتعليم أبناء المسلمين وأن مدارس الإرساليات الأسقفية والأمريكية بمثابة مدارس خاصة لأبناء المسلمين لأنه لا يوجد بها أى تلميذ أوربى ، وهذا هو السبب فى رأى مدير الشؤون الأهلية

أما جوين رئيس الأسقفية فقد كان يعتقد أن مدارس الروم الكاثوليك قد فتحت من أجل أبناء الأوربيين الكثرى العدد خاصة أبناء الإيطاليين ، ثم من أجل بقية الكاثوليك السوريين الموجودين بالخرطوم ، وأن الأوربيين كانوا يحذرون من أن يتعلم أولادهم مع أبناء المسلمين فى مدرسة واحدة ، ولقد عرف هذه الحقيقة عند ما فتح مدرسة جمعية التبشير للنبات بالخرطوم فقد كان أكثر طاباتها من الأوربيات والأقباط ، ولكن ما إن فتحت الروم الكاثوليك مدرستهم حتى التحق جميع التلميذات الأوربيات والقبطيات وتركبن مدرسة الإرسالية التبشيرية لأن أولياءهن لا يرغبون فى تعليمهن مع أبناء المسلمين .

ثم أردف قائلا : إن مدرسة الجمعية الكسبية مدرسة مفتوحة لأبناء السودان وليس فيها مكان مخصص للأوربيين ، فإذا أرادوا دخولها فعليهم الجلوس بجانب السودانيين .^(١)

ومن مراجعة التقريرين ندرك أنهما لم يخلوا من الخبث حيث عزا رئيس الشؤون الأهلية سبب تدريس المسيحية بمدارس الأسقفية والإنجيلية إلى خلوها من التلاميذ الأوربيين لأنهما وضعتا للمسلمين - وهذا هو العذر الأقبح من الذنب لأن التقرير نفسه وإنه لأن الدين المقصود هنا هو دين النصرانية وليس دين الإسلام .

(١) تقرير جوين عمل الإرسالية الانجليزية رقم ١٠٣-٢٠٧ أ ج . وانظر كذلك رسالة جوين للحاكم العام بتاريخ ٢/ ٢/ ١٩٠٧ ، وانظر التعليم فى السودان ص ٧٧ .

أما رئيس الأسقفية فقد جاء تقريره ملفقا ، فكون مدرسته فتحت لأبناء السودان هذه حقيقة ، ولكن للتصير ، وليس للتعليم ، فإن كان الغرض منها تعليم أبناء المسلمين ، فهى أولى المدارس بتدريس الإسلام لأبناء المسلمين .

ولذا نجد كرومر نفسه لم يلتفت بالتقريرين ، لأنه أدرك أن الوضع فى السودان يزداد خطرا وأنه لابد من معالجته ، وأن نظرتة لمبدأ التفتيش كانت خاطئة فلا بد من تعديلها لتلائم نظرة الحكومة ، كما لابد من اتخاذ خطوة لمواجهة مطالب الأهالى المسلمين ، ولهذا وجه (ونجت) لتنفيذ التفتيش الإلزامى بناء على الأسس التى اقترحها هو وزملاؤه بالاتفاق مع مدبرى مدارس الإرساليات وأن يكون حذرا فى تنفيذه من غير أن يشعرهم بغرضيته لأن هناك معارضة واسعة له ، كما أنه يعتقد من زاوية سياسية ، أن إنشاء مدرسة حكومية للبنات بالخرطوم أمر ضرورى ، ويجب أن يكون له الأولوية على فتح مدرسة ثانوية للبنين لأنه سيكم أفواه المسلمين .^(١)

ولم يشك الحاكم العام أن الإرساليات عامة ستوافق على التفتيش ، غير أنه تخوف من فتح مدرسة حكومية للبنات فى الخرطوم وأرجأ أمرها إلى أن تتاح له الظروف بمقابلة كرومر بالقاهرة بحضور مدير معارفه للتباحث فى موضوعها ، وظن أنه يمكن تطبيق التفتيش بحذر مع إقناع الإرساليات أن الغرض منه النصح لا النقد ، وأنه سيتولاه إنجليزى ولن يسمح لأى من أبناء البلاد ، وأن الهدف منه هو أسكات المسلمين الذين يطالبون بإغلاق جميع مدارس الإرساليات .^(٢)

ورغم أن (ونجت) لم يفتح (جوين) برغبة كرومر فى فتح مدرسة حكومية للبنات بالخرطوم ، إلا أن الخبر وصله عن طريق (ماكينز) من جميعة التبشير بالقاهرة ، حيث سارع ماكينز بالكتابة إلى جوين ، فكتب جوين بدوره إلى ونجت بأنه أصيب بخيبة أمل وانزعاج استمر يومين بعد أن أبلغه ماكينز أن الحكومة عازمة على فتح مدرسة للبنات بالخرطوم ، واعتبر ذلك خرقاً للتعهدات الحكومية السابقة بعدم التعرض لتعليم البنات فى الخرطوم خاصة ، وأن مدارس الإرساليات قد رضخت للتفتيش الحكومى فى أى وقت ، كما رأى أن يترك تعليم البنات للقطاع الخاص بدون مساعدة الحكومة ، وأن هذا سيكون امتحانا للإسلام ليحاول القيام بمقامات به المسيحية .^(٣)

(١) برقية كرومر إلى سردار الخرطوم ١٩٠٧/٢/٢ رقم ١٠٣/٢/٧/١٠٣ ج. د. ، وانظر التعليم

فى السودان ص ٨٤
(٢) انظر التعليم فى السودان ص ٨٤

(٣) رسالة جوين إلى ونجت ١٩٠٧/٣/١٣ رقم ١٠٣/١/٧/١٠٣ ج. د. ، وانظر التعليم فى السودان

ولم يخف جوين مخاوفه من أن فتح مدرسة حكومية بالخرطوم يعنى اختفاء مدرسته من الوجود، وأشار إلى أن أحد أولياء البنات أخبره بأنه إذا فتحت الحكومة مدرسة إسلامية فلن يرسل بناته إليها ولكن رأى العام الإسلامى لن يسمح له بابقاء بناته فى مدرسة مسيحية^(١).

فأثر خطاب جوين على ونجت وخوف كرومر من غضب الإرسالية الأم فى بريطانيا^(٢)، واقترح عليه تأجيل فتح المدرسة لبعض الوقت، وظل أمرها معلقا فلم تقم بكل من الخرطوم وأمد رمان وهما أكبر مدن السودان مدرسة حكومية للبنات حتى سنة ١٩٢١ عندما فتحت الحكومة مدرسة أولية بأم رمان كجزء من كلية تدريب المعلمات للدارس الأولية، ثم فتحت أول مدرسة وسطى للبنات سنة ١٩٣٩، وفى سنة ١٩٤٩ أضيف صف ثانوى صغير إلى المدرسة الأولية وأوحى جوين للحكومة أن تفرض رسوما على التعليم الحكومى حتى لا يهجر المسلمون مدارس الإرساليات^(٤) وظل جوين يرفع التعليم التبشيرى قريبا من نصف قرن حيث تقاعد سنة ١٩٤٦ ومنحته حكومة السودان جائزة مالية، وتسلم رسالة شكر من وزير خارجية بريطانيا فرد عليه شاكرًا قائلاً: إنه لمن الغريب أن أترك السودان بعد خدمة دامت ٤٧ عاما، ومع أنى فى الثالثة والثمانين فقد تمرست على هذا المناخ، وأشكر الله أنى ما زلت أمارس العمل، ولذلك فإنى بكل سرور أضع كل خبرة اكتسبتها بعد هذه السنوات الطوال فى مصر والسودان تحت تصرف وزارة الخارجية^(٥).

ولم تقف جهود الإرساليات عند حد التبشير بالنصرانية فى الحدود التى اصطلاحت عليها مع الحكومة بل فرضت الإرسالية الأمريكية فى سنة ١٩٢٥ على الطلبة والطالبات المسلمين حضور دروس الديانة المسيحية^(٦)، فتراص الخبر إلى أسماع أولياء الأمور فنعوا أبناءهم من حضور تلك الدروس، وقد امت الشكاوى احتجاجا على تصرف الإرسالية الأمريكية^(٧)، وبدأوا فى البحث عن البديل الذى تمثل فى قيام التعليم الأهلى كما سيأتى قريبا إن شاء الله

(١) المصدر السابق والصفحة .

(٢) انظر التعليم فى السودان ص ١٠٠

(٣) المصدر نفسه والصفحة

(٤) نفس المصدر ص ١٠٢

(٥) رسالة جوين الى بيغن بتاريخ ١/١/١٩٤٧ رقم ١٩٤١٩ ج. د. .

(٦) حكومة السودان، تقارير المديرية الخرطوم ١٩٢٥ ص ٢٩٤

(٧) تطور التعليم ص ١٧٢

المدارس الكسبية قبل الاستقلال :

أ / مدارس الروم الكاثوليك :

كان للروم الكاثوليك السبق في هذا المضمار حيث أنشأوا مدرستين في وقت مبكر لتعليم البنات إحداهما مدرسة الراهبات بالخرطوم (سانت آن) ، والأخرى مدرسة الراهبات بأم درمان (سانت جوزيف) وكلا المدرستين أسستا قبل الغزو الإنجليزي وهجرتا ثم أعيد فتحهما بعد الغزو مباشرة أي سنة ١٩٠٠ .^(١)

ثم أنشأوا مدرسة ثالثة ببورتسودان سنة ١٩٠٦ ثم تتابع نشاط الإرساليات التعليمية بين البنين بواسطة الإرسالية الأمريكية ، وبين البنات بواسطة الإرسالية الأسقفية .^(٢)

السنة	مدارس الروم الكاثوليك	عدد البنين والبنات من السودانيين
١٩٣٦	٥	٦٥
١٩٣٧	٥	٧٧
١٩٣٨	٥	١٣٤ ^(٣)

ب / مدارس الانجيلية قبل الاستقلال :

أنشأت إرسالية الأمريكية مدرسة الصبيان بأم درمان^(٤) ومدرسة بالخرطوم وكلاهما سنة ١٩٠٥ .^(٥)

السنة	مدارس الإرسالية الأمريكية	عدد البنين والبنات من السودانيين
١٩٣٦	٣	٣٠٤
١٩٣٧	٣	٣٦٤ ^(٦)
١٩٣٨	٣	٤٠٠

ج / مدارس الأسقفية الانجليزية :

أسست الأسقفية الانجليزية أولى مدارسها للبنات سنة ١٩٠٣ بالخرطوم وكان المستر جوين (مدبرة)^(٧) كما كان يحلوه أن يلعب نفسه بذلك ثم تطورت إلى مدرسة وسطى وثانوية

- (١) انظر تاريخ المسيحية ص ٢٤٦/٢٤٥
- (٢) انظر تطور التعليم في السودان ص ١٠٧
- (٣) انظر المصدر نفسه ص ٢٨٠
- (٤) انظر التعليم في السودان ص ٦٦
- (٥) انظر تطور التعليم في السودان ص ١٠٧/ ١٠٨
- (٦) المصدر السابقة
- (٧)

وتعتبر الرائدة في حقل تعليم البنات ^(١) وأخيراً نقلت ملكية هذه المدرسة إلى الحكومة سنة ١٩٢٥ وأصبحت مدرسة الاتحاد العليا ^(٢)، وأنشئت مدارس بعطبرة سنة ١٩٠٨ ^(٣)، ومدنى سنة ١٩١٢، وكانت مدرستا أم درمان ومدنى مقصورتين على تعليم البنات، أما مدرسة عطبرة فتضم البنين والبنات، وفي سنة ١٩٠٩ شيدت مدرسة للبنات بالخرطوم، وأخرى بحلفا للبنات سنة ١٩١٠، إلا أنها أغلقت سريعاً لإحجام الحلفاويين عنها ثم أنشئت مدرسة للبنين بعطبرة سنة ١٩١٢، وكانت هذه المدارس مستقلة تماماً في مناهجها وعينت بالتدبير المنزلي للبنات وتعليم الحرف للبنين مع العناية بالصحة العامة وتدريب اللغة الإنجليزية في مراحلها الأولية فهرع اليها أبناء الطبقة الوسطى في المدن، ولذلك كانت الأسقفية أكثر الإرساليات مدارس وطلبة.

مدارس الأسقفية:

السنة	عدد مدارس الأسقفية	عدد التلاميذ من الجنسين
١٩٣٦	١٣	٤٢٤
١٩٣٧	١٣	٦٠٣
١٩٣٨	١٣	٦٣٤ (٤)

وكان لكل إرسالية مقررات وطرق تختلف عن الأخرى ولكنها جميعاً تهدف إلى تعليم يقوم على أساس نصراني ^(٥).

والأعداد الموضحة من أبناء المسلمين هم الذين وافق أهلهم على تلقي دروس الديانة المسيحية وخاصة بالنسبة للإرسالية الأمريكية التي جعلت ذلك شرطاً لقبول الطلبة المسلمين ^(٦) وظلت هذه الإرساليات تعمل على إفساد عقائد المسلمين دون رقيب أو حسيب وترك لها الحبل على الغارب لتنمونوا وأسعاً في ظل ما يسمى بالحكم الوطني أكثر من نموها في عهد الحكم الاستعماري الذي كان يخشى من ثورة المسلمين.

(١) تطور التعليم ص ١٠٨

(٢) The Christian approach to Islam in the Sudan P.15

(٣) انظر الفارة على العالم الاسلامي ٢٢٢

(٤) انظر تطور التعليم ص ٢٨٠

(٥) انظر المصدر السابق ص ١٠٨

(٦) تطور التعليم ص ٢٨١

المؤسسات التعليمية الكسبية في الشمال بعد الاستقلال :

أولا : الروم الكاثوليك

زعم القس الكاثوليك أن الهدف الأساسي من إنشاء مدارسهم هو ضمان توفير التعليم المسيحي لابناء الأسر المسيحية الذين كانوا في بادئ الأمر من غير السودانيين استجابة لتوجيه الحاكم العام للسودان الذي وجههم بعدم قبول أى تلميذ سوداني مسلم بمدارسهم مع بعض الاستثناء ، ورغم استجابتهم لهذا التوجيه في البداية إلا أنهم في سنة ١٩١١ كانت نسبة البنات المسلمات بمدارسهم ١٢٪ وكانت برامج التعليم للمدارس التبشيرية عامة يضعها مديرو هذه المؤسسات دون تدخل الحكومة ، فالأولاد يدرسون لمناصب رجال الدين وللأعمال التجارية ، أما البنات فيتم تعليمهن الدين حسب عقيدة الكاثوليك ، وغير المسيحيين ليس مفروضا عليهم دراسة الدين المسيحي ، ولكن يجب أن يكونوا داخل الفصول تنفيذاً للنظام (١)

والكنيسة الكاثوليكية تعتبر المؤسس للتعليم التنصيري بالسودان ، ولا نريد أن نكرر ما سبق ذكره في شأنها ولكن لربط الموضوع نذكر أن هذه الكنيسة بمبادرة من جمعية آباء فيرونا فتحت في سنة ١٩٢٩ مدرسة بالخرطوم في شارع (فكتوريا) سابقا (القصر) حاليا

أطلقت عليها اسم كلية كمبوني تخليداً لذكرى مؤسس التعليم الكاثوليكي بالسودان ، بدأت

بائنين وخمسين تلميذا في فصلين بالمرحلة الوسطى Intermediate

ثم تطورت إلى مدرسة ثانوية وكانت هيئة تدريسها من المبشرين الكنديين Candian Brothers

من القلب المقدس Sacred Heart وانسحب المبشرون الكنديون

فيها سنة ١٩٣٥ (٢) وحل محلهم آباء فيرونا بهذه المؤسسة التبشيرية ، ونسبة للمستوى الرفيع

في اللغة الإنجليزية الذي حققه الآباء الكنديون فقد تبوأ خريجوها مناصب رفيعة في الدولة

والشركات التجارية وفي سنة ١٩٤٦ التحق بعض خريجها بجامعة الخرطوم والجامعات

الأخرى خارج السودان ، فكان هؤلاء الخريجون دعامة التعليم العلماني وحماة التعليم

التبشيري ودرعه الواقى وكانت اللغة الإنجليزية هي الملفة الرئيسية التي يتشدد بها هذا

(١) Fr. Giovanni Vantine, Durham Sudan Historical Records Conference, the Roman Catholic contribution to evangelization in the Sudan P. 9

(٢) Ibid P.10

الرعيل ، وفي سنة ١٩٥٥ كان عدد الطلاب بالنقص المتوسط ٣٨٥ طالبا وفي الثانوى العالى ٤٧٢ وأكثرهم من المسلمين وبلغ مجموع خريجي هذه المدرسة فى سنة ١٩٥٥ ألفى طالب وجذب مستواها فى اللغة الإنجليزية المزيد من أبناء المسلمين ومنذ سنة ١٩٥٤ أطلق على جميع مدارس الكاثوليك بالسودان مدارس كمبونى^(١).

وبلغ مجموع الطلاب بمدارس الكاثوليك سنة ١٩٥٥ ثلاثة وأربعين وثمانمائة وستة آلاف

طالب (٦٨٤٣) توزيعها كالآتى :

رياض أطفال	الابتدائى	المتوسط	العالى		
				بنات	بنين
٦١٢	١٣٠٦	١٢١٠	١٥٨٥	٨٣٩	٥٥٤
١٦٣	١٦٣	١٦٣	١٦٣	١٦٣	١٦٣

ولقد زادت هذه المدارس بعد الاستقلال زيادة كبيرة وتضاعفت أعداد التلاميذ بها فى جميع مدن السودان الكبرى ولناخذ العاصمة المثلة كشال لبيان نشاطها حيث يقدم الكاثوليك وحدهم التعليم التنصيرى لما يربو على عشرة آلاف من أبناء المسلمين .
أ / مدارس الكاثوليك بالخرطوم :

(١) - كلية كمبونى : بها أربع مراحل من مرحلة (صفر) - الروضة - فالابتدائى ، فالمتوسط ، فالعالى . ويفصل بين الثانوى وبقية المراحل شارع ضيق وتضم اثنين وستين ومائة وألف طالب وطالبة^(٣) ، وهى مؤثثة بأحدث الأثاث وتوجد بها مطبعة ضخمة فى جزئها الشرقى تقوم بطباعة الكتب والامتحانات ، وتعمل يوميا بعد الساعة الرابعة مساءً ، وتقوم بطبع الرسائل والكتب الصغيرة كما تقوم بطبع صحيفة السلام ، وهى صحيفة مسيحية متخصصة لنشر المسيحية وأخبار الطائفة الكاثوليكية محليا وإقليميا وعالميا مع مواضيع دينية أخرى ، كما تهتم هذه المؤسسة بالنشاط الرياضى وتجبر طلابها عليه وترصد له مائة درجة فى شهاداتها ، ويدير المرحلة الثانوية قسيس ايطالى متعصب يكره المسلمين ، ونائبه من المكسيك بالإضافة إلى سبعة قسس كاثوليك وواحد من البروتستانت فى هيئة التدريس ، ويتم تعيين جميع المدرسين بواسطة إدارة المدرسة عدا مدرّس التربية الإسلامية الذى تعينه الوزارة ، وسبب لأن المدارس التبشيرية عامة لا تشجع تعليم اللغة العربية والتربية الإسلامية ففى الغالب لا يستمر أستاذ التربية الإسلامية إذا كان ذا شخصية قوية مؤثرة ، للمضايقات الإدارية . أما أستاذ اللغة العربية

(١) Ibid P. 10

(٢) Ibid P. 10

(٣) التبشير فى العاصمة المثلة ص ٩

فغالبا ما يعين من الأقباط المصريين ، ويتحاشى تدريس أى نص إسلامي^(١) .

ويتحول القسم المتوسط إلى مدرسة ليلية يؤمها عدد كبير من أبناء جنوب وغرب السودان

٢- مدرسة الراهبات : Villa Gilda

بها جميع المراحل من الروضة حتى الثانوى العالى كل صف به ثلاثة فصول يؤمها حوالى ١٢٠٠ طالبة من جنسيات مختلفة مسلمات ومسيحيات وبها حوالى عشرون معلمة ، ست منهن مسلمات ١٥ معلما .

٣- مدرسة القديس سان فرنسيس بالخرطوم :

مختلطة بنين وبنات تتكون من روضة وابتدائى ، وبها اثنان وعشرون فصلا وتضم ١٦٠٩ تسعة وستائة وألف تلميذ وتلميذة ويتكون بناؤها من طابقين فى مساحة قدرها خمسة عشر وتسعمائة متر مربع ، وتتبع مدرسة الراهبات ، ويتكون مجلس إدارتها من خمس عشرة راهبة ، وبها ثمان وعشرون معلمة منهن ست مسلمات ، وثلاثة معلمين مسلمين . وبها إذاعة تبث الأغاني والموسيقى والأغاني وتحرس على التدريب الرياضى وأعمال الإبرة للبنات .

٤- مدرسة فيلا جلد١

تقع غرب السوق العربى أمام شارع الحرية بجانب مستشفى الراهبات ، ومطبوعة التمدين وتتكون من روضة وابتدائى ، وتضم حوالى ١٠٦٠ ستين وألف تلميذ وتلميذة يدفع التلميذ فى العام ٨٨١٠٠^{طليمج} على ثلاث دفعات وكل معلماتها نساء منهن خمس مسلمات وبها كنيسة للصلاة .

٥- مدرسة سان جوزيف الفنية بالخرطوم :

بها ٣٤٤ طالب .

(١)

٦- مدرسة سان جوزيف للبنات بالخرطوم

٧- مدرسة كهونى الابتدائية بالسجانة :

مساحتها ٢٥٠ م .م بها حوالى ٣٧٧ تلميذ وتلميذة تديرها راهبة أكثر طلابها من أبناء الجنوب ومن الفلاتة وأبناء المسلمين من مواطنى المنطقة .

٨- مدرسة كهونى الصناعية بالسجانة :

تقع فى المنطقة الصناعية شمال مشتل بلدية الخرطوم بها ورش لتعليم التجارة والهندسة الميكانيكية والكهرمائية وتحتل مساحة كبيرة .

(١) انظر صحيفة المدينة الصبورة العدد رقم ٥٩٨٩ بتاريخ ١١ من ذى القعدة سنة

١٤٠٣ هـ ، مقال للاستاذ يوسف حمد النيل سليمان الذى سبق له العمل مدرسا

بالمدرسة نفسها

٩- مدرسة كمبوني الصناعية بحي مايو:

تقع في منطقة سكنية مزدحمة بالسكان مساحتها حوالي ١١ / ٥٥٤ م. لم يكتمل بناؤها
ولكن الدراسة بها منتظمة، وتوجد بها عيادة لتطبيب التلاميذ، وهم أحداث صفار وصلوا في
الدراسة إلى الصف الخامس الابتدائي، وبها فصول مسائية للكبار.

١٠- مدرسة الجريف غرب الكاثوليكية بالخرطوم:

يعتبر الجريف من أحياء العاصمة القديمة وأكثر سكانه من الفقراء ومتوسطي الحال،
والمدرسة عبارة عن روضة أطفال، وفي المساء تقوم بتدريس المسيحية لأبناء الجنوب والضرب
بلهجاتهم وتوجد بها دروس تقوية في اللغة الإنجليزية وذلك لجذب تلاميذ المدارس الأخرى

ب- مدارس الكاثوليك بأمد رمان:

١- مدرسة كمبوني الابتدائية للبنين:

تقع في حي المسالمة على خط مواصلات الثورة شارع الشنقيطي بجوار الكنيسة الكاثوليكية
مساحتها حوالي ١٥٠٠ م، يشرف عليها قسيسان يسكان في منزل بالمدرسة، تديرها
بالتلاميذ مدرسة الراهبات، حيث يلتحق بها التلاميذ في سن الخامسة، وبعد مضي عامين
دراسيين ينتقل البنين منهم إلى الصف الثاني الابتدائي بكمبوني الابتدائية، والإقبال على
هذه المدرسة كبير جداً، حيث فتح باب الانتساب إليها ١٩٨٢/٨١ وحددت المقاعد
بأربعمائة، وفي ظرف ساعة ونصف ساعة فقط قدم سبعمائة طلب للالتحاق فاضطر المسئولون لقفول
باب التقديم بعد مضي هذه المدة الوجيزة، ومعظم تلاميذ هذه المدرسة من أبناء الطبقة
الراقية، ويدفع التلميذ مائة جنيه في السنة باستثناء الفقراء وأبناء الجنوب والغرب حيث تقدم
لهم المدرسة مساعدات بجانب إعفائهم من الرسوم، وكل المعلمين عدداً معلم التربية الإسلامية
تعينهم إدارة المدرسة حسب شروطها. (١)

٢- كمبوني المتوسطة للبنين بأمد رمان، وهي عبارة عن نهر واحد وتضم ٣٢٥. (٢)

(١) معلومات ميدانية، وانظر التبشير المسيحي في العاصمة، ص ٩

(٢) التبشير المسيحي في العاصمة ص ٩

٣- كمبوني للبنات بأمد رمان :

(١)
تقع بجوار الكنيسة تتكون من روضة وابتدائي ومتوسطة، وثانوية عليا وتضم ١٤٠٠ طالبة
والروضة بهذه المدرسة مختلطة وبعد السنة الثانية من الدراسة يؤخذ البنين إلى كمبوني
الابتدائية بنين، ويواصل البنات تعليمهن حتى الثانى العالى . وتشكل أسرة هذه المدرسة
جنسيات متعددة من سودانيين ، وأقبساط مصريين وارتريين وأحباش، وتشرف على كل قسم من
أقسامها راهبة، كما تدير المدرسة راهبة إيطالية ، وأكثر طالباتها من المسلمات.

٤- روضة كمبوني :

تقع فى حى بانت بأمد رمان ، يتوسطها ميدان فسيح وهى تقع فى حى متوسط الحال وأغلب
سكانه من المسلمين .

٥- مدرسة الحارة الأولى بأمدة :

معظم الدارسين بها من أبناء الجنوب والغرب وقليل من الأقباط وبعض فقراء المسلمين
ويزورها يوميا قسيس أجنبى وراهبة .

ج ٧ مدارس الكاثوليك بالخرطوم بحرى

١- مدرسة كمبوني بالخرطوم بحرى للأولاد :

(٢)
وهى عبارة عن مدرسة ابتدائية بها ٥٧١ طالب

٢- مدرسة حلة حمد الابتدائية :

حلة حمد من أحياء الخرطوم بحرى العتيقة وأكثر سكان الحى من المسلمين متوسطى
الحال ، تقوم المدرسة فى الصباح بتدريس المنهج السودانى ، وفى المساء تقوم بالتشجير
النصرانى .

٣- مدرسة كوبر الكاثوليكية :

بدأت نشاطها فى سنة ١٩٨١ فى منزل تملكه الكنيسة مساحته ٥٠٠ م أكثر تلاميذها من
أبناء الجنوب والتدريس فيها بالانجليزية تؤدى فيها الطقوس الكنسية ويزورها خمسة قسوس بانتظام

(١) التبشير المسيحى فى العاصمة ، نسخة مكتوبة بالآلة الكاتبة ص ١

(٢) نفس المصدر والصفحة .

٤- مدرسة حلفاية الملوك الكاثوليكية المختلطة:

حلفاية الملوك من أحياء العاصمة السكنية القديمة وأغلب سكانها من المسلمين. بدأت هذه المدرسة نشاطها بالحلفاية سنة ١٩٧٤ في مساحة قدرها ٨٠٠ م.م وتقع بالقرب من المسجد، وتضم مركزاً اجتماعياً ومصحة وروضة أطفال، ويقوم المركز الاجتماعي بتوزيع الملابس والغذاء بصفة دورية كما تقدم العلاج لسكان الحي راحة، وهذه المدارس الكاثوليكية يتحول كثير منها إلى مدارس ليلية فكمبوني المتوسطة وحدها يؤمها حوالي ثلاثة آلاف طالب (١) وبالإضافة إلى هذه المدارس هناك مدارس كاثوليكية عشوائية في أحياء سكنية عشوائية* تركز فيها الكنيسة على تدريس المسيحية باللهجات القليلة، كما تقوم بتدريس اللغة الإنجليزية للراغبين في التمكن من هذه اللغة، ونذكر من هذه المدارس العشوائية على سبيل المثال:

- مدرسة الفتيحاب الكاثوليكية العشوائية تقتصر الدراسة فيها على تعليم المسيحية وبها فصول تقوية للغة الإنجليزية.

- مدرسة الخواجة بالثورة الحارة (١٨) بها ٧٥ طالبا (مختلطة)

- مدرسة المنشية بها حوالي (٥٠) متعلما

- مدرسة كنيسة العشش الكاثوليكية بالخرطوم بها (٢٠٠) تلميذ.

- مدرسة الدروشاب الكاثوليكية (٢)

وما ذكر لا يعنى أن هذه هي كل مدارس الكاثوليك وإنما هذا على وجه التقريب.

مدارس الإرسالية الإنجيلية بالعاصمة المثلثة:

فتحت الإنجيلية أول مدرسة أولية لها للبنات بالخرطوم بحرى (١٩٠٧) ثم تم الاتفاق بينها وبين إرسالية الإنجليز الأسقفية على أن تتولى تعليم البنين، وتتولى الأسقفية تعليم البنات، وتدريجاً رستها هذه من مدرسة ابتدائية حتى أصبحت في العشرينات ثانوية عليا، وتضم

(١) المصدر السابق ص ١٠.

* عشوائية: تعنى المدارس التى تقوم في مناطق السكن العشوائى على أطراف العاصمة بدون تخطيط حكومى، فكل النازحين من مناطق السودان البعيدة، والنازحون من أقطار أفريقيا المختلفة يقيمون في أحياء عشوائية يصنعونها أولا من الكرتون والبروش ثم يبدؤون فى تحسينها شيئا فشيئا حتى يعترف بها رسميا وهذه الأحياء مرتع خصب للعمل الكسبى حيث تستغل الكنيسة عوزهم وحاجتهم، كذلك هناك مدارس عشوائية كثيرة داخل المدن وهى المدارس التى تقوم بدون تصديق من السلطات فى منازل تستأجرها الكنيسة فى المدن لا بناء الجنوب والغرب.

(٢) انظر المصدر السابق ص. ١٠.

مدارس الإرسالية وحدها بالعاصمة أكثر من ١٦٠٠ تلميذ وتلميذة أكثر من ١٣٠٠ منهم
من أبناء المسلمين بينما المسيحيون أقل من ٣٠٠ وتوزيعهم كالآتي :^(١)

أ/ رياض الأطفال بنين وبنات :

الانجيلية السودانية بالخرطوم بحرى	عدد الفصول	مجموع التلاميذ	السودانيون	الموافدون	المسلمون	المسيحيون
	٤	١٨٢	١٢٨	٤	١٥١	٣١

ب/ المدارس الابتدائية :

الانجيلية السودانية بحرى المختلطة	٤٠	٥٠٩	٤٨٧	٢٢	٤٢١	٨٨
--------------------------------------	----	-----	-----	----	-----	----

ج/ الانجيلية السودانية بامد رمان :

الانجيلية السودانية بامد رمان	٤	٦٧	٤٢	٢٥	٣٩	٢٨
----------------------------------	---	----	----	----	----	----

د/ المدارس الانجيلية المتوسطة :

الانجيلية السودانية بامد رمان	٥	٢٩٨	٢٩١	٧	٢٦٤	٣٤
الانجيلية السودانية بيت الامانة	٣	٩٥	٩٠	٥	٦٧	٢٨

هـ/ المدارس الانجيلية الثانوية :

الانجيلية التجارية بامد رمان	٣	١٥٢	١٥٢	-	١٣٤	١٨
الانجيلية بحرى بنات	٣	٤٥	٤٥	-	١٨	٢٧

مدارس الكنيسة الاسقفية بالعاصمة :

افتتحت الإرسالية الاسقفية أولى مدارسها بالخرطوم سنة ١٩٠٤ واستمرت تواصل تعليم
البنات بين المسلمين ، بينما تشترك في حقل التعليم عامة مع بقية الإرساليات الأخرى ومدارسها
هى :

اسم المدرسة	عدد الفصول	مجموع التلاميذ	سودانيون	وافدون	مسلمون	مسيحيون
روضة الكنيسة الاسقفية بأم درمان	١	١١٦	١١٦	-	١٠٨	٨

ب/ الابتدائية بنين وبنات:

الاتحاد للبنين	١	١٩٠	١٩٠	-	١٤٥	٤٥
الاسقفية بنات بأم درمان	٦	٢٣٣	٢٢٧	٦	١٩٠	٤٣

ج/ المدارس المتوسطة:

الاتحاد بنين الخرطوم	٣	٩٢	٨١	١١	٦٠	٣٢
الاسقفية بنات أم درمان	٣	٩٦	٨٧	٩	٧٨	١٨
المجموع	٦	١٨٨	١٦٨	٢٠	١٣٨	٥٠

د / المدارس الثانوية الاسقفية بنين وبنات:

الاتحاد العليا بنين الخرطوم	٣	٤٥	٤٥	-	٢٦	١٩
الاسقفية الثانوية بنات بأم درمان	٣	٩٣	٩٠	٣	٧٣	٢٠
المجموع	٦	١٣٨	١٣٥	٣	٩٩	٣٩

وعلى هذا الإحصاء يكون مجموع التلاميذ بمدارس الاسقفية ٨٥٧ تلميذ عدد المسلمين منهم ٦٨٠ تلميذ ونسبتهم ٧٩٪ بالنسبة للمسيحيين الذين يشكلون نسبة ٢١٪ تقريبا وبجانب هذه المدارس النظامية توجد مدارس عشوائية لهذه الكنيسة وان كانت أقل من مدارس الكاثوليك العشوائية.

مدارس الأقباط الارثوذكس :

تتركز مدارس الأقباط في حي المسالمة بأم درمان شرق شارع الشنقيطي حيث توجد كنيسة الأقباط الكبريان، إحداهما قديمة أطلق عليها اسم (ماري جرجس) والأخرى حديثة سميت (مارينا)

(١) هذه الإحصائيات مأخوذة من الإحصائيات الرسمية ٧٩/٨٠. وانظر التبشير المسيحي بالعاصمة ص ١١/١٠

كما توجد في نفس المنطقة رابطة الشباب القبطى بجوار مقبرة الأقباط، والرابطة هذه بناؤها فخم كما أن مدارس الأقباط بصفة عامة تستخدم المنهج المصرى ويلاحظ أن أكثر طلابها من المسيحيين باستثناء رياض الأطفال التابعة للأقباط بالخرطوم بحرى فغالبية الأطفال بها مسلمون، وكذلك التوفيق الابتدائية المختلطة بالخرطوم بحرى.

٩/ رياض الأطفال :

اسم المدرسة	عدد التلاميذ	السودانيون	وافدون	مسلمون	مسيحيون
أروضة الأقباط ببحرى	١٨٢	١٧٨	٤	١٥١	٣١
التوفيقية بأم رمان	٢٤٤	١٩٦	٤٨	٤٥	١٩٩
المجموع	٤٢٦	٣٧٤	٥٢	١٩٦	١٣٠

ب/ المدارس الابتدائية التابعة للأقباط الارثوذكس:

الأقباط المختلطة بالخرطوم بحرى	الفصول	عدد التلاميذ	سودانيون	وافدون	مسلمون	مسيحيون
التوفيقية المختلطة بأم رمان	٨	٣٥٢	٢٧٧	٨٠	٣٤	٣٢٣
المجموع	١٧	٥٧٨	٤٩٤	٨٤	١٨٩	٣٩٩

ثم أخيراً مدرسة التوفيقية المتوسطة بها ٣٥٢ وأكثرهم من المسيحيين .

وبجانب هذه المدارس الكنسية التابعة للإرساليات الكبرى بالسودان توجد مدارس الجاليات ومن أهمها مدارس البعثة المصرية تبتدئ من رياض الأطفال ، وقيمتها جامعة القاهرة فرع الخرطوم وهى وإن كانت لا تمارس التبشير علناً إلا أنها تضم بهيئة تدريسها عدداً كبيراً من الأقباط.

ثم مدارس الجالية الأرمنية واليونانية وهى مدارس خاصة لأبناء الجالية ولا يؤمها المسلمون . ولقد استغلت هذه المؤسسات التعليمية الكنسية التعليم لغرس مبادئ النصرانية في عقول ناشئة المسلمين . فالمنهج والطريقة والاساتاذ والوسيلة كلها تتضافر لتركيز الثقافة النصرانية في أذهان الصغار ، وتغفيرهم من الإسلام ، ابتداءً من رياض الأطفال ، ومدارس تعليم الكبار حتى المدارس العليا فكل هذه المدارس مزينة بالوسائل البصرية والسمعية النصرانية من صور الصليبان والفرسان والقديسين ، وأدب الصلوات والترانيم ، وسماع الألقاب النصرانية كلفظ (أبونا) وليس

عجيباً أن تجرى هذه اللفظة على لسان طفل مسلم وإنما العجيب أن تسمعها من رجل مسلم كبير وخاصة إذا كان موجهاً للتربية الإسلامية^(١).

وتقدم الحلوى للأطفال باسم المسيح ويحرم البعض بحجة أن محمداً اغتصب نصيباً لفرس الكراهية في نفوس الأطفال تجاه الإسلام، وكل هذه الوسائل والمبادئ الهدامة تفسد عقول ناشئة المسلمين، لأن التعليم كما هو معروف من أقوى المؤثرات الاجتماعية التي تستخدم في نقل المبادئ.

كذلك ظلت هذه المؤسسات من عام ١٩٤٧ حتى الآن تفرض خريجيهما على جامعة الخرطوم بما يسمى (شهادة جامعة لندن) وهي شهادة دون مستوى الشهادة السودانية زيادة على أن اللغة العربية ليست شرطاً فيها كما في السودانية مما جعل لإقبال عليها زائداً وخاصة من أبناء العلية الذين وفروا لها الحماية قرابة أربعين عاماً.

وتتمركز هذه المدارس الكسبية في أحسن المواقع في العاصمة المثلثة تلك المواقع التي منحها إياها الحكم الاستعماري، وما زالت هذه المؤسسات التنصيرية تصبغ وجه العاصمة المثلثة بالصبغة النصرانية حيث تحتل مداخل العاصمة الرئيسية حتى يطن الذي تطأ قد ملأ مطار الخرطوم لأول مرة أنه قام، إلى بلد نصراني حيث يواجهه النادي الكاثوليكي عند خروجه من أرض المطار ثم الكنيسة الاثيوبية بعد، وعندما فكرت الحكومة في إنشاء مطار عالمي جديد بمدينة الخرطوم بحري، سارعت الكنيسة الكاثوليكية فحصلت على قطعة أرض مساحتها مائة ألف متر بجوار المطار الجديد بالخرطوم بحري، ولتقدم ذات الانطباع لداخل المدينة، فالمباني الكسبية الضخمة تفوق مساجد العاصمة كثرة ومتانة ومواقع وجمالاً على الرغم من أن المسيحيين في كل القطر لا يتجاوزون ٥٪.

(١) رواية عن أحد الاساتذة من مجلس التربية الإسلامية بعد أن قررتها الوزارة وتكفلت بمعلميها بهذه المدارس التي تدار بواسطة القسس فجرت لفظة (أبونا) على لسان موجه فاستنكر الاستاذ ذلك.

(٢) انظر التبشير في العاصمة المثلثة، ص ١٦

المبحث الخامس

التعليم الأهلئ الاسلامى

كان التعليم الأهلئ فى السودان يقوم على نظام الخلاوى - الذى أشرنا إليه - والسئى اعتبرها الفزاة مهذباً للتعصب الإسلامى فحاربوها بشئى الوسائل التى كان من أشدها عدم إسناد أى وظيفة حكومية لخريجيهها ، وبالتالى جذب نظام التعليم الحديث كثيراً من الطلاب رغبة فى الوظيفة ، وهجرت الخلاوى ، وبدأ المسلمون يشعرون بالخطر المحدق على تعاليم الإسلام ، واتجهت قلة من الطلاب إلى الأزهر وبدأت الأصوات ترتفع احتجاجاً على إهمال الحكومة لتعاليم الإسلام مع إتاحتها الفرص الواسعة لتعاليم النصرانية ، فشعر (ونجت) حاكم عام السودان بخطورة الموقف ، فكتب إلى كئشنر مندوب بريطانيا بالقاهرة بأن هناك : (شعوراً قوياً من رجال الدين الإسلامى فى السودان بأن الفقه الإسلامى قد أهمل جانباً وأن الطريق لعلاج ذلك هو جلب مدرسين مسلمين من الأزهر أو إرسال صفار العلماء للأزهر بالقاهرة حيث يمكنهم الاطلاع على نظم التعليم والعودة للسودان كمدرسين مؤهلين بعد إتمام دراستهم) (١) .

وكان (ونجت) موقناً أن كل واحد من الاقتراحين له خطورته ومساوئه ومع ذلك فإنه كان يفضل ذهاب صفار العلماء للقاهرة رغم تخوفه من تشربهم للأفكار المناوئة للحكومة ، ولقد دفعه تخوفه هذا وهو كاره إلى انتهاج حل وسط وهو تطوير التعليم الإسلامى ، فلجأ إلى إحياء الخلاوى بإعطاءها إعانات مالية ضعيفة ، مع إخضاعها للمراقبة والتفتيش لتكون الحصن الحصين البعيد عن الغليان السياسى المنتشر فى صفوف المثقفين السودانيين (٢) بالإضافة إلى أنها ستكون نواة للمعهد العلمى الذى كان قد أنشأه شيخ الإسلام محمد البدوى سنة ١٩٠١م حفاظاً على عقيدة المسلمين فكون له الحاكم العام مجلساً يضم أحد عشر عضواً برئاسة شيخ الإسلام نفسه (٣) ، وكان هؤلاء العلماء فى بادئ الأمر يقومون بالتدريس فى بيوتهم أو فى فناء جامع أم درمان الكبير ، وبعد وفاة شيخ الإسلام ، عين الشيخ أبو القاسم أحمد هاشم خلفاً له (٤)

(١) انظر تطور التعليم فى السودان ص ١٢١

(٢) مجلة المعهد العلمى بام درمان ١٩٦٣/١/٢٥ ، ص ٣١/٣٢

(٣) حكومة السودان ، مذكرة عن معهد أم درمان العلمى المصلحة القضائية بالخرطوم ١٩٩٠/٩/٤٦

(٤) هو الشيخ محمد السبرى

فحث العلماء على التدريس بجامع أم درمان بدلاً عن التدريس في بيوتهم، وأصدر بموافقة الحاكم العام، لوائح تعليم المعرفة الإسلامية في معهد المشيخة العلمية بأم درمان والخرطوم والمعاهد في المديرية والمراكز^(١)

واشتملت هذه اللوائح على شروط تكوين مجلس العلماء ومهامه وواجبات المدرسين والطلاب والمقررات الدراسية والمؤهلات العلمية، والتنظيم بالمعهد، كما قسمت مراحل الدراسة فيه إلى ثلاث مراحل يقضى الطالب بكل مرحلة أربع سنوات، وكل مرحلة تؤهل الطالب بشهادة يرتفع بها إلى التي تليها، وهذه الشهادات هي :

- ١- الشهادة الابتدائية : تعادل الشهادة الوسطى المدرسية .
- ٢- الشهادة الأهلية : تعادل الشهادة الثانوية المدرسية .
- ٣- الشهادة العالمية : تعادل الشهادة الجامعية .

وعلى الرغم من أن هذا المعهد تطور بإذن وتشجيع الحاكم العام وظل يرفع علوم الإسلام تحت إدارة حكومية تتبع لمصلحة القضاء برئاسة قاض شرعي وكانت مرتبات مشائخه تدفع من الخزينة العامة إلا أن هذا ربط هؤلاء العلماء بنظام الحكم، واعتمادهم على ما يتلقونه من المرتبات أفقدتهم الحرية التي كانوا يتمتعون بها وأضر بمكانتهم الاجتماعية^(٢) وظل خريجوه محاربين من قبل الإدارة البريطانية التي سدت أمامهم سبيل العيش عن طريق التوظيف الحكومي حتى في مجال اختصاصهم فلم تعين منهم إلا القليل، وفي وظائف دنيا ككتبة المحاكم الشرعية .

- أما القضاة الشرعيون فكانوا من مدرسة القضاء بكية غردون - كما أسند إليهم الوعظ في المساجد والتدريس بالخلاوى المعانة، ورغم أن المعهد ظل صورة مصفرة للأزهر بمصر إلا أن الثقافة التي حافظ عليها ظلت الثقافة الغربية في وطنها حتى بعد خروج الإنجليز - لسيادة المنهج العلماني الغربي - وظل كثير من الناس يهددون أبناءهم بأنهم إذا لم يثابروا وينجحوا فسيكون مصيرهم المعهد وتعاقبت الحكومات الوطنية اسماً، السائرة على نهج الإنجليز فعلاً، لأن الإنجليز أفلحوا في أن يكون خلفاؤهم من أهل البلد ينفذون سياستهم ويطبقون قوانينهم، وجأ خريجوه هذه المعاهد الإسلامية بالشكوى طلباً للاعتراف

(١) حكومة السودان مذكرة عن معهد أم درمان العلمي المصلحة القضائية الخرطوم ١٦ / ٩ / ٤٦

(٢) د . يوسف فضل حسن ، من معالم تاريخ السودان ، ص ٨٢ ، ط دار الفكر .

بشهاداتهم كزملائهم خريجي الأزهر بمصر، ولكن دون جدوى، ولم يحدث الاعتراف إلا مؤخراً وبعد أن أجريت التعديلات لتقترب هذه المؤسسات الإسلامية من الخط العلماني الذي رسمه الحكام الإنجليز وأعوانهم المبشرون للتعليم في السودان، ومن الحق الذي لا ينكر أن هذه المعاهد حافظت على ثقافة الإسلام وقامت بدور تحمدي عليه، وثار الكثير من مشايخها وطلابها وجاهدوا فلم تلق لهم قناة حتى ككل جهادهم بقيام جامعة أم درمان الإسلامية سنة ١٩٦٥ التي كانت تتويجا لكفاح هؤلاء المشايخ ولكن الأنظمة العلمانية التي كانوا يواجهونها كانت أعنف وأشدّ حقداً على الإسلام وأهله فبعد أربع سنوات من قيام هذه الجامعة التي أقضت مضاجع الصليبية العالمية تحرك أعوانها في الداخل والخارج، فتمخض هذا الحقد بالانقلاب الذي قام سنة ١٩٦٩ بمساندة الشيوعيين، وكان أول أهداف هذا الانقلاب ضرب الإسلام بضرب مؤسساته التي كانت على قمته الجامعة الإسلامية.

التعليم الأهلي على المنهج العلماني :

بجانب المعهد العلمي، قام التعليم الأهلي وفي مقدمته مدرسة أم درمان الأهلية التي كان سبب إنشائها في سنة ١٩٢٢ مطالبة الإرسالية الأمريكية بأم درمان سنة ١٩٢٥ (١) للطلاب المسلمين بحضور دروس النصرانية بل إصرارها على تعليم الديانة النصرانية ومطالبتها أولياء أمور التلاميذ بكتابة إقرار بالموافقة على تعليمهم المسيحية أو سحبهم من مدارسها ومحو أسمائهم، فتحسن الناس لإنشاء مدرسة أهلية واجتمع كبار المواطنين بأم درمان وفي مقدمتهم الشيخ إسماعيل الأزهرى مفتي السودان وأعدوا معروفا لمطالبة الحكومة بالموافقة على تأسيس مدرسة وسطى للحاجة الملحة، والطلب المستمر للتعليم الابتدائي ولاستيعاب من حرمتهم الإرسالية الأمريكية (٢) ولما كانت الحكومة قد ردت طلباً مماثلاً في هذا الشأن تقدم به بعض المواطنين الذين لا يريدون أن يتعلم أبناؤهم في مدارس المشركين فيجبرونهم على تعليم النصرانية، وكانت حاجة الحكومة في رد الطلب عدم توفر المدرسين الذين يقومون بأعباء التدريس، كان لابد من التمهيد لقبول هذا الطلب لئلا يلاق مصير سابقه.

(١) انظر حكومة السودان، تقارير المديرين سنة ١٩٢٥ ص ٢٦٤ الخرطوم. وانظر تطور التعليم في السودان ص ١٢٢

(٢) انظر خضر حمد، مذكرات خضر حمد، الحركة الوطنية السودانية الاستقلال وما بعده ص ٦٥

(٣) خطاب إسماعيل الأزهرى مفتي السودان للسكرتير الإداري ١٦ أكتوبر ١٩٢٦

فقام بهذا التمهيد مواطن لصيق بالمفتش وهو البكباشي (نور) المسئول عن الأمن ، فوجد كل الذين ينقلون الأخبار للمفتش ليشرحوه أن هناك بركانا شعبيا أوشك أن ينفجر من جراء تحت الإرساليات وإصرارها على تعليم أبناء المسلمين النصرانية ، ولما تأكد من وصول الأخبار للمفتش من عدة جهات طلب مقابلته وأعلمه أن الموقف خطير للغاية ، وأن هناك ثورة إسلامية باتت وشيكة وهو غير مسئول عما يحدث بعد هذا البلاغ ، وأن المسلمين أيقنوا أن الحكومة تنفذ سياسة العشرين ، وأن حرمان الأهالي من التصديق على إنشاء مدرسة لتعليم أبنائهم يعنى حث الحكومة لهم على الذهاب بأبنائهم إلى مدارس النصارى لينصروهم فصدق المفتش هذه الشائعات وأمر البكباشي أن يختار شخصين أو ثلاثة من عقلاء البلد لمقابلة السكرتير الإداري والقضائي ومعتمد الخرطوم ، قال ففطنت إلى ما يرمى إليه وهو إقناعهم بتأجيل فكرة المدرسة على الأقل لصعوبة الحصول على المدرسين فقادنى التفكير إلى اختيار شخصين متنافسين لا يمكن أن يتفقا على رأى ، فإذا وافق أحدهما على اقتراح الإنجليز لايوافق الآخر ، وهما الشيخان إسماعيل الأزهرى المفتى ، والشيخ أبو القاسم أحمد هاشم شيخ العلماء ، وتتم الاجتماع ، ولم يعد الحديث محاولة إقناع المجتمعين بعدم جدوى الطلب ما دام العنصر الأساسى وهو المدرسون غير متوفر ، فاقترح أحد الشيخين وقال إن المخرج من هذا المأزق هو أن ينصح الناس بعدم إرسال أبنائهم إلى مدارس الإرساليات وأن علما يسلبهم دينهم لاخير فيه ولا جدوى منه ، وقال الشيخ الآخر إنه لايلعب بدينه وأن الذين أرسلوا أبناءهم لمدارس المبشرين ليس لهم عقول تفهم حتى تسمع النصح وأنه لا يوافق على هذا الرأى ، ونهض يريد الخروج ويردد فى ثورة (إنه لايلعب بدينه) وتأزم الموقف ، فدفعنى المفتش لألحق بالشيخ وأرده للاجتماع حتى لايفشل المؤتمر فاعدته بعد محاولة ، ووعد الرسميون بدراسة الأمر وإرسال رأيهم ، ولم تمض ثلاثة أيام حتى جاءت الموافقة على تقديم الطلب والوعد بأن التصديق سيمنح لهم ، وتم التصديق بإنشاء المدرسة .

ثم نشبت أزمة أخرى كان لحكمة البكباشي (نور) الفضل فى حلها ، فحينما اختار مجلس المدرسة موقعها الحالى أخذت الحكومة تماطل وتعرض عليهم أمكة سيئة فذهب البكباشي إلى أحد الأثرياء المعروفين بحبهم المال وطلب منه أن يتنازل سوريا عن قطعة أرض يملكها ، وحمل (نور) الورقة وذهب إلى المفتش فقال له : إن البلد شائرة ، وأن الأماكن التى عرضتها الحكومة لتقام عليها المدرسة غير صالحة وأنهم عزموا على رفض أى أرض ممن

الحكومة ، وأن حماس الأهالي بلغ حداً بعيد المدى .

ثم سأله عن أكثر أدل أم درمان حبا وحرصا على المال ، فقال له المفتش: في ظني أنه فلان . فقال له: هل تعلم أن فلانا هذا وهب أرضه بدون مقابل لتقام عليها المدرسة وترفض مقترحات الحكومة ؟ وأخرج له صك الهبة من جيبه ، فاتصل المفتش فوراً بالخرطوم ، وفي اليوم التالي جاء التصديق بأن تعطى لجنة المدرسة أى قطعة تختارها في أم درمان ، وهكذا قامت أول مدرسة أهلية^(١).

ثم قامت مدرسة البنات بعدها بمطالبة الأستاذ بابكر بدري برفاعة ثم نقلت إلى أم درمان^(٢) ورغم أن التعليم الأهلي باستثناء معهد أم درمان العلمي وفروعه في مدن السودان كان يقوم على أساس علماني صرف إلا أن بعض الناس لمدارس التبشير دفعهم إلى إنشائه والتغنى والفخر به كما يقول الأستاذ يوسف مصطفى التني في قصيدته الوطنية المشهورة التي أنشدتها باللغة العامية - بنادي الخريجين في حفلة لصالح المدرسة الأهلية:

بديني اعتز وأفخر وأبشـر	ما بهاب الموت المكشـر
ما بخش مدرسة المبشـر	وعندي معهد وطني العزيز (٣)

وما أظن أن هذا صادق في زعمه ، وإنما هو مدفوع بنزعة عاطفية من نزعات الوطنية الشائنة على الحكم الأجنبي ، المكافحة لقيام حكم وطني علماني يقوم على الأسس التي رسمها الإنجليز وحلفاؤهم المبشرون لكثير من بلاد المسلمين التي سادت فيها قيم الغرب ولفنته وأخلاقه وانزوى فيها إلى السلام إلى جانب قصى من الحياة .

(١) انظر الحركة الوطنية السودانية الاستقلال وما بعده ص ٦٨

(٢) انظر تطور التعليم في السودان ص ١٢٤ .

(٣) انظر الحركة الوطنية السودانية الاستقلال وما بعده ص ٧٠ .

الفصل الثالث

التعليم التنموي في جنوب وغرب السودان

المبحث الأول : موقع الجنوب وسكانه

(أ) الموقع :

يمكن أن يحد جنوب السودان بأنه الجزء الذي يقع في المنطقة المدارية بين خطي طول (٣-٣٥ شرقا) وخطي عرض (٤-١٢ شمالا) ويحد خمس دول أفريقية هي : أثيوبيا ، كينيا ، يوغندا ، زائير ، وأفريقية الوسطى . وليست حدوده حدوداً طبيعية أو عرقية ، وإنما هي حدود رسمتها الإدارة البريطانية لأسباب سياسية وإدارية ^(١) الغرض الأساسي منها صد التيار الإسلامي المتدفق نحو جنوب القارة .

(ب) المساحة والسكان :

تشغل مساحة الجنوب ربع مساحة السودان إذ تبلغ ٢٥٠.٠٠٠ ميل مربع ، ويشكل سكانه ربع سكان القطر إذ بلغ عدد هم حسب إحصاء سنة ١٩٨٣ (١٩٦٦/٢٧٥) ستة وتسعين ومائتين وواحدا وسبعين وألفين وخمسة ملايين ، وينتمون إلى (٥٧٢) اثنين وسبعين وخمسمائة قبيلة ^(٢) أكبرها القبائل النيلية الثلاث الدينكا والشلك والنوير ، حيث تكون هذه القبائل الثلاث نصف مجموع سكان الإقليم وأكبر القبائل على الإطلاق قبيلة الدينكا التي تشكل ثلث سكان الإقليم تقريبا حيث تجاوز عدد أفرادها في إحصاء عام ١٩٥٦ المليون نسمة ^(٣) من مجموع سكان الإقليم الذين بلغ عدد هم ان ذاك (٢٢٦٩.٠٠٠) تسعة وستين ألفا ومائتي ألف ومليون نسمة حسب الإحصاء الآنف الذكر ^(٤) . والقبائل النيلية هي أكبر القبائل تعرضا لتأثير الشمال ، وهي التي تتبنى المطالبة بتطبيق المنهج القومي في التعليم بنسبة تقارب ١٠٠٪ ^(٥) .

وينتسب إلى الجنس العربي ٣٩٪ من سكان الإقليم ، ويعتقد سليجمان أن قبائل

(١) انظر التبشير المسيحي في العاظمة المثلثة ص ١٦

(٢) انظر محمد عمر بشير ، مشكلة جنوب السودان ص ١٢

(٣) المصدر السابق ص ١٨

(٤) حسن مكي ، السياسة التعليمية والثقافة العربية في جنوب السودان ص ٨ ، المركز الاسلامي الافريقي بالخرطوم ط معامل التصوير الملون السودانية - بدون تاريخ .

(٥) محمد عمر بشير ، مشكلة الجنوب ص ١٧

(٦) انظر السياسة التعليمية ص ٨

الجنوب مثل الشلك يخالفهم عنصر غير زنجى ، كما يعتقد أن ذلك العنصر أكثر وضوحا بالنسبة للدينكا والنوير ، وأنهما متأثران به تأثرا واضحا ، ففي عام ١٩٥٦ قدر عدد اللهجات الرئيسية باثنتى عشرة لهجة يستخدم كل لهجة أكثر من ثلاثين ألف شخص ، ولم تستطع أى لهجة أن تصبح لغة للحضارة ، ومن ثم أصبحت اللغة العربية المحلية (عربى جوبا) ^(١) هى لغة التفاهم بين جميع القبائل ، ويستخدمها كلغة أصيلة أكثر من ٥٠ ٪ من سكان الإقليم .

ولم يكن الجنوب مقرا لكل هذه القبائل منذ القدم ، فقد هاجرت قبيلة الشلك على ما يرى سليجمان إلى الجنوب من المناطق الواقعة شرق بحيرة فكتوريا ، كما يرى الأستاذ وسترمان أن هجرتهم إلى موطنهم الحالى حدثت فى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى ، ويعتقد أن أفراد قبيلة الدينكا هاجروا من مناطق البحيرات العظمى فى شرق أفريقيا إلى موطنهم الحالى ، وأن أفراد قبيلة الزاندى هاجروا من أواسط أفريقيا فى القرن التاسع عشر ، وأن القبائل السودانية هاجرت من منطقة بالقرب من بحيرة شاد منذ القرن السابع عشر ولهذا فلا يمكن لأى قبيلة من هذه القبائل أن تدعى بأنها تمثل سكان السودان الأصليين أكثر من القبائل العربية التى هاجرت اليه واستقرت به منذ قرون طويلة ^(٢) كما أشرنا الى ذلك من قبل ^(٤) . وتغلب الوثنية بصفة عامة على سكان الإقليم ، لأن نسبة الذين يدينون بالإسلام والنصرانية مما لا تعدوا ١٠ ٪ من مجموع السكان ، وهم عموما أقرب إلى الإسلام منهم إلى النصرانية لسلامة فطرتهم واعتقاد معظمهم فسى وجود إله واحد يسميه الدينكا (دنجوت) أو (ينالغ) كما يسميه الشلك (وجوت) ^(٥) . ولقد كانت لدى هذه القبائل أديان خاصة بها تؤمن بإيمان راسخا بوجود كائن أعلى ، الكائن الذى خلق جميع الأشياء ، وهو الحكم النهائي فى كل الأمور ، ولا يعرف منذ كم قرن وهذه القبائل تؤمن بهذا الاعتقاد ، وهكذا وقعت بشارة المبشرين على أرض خصيرة ، فسبب عدم استعداد القبائل لقبول التنصير فرصة لمعارضة السلطة الحاكمة ^(٦) وحتى الذين أغروا بقبول النصرانية لم يتقيدوا بطقوسها لأنها منافية لفطرتهم ولما ألفوه من عادات وتقاليد وخاصة فيما يتعلق بالزواج وتعدد الزوجات .

(١) عربية عامية مشوية بلكنة أعجمية .

من مسأوى رواد الاستكشاف الغربيين تسمية هذه البحيرات وغيرها من الأماكن بأسماء غربية لم يجروا خلفاؤهم من أبناء هذه البلاد على تغيير أسمائها

(٢) (٣) محمد عمر بشير ، مشكلة الجنوب ص ٨٦

(٤) انظر ص ٤٤ من هذا البحث

(٥) انظر محمد عمر بشير ، مشكلة الجنوب ص ٢١

(٦) محمد أحمد محجوب ، الديمقراطية فى العيزان ص ٢١ ط دار النهار للنشر سنة ١٩٧٣

صلة الجنوب بالشمال :

لقد حالت الموانع الطبيعية ، كالأغال ، والمستنقعات ، والسدود ، وغزارة الأمطار ،
(١)
والشذاة^٢ ون توغل القبائل العربية التي تخترق الرعى ، وهي القبائل التي نشرت الإسلام
بلغته في الشمال ، وبدأت صلة الشمال بالجنوب إبان عهد الفونج حيث يرى بعض المؤرخين
أن الفونج أنفسهم من أصل شلكي^(٢) غير أن هذا القول لم تسنده أدلة قوية لكن ثبت وجود
عناصر شلكية في جيش الفونج كما كانت هنالك صلات تجارية بين الشلك والفونج^(٣) وقويت
الصلات بين الشمال والجنوب بعد الغزو المصري التركي للسودان سنة ١٢٣٧هـ / ١٨٢١م وكان
لهذا العهد الفضل في ربط الشمال بالجنوب ، حيث أرسل محمد علي باشا الرحلات
لاستكشاف منابع النيل بقيادة سليم قبطان . وقد بدأت الرحلة الأولى سنة ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م
واستغرقت أربعة أيام ومائة يوم ، وانتهت عند خط العرض (١٠-٦) شمال خط الاستواء
وابتدت الرحلة الثانية من الخرطوم سنة ١٢٥٦هـ الموافق ٢٣ / ١١ / ١٨٤٠م ووصلت إلى
منطقة غندكرو بالقرب من جوبا على خط عرض (١٢-٤) شمالاً ، واستغرقت هذه الرحلة حوالي
خمسة وأربعين ومائة يوم ، وأرسلت رحلة ثالثة وصلت إلى نفس المنطقة واستغرقت مائة يسوم^(٤) ،
ومع هذا فلم تف هذه الرحلات بالمطلوب وهو الوصول إلى منابع النيل إلا أنها مهدت طريق
الوصول إليه ، لأن المعلومات التي أذاعتها هذه الرحلات عن غنى الجنوب بالمحاصيل ، ووفرة
سن الفيل شجعت حكام السودان على إرسال الحملات التجارية لجلب ما يمكن جلبه من هذه
المحاصيل والسن ، فبدأ الإسلام ينتشر بوصول الرحالة والتجار ، وبدأت العربية تنتشر
كلفة للتفاهم بين الدولة الجديدة التي أنشأت المحطات والمراكز وحمتها بالجند^(٥) ، وبين
شعب المنطقة ، كما أن التجار الذين جاءوا لتسويق بضائعهم استوطن بعضهم في الاقليم ،
وصاهر بعضهم الطوك والسلاطين والرثوث^(٦) وأصبح هؤلاء يشكلون الطبقة الراقية ، فسعى أفراد
المجتمع لتقليد هم في زيهم وتعليم لغتهم وأساليب حياتهم المعيشية .

(١) ذبابة مرض النوم .

(٢) انظر تاريخ الثقافة العربية في السودان ، ص ٥١ ، وانظر هارولد ماكايكل تاريخ العرب في السودان ص ٣١ / ٣٢

(٣) الاستاذ يوسف فضل حسن ، تاريخ الممالك الاسلامية ، ص

(٤) انظر السياسة التعليمية لجنوب السودان ، ص ١٠ ، وانظر مسألة جنوب السودان تاريخها ومراحل تطورها ، ص سلسلة ثقافة الشباب ، ط التمدين سنة ١٩٧٣

(٥) The Sudan under Wingate P. 116

(٦) الرثوث : جمع رث ، وهو لقب سلطان الشلك .

وكان كذلك لجهود الزبير باشا - وهو أحد هؤلاء التجار وأكثرهم رغبة في نشر الإسلام في هذه المنطقة ولله الفضل في استتباب الأمن بتكوين جيشه الإسلامي حيث بلغ عدده من الجنوبيين اثني عشر ألفاً نشروا الإسلام واللغة العربية وقاموا حملات التنصير، وكانوا عماد المهدية وسند ها وعرفوا بالجهادية^(١).

ومن ثم ارتبط الشمال بالجنوب وأصبح الطريق النهرى أهم الطرق التي تربط بين شمال القطر وجنوبه، وخضع الجنوب بحدوده الحالية للحكم التركي في عهد إسماعيل باشا سنة ١٢٨٩هـ/١٨٦٣م إلا أن فتحه حدث لسوء الحظ إبان فترة تدوير الخلافة الإسلامية وتكالب الغرب الصليبي على ديار المسلمين، وسما زاد الأمر سوءاً ميول إسماعيل الفريسي وفتحه السودان عامة والجنوب خاصة أمام المستكشفين والمبشرين والتجار الأوربيين كما سبقت الإشارة إلى ذلك، فاستباحوا الحى وأذلوا الرجال والنساء، وتحولوا من تجارة الريش والسن إلى تجارة الرقيق ذات الربح المضمون فبدوا يصدرون الجنوبيين بالألوف إلى الأسواق العالمية فكان عملهم هذا من أكبر العوائق للتقدم الإسلامى واللغة العربية، حيث أدت غاراتهم إلى نزع المواطنين فهرعوا إلى الغابات خوفاً من غارات الأوربيين وزاد هذا الخوف تعسف الإداريين الأوربيين الذين استعملهم الخديوى وعلى رأسهم صموئيل بيكر الذى لا يزال أدب الزندى الشعبى يحكى قصته^(٢)، وللمعاملة لإداريين الأوربيين القاسية للجنوبيين شاركت قبائلهم في الثورة المهدية مشاركة عملية .

المهدية والجنوب :

لقد شجعت انتصارات المهدية المتوالية في كردفان قبائل الجنوب، وخاصة الدينكا والنوير على الانضمام تحت راية المهدية، فذهب زعيم الدينكا على رأس وفد إلى المهدي في الأبيض فبايعوه، ثم عادوا لطررد (لبتون بك) والحاميات المصرية المنتشرة في بحر الفزال منذ أواخر ١٢٩٩هـ/١٨٨٩م، واستمرت مقاومة (لبتون بك) لحركة الأنصار من قبائل الجنوب ونصر حاسم لأى الفريقين حتى وصول قائد المهدية كرم الله شيخ محمد كركساوى بعدد من الجنود، فادعى لبتون اعتناق الإسلام وسعى نفسه عبد الله، وذلك ليطمئن إلى موالاته حامياته

(١) انظر ص ٥٩/٥٨ من هذا البحث، والسياسة التعليمية ص ١١

(٢) المصدر السابق ص ١٢

ثم ما لبث أن اقتنع بعدم قدرته على المقاومة فسلم المديرية إلى كرم الله في يوم ٢٨ أبريل سنة ١٨٨٤ وبذلك انضمت بحر الغزال إلى الثورة المهدية^(١)، ثم آزت الثورة المهدية القبائل شبه العربية في الجنوب، مثل قبائل الشات، والد مبو، والشلك، والبقول، والتوفويد .

وفي بحر الغزال كان كثير من القبائل ذات الأصول الزنجية تشعر بأنها أقرب إلى القبائل العربية التي تعيش في شمال بحر الغزال (كد ينكا نجوك) الذين كانت بينهم وبين العرب صلات وثيقة قديمة لذلك تحمسوا بشدة لما تلقوا الرسالة التي بعث بها المهدي إليهم يدعوهم فيها للاشتراك في الثورة، أما بقية القبائل النيلية التي كانت بعيدا عن مناطق الاحتكاك فقد شاركت في الثورة رفضا لإدارة ظالمة غير مرغوب فيها، وبدأ الإسلام ينتشر في الجنوب، ولكن ببطء لأن دولة المهدية كانت نظرتها ضيقة فاكفّت بتأييد قبائل الجنوب ولم تهتم بغرس تعاليم الإسلام فيها - إلا ما كان من إرسال الخليفة معلمين خاصين لتدريس القرآن واللغة العربية مع وفود السلاطين التي كانت تأتي للزيارة والمبايعة -

في أم درمان^(٢) وفيما عدا ذلك كان إقبالها على الشمال والشرق حيث كان الأعداء يترصدون بها الدوائر وانشغلت بالحروب عن الجنوب حتى سقطت الدولة على يد كشنر، واستعمل الغزاة الصليبيون أعنف وسائل القمع في الشمال والجنوب على السواء، وفتحت الإدارة البريطانية الجنوب للإرساليات ووزعت مناطقها وأصبح لكل إرسالية حامي، واسندت الحكومة أمر التعليم لهذه الإرساليات وشجعتها على فتح المدارس الابتدائية والفنية ففتحت الإرسالية النمساوية (الكاثوليكية) أربع مدارس في بحر الغزال واثنين في أعالي النيل، وفتحت الإرسالية الإنجليزية أولى مدارسها سنة ١٩٠٦ في ملكال، والثانية سنة ١٩١٥ في بسور وفتحت الأمريكية أولى مدارسها على نهر السوبات سنة ١٩٠٢، ولم تقم الحكومة تجاه التعليم بأي خطوة في هذه المناطق حتى سنة ١٩٢٦^(٣)، حيث عينت في تلك السنة مشرفا تعليميا بالتعاون مع الإرساليات، وقررت عدم الاستجابة لأي طلب للتعليم متظاهرة

(١) انظر ضرار صالح، تاريخ السودان الحديث ص ١٣٢، ط الثالثة، الدار السودانية للطباعة والنشر.

(٢) The Sudan under Wingate P. 121

(٣) د. فيصل محمد يونس، الكنيسة ودورها في السياسة التعليمية في جنوب السودان تحت الإدارة البريطانية، نشر بمجلة دراسات أفريقية العدد الأول ص ٢٥

(٤) The Sudan under Wingate P. 121

(٥) انظر كذلك التعليم في السودان ص ٣٩

بضيق الامكانات .

وجعل جيمس كرى مدير المعارف التعليم فى المديرية الجنوبية محتكرا للإرساليات
ولم يسمح لأى جهة أخرى بممارسته ، فتوزعت الإرساليات الثلاث الكبرى التعليم فــــــى^(١)
الجنوب كما توزعت فى الشمال ، فكان التعليم الفنى والصناعى من نصيب الكاثوليكية ، والنظرى^(٢)
للانجليزية والانجيلية ، وكان لكل إرسالية سياسة تعليمية خاصة ، وأصبحت الانجليزية
لغة التعليم .

(١) انظر تطور التعليم ، ص ١١١

(٢) نفس المصدر ص ١١٢

المبحث الثاني

حرب اللغة العربية واقصاؤها عن الجنوب

حوربت اللغة العربية من قبل المستعمرين وانبشرين لاعتبارها من أقوى العوامل فسى
نشر الإسلام فى الجنوب.

والقصة التالية توضح ضراوة هذه الحرب:

فتح مدير مديرية بحر الفزال مدرسة لأبناء الجنود والأهالى وكلف أحد موظفى
المديرية بتعليمهم، وطلب من مدير المعارف اعتماد مبلغ ثلاثين قرشا شهريا لأجر هذا الموظف
كما طلب منه إرسال ثلاثة وعشرين كتابا من كتب القراءة الابتدائية، فرد عليه مدير المعارف
ردا قاسيا ورفض طلبه رفضا باتا معللا رفضه بأن ميزانية المعارف لا تسمح بذلك، ورفع حاكم
بحر الفزال رد وزير المعارف إلى السكرتير الإدارى شاكيا غلظة الرد فعلق السكرتير الإدارى
على الرد قائلا: لا أتصور أن صرف خمس جنيهات فى العام على التعليم أمر يحجف بميزانية
المعارف، علما بأن الذين سيتعلمون هم من غير أبناء المسلمين، ورفع الرد مع التعليق إلى
(كرى).

ولكن ما رآه السكرتير الإدارى لم يكن منسجما مع السياسة العليا للحكومة فى موضوع
التعليم فى الجنوب، فهذه السياسة كانت لا تزال مقصورة على الحاكم العام ومدير المعارف
الذى اضطر أن يشرك السكرتير الإدارى صرا إلى أن ما ينفذه هو سياسة الحاكم العام^(١)
الذى يرى أن قضية التعليم فى المديرية الجنوبية تعترضها عقبات معينة، فعلى سبيل
المثال، تتضمن جميع الكتب العربية للمرحلة الابتدائية إشارات كثيرة إلى النبى محمد
(صلى الله عليه وسلم) وليس الحاكم العام حريصا على نشر الإسلام فى بلدان ليس الإسلام دين
سكانها. ووجه ونجت فى رسالة بعث بها لحاكم بحر الفزال أن يتصل بمطران الكاثوليك
فيما يختص بالتعليم، كما أشار إليه أن لغة الأهالى فى مديرية بحر الفزال ليست هى
بالفعل اللغة العربية، وإن كان لا بد من تعليم لغة فلتكن الإنجليزية، واقترح عليه أن يختار
أحد المترجمين المسيحيين السوريين لفتح صف، وتعليم تلاميذه المبادئ الأولى للقراءة
والكتابة والحساب، دون اللجوء إلى استعمال الكتب المدرسية العربية، وذكر المدير أن

(١) رسالة جيمس كرى إلى السكرتير الإدارى ٢/٢/١٣٠٤ رقم ٢/٣/١٠٣، ج ١. وانظر
التعليم فى السودان ص ٢٧

(١)

وجهة نظره تجاه التعليم في الجنوب خاصة لا ينبغي إزاعتها ، بل يجب أن تنفذ في حذر شديد ، كما وجه كرى بأن يمنح حاكم بحر الغزال عشر جنيهاً انجليزية لأغراض اختيارية ،^(٢) وبالرغم من كل هذه الاحتياطات المكثفة ، أظهر الكشف الذي أعده مدير المدرسة عن التلاميذ بأن أربعة عشر منهم يتكلمون العربية كلغة أم من مجموع تسعة وعشرين تلميذاً^(٣) وبقيّة التلاميذ يتكلمون العربية كلغة ثانية بجانب لهجاتهم المحلية كما لاحظ أن جميع التلاميذ قد أشير إليهم بأنهم مسلمون . فجن جنون ونجت وأعرب عن شكه أن يكون أكثر من نصف عدد هم مسلماً قبل مجيئهم إلى المدرسة ورأى أن نظام التعليم إذا استمر بحالته هذه وتزايد تزايداً كبيراً وهو ما سيحدث على الأرجح ، فلاريب أن كل ولد في النهاية سيصبح مسلماً ناطقاً بالعربية مع العام بسيط بالانجليزية وهذا أمر غير مستحب ، واكتفى بإبلاغ الأهالي ببحر الغزال أن العربية لغة أجنبية كالانجليزية ، وأصعب منها بكثير ، وليست مهمة الحكومة أن تحمل جميع رعاياها على اعتناق الدين الإسلامي^(٥) ، ولذا أمر ونجت أن تعتبر هذه المدرسة مدرسة تبشيرية ، تدفع الحكومة لنفس مرتبات شهرية ليقوموا فيها بالتدريس ويكون شأنها شأن مدارس التبشير في الشمال^(٦) .

وفهم حاكم بحر الغزال بعد هذا الشرح المستفيض أن سياسة الحكومة تجاه الجنوب تتلخص في الآتي :

- ١- عدم رغبة الحكومة في ازدياد عدد المسلمين مع وقف المد الإسلامي نحو الجنوب وفقاً لما
- ٢- تعليم المواطنين اللغة الإنجليزية بالقدر الذي يمكنهم من شغل الوظائف الحكومية وأن التعليم والهداية من اختصاص الإرساليات^(٧) .

احتج جويني على هذه السياسة الحكومية ووصفها بالتناقض وقال باستحالة تعلّم الإنجليزية طالما كانت العربية هي اللغة الرسمية للدواوين الحكومية ، ولهذا اتّرح جويني

(١) انظر التقرير ، عن مدرسة قواعد اللغة العربية في بحر الغزال ١٨/١١/١٩٠٤

(٢) انظر رسالة خاصة من ونجت إلى مدير بحر الغزال ج ٣٠٤ خرطوم ٢/٣/١٩٠٤

(٣) انظر الملحق رقم (١)

(٤) انظر التعليم في السودان ص ٣٠

(٥) انظر نفس المرجع السابق والصفحة

(٦) رسالة ونجت إلى بولنو بتاريخ ٢/٣/١٩٠٤

على ونجت إذا أراد أن تسود الإنجليزية كلفة للتعامل مع السكان الأصليين أن يشجع إلى أقصى حد ممكن توظيف أبناء البلاد المتعلمين للإنجليزية ، لأن ذلك يفرض عليهم بتعليم لغتنا ، ويتيح فرصة ولو قليلة الشأن لإرساليات المسيحية وسط هذا المكاسب الساحقة التي يتمتع بها الإسلام في جنوب السودان .^(١)

وعلى الرغم من أن ونجت أطلع جويني على خطته الخاصة بجنوب السودان إلا أن جويني لم يقتنع بها . وازدادت شكواه وتبرمه من وجود المسلمين في الجنوب لا في وسط الجيش فحسب بل الموظفين والتجار .

وفي أغسطس سنة ١٩١١ طالب جويني الحكومة بإجلاء المسلمين عن الجنوب لا فيما يختص بالكتائب المسلحة وحدها وإنما طالب بطرد المأورين المصريين (والجلاية) من كل الأعمال^(٢) ولم يقف جويني عند هذا الاقتراح بل اتهم حكومة ونجت بتشجيع دفع الإسلام للجنوب الوثني .

فرد عليه ونجت بقوله : (هذا سيقول إلى حد من عوامل تزايد الإسلام والدعوة إليه ، ولكن يجب عليك أن تنظر إلى الإرساليات والمبشرين على أنها العلاج الناجع الذي ترمي إليه . ولقد أخبرتك من قبل أن الإرساليات والمبشرين يحظون مني بكل عطف ، ومع ذلك فقليلون هم الذين كانوا يتعاونون معنا ويذهبون إلى الهدى الذي ذهبت إليه من المساعدة . . . وإذا كنت تريد بناء حاجز قوى ضد الإسلام وتقدمه ، فمن الواجب عليك أن توجه الإرساليات المتعددة إلى عمل أكثر حيوية عما هي عليه الآن ، وإنك لتعرف كما أعرف مدى تعاطف حكومة السودان التام معكم ، وليس من المجدى توجيه الاتهام إلى الحكومة ، والقول بأنها تعمل على دفع الإسلام نحو الجنوب الوثني ، وإنها لحجة ضعيفة بل داحضة توجيه اللوم للحكومة في حين أن العلاج الناجع في أيديكم ، وإنني مدرك تماما ما أشار إليه المبشرون بالنسبة للعقبات التي تواجه خريجي مدارسهم الذين لا يتكلمون العربية ، وأطالب حكام المديريات الجنوبية أن يفكروا جيدا إذا كان بالإمكان اتباع السياسة التي أشرت إليها والتي تقضى بأن تكون الإنجليزية هي اللغة الرسمية^(٣))

(١) رسالة جويني إلى ونجت ١٦ / ١٢ / ١٩١٠

(٢) Education Religion and Politics in the Southern Sudan 1899 - 1964.

(٣) انظر تطور التعليم ص ٣٨

ووجه ونجت الحكام في المديرية الجنوبية بأن يكون يوم الأحد العطلة الأسبوعية بدلا عن الجمعة في المناطق النائية من محافظتي منجلا وبحر الغزال ، وفي أبريل ١٩١١ اعتبر الأحد هو العطلة الأسبوعية بدلا عن الجمعة. (١)

ومع هذه التشديدات والجهود المبذولة لحرب اللغة العربية فقد انتشرت بسرعة ، ولقد وضحت صعوبة حربيها في مديرية بحر الغزال بصفة عامة وفي عاصمتها (واو) بصفة خاصة (٢) واعترف الحاكم العام بذلك حينما قال بعد زيارته لجنوب السودان سنة ١٩٢٧ : لقد استوعبت تماما الآن الصعوبات التي تحول دون جعل اللغة الإنجليزية لغة الجنوب ، لقد مضت الأمور أكثر مما تصورت ، وإن أننى حيثما توغلت سواء أكان ذلك بحدود الكنفو البلجيكي أو جبال الأمازونج ، أجد العربية مستعملة بين السكان المحليين ، وفي مواجهة هذا الخطر يجب أن نفكر جيدا في الأموال والجهود التي نبذلها للقضاء على اللغة العربية تماما في الجنوب ، ويجب علينا أن نفكر في الأسباب التي تحول دون أن تكون اللغة العربية هي لغة التخاطب رغم ما في ذلك من المخاطر. (٣)

وكان سيرلى استاك Sirlee Stack الذي عمل سكرتيرا إداريا تحت رئاسة ونجت في الفترة من ١٩١٤-١٩١٧ ثم خلفه في منصب الحاكم العام للسودان واتبع نفس السياسة التي رسمها ونجت تجاه الجنوب ، وزاد عليها بوضع ما سعى قانون المناطق المقلدة سنة ١٩٢٢ ، فكان هذا القانون من أشد الوسائل التي اتخذتها الإدارة البريطانية في القضاء على الإسلام ولغته في جنوب السودان ، إذ تم بمقتضاه إبعاد جميع المسلمين عن الجنوب وإغلاق المديرية الجنوبية وبعض المناطق الأخرى في وجوههم بصرف النظر عن جنسياتهم (٤) وينص القانون آنف الذكر على ألا يدخل أى مواطن إلى المنطقة من هذه المناطق المغلقة ، إلا بإذن خاص من السكرتير الإداري ، أو مدير المديرية التي تقع فيها المنطقة المغلقة ، كما يحق للسكرتير الإداري أو مدير المديرية المعنية منع أى مواطن سوداني من الدخول أو الإقامة في المنطقة المذكورة ، ويستثنى القانون موظفي الحكومة وأفراد قوة دفاع السودان الذين تحتاج إليهم الحكومة لأداء مهمة رسمية كما أنه لا يسرى على من يحمل تصريحها بالتجارة في تلك

(١) The Sudan under wingate P.122

(٢) انظر تطور التعليم ص ٢٣٢

(٣) مذكرة الحاكم العام ١٢/٦/١٩٢٧ ، وانظر الخريطة اللغوية ص ٨٤ ، وتطور التعليم ص ١٤٢ ، والسياسة التعليمية والثقافة العربية في جنوب السودان ص ١٨ .

(٤) انظر د . مدر عبد الرحيم ، مشكلة جنوب السودان ص ٤٢

المناطق أو لمن يعبرها مسافراً عن طريق البواخر النيلية المبحرة على نهر سوبات أو بالقطار .
والمناطق المقفلة المشار إليها في القانون هي :

١- المديريات الجنوبية الثلاث (أعلى النيل ، الاستوائية ، وبحر الغزال)

٢- زالنجي ودار مساليت بمديرية دارفور .

٣- جبال النوبة ومناطق تقلى بمديرية كردفان .

٤- جيبلا .

وتنص الفقرة الثانية والعشرين من هذا القانون على أن للحاكم العام حق إعلان أى جزء من السودان منطقة مغلقة تماماً ، وأجازت المادة له كذلك أن يمنح حق الدخول فى إطار الشروط التى يمكن أن توضع فى القانون لإشخاص أو مجموعات من الناس إذا رأى ذلك ، كما يجوز له إلغاء أو تعديل أو تغيير هذا القانون . ولا يجوز لأى شخص ينطبق عليه القانون أن يدخل أى منطقة من المناطق المقفلة أو أن يكون موجوداً بها حين إعلان هذا القانون . ولا أن يبقى هناك بعد إبلاغه به ، وأى شخص يخالف نصوص هذا القانون أو أى قانون أو لوائح توضع أو تصاريح مجازة يعرض نفسه للعقوبة التى قد تصل إلى سجنه مدة ستة أشهر أو الغرامة التى لا تتجاوز المائة جنيه أو العقوبتين معاً ، وعند ما قال النحاس باشا إن هناك قانوناً يحرم على السودانى الشمالى الدخول إلى الجنوب إلا بإذن خاص ، أنكر الحاكم العام ذلك وكذب على الله والناس والتاريخ .^(٢)

السكرتير الإدارى

Sir Harold Macmichael

وكان ماكمايكل

الذى عمل تحت رئاسة استاك وخلا له الجو بعد مقتله فى القاهرة سنة ١٩٢٤ من أعنف الإداريين الإنجليز فى حرب الإسلام ولغته العربية ومحاولة محوهما من الجنوب . واستعمل كل الوسائل والأساليب لتحقيق هذا الهدف ومن هذا المنطلق كانت الدعوة لمؤتمر اللغات بالرجاف .

(١) انظر ملحق رقم (٢) نص قانون المناطق المقفلة المعدل سنة ١٩٥٣ ، وانظر ملحق رقم (٣) طلب تصريح دخول لمركز مغلقة أو أن يصدر تحت قانون المراكز المغلقة سنة ١٩٢٢

(٢) تذوّر الحركة الوطنية السودانية الاستقلال وما بعده ص ٣

مؤتمر الرجاف (من ٩-١٤ من أبريل سنة ١٩٢٨)

انعقد مؤتمر الرجاف في التاسع من أبريل سنة ١٩٢٨ بدعوة من (جى . جى ماثيو) مدير المعارف الذى تولى أمر المؤتمر والإنفاق عليه ورأس جلساته، وحضره ثلاثة وثلاثون مثلاً لرساليات بما فيهم مايسمونهم (الآباء البيض) والبروتستانت التابعون للبعثة السودانية الكفوليسية المتحدة القادمة من أوغندا والكفوا البلجيكي، بالإضافة إلى ممثلين لمصلحة المعارف في كل من أوغندا والكفوا، وكان (مسترمائشو) المضيف للمؤتمر يعاونه هنتر وهيكسون، وبمست هارولد ماكمايكل السكرتير الإداري (هيليلسون) التابع لمخابرات مكتب السكرتير المدني إلى المؤتمر كمراقب على المشاركين، وحضر من برلين خبير اللغات الأفريقية (البروفسور ويسترمسان) مدير المعهد الدولي للثقافة واللغات الأفريقية بوصفه مستشاراً رسمياً للمؤتمر . . . وفى الحقيقة أنه لم يسبق أن اجتمع مثقفون على هذا النحو منذ قدوم أمين باشا إلى جبل الرجاف قبل خمسين عاماً، وكان الهدف الأول للمؤتمر محدوداً وعملياً جداً - وهو كيفية مواجهة اللغة العربية وإيجاد بدائل لها - وحددت نقاط المناقشة فى الآتى :

- ١- على الأعضاء وضع قائمة بأسماء اللهجات المستعملة فى الجنوب حتى وقت الاجتماع.
 - ٢- عليهم تحديد التشابهات السائدة فى الإقليم والتي يمكن استخدامها فى التدريس.
 - ٣- بعد تحديد اللهجات المتشابهة السائدة والاتفاق عليها يمكن بمساعدة البروفسور ويسترمسان الإتفاق على قواعد هجائها لإعداد الكتب المدرسية.
- ولما لم تصدر توجيهات من مصلحة المعارف ولا من الأساقفة بشئ محدد مكتوب لجاء المشرون إلى اختراع وسائل خاصة للتصير، وظل كل منهم يدافع عن وسيلته ضد وسائل الآخرين، فالتس (ماثيو) من (ويسترمسان) الفصل فى هذا الأمر المثير للجدل والمهسدر للوقت، وزعم أنه لا يريد أن يقحم موضوعاً متعلقاً بالاتفاق على مصطلح لغوى ضمن فكرة المؤتمر الذى يضم ثلاثة وثلاثين من المسيحيين المتحمسين المتنافسين حيث لا يعتبر الإنجليزية لغة وطنية لبعضهم ولا يجمع بينهم إلا الثالث المقدس^(١) والحق على الإسلام ولفته^(٢)
- ولذلك لم تفعل هذه الرساليات شيئاً من اتخاذ الإنجليزية لغة رسمية وإنما اتخذ

(١) Robert, O. Collin, Shadows in the grass Britain in the Southern Sudan 1918 - 1965 London 1984 P. 218

(٢) زيادة من عند الباحث.

القرار بذلك في الخرطوم والقاهرة ولندن ، من (هارولد ماكامليل) السكرتير الإداري وجي جى ماثيو مدير المعارف ولورد لويد معتمد بريطانيا لمصر والسودان ، وجون موري وكيل بمكتب الشؤون الخارجية في لندن .

واختتم المؤتمر أعماله في ١٤ من أبريل ١٩٢٨ باتفاق عام وأوصى بتجميع اللهجات الرئيسية المستعملة في المدارس الابتدائية وهي لهجات الدينكا ، والنوير ، والشلك ، والباري ، واللاتوكا ، والزاندى . على أن تكون عدة لجان دائمة لكل منها لجنة ، ولجنة خاصة للنظر في طباعة الكتب المدرسية وترك موضوع الهجاء للبروفسير ويستمرمان ^(١) . والغرض من تبني هذه اللهجات بجانب حرب اللغة العربية يرمى إلى أن تندثر وتتلاشى اللهجات الصغيرة واحدة بعد الأخرى ، كما تمخض المؤتمر عن اقتراح يرمى إلى كتابة العربية بالحروف اللاتينية إذا لم يتم القضاء عليها ولم يكن هناك بد من استعمالها ^(٢)

وأدلى (كاش) سكرتير عام الكنيسة الانجليزية بدلوه في المعترك قائلا : (بدون شك أن الإسلام يتسرب من الشمال جنوبا ، والفرصة اليوم سانحة لكسب القبائل الوثنية ، وهي فرصة سنفقد ها في السنوات القليلة القادمة ما لم نعمل من الآن .
وان إرساليتنا في أوغندا استطاعت صد الإسلام عن أفريقيا الوسطى منذ خمسين سنة مضت .

أما تسرب الإسلام عنه طريق تنجانيقا (تنزانيا) فقد تصدت له قوة هائلة من الممدد الأسترالى . وان أضعف نقطة لنشاطنا هي جنوب السودان ، فإذا سمحنا للإسلام بأن يرسخ نفسه حول الحدود الأوغندية فإن ذلك يعنى إضعاف إرساليتنا التبشيرية وبالتالي فيكون من الصعب في النهاية إنشاء كنيسة أفريقية كبرى . وإن فرصة التقدم فريدة جداً ولا يمكننا التأخر في انتهازها . علينا أن نضع في الاعتبار أنه إذا ما انتشر الإسلام فإن دواوين الحكومة ستمتلئ بالمواطنين المسلمين الذين سيكونون دعاة لدينهم . أما إذا تقد منا الآن فيمكننا أن نقدم للمصالح الحكومية مسيحيين متحمسين لعقيدتهم وستصبح الكنيسة حقيقة واقعة ^(٣)

The
Shadows in Grass P. 218, 219 (١)

حكومة السودان ، مؤتمر اللغات بالرجاف لندن سنة ١٩٢٨ (٢)

W.Cach, Doan in the Sudan C.M.O. Vol. (٣)
mar, 1926 .

وهكذا تعاون المشرون والإداريون تعاوناً كاملاً على تعويق تقدم الإسلام وقعدوا لهكل مرصد وسلوكوا لذلك شتى السبل وجلهم يرتضعون نفس السياسة التي أحكم نسجها كرومسر وناعيه ونجت، ووضح ذلك من مذكرة السكرتير الإداري الضافية التي أعدها في نفس عام انعقاد مؤتمر الرجاف اللغوى وتساءل فيها عما إذا كان واجب الحكومة أن تشجع اللغة العربية فى الجنوب كوسيلة تخاطب للحاكمين والمحكومين أم تحاربها ؟

ورد على تساؤله بقوله : (بيدولى أن الافتراض الأول غير معقول لأنه يعنى أننا نقسوم بنشر بارود فى المناطق المجاورة، ونبذر بذوراً تنمو أسرع من القمح . . . إن نشر العربية بين الجنوبيين يعنى نشر المعرفة والعقيدة الإسلامية التى دامت ثلاثة عشر قرناً، ويبدو الآن أنها قد وصلت إلى مرحلة الركود على النطاق العالمى نتيجة عدم الاستقرار السياسى الذى مرت به فى مراحل تاريخها، وما لاشك فيه أن هناك قوة تكمن فى الوحدة الإسلامية وهذا يدعم وجهة نظرنا فى مسألة اللغة والإسلام^(١))

ثم بعث السكرتير الإداري - بعد مضي قرابة سنتين على انعقاد مؤتمر الرجاف - بمذكرة إلى حكام المديريات الجنوبية جاء فيها :
(إنه لمن الملاحظ أن اللغة العربية قد أصبحت شائعة فى بعض الجهات - مثل (واو)- للدرجة التى أصبحت فيها اللغات المحلية مهمة كلياً أو كادت أن تندثر تماماً ، وهذا بلاشك وضع يوجب المعالجة السريعة وخاصة لمثل هذه المناطق^(٢)) كما جاء فى نفس المذكرة (. . . بالإضافة إلى ذلك فإن حظر استعمال اللغة العربية سيكون عاملاً فعالاً فى الخطة التى تسير عليها ، فإنه ينبغى لنا أن نذكر أن اللغة العربية لكونها ليست لغة الحكام ولا لغة المحكومين ستموت باضطراد وبصورة تلقائية ، وأن نوع اللغة العربية المستعملة حالياً ليقوم دليلاً واضحاً على ذلك إذ لا يمكن استعمالها كوسيلة للتفاهم إلا فى أمور قليلة الشأن وما لم يتم استعمالها بصورتها المحلية الركيكة فإنها لن تكون ذات أثر فى المستقبل ، ويعكس ذلك فإن اللغة المحلية ، واللغة الإنجليزية سيكونان على الدوام لغة أحد الطرفين المتخاطبين ولذلك فسيجسّن كل طرف مقدرة الطرف الآخر على استعمال لغته .^(٣))

(١) Shadows in the grass P. 172, 173

(٢) مذكرة السكرتير الإداري بتاريخ ١٩٣٠ / ١ / ٢٥ وانظر مشكلة الجنوب لمدثر عبد الرحيم ص ٨٨

(٣) المصدر السابق

وعندما اطلع لورد لوييد المندوب السامي البريطاني بمصر على مقترحات حكومة الخرطوم كتب إلى حكومته قائلاً : (إنه لمن المرغوب فيه ، ولا اعتبارات سياسية وإدارية ودينية وتعليمية اختفاء اللغة العربية من جنوب السودان ، وأن تحل الإنجليزية محلها في المناطق التي يكون التخاطب فيها باللهجات المحلية غير على ، وينبغي أن تشجع الإداريين على تعلمها^(١)) وماتقدم ذكره يتضح أن السياسة البريطانية نحو الجنوب كانت ترمى إلى القضاء التام على اللغة العربية والإسلام استعداداً لفصله وضمه لمستعمرات بريطانيا الإفريقية .

واستطاع ماكمايكل السكرتير الإداري أن يستعين برجال يفوقونه حقدًا على الإسلام والمسلمين من أمثال كد H. F. Kidd الذي عين حاكماً على الإقليم الغربي من بحر الغزال والمعروف باسم (دار فريتيت) ولم يكن (كد) قد سبق له العمل في الشمال ، ولكنه كان يغلى حقدًا وكراهية على العرب والمسلمين عموماً ولم يخف ذلك بل قدم إلى (راجا) مسلحاً بتوجيهات ماكمايكل ومصمماً على اقتلاع جذور العربية والإسلام من المنطقة ، وأكرما يوضح ذلك خطابه إلى بروك Brock مدير بحر الغزال ، حيث ورد فيه (إنني اعتبر أنه من المستحيل المضي قدماً في تنفيذ السياسة القبلية قبل أن يتم التخلص من العناصر المحمدية مثل (الجلابة) والفلاتة والهوسا لاعتبارات الدين واللغة^(٢)) وبدأ في تنفيذ سياسته بترحيل القبائل المسلمة من العرب والفلاتة والبنديلا من منطقة غرب بحر الغزال (دار فريتيت) إلى الشمال نحو إقليم دارفور ، وتم ذلك بعد الاجتماع الذي عقده مديرو المديريات وهم G.N.I. Morroson:

حاكم دارفور (كد) حاكم غرب بحر الغزال ، ورولان J. L. Roland حاكم جنوب دارفور ، وذلك في الخامس من يناير سنة ١٩٣١م ، وفي نفس هذا الشهر عاد سمسون Simson إلى الإقليم الغربي ليراقب عملية ترحيل الفلاتة والعرب والبنديلا والتقى في أبريل برولانس ، في مرام وقاما بتنظيم استقرار هذه القبائل في منطقة نهر عفيف ، ولقد كتب سمسون في ذلك قائلاً : (إنهم لم يكونوا سعداء على أي حال بترحيلهم من كافي كنجي ، وعاد سمسون إلى كافي كنجي في ٢٥ من أبريل ١٩٣١ ليقوم بتدبير المنازل لقطع أي طريق لمودة هذه القبائل ، كما

١١) Shadows in the grass P. 172, 173

١٢) Ibid P. 181, 182.

قام بإضرام النيران في مسجد ها ، وبعد إحراقه تما ماتظاهر بالحزن لوصول النيران للمسجد رغم الاحتياطات التي قام بها لمنع ذلك - ليخفي حقد الصليبي - ولعمري لا أدرى لمن كان يبقى المسجد بعد إجلال المسلمين ، وتدبير ساكنهم لئلا يفكروا في العودة كوفى نفس الوقت الذى تمت فيه عملية الإحراق ، كان ماكمايكل يتلقى الخبر بارتياح شديد ، ويعلن أن العملية تمت في سهولة ويسر. (١)

ومما تقدم يظهر التعاون الوثيق بين حكام المديريات الجنوبية والمديريات الغربية المتاخمة لها من أمثال بروك Brock مديري بحر الغزال ورفاقه وحرصهم على تنفيذ مقترحات ماكمايكل بل وزيادتهم عليها في بعض الأحيان وحرصهم على القضاء على أثر الإسلام حتى الأسماء والعناوين سموا إلى أن تكون غربية وفي حالة العجز محلية وثنية . بل نجد بروك قد ألغى سياسة التمازج التي كانت مبرمة بين قبيلة الحمر وهي عربية ، وبين دينكا نجوك والتي كانت تبيح لكل من القبيلتين الدخول في حى الأخرى بمسافة ١٥ ميلا ما أدى إلى التقارب والتمازج بين القبيلتين ففصل بروك بينهما فصلا تاما ، واتبع بقية حكام الأقاليم الأخرى في ملكال ومنجلا نفس سياسته. (٢)

وكانت سياسة ماكمايكل تجاه الجنوب بعد مؤتمر الرجاى تنحصر في الآتى :

- ١- إبعاد المأمرين المصريين المسلمين ، ووضع مأمورين سودانيين مسلوبي السلطة بدلا منهم توطئة لإلغاء هذا المنصب نهائيا
- ٢- أن تكون اللغة الإنجليزية هي اللغة الرئيسية بالنسبة للجنوب
- ٣- إبعاد التجار الشماليين باستثناء أصحاب الأهداف التجارية البحتة الذين لا يعنيههم أمر الدين .
- ٤- توجيه الإداريين ليؤثقلوا أنفسهم مع العادات والمعتقدات وللهجات للقبائل التى يحكمونها
- ٥- دراسة المجتمعات الجنوبية ، وذلك بتوجيه أصحاب الكفاءات العالية المتخصصين في هذا الشأن لتسهيل حل المشاكل الإدارية تجاه الجنوب .
- ٦- ملاحقة العربية والقضاء عليها قضا مبرما واقتلاع جذورها بعدم التحدث بها ومحاولة التحدث باللهجات القبلية. (٣)

(١) Ibid P.188

(٢) Ibid P.176

(٣) Ibid P.174

المبحث الثالث

التعليم التنميري بجبال النوبة

لم تكن الحال بمنطقة جبال النوبة بجنوب مديرية كرد فان بأحسن مما كانت عليه بجنوب السودان ، بل كان النشاط الكسبي بهذه المنطقة مركزاً ، وأشدّ عنفاً منه في الجنوب لأن المنطقة أكثر تأثراً بالشمال من حيث النواحي الاقتصادية والثقافية والاجتماعية ، كما أنها منطقة تداخل بين القبائل العربية الرعوية - كالبقارة والمسيرية - و بسين قبائل الجنوب كما أشرنا إلى ذلك - فاعتبرها الاستعمار والتبشير من أخطر المناطق إذ يمكن أن تكون قنطرة يعبر عليها الإسلام بسهولة إلى الجنوب ، ولذلك أجلبوا عليها بخيلهم ورجلهم ليحولوها دون ذلك . يقول ترينجهم : (والمشكلة في جبال النوبة رغم أن أهلها وثنون ولكمها ذات طبيعة مختلفة لأن المنطقة تشبه الشمال على النطاقين الاقتصادي ، والإداري واللغوي العربية هي لغة التعليم ، والمنطقة مهمة وتعتبر منطقة اختبار للإرساليات منذ سنة ١٩٣١)^(١)

ومن المعلوم أن العمل الكسبي بدأ مبكراً في منطقة النوبة وذلك حينما تخرجت دفعة في كلية مازا في القاهرة فوجه كمبوني اثنين منهم للأبيض سنة ١٨٧١ فأسسوا مدرسة وكنيسة سنة ١٨٧٢ ، ومركزاً زراعياً في قرية (مبس) من ضواحي الأبيض سنة ١٨٧٥ ومركزاً مائلاً بالدنج سنة ١٨٧٨^(٢) ، ولاهتمام كمبوني بأفريقيا عينه البابا بيوس التاسع نائباً رسولياً ورئيساً لإرسالية أواسط أفريقيا وأعطاه السلطة لإعادة فتحها^(٣) وفي سنة ١٨٧٧ عينه أسقفاً لأفريقيا الوسطى^(٤) ومنحه الخديوي إسماعيل سلطة مطلقة ليحرر من شاء من الذين وجدهم في حالة العبودية بالسودان^(٥) واتخذ من الخرطوم مقر لإدارة أعماله حتى توفي سنة ١٨٨١ قيل قيام المهديّة بعام واحد وفي سنة ١٨٨٢ وقع المنصرون بالدنج أسرى حتى تمكن بعضهم من الهرب سنة ١٨٩٢ ، وظل السودان موصداً في وجه التنصير حتى سقوط المهديّة سنة ١٨٩٨

(١) The Christian approach to Islam in the Sudan P.39

(٢) تاريخ المسيحية ص ٢٤٢

(٣) المصدر نفسه ص ٢٣٦

(٤) المصدر نفسه ص ٢٣٨

(٥) المصدر نفسه ص ٢٣٩

دعوة الحكومة لـ (S.U.M.) للعمل بجبال النوبة

دعت الحكومة ارسالية السودان المتحدة S.U.M.

وهي تتكون من الفرع الأسترالى النيوزيلندى ، ولقد عملت بنيجريا لعدة سنوات ، وكانت تتسوق لمد عملها على امتداد السودان الجغرافى ليشمل نشاطها (تشاد) والسودان الانجليزى المصرى وقد بدأت عملها أولا بجنوب السودان سنة ١٩١٣^(١) وعند ما بدأت بمنطقة النوبة الوثنية فكرت فى استقدامها للعمل فى مجال التعليم ، فتم الاتفاق بينها وبين سلطات المديرية فى سبتمبر سنة ١٩١٩ على القيام بفتح مدارس فى هذه المناطق ، وهى المناطق الشرقية من جبال النوبة بين الكوليب والكورسغو والمورو ، وذلك بالشروط التالية :

١- أن يكون التدريس باللهجات النوبية .

٢- أن توفر الإرسالية المعلمين وتقوم بدفع أجورهم مقابل أن تتكفل الحكومة بإحضار التلاميذ

لمدارس الإرسالية ، وتقدم لها مساعدات مالية فى هيئة منح متساوية لكل تلميذ يحضر

وأن يكون للإرسالية الحق المطلق فى نشر النصرانية .

ورسحت سلطات المديرية منطقة (هيبان) فى الجبال الشرقية لموقعها وسط المديرية

ولغلبة الوثنية على سكانها ، فافتتحت أول محطة تبشير سنة ١٩٢٠ كما أقامت مدرسة تبشيرية

لأطفال النوبة سنة ١٩٢٣ ثم أقامت مدارس أخرى صغيرة فى عدة محطات وتحت ظلال الأشجار

(Bush Schools) فى القرى مستخدمة اللهجات المحلية مع تلقين مبادئ الانجليزية^(٢)

ثم مدت نشاطها فى المنطقة عبر سنوات متعاقبة ففتحت محطة (عمرى) وسط الكوليب ، و (تبانيا)

وسط الكورسغو سنة ١٩٣٠ وأم وريين) وسط المورو سنة ١٩٣٣^(٣) و (رادو) بين جبال

الاورورو والتيرا سنة ١٩٣٦ كما افتتحت مدرسة الإنجيل فى (شاورى) قرب (هيبان) سنة

١٩٤٨ فأغلقت هذه المدرسة ثم أعيد فتحها سنة ١٩٥١^(٤) ، ولكنها لم تستطع أن تغطى كل

المنطقة فعلمت ذلك بنقص المال والرجال ، فاضطرت الحكومة للقيام بفتح مدارس أولية سنة ١٩٢١

فى المراكز مثل (تالودى) و (الدلنج) و (كادقلى) و (رشاد) على أمل أن يكون أكثر روادها من

أبناء النوبة الوثنيين ، فكان غالبية طلابها من العرب والمستعربين الذين صارت العربية

١- Roland C. Stevensons Durham Sudan Historical Records + (١)

Conference, A short outline of Protistant Missionary work (٢)
in the Southern Sudan P. 4

٢- Ibid P. 4 المورو النوبية ليست (مورو) الاستوائية (٣)

٤- Ibid P. 4 (٤)

لفتهم ، فطالبوا بإدراج تعليم الدين الإسلامى فى منهج هذه المدارس ، فأرسلت سلطات المديرية خطابا إلى مدير التعليم بتاريخ ١٥ / ٦ / ١٩٢٤ لئلى يدرج تعليم الدين الإسلامى فى مناهج المدارس بشرط أن يحضره أبناء المسلمين فقط ، أما أبناء النوبة ، فلا يسمح لهم بالحضور إلا بموافقة آبائهم ، ولكن آباء التلاميذ رأوا فى تعليم أبنائهم القرآن تحسينا للفتهم العربية ، فأصبحت المدارس الحكومية مراكز دعاية قوية من الشباب النوبى للعربية ، والإسلام الأمر الذى كان يحذره المستعمرون والمنصرون فاضطر المفتش الإنجليزى أن يصدر قرارا بأن تكون هذه المدارس خاصة بأبناء المدن ، ولا يقبل بها أبناء الأرياف إلا بموافقة هو شخصيا . حذر من قبول أبناء النوبة بها - خشية التأثير الإسلامى - وكان أمر القبول قبل ذلك من اختصاص السلطات المدرسية ، ومع هذه الأوامر الصارمة ، فقد وجد أبناء النوبة طريقهم لدخولها ، فأدركت الحكومة بأنه لا خلاص من أثر التعريب والإسلمة إلا بإغلاقها ، فأغلقت سنة ١٩٣١م فاتضح من تصرف الحكومة الأرعن أنها لاتراعى التعليم الذى يريد النوبى الوثنى ، وإنما تخضع لأغراض سياسية موجهة تهدف إلى الحيلولة بين النوبة والإسلام .

ومدت S.U.M. نشاطها إلى الجبال الغربية ففتحت محطات (كاتشا) و (جلود) وذلك قبل أن تتقن ماوكل إليها من عمل فى المنطقة الشرقية على حد تعبير (جيلان) مدير جبال النوبة فى تقريره سنة ١٩٢٧ ، والذى أوعز فيه للحكومة المركزية أن تشاركه المسئولية فيما يختص بقسم (عبرى) الذى أحيط بالعرب تماما ، وكاقترح عاجل منه للحكومة قال : (إن جهود الإرسالية يجب أن تسير وفق خطوات منتظمة بدءا بالجنوب لفصل منطقة بحر الغزال اللادينية من ناحية نظرية كى لا تتحرك القوة الإسلامية من الخلف ، ومن ناحية عملية تكون (هيسان) هى قمة الفصل للأسباب التى ذكرت سابقا ، وأضاف قائلا إن سياسته سوف تشمل إنشاء سلسلة من المحطات تجاه حدود كردفان ، ومن الشرق خط هيسان تونجة (١)

وهذه هى المنطقة التى عرفت بمنطقة الحزام المسيحى الذى يقع بين خطى طول ٢٩ و ٣٢

شرقا وغربا وبين خطى عرض ١٢ و ١٠ فى جنوب مديرية كردفان ، ويشمل الحزام حسب التقسيم الحالى المجالس الآتية :

١- ريفى دلاى شمالا

٢- ريفى هيسان فى الوسط

٣- ريفى أم دويرين جنوبا

٤- وبعض المجالس فى الأجزاء الشمالية والجنوبية والشرقية للبرام وهى المنطقة التى كان يطلق عليها

(١) انظر د. كمال عثمان صالح ، التبشير والسياسة الاستعمارية فى جبال النوبة ص ٦ ، بحث قدم فى المؤتمر الأول للإسلام فى السودان ، جماعة الفكر والثقافة الإسلامية مطبوع على الآلة الكاتبة .

اسم (النوبة الوسطى) والتي تفصل بين القبائل العربية والمستعربة الواقعة في شرق وغرب المديرية كما تفصل بين القبائل النوبية التي اعتنقت الإسلام أصبحت عاداتها وتقاليدها عربية إسلامية^(١).

وجاء في تقرير جيلان : : مما لاشك فيه أن هذه المنطقة أنسب منطقة للنشاط الإرسالي ويمكن في النهاية أن تنضم هذه المنطقة إلى مديرية بحر الغزال ، وذلك لقلة عدد السكان المسلمين ، بالإضافة إلى أن عملية التعريب والثقافة الإسلامية غير متقدمة بها ، وانتقد طريقة التدريس باللهجات المحلية بقوله : (إن التجربة لم تكن ناجحة) مشيراً إلى تقرير مسئولو التعليم الذي كتبه سنة ١٩٢٥ ، والذي جاء فيه (إنه لم يخطر ببال التلاميذ أن هذه الألفاظ عبارة عن كلمات وجمل مشتقة من داخل لغتهم ، وأن الانتقال من اللفظ إلى المعنى لا يمكن تحقيقه دون جهد كبير من المعلم وأن عقولهم لا يمكن أن تعمل على تحويل الكلمات إلى معان ، ولذلك فإنني أستحسن عدم التدريس كتابة بهذه اللغات ، وكحل وسط اقترح (جيلان) تدريس العربية بحروف رومانية وفي ختام تقريره هدد S.U.M. أنها في حال فشلها فسي تفضية المنطقة ، فسيضطر إلى إدخال إرسالية أخرى^(٢).

ناقش مجلس الأساقفة مذكرة الحكومة فأجاز تدريس العربية بالحرف الروماني ، كما أجاز إقامة مدارس لأبناء المكون .

الصعوبات التي واجهت تدريس العربية بالحرف الروماني :

- ١- ندرة الكتب الدراسية في هذا الشأن حيث كان يوجد كتاب دراسي واحد ، وحتى هذا الكتاب وجد أنه غير كاف كقرر دراسي .
- ٢- عدم وجود المعلمين الأكفاء لتدريس العربية بهذه الطريقة ، مما اضطر الحكومة المركزية لإرسال خبيرها اللغوي (هيللسون) إلى منطقة جبال النوبة في يناير سنة ١٩٣٢ لبحث مشكلة اللغة فتجول في محطات الإرسالية ، وناقش المسئولين عن تدريس العربية بالطريقة الرومانية ، فتيين له أن الصعوبات الفنية أكبر مما كان يتصور وقال :

(١) انظر انجلو ابوراسين ، المنهاج الإلهي في النوبة الوسطى ص ٢ بحث مطبوع على الآلة الكاتبة
(٢) انظر التبشير والسياسة الاستعمارية في جبال النوبة ص ١٦

(إن النوبي المتعلم سيكون غاضباً منا لتدريسه لغة تصبح عديمة القيمة بالنسبة له إذا درسها بالحرف الرومانى، وإنما سوف نتحمل سآئله عن سبب تدريسه لغة ليست لها قيمة بالنسبة له وسوف لا يقبل إجابتنا إذا قلنا له إنما كنا نحاول تخليص روحك من الإسلام والقرآن^(١)).

ورغم اتفاق سكرتير التعليم مع (هيللسون) فى صعوبة تدريس العربية بالحروف الرومانية وبقينه بفشل التجربة إلا أنه فضل ألا يقوم بأى إجراء قبل استشارة (جيان) مخطط هذه السياسة، ورغم اتفاق (جيان) معهما فى صعوبة تدريس العربية بالحرف الرومانى بالإضافة إلى علمه بأن العربية هى اللغة المشتركة للتفاهم بين النوبة، إلا أنه أصر على موقفه^(٢) فى النوبة عن العربية بالحرف العربى خشية التأثير بالإسلام

وعندما تأكدت الحكومة أن S.U.M. عجزت عن فتح المحطات المقترحة وتأكدت بالتالى من عدم إمكانها تغطية المنطقة، فكرت جدياً فى دعوة C.M.S. ووجدت الفرصة سانحة بزيارة سكرتيرها السودان.

دعوة C.M.S. للعمل فى منطقة النوبة:

زار د. ولسون كاشى سكرتير عام C.M.S. السودان سنة ١٩٣٣ وتجول فى ربوعه بما فى ذلك منطقة جبال النوبة فكافأته الحكومة على زيارته بدعوة إرسالته C.M.S. للعمل فى منطقة غرب جبال النوبة، وكانت الدعوة محدودة بالعمل فى مجال التعليم كما عده الحكومة^(٣) فقبل الدعوة مهتجاً، وكان رأى الحكومة أن تفتح C.M.S. محطتين رئيسيتين فى الدلنج^(٤) وكاد قلّى كما كان الاقتراح أن يفتح مركز الدلنج بالقرب من (فاندا) لىخدم مجموعة الدلنج اللغوية التى تضم بالإضافة إلى (الفاندا) جماعات (غلان) وكونيت كاتشا (شقيست) و(دلنج وأبوزول) ولكن لم يعمل بهذا الاقتراح إذ تبين أن منطقة النيمانج أولى به وهى منطقة تقطنها مجموعة قبائل مترابطة متماسكة بدائية ولكنها ليست بسيطة حيث تتمتع بإدارة أهلية جيدة ومواصلات سريعة بالإضافة إلى قوة تماسكها بعباداتها وتقاليدها وكثافة سكانها البالغ عددهم (٣٠) ألفاً ثلاثين ألفاً مع اعتبارهم مجموعة لغوية واحدة بعكس

(١) انظر المصدر السابق ص ١٨

(٢) نفس المصدر والصفحة

(٣) A short outline of Protistant Missionary work in southern Sudan P. 5

(٤) التبشير والسياسة الاستعمارية فى جبال ن ٢٧

مجموعة الدلنج ، فإنها مفككة لا توجد بينها روابط مشتركة سوى اللغة العربية ، وأكبرهم مستعربون ومنهم مسلمون وإدارتهم الأهلية غير مستقرة^(١) ، لكل هذه الأسباب حطت الكنيسة الانجليزية رحالها في (سلارا) لتكون مقرها لأنها مقر سلطة النيمانج ، وفدت الحكومة مبلغا من المال وقدره ٨٨٥ جنيهها للخدمات التعليمية ، وهكذا تأسست محطة سلارا بين النيمانج سنة ١٩٣٥ ثم تأسست محطة (كاشا) سنة ١٩٣٩^(٢) وكان هدفها الأول محاربة الإسلام ولغته متخذة النصرانية وسيلة لتحقيق هذا الهدف وللسلوك نجد لها أهدافا رتقا طويلا — من ١٩١٢-١٩٢٩ م دون أن تلتج مدرسة تعليمية واحدة حتى ولا مدرسة أحرار وكالـ ما أعطته من المال مقابل ذلك ١٧٠٠ قدم لها من عرق دافعي الضرائب دعما للتعليم^(٣) مما اضطر (نيوبولد) إلى التفكير في فتح مدرسة حكومية (سلارا) وكتب بذلك إلى مسئول التعليم فأيد الفكرة ، ورأى مسئول التعليم أن يستشير C.M.S. قبل أن يعطى القرار فوافقت على الفكرة بالشروط التالية :

- ١- أن تكون المدرسة الحكومية وثيقة الصلة بالإرسالية
- ٢- أن يكون الاتصال بالإدارة الحكومية عن طريق الإرسالية .
- ٣- أن يكون سكن الطلاب داخلها تحت إشراف الإرسالية .
- ٤- أن تكون هيئة التدريس تحت رقابة الإرسالية .
- ٥- أن يترك للإرسالية تدريس الدين والأخلاق^(٤) .

وحضر للمنطقة فريق يتكون من أربعة قسس كان من أشهرهم دكتور و.و. بورن ودكتور كير ، فقاموا بجولة استكشافية في غرب الدلنج في سنة ١٩٣٤^(٥) ، فأسسوا محطتين تنحيريتين في منطقة النيمانج محطة (سلارا) عام ١٩٣٥ ثم (كاشا) سنة ١٩٣٩ ثم شرعت بعد ذلك في مجال التعليم الأولى والأوسط وتدريب المعلمين ، وتعتبر مدرسة (كاشا) الوسطى المدرسة التي كان لها أكبر دور في عملية التنصير لأنها استقطبت التلاميذ من أماكن متعددة

(١) A short outline of Protistant Missionary work in the Southern Sudan P. 5

Ibid P. 5

(٢)

(٣) انظر التبشير والسياسة الاستعمارية في جبال النوبة ص ٣٩

(٤) انظر التبشير والسياسة الاستعمارية ص ٣٦/٣٥

(٥) A short outline of Protistant Missionary work in the Southern Sudan P. 5

بما في ذلك منطقة الجبال الشرقية التي تعمل فيها S.U.M. لعدم وجود مدرسة وسعى بالمنطقة كلها سواها ، وفي الخمسينيات اضطرت السلطات إلى إدخال الدين الإسلامي لمدارس الإرساليات لكثرة التلاميذ المسلمين^(١) بها ولضغط أوليائهم على السلطة ومطالبتهم بإدخاله .

العودة إلى الحرف العربي :

عند ما عين دوجلاس نيوبولد مديراً عاماً لمديرية كردفان سنة ١٩٣٤ وكان مضغوطاً عليه من جهات متعددة بتغيير الحرف الروماني إلى الحرف العربي فأسرع إلى عقد مؤتمر صغير ضم أعيان المنطقتين الشرقية والغربية لجبال النوبة مع ممثلي الإرساليات وموظفي الحكومة ، وبعد المناقشة كان رأي الغالبية أنه لا بد من تدريس العربية بحروفها بدلاً من الحرف الروماني ، وقبل أن يقدم على كتابة التقرير النهائي في هذا الأمر كان لا بد له أن يوفد مستشاره التعليمي ليتشاور مع الإرساليتين ، فكان رأي إرسالية السودان المتحدة غير واضح مع إصرارها على استعمال الحرف الروماني بمدارسها .

أما إرسالية التبشير الكسبية فقد أبدت تخوفها من نشر الإسلام باستعمال الحرف العربي^(٢) ، واقترحت تدريس الإنجليزية بدلاً عن العربية ، وكان ما ذهبت إليه إرسالية التبشير الكسبية هو رأي (جيلان) الذي سبق له العمل على قمة الجهاز الإداري بالمنطقة وأصبح هو المسئول الإداري الثاني في الجهاز المركزي ، وحتى ذلك التاريخ لم يغير رأيه نحو السياسة اللغوية ، التي كان هو مهندسها - ولكنه أصبح أمام الأمر الواقع ، فاضطر إلى عقد مؤتمر بمكتبه بالخرطوم بتاريخ ١٢/١٢/١٩٣٥ فرأى المؤتمر أنه لا مفر من الرجوع إلى تعليم اللغة العربية بالحرف العربي فوقع القرار على الإرساليتين موقع الصاعقة ولكنهما أصبحتا أمام الأمر الواقع فقررتا أن يلمبشروهما قبل الانضمام للعمل بأي محطة من محطاتهما باللغة العربية - هذا بالنسبة للمتممين الجدد - وكان القرار في نظرهما تراجعاً رئيسياً من الحكومة عن سياستها التي (كانت تهدف إلى خلق ثقافة نوبية تحت تأثير المسيحية)^(٣) لأن الانتشار غير المقيد للعربية لا يكون دعاية إسلامية فقط بل يعوق محاولات النصاري حكماً ومنصرين في بناء حضارة نوبية على غرار ما أشار إليه (جيلان) سابقاً ، وللأسف الشديد أن المسلمين كانوا في غفلة من هذا كله كما

Ibid P.5 (١)

انظر التبشير والسياسة الاستعمارية ص ٣٢ (٢)

The Christian approach to Islam in the Sudan P. 39 (٣)

أشار الى ذلك سكرتير الكنيسة الانجليزية بقوله : (وفي السنوات الأخيرة عدلت الحكومة عسن سياستها بسبب خوفها من الاتهام بتحيزها للمسيحية ، على الرغم من أن المسلمين الشماليين لم يهتموا مطلقاً ولم يشغلوا أنفسهم بالسياسة الوارد ذكرها)^(١).

وهكذا تضافر الاستعمار والتنصير لاقتلاع جذور الإسلام ولغته من المنطقة وغرس النصرانية ، ولكن الله غالب على أمره .

(١) Ibid P. 5

الفصل الرابع التبشير بالتطبيب

المبحث الأول : التبشير بالتطبيب في الشمال

تعتبر الصحة من أكبر نعم الله سبحانه وتعالى على عباده بعد الإيمان به سبحانه ، ولقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي يرويه ابن عباس رضى الله عنهما : (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس ، الصحة والفراغ)^(١) وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي يرويه عبيد الله ابن محسن رضى الله عنه : (من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في جسده ، عند ربه فكأنما حيزت له الدنيا بحذاقيرها)^(٢) .

والذى خلق الخلق خلق الداء والدواء ، وخص بعض خلقه بمعرفته ، وكان نصيب الغرب من هذه المعرفة أكبر في الفترة الأخيرة ، لفغلة المسلمين وتخليهم عن أسباب القوة التى وجههم إليها دينهم .

وفي أواخر القرن التاسع عشر ظهر الطب كوسيلة تبشيرية مساعده ، وتكونت الجمعيات الطبية بأوروبا وأمريكا لتأهيل الأطباء والمرضى لمراكز التبشير ومن ثم أصبحت الإرساليات Medical Evangeleistic Missions العلاجية من وسائل التبشير الهامة ، خاصة فى المناطق التى يمارس فيها العلاج بطريقة بدائية ، والهدف من هذه الإرساليات يوضحه د . كوك الذى أنشأ الإرسالية الطبية فى منجوباً وغندا بقوله : (إن هدف هذا النوع من البعثات التبشيرية الحديثة تأكيد الصلة المشتركة بين أفراد الأسرة العالمية ثم تمهيد الطريق للإنجيل للوصول إلى قلوب بنى البشر ، وأخيراً معالجة الناس من الأمراض)^(٥) ويقول جوليموس وشتر : (يمكن للطبيب عن طريق العلاج فى المستشفيات أن يخاطب المسلمين بكلام لو سمعوا بعضه فى مكان غير المستشفى ، ومن شخص غير الطبيب لا متلاًوا حنقاً وغضباً)^(٦) .

ويتضح من تصريح هذين المبشرين أن العلاج ليس غاية فى ذاته ، وإنما هو وسيلة

لتوصيل الإنجيل إلى القلوب .

(١) أخرجه البخارى ٢٢٦/١١ باب ما جاء فى الرقاق ج ١٢ ، ٦٤١ ، والترمذى فى الزهد

٣٧٧/٣ ، حديث (٢٤٠٥) و (٢٤٠٦) وغيرهما .

(٢) السرب : المال .

(٣) حيزت : حملت وأعطيت .

(٤) رواه الترمذى فى سننه باب الزهد ٤/٥ باب رقم ٢١ حد يشرق (٢٤٤٩) والبخارى فى الأرب المفرد رقم ٣٠٠١ باب من أصبح آمناً

(٥) وانظر التبشير النصرانى ص ١٦٢ R. Cook, Medical Mission C.M.O.

Vol. LXIV P. 148

(٦) J. Richer, The History of the Protieastant Missions in the Neareast New York 1910 P.252

ويقول د. أرهارس طبيب إرسالية التبشير في طرابلس الشام في مؤتمر القاهرة سنة ١٩٠٦
(يجب على طبيب إرساليات التبشير ألا ينسى ولا في لحظة واحدة أنه مبشر قبل كل شيء ثم
هو طبيب بعد ذلك)^(١)

فالإرساليات الطبية مصاد لا تقتاص الناس عامة والمسلمين خاصة والعلاج فيها بعبء بسيطة
الطعم في مصيدة المصائد لموقع فريسته في حباله .

يقول دكتور هاربر أحد أعضاء المؤتمر الآنف الذكر : (يجب الإكثار من الإرساليات الطبية
لأن رجالها يحتكون دائما بالجمهور ، ويكون لهم تأثير على المسلمين أكثر مما للمبشرين
الآخرين ، واستشهد لقوله هذا بأن طفلة مسلمة عنى المبشرون بتعريضها في مستشفى مصر
القديمة ثم ألحقت بمدرسة البنات البروتستانتية في باب اللوق ، وكانت نهاية أمرها أن عرفت
كيف تعتقد في المسيح بالمعنى المعروف عند النصارى)^(٢) ومن الجدير بالذكر أن الدكتور
هاربر هذا هو أول طبيب مبشر يصل السودان بعد سقوط أم درمان تحت الاستعمار الإنجليزي
حيث صحب جويني أول مبشر لجمعية الكنيسة الإنجليزية ، وتحت ضغط هؤلاء المبشرين سمح
كتشتر بمزاولة التبشير عن طريق التطبيب والتعليم في المدن التي يوجد بها مسيحيون مع
عدم السماح لهم في البداية بمخاطبة المسلمين بالمسيحية ، ففتح دكتور هاربر كوخا صغيرا من
الطين في طرف مدينة أم درمان إلا أن سمعته كقاع سم ، وهى السمة التي دمع بها الخليفة
عبد الله جميع الأطباء في عهده - حالت دون تنفيذ رغبته فعاد لمقر عمله بالقاهرة ، وخلفه
الدكتور شورلى هول^(٣) Chorley Hall الذى خففت في عهده

الإجراءات الخاصة بمنع التبشير بين المسلمين ، ولقد عبر هول في مجلته عن مدى التزامه
بسياسة الحكومة الرامية إلى عدم الخوض في مسائل الدين عند حديثه مع المسلمين ، بالرغم من
أن قلبه كان يحترق من تفويت فرصة ثمينة للدعوة لمعيسى المسيح ، كانت تسنح له على الدوام^(٤)
وما لا شك فيه أن هذه الإرساليات التبشيرية المساعدة وإن لم تدخل المسلمين في حظيرة
النصرانية كان لها أثرها في تخفيف حدة كراهية المسلمين للمبشرين ، وتقريب الشقة بينهم وهو
ما أمله د. كوك .

(١) الغارة على العالم الاسلامي ص ٩٢/٩١

(٢) المصدر السابق ص ٦٠

(٣) The Christian approach Islam in the Sudan P. 13

(٤) Ibid P.14

مستشفى الإرسالية بأهدرمان :

اتفق المبشرون الإنجليز والأمريكان بالسودان على توزيع العمل تفادياً للتضارب وإضاعة الجهد ، ففي أهدرمان تركت مهمة العمل الطبى وتعليم البنات لجماعة الكنيسة التبشيرية بينما اضطلعت البعثة الأمريكية بمهمة تعليم البنين ، لذلك اتخذت جمعية C.M.S. من مدينة أهدرمان مركزاً لنشاطها لأن مدينة الخرطوم مع كونها مقراً للحكومة إلا أن السودانيين - فى ذلك الوقت - كانوا يعتبرونها مدينة الأجنبي .

أما مدينة أهدرمان التى كانت نتيجة لتطور معسكر المهدي الذى اتخذ منها قاعدة لحصار الخرطوم سنة ١٨٨٤ ، ثم اتخذها عاصمة له بعد الفتح فاشتهرت بالبقعة المباركة واتخذها المسلمون معقلاً فأصبحت ملتقى طرق قوافلهم من مختلف أنحاء السودان المفسح ، وسكانها يمثلون جميع قبائل السودان وشعوبه وفيها يجتمع التجار لتسويق ما عندهم من سلع ، لهذه المزايا مجتمعة اعتبرها المبشرون مركزاً استراتيجياً للعمل الاجتماعى التبشيرى وسط المسلمين . يقول ترينجهام : (إن العمل الطبى لجمعية C.M.S. كوكالة إنجيلية قد شب عن الطوق وتجاوز صعوباته الأولى ، وضرب بجذوره فى عمق حياة المدينة . فمستشفى أهدرمان الذى تأسس فى سنة ١٩١٢ م جعله الدكتور (اد موند لويث) بجهوده مركزاً للنشاط التبشيرى ، فجعل به ثلاث أقسام : للرجال والنساء والأطفال ، ويسع بداخله خمسة وسبعين سريراً وبه قسم للمرضى الخارجيين مجهز بثلاث عيادات ، وبه عيادة لمرضى البرص ، كما بنى بداخله ملجأ (سيرلى استاك) التذكارى للفقراء والمكوفين ، وبه ما بين الثلاثين والأربعين نزيلًا ، وبالإضافة إلى ما ذكر يشرف المستشفى على مائة وخمسين نزيلًا من فقراء أهدرمان يوزع لهم المعونة التى كانت تعتمد ها لهم الحكومة .^(١)

فالحكومة تريد أن تذلل الناس للمبشرين وتظهر المبشرين بمظهر المحسنين الرحماء ليسهل اصطيادهم ووقعهم فى حياكل النصرانية ، وبجانب مستشفى أهدرمان أقام المبشرون مستوصفاً بأبى روف فى الجزء الشمالى الشرقى لأهدرمان سنة ١٩٢٦ ، يضم مركزاً تبشيرياً ودائراً للأطفال تحت إشراف ممرضة إنجليزية يعاونها ممرضات سودانيات ، ويزور هذا المستوصف طبيب بانتظام ، وشيدت بداخله مدرسة ابتدائية للبنات فأصبحت هذه المباني مركزاً لتجميع

الأسرى فى الحى يؤثر على جميع العائلات، كما أنشئ مركز مماثل بأبى (كدوك) جنوب أم درمان سنة ١٩٤٠ تحت إدارة ممرضة، وكان فى البداية مركزاً لرعاية الطفولة، ومصححة للنساء والأطفال، ثم زادت أوجه نشاطه فشملت غرضاً أخرى من النشاط فى أوساط النساء والبنات^(١). وكان المبشرون بجانب العلاج يعرضون التعاليم النصرانية بأساليب مبسطة وحذر شديد فى مجتمع المسلمين، يقول تريمنجهام: (فالمرضى يأتون إلى المستشفيات وهم يعلمون سبقاً أن العلاج فيها يكون مصحوباً بإقامة الصلوات المسيحية بطريقة حذرة، كما أن الإرساليات تقوم بما تقوم به بعض دون أن تؤذى شعور المرضى المسلمين، وهذا الاتجاه يلتزم به بدستور مستشفى C.M.S. الذى برهن على نجاحه بالمكانة الرفيعة التى يتبوؤها فى المجتمع وتفهم الناس العميق للخدمات الصحية التى تتركز على خلفية روحية، والتى تقدم لهم على أنهم جزءاً من طريقة العلاج)^(٢).

هذا بالإضافة إلى مستشفى الراهبات (دار سنت ميري) للولادة والتعريض الذى أسسته جمعية أخوات فيرونا بالخرطوم حيث يقوم بخدمات الولادة والتعريض وكذلك مستشفى الولادة بأم درمان الذى يقوم بالتطبيب والتوليد، ويستمر فيه التبشير عن طريق العلاج أربعاً وعشرين ساعة، ولم يقتصر نشاط الراهبات على مستشفيات التبشير فحسب بل التحق كثير منهن بالأقسام المختلفة من مستشفيات الحكومة.

(١) Ibid P. 21

(٢) Ibid P. 30, 31

البحث الثاني التبشير بالعلاج في الجنوب

لم يول المبشرون بالعلاج في جنوب السودان ما أولوه إياه في الشمال علما بأن الجنوب أشد حاجة للعلاج من الشمال لانتشار الأمراض فيه. يقول أوليفر اليسون :
(إن القرار ليس بمنح الإرساليات الحرية في فتح مدارس القرى، إنما بفتح خدمات طبية بسيطة من أغراضها تخفيف المعاناة وتأسيس الاعتبارات الوقائية حيث تصل نسبة الوفيات إلى درجة مرعبة بسبب الجهل بأبسط قواعد الصحة)^(١).

والسبب الذي صرف المبشرين عن التبشير بالعلاج هو ارتفاع تكاليفه فلا داعى لتجشهما مع إمكان تنصر عدد أكبر بوسائل أيسر وأقل تكلفة. وعلى الرغم من إلحاح الإداريين البريطانيين وعلى رأسهم لورد لويد اليندوب السامي البريطاني بمصر، وونجت الحاكم العام للسودان، وبعض المبشرين أمثال جيمس ديمس الذي عمل في مصلحة الصحة، بأن الجنوب في حاجة إلى مبشرين أطباء أكثر منه إلى وعاظ نصحاء أو رجال دين أكفاء، فإن الإرساليات لم تستجب لهذا التوجيه فاكثفت بإنشاء مستوصفات صغيرة لعلاج التلاميذ والعاملين بمراكزها وحتى هذا القدر البسيط كانت تشرف عليه الحكومة، وتزوده بالمرضى والأدوية مجاناً. فظل ضغط الحكومة على الإرساليات متواصلاً لإنشاء مستشفى في المناطق التي يتفشى فيها مرض النوم والجذام، وهى مناطق الزاندى وإقليم اللادو، وحاولت قناع المسؤولين عن الإرسالية غردون التى تبسط نفوذها على هذه المنطقة، وبعد إلحاح متواصل انتدبت هذه الإرسالية د. ستونز (R.Y. Stoms) من مستشفى مصر القديمة سنة ١٩١٤م لزيارة المنطقة فجاء تقريره عكس ما كانت تطلبه الحكومة، فظلت هذه المناطق خالية من أى مستشفى حتى عام ١٩٢٠ حتى أنشئ مستشفى لوى (Lui) في وسط إقليم المورو الذى كان يتفشى فيه مرض النوم والجذام، وأعانتته الحكومة بمبلغ خمسين جنيهًا وسبعين بطلاية وأدوية أولية للمعسكر الذى أنشأه د. فريزر (Fraser) بالقرب من المستشفى، وضم المعسكر مصحات القرية والكنيسة والمدسة ومنشآت اجتماعية أخرى، أصبحت فيما بعد نماذج لمناطق تم اختيارها

بواسطة د . فريزر والزعماء المحليين وفي سنة ١٩٣٩ بلغ عدد هذه المراكز واحداً وعشرين مركزاً في منطقة المورو - وتوفي فريزر ودفن في (لوى Lui) وزيادة على ما تقدم أصبح مستشفى لوى مركزاً لتدريب الكوادر للعمل فيه وفي المصحات الأخرى^(١) . وحظي بمساعدات نقدية وعينية من حكومة السودان والمنظمة البريطانية لمكافحة الجذام مما أكسبه شهرة واسعة وقد كتب سمر هيدز W.Summorhayes المسئول عن مستشفى منجوبأوغندا عند ما زار لوى في نوفمبر سنة ١٩٣٤ الآتي :

(إنه في نظري الشغل الأعلى للعمل التبشيري العلاجي الذي يربط بين الروحانيّة العلاجية وسعة الأفق للتطلع الى المستقبل وعليه فإن الكنيسة والمدرسة والمستوصف تشكل معا وحدة مترابطة للكنيسة المسيحية في كل مركز تبشيري^(٢))

ويقول (لا فتك) طبيب مستوصف يامبيو: (إن التقرح هو المرض الرئيسي الذي يتردد من أجله المرضى على مستوصف يامبيو حيث يقوم كل مريض بتشييد (عشة) من القش أو يشيدها له أقاربه ليقم فيها ، ووجوده بها يعنى وجود أسرته بجواره بالقرب من مستوصف لإرسالية حتى يتم شفاؤه ، وهذا يعنى أن عددا كبيرا ستتاح لهم الفرصة لسماع تعاليم المسيح حيث يقام الوعظ مرتين يوميا عن طريق أحد أفراد القبيلة الذين تشبعوا بالمسيحية ، والمشرف على علاج هذا النوع من المرض . ويبقى المريض عادة نحو شهرين وبعد شفاؤه تحرق (العشة) وتبنى أخرى لحالة جديدة^(٣))

ولقد استغل المبشرون حاجة الناس للعلاج فأقاموا معسكرات المجذومين وانتهسزوا الفرص لمخاطبة جميع الطبقات ، لأن إرسالية غردون أنشأت مشروعا عرف باسم (معسكرات رؤساء القبائل للجذام) وتقضى الفكرة أن يقوم المسئولون عن الإرسالية بتدريب زعماء القبائل للعناية بهم مرضاهم ، وإنشاء قرى صغيرة لهم بالقرب من الأماكن الرئيسية بدلا عن الأماكن النائية ليصبحوا بالقرب من أهليهم الذين يمدونهم بمطالباتهم المختلفة وبجانب هذا أقامت إرسالية غردون مستوصفين صغيرين أحدهما في (لير) سنة ١٩٣٢ ، وثانيهما في (جيا بور) سنة ١٩٣٨ ،

Missions and Churches P.3

(١) مؤتمر د رم التسجيل ص ٣

(٢) انظر التبشير النصراني ص ١٦٦/١٦٧

C.M.S. Annual Report 1935-6 P.144

(٣)

وانظر التبشير النصراني ص ١٦٧ .

C.M.S. Annual Report 1926-7 P.108

(٤)

وانظر التبشير النصراني ص ١٦٧ .

وكان لها ثمانية مستوصفات صغيرة في مراكزها المختلفة وكانت مخصصات الأطباء والأدوية والمستلزمات العلاجية ومعظم تكاليف مراكز الإرساليات بالجنوب من إسهام الحكومات^(١) ولم يهتم الروم الكاثوليك بالنواحي الصحية إلا مؤخراً عند ما اكتشف د. باز بعض حالات مرض النوم في طمبرة سنة ١٩٢٧ فأنشأ معسكراً في طمبرة لعزل المرضى أولاً ، ثم حول المعسكر مؤخراً إلى (Yubo) .

أما منطقة جبال النوبة فلم تكن أحسن حظاً من الجنوب ، بل كانت بالتأكيد أسوأ حظاً . وقد بدأت التبشير بالعلاج في هذه المنطقة جمعية

M. U. S.

وكانت بداية ضعيفة فأقامت عيادات بسيطة في مراكزها الرئيسية ، وعند ما زار ولسون كسكرتير عام C.M.S. منطقة جبال النوبة سنة ١٩٣٣ أثمرت زيارته دعوة حكومية السودان لإرسالية C.M.S. لتعمل في غرب جبال النوبة تاركة شرقها لجمعية S.U.M. وبعد قيامها برحلة استكشافية في غرب الدلنج سنة ١٩٣٤ أسست محطة سلا را بين جبال الميانسج سنة ١٩٣٥ م وبدءوا عملاً طبياً في مؤسساتهم التعليمية ، ثم نظموا زيارات صحية للقري المجاورة^(٢) .

وما زال التبشير بالعلاج من أهم وسائل المبشرين في جميع أنحاء السودان المختلفة ، وفي كثير من المستوصفات والمستشفيات التبشيرية كمستوصف الحاج يوسف ، وكستشفى الراهبات بالخرطوم حيث يتم الكشف والحجز للولادة بالنسبة للوافدين وسكان المناطق المتخلفة المتضررين بالقحط والتصحر مجاناً ، بينما تبلغ تكلفة العلاج بالنسبة لغيرهم مئات الجنيهات^(٣) بل أصبحت في هذه الآونة الأخيرة يتعدى نشاط المبشرين مستشفياتهم إلى مستشفيات الحكومة نسبة لقلّة الإمكانيات وتردى العمل وشح الدواء بهذه المستشفيات ، وتشهد على ذلك

المقابلة التالية لأخصائي الباطنية بمستشفى كادقلي بجبال النوبة :

(١) انظر التبشير النصراني ص ١٦٨

(٢) A short outline of Protestant Missionary work in the Southern Sudan P.5

(٣) انظر التبشير . فـ في العاصمة ص ١٤

اسم الطبيب : الدكتور عبد الكريم على محبوب ، أخصائي الباطنية ، يقول : إن القسيس يحضرون إلى المستشفى يتفقدون المرضى ، وأحياناً يقومون بصرف الأدوية النافعة والضارة معاً للمرضى تودوا إليهم ، فذات يوم أثناء مروري في بعض عنابر الباطنية التي أشرف على علاج المرضى بها ، وقفت على طفل مصاب بالتهاب رئوي فوجدت والدته تعطيه دواءً لم أصرفه له فسألته من أين هذا ؟ فقالت : من الكنيسة ، فقلت : فلماذا ذهبت إليها ؟ فقالت : لم أذهب وإنما أحضرته لي الراهبة ، وكان الدواء شراباً في قارورة سميات لعلاج حب الشباب ، فأصدرت أمراً لجميع رؤساء عنابري بالمستشفى بمنع دخول أي شخص من الكنيسة على المرضى ، إلا في ساعات الزيارة الرسمية ، ولا يحق له اصطحاب أي نوع من الغذاء أو الدواء حين زيارته المريض ولم يمش على هذا القرار إلا بضعة دقائق حتى وجدت القسيس المسئول أمام مكتبي فقال لي : سمعت بأنك منعت من دخول العنابر لوجود خطأ في الدواء ، إلا أن الدواء صحيح ولكن لم نجد قارورة فارغة إلا قارورة دواء حب الشباب ولذا حصل الإشكال فجئت معذراً . فقلت له : إني لست عدواً للكنيسة ولكي أعادي الأشخاص الذين يتخذون مثل هذا الأسلوب وأحذرك بأن أي أحد من الكنيسة تعدى حدوده ، وصرف دواء لمريض في المستشفى ستكون أنت وهو أمام القضاء . لقد اتخذت هذا الموقف الصارم بدافع الحفاظ على مثل هذا الطفل على الرغم من على بأن الكنيسة أحضرت مولداً كهربائياً للمستشفى نسبة لقطع التيار الكهربائي في كثير من الأحيان ، ولعلني كذلك بأن الدواء غير متوفر بصيدلية المستشفى ، وأحياناً لا يوجد بالصيديات الخصوصية فنضطر إلى إرسال المريض إلى صيدلية الكنيسة حيث تتوفر جميع الأدوية وتصرف بأسعار زهيدة بل بالمجان للفقراء والنصارى ، والغرض الأول تبشيري لربط المريض بالكنيسة كما يفعلون بالنسبة لجميع المحتاجين فيقدمون لهم المال والكساء ويعطون صفارهم الحلوى واللعب ويبتسمون لهم من هنا تتوطد الروابط بين الكنيسة والمواطن^(١)

وهكذا ظل التنصير يستغل الوسائل المؤثرة على المجتمع ، من تعليم وتطبيب وغير ذلك حتى الاعلام استغله لينفث من خلاله سمومه .

(١) أجريت المقابلة في مايو ١٩٨٣ بمكتب الدكتور أخصائي الباطنية بمستشفى كادقلي .

الفصل الخامس

الاعلام التبشيري

يعتبر الإعلام من أخطر الأسلحة التي استعملت في الغزو الثقافي الحديث وأصبح اللسان الزلق لترويج الأفكار المستحدثة والمذاهب الوضعية بين الناس، وكان النصاري الصليبيون من أكثر الناس إدا ركا لأهميته ، وأسبقهم لاستخدام وسائله المختلفة في مجال التنصير وحرب الإسلام ، وما زالوا يسيطرون على الكثير من وسائل الإعلام في أنحاء العالم . قال زويمر: عن مؤتمر القاهرة: (إنه كشف الحجاب عن أمور كثيرة كانت مهملة ومنسية ، وحث الكتاب على وصف أعمال المبشرين في بلاد الإسلام واستنجد بالكائن واستصرخها فخاضت الجرائد والمجلات في مسألة الانقلاب العثماني والانقلاب الفارسي والنهضة العربية ، وحركة الجامعة الإسلامية ومكانها من الحالة السياسية الحاضرة ، وكل هذه الكتابات التي نشرتها الجرائد أبانت عما يجب أن نعمله في العالم الإسلامي ، وصنفت الكتب الكثيرة والتي يراد بهط تعريفنا ببلاد الإسلام وحالات المسلمين مثل كتاب (الشرق الأدنى والشرق الأقصى) الذي طبع منه خمس وأربعون ألف نسخة ، ومثل كتاب (إخواتنا المسلمات) وكتاب (العالم الإسلامي) الذي طبع منه خمسون ألف نسخة وأكثر من هذه الكتب نشر بلغات متعددة .

وكتب المبشرون في هذا المدى عشرون كتاباً بحثوا فيها المعضلة الإسلامية من كل أوجهها وكلها مبنية على بحث واستقصاء ، ومن هذه الكتب كتاب (دين الإسلام) و(الشعائر الدينية) و(الإسلام والنصرانية في الهند والشرق الأقصى) و(صليبيو القرن العشرين) و(مصر والحرب الصليبية) و(الإسلام في الصين) وكتب بيترخت الألمانى تقريراً عن حالة المؤلفات التي صنفت لتبشير المسلمين ، وأبان أن دائرة انتشار هذه المؤلفات قد اتسعت جداً باللغات الثلاث التي هي أهم اللغات الإسلامية ، ويعنى بها العربية والفارسية والأردية ، وأن قسماً كبيراً من هذه المطبوعات خاص بالبلاد العثمانية ، ومنها ما تكرر طبعه ، منها ما هو مكتوب بأسلوب عصرى صار يفيد التبشير منذ أخذ العالم الإسلامي يحتك بالعلوم العصرية ، وأهمية هذه المؤلفات كبيرة في الهند لأن الذين يكتبونها هم مسلمو الهند^(١) المتنصرون مثل عماد الدين الذي حصل من مدارس إنجلترا على لقب دكتور في اللاهوت^(٢) .

(١) المتنصرون من مسلمي الهند (المرتدون عن الإسلام)

(٢) الفارة على العالم الاسلامي ص ١٥٩ / ١٦٠

يوجد في العالم اليوم أكثر من ٣٧ مؤسسة وهيئة إذاعية تنصيرية دولية، بعضها يمتلك محطات كاملة، وبعضها الآخر يستأجر ساعات بث من محطات دينية أو تجارية لبث البرامج والرسائل النصرانية، ويعتبر راديو الفاتيكان أهم هذه الإذاعات التنصيرية في العالم وكان (ماركوني) قد أهدى البابا رسالة إذاعية بموجة قصيرة وذلك سنة (١٩٣١) لتكون نواة لأول إذاعة نصرانية في العالم، وتبث الإذاعة الآن برامجها عبر ست موجات قصيرة تبلغ طاقتها خمسمائة كيلووات وتصل هذه البرامج إلى كثير من أنحاء العالم بثلاثين لغة. وتقوم جمعية التنصير العالمية، وهي جمعية بروتستانتية مقرها أمريكا بإدارة (صوت الإنديز) فـسـى الاكوادور، وتملك هذه الإذاعة (صوت الإنديز) أحدث الأجهزة والمعدات بما فيها مرسلات إذاعية بشمانية موجات قصيرة طاقتها خمسمائة كيلووات، وتدير جمعية التنصير الدولية محطات (راديو حول العالم) وتعتبر هذه الجمعية مؤسسة ضخمة مقرها الرئيسي في نيويورك وتعتمد في إنتاج برامجها على مراكز إنتاج محلية تابعة لها من المناطق المستهدفة. وفي لبنان تقوم الطوائف المسيحية بإدارة العديد من المحطات الدينية النصرانية ومن ضمنها إذاعة صوت (الأمل) التي بدأت بتمويل أمريكي، وكان سعد حداد قبل موته يدير بمساعدة بعض الكنائس الأمريكية محطة تلفزيونية تنصيرية أطلق عليها (نجمة الأمل) ولما ضاقت موارد المالية اشترتها شركة أمريكية مسيحية هي شركة C.B.N (شبكة الإذاعات المسيحية) وأطلقت على المحطة اسماً جديداً هو تلفزيون الشرق الأوسط وتوسعت في برامجها التنصيرية الموجهة إلى المسلمين في لبنان (٢).

ومن بين الإذاعات التنصيرية الموجهة إلى العالم والسودان بصفة خاصة إذاعة علوة وهذا الاسم قصد به إحياء ملكة علوة التي قامت على انقاضها سلطنة الفونج الإسلامية وما زالت النصرانية عالمياً ومحلياً تحلُم بقيامها. وهذه الإذاعة تديرها الكنيسة السودانية من (٣)

- (١) مخترع المذياع
- (٢) من محاضرة للدكتور عبد القادر طاش رئيس قسم الاعلام بكلية الدعوة بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية ألقاها مساء الأحد ٢٧ رجب ١٤٠٦ هـ بجامعة أم القرى بمكة المكرمة وكانت بعنوان (أضواء حول الاعلام الإسلامي)
- (٣) عند ما سئل الأب فليب عباس غبوش في المقابلة التي أجرتها معه صحيفة الصحافة السودانية عقب المؤامرة العنصرية قائلة له: (في السياسة الخارجية من صراع ومشاوكم الالتزام بميثاق الوحدة الأفريقية؟ وأين منظمة الدول العربية؟ والسودان أفريقي عربي؟ فأجاب الأب بانفعال وعصبية: (هذا قول مردود وقال السودان أفريقي فقط ولا يمكن أن نكون بوجهين ووجهنا أفريقي سوداني... وسنطلق على السودان (علوة أفريقية الجديدة) انظر الصحافة في عدد هذا الصادرة بتاريخ ٢٩ من جمادى الأولى ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦/٢/٨

منروفيا بليبيريا ، وتسمى كذلك بإذاعة الحب الأبدى يكتسح أفريقيا ، وهي موجهة إلى العديد من الدول الأفريقية ،^(١) وساعة الإصلاح التي عنوانها : (الخرطوم ، ص.ب. ٢٢٠) ويدبرها القس بسام ميخائيل ، وتبث برامجها إلى العالم العربي من عدة محطات ناعمة ، هسسى جمهورية السيشل بالمحيط الهندي ونيوقوسيا بقمبرص ، ومونتى كارلو . ومحطة ترانس ويزلند في مونتى كارلو ومحطة إذاعة (H C J B) بمدينة كيتو عاصمة الاكوادور بأمريكا الجنوبية .

والتبشير عن طريق البث الإذاعي موجه إلى المجتمعات الرعوية المترحلة التي لا يصل إليها المبشرون ، وفي المجتمعات التي يخشى المبشرون فيها من مغبة الاتصال المباشر ، وقد بينت الدراسات التي قامت في هذا المجال أن هناك أكثر من خمسين إذاعة كسيه أفريقيا واحد لها تبث برامج مسيحية متخصصة للقبائل الإفريقية بمختلف لغاتها ولهجاتها كالقوتقى ، والسواحيلي ، والأرومو ، والبوسا ، وتستعمل الموسيقى والإيقاع والأغاني والأناشيد والألحان المحلية .

وأشهر هذه الإذاعات (صوت البشارة) التي انتقلت من أديس أبابا إلى الجابون ، وإذاعة (سليسى) بسيراليون ، وإذاعة الحب الأبدى يكتسح أفريقيا . وتوجد كذلك إذاعات صغيرة ومحطات لغوية في (فاوندرى) بالكامرون ، و (جوس) بنيجيريا و (اروشا وموشى) بتنزانيا . كذلك استفاد النصارى من الوسائل الفنية الحديثة كأشرطة الفيديو والكاسيت والسينما الجوالا لعرض القصص ذات المدلول النصراني^(١) . أما المجتمعات الحضرية فغزوها بالمشورات النصرانية .

(١) من محاضرة الدكتور عبد القادر طاش . مرجع سابق .

(٢) أوضاع الاقليات المسلمة في أفريقيا ص ١٨ .

الكتب والنشرات :

لقد قامت الكنيسة بنشاط إعلامي منذ زمن بعيد فأنشأت داراً ضخمة في قلب العاصمة على شارع القصر الجمهوري أطلقت عليها دار النشر المسيحي ، وعند ما حُرقت الكنيسة أبناء الإقليم الجنوبي الذين خرجوا من الكنائس ومن دار حزب سائوا وأحرقوا المنشآت والسيارات عقب ثورة أكتوبر سنة ١٩٦٤ كانت دار النشر المسيحي ضمن المنشآت التي أحرقت ولا ندرى هل أحرقت للتعمية بصرف الاتهام عنهم ، أم أحرقت رد فعل ؟ وفي السنوات الأخيرة توسع نشاط الكنيسة في مجال الطباعة والتوزيع ، فالمطبوعات الكنسية على الأوراق الصقيلة المحلاة بالألوان الزاهية والصور الجميلة مع مراعاة تبسيط الأفكار وصغر الحجم لتسهيل القراءة . والتوزيع بأسعار رمزية في الميادين الكبرى بالعاصمة والأوساق وعلى ظهور البواخر النيلية^(١) وفي المعارض التي تقام بالجامعات والمدارس العليا وفي المكتبات العامة وخاصة دار الإصلاح شمال جامع الخرطوم الكبير حيث تتولى التوزيع فيها البيت الحسان لجذب الشباب كما يقصم أبناء المناطق المتخلفة ببيعها في الشوارع والمنازل بأسعار زهيدة وفي الغالب بالمجان ، وترسل كذلك هذه المطبوعات لكثير من طلاب المدارس في أنحاء السودان المختلفة وتحتوي^(٢) هذه المطبوعات على الرسائل والكتب المقدسة وشروحيها بشتى اللغات واللهجات المحلية واللغة العربية الفصحى والعامية كما تحتوي على نصوص الأنبياء كما وردت في كتبهم وقصص الأطفال المقتبسة من كتب النصرانية كما تشتمل على الهجوم العنيف على الاسلام ونبيه وتشير الشكوك في عقيدته وشريعته وموقفه من قضايا المجتمع كقضية المرأة والرق .

(١) انظر التبشير المسيحي في العاصمة الثلاثة ، ص ١٧ .

(٢) انظر الطحق رقم (٤) رسالة مبشر لطالب

(٣) انظر التبشير المسيحي في العاصمة الثلاثة ، ص ١٧ .

ولقد عثرت سلطات الأمن السودانى على وكر من أوكار هذا النشاط تحت اسم (دار منظمة الشبيبة المسيحية) وهى منظمة تهدف أساسا لمحاربة الإسلام والحد من انتشاره، ولقد عثرت السلطات بدار هذه المنظمة على مئات الآلاف من الكتب، والغريب فى الأمر أن تلك الدار كانت تعمل منذ سنوات بدون إذن من أى جهة رسمية فى الدولة، وظل يديرها عدد من الشباب الألمانى،^(١) لأن مركزها الرئيسى فى مدينة شرون د ورق بالمانيا.

نموذج لبعض عناوين الكتب التشكيكية التى توزعها المنظمة:

- ١- تنوير الأقبام فى مصدر الإسلام.
- ٢- الباكورة الشهية . بدون ذكر المؤلف.
- ٣- الانجيل فى القرآن .
- ٤- القرآن فى الإنجيل .
- ٥- الصليب فى القرآن والإنجيل
- ٦- شهادات أبناء السودان .

هذا بالإضافة إلى الكتب التى أخرجها كثير من القسس العالمين فى السودان والتى تركز على أن السودان كان دولة مسيحية وينبغى أن يعود إليها كما تجلى هذا المضمون فى كتاب (تاريخ المسيحية فى الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث) لمؤلفه الأب جوفيانى فانتينى والذى جاء فيه تحت عنوان لماذا هذا الكتاب قائلا: (الآثار التى اكتشفتها البعثات فيما بين ١٩٦٠-١٩٧٠ فى أرض بطن الحجر تعود إلى عصور ما قبل التاريخ ٢٠٠ ق م- ١٥٠٠ م ولكن أجمل ما فى هذه الكنوز الأثرية وأغربها يعود إلى عصر المسيحية . لذلك قررنا تأليف هذا الكتاب عن تاريخ المسيحية فى الممالك النوبية.

والكتاب فى حد ذاته رغم أنه من تأليف رجل غربي حائز على أعلى درجة علمية عالمية وهى درجة الدكتوراة جانب كبيراً من قواعد البحث العلمى الذى يدعو إليها الغربيون، فعلا كتابه بالنقول الوهمية التى تؤيد خطته التنصيرية من غير أن يعزوها فى الغالب الأعم إلى كاتبه أو كتاب . والعجيب أنه يبرر منهجه هذا بقوله: (ولم نتمكن كل مرة من الإشارة إلى اسم المؤلف وعنوان كتابه . ولا إلى الطبعة أو الصفحة التى نقلت عنها الأقوال لأسباب متعددة أولها أن القارى لا يستطيع أن يتحصل بسهولة على هذه الكتب، وثانياً لأن الكثير من البحوث فى الآثار مكتوب بلغات أجنبية)^(٣)

(١) انظر التبشير المسيحى فى العاصمة ص ١٧

(٢) التبشير فى أفريقيا ص ١١٤

(٣) الاب الدكتور ج . فانتينى ، تاريخ المسيحية فى المملك النوبية القديمة والسودان الحديث ص ٦

كذلك تقوم المنظمات الكسبية وخاصة منظمة الشبيبة بتوزيع أشرطة الكاسيت المحتوية على المحاضرات والندوات والأفكار والترانيم النصرانية المسجلة بطريقة التلاوة القرآنية وتوزع هذه الأشرطة في البيئات العامة وتفيج المسابقات والرحلات وتقدم شتى الإغراءات ، وهذا بالإضافة إلى الوسائل السمعية والبصرية في المدارس التنصيرية كصورة رجل مصلوب يزعمون أنه المسيح وصورة امرأة يزعمون أنها مريم وصور أخرى يزعمون أنهم شهداء النصرانية ، يرسخون هذه المفاهيم الشركية في أذهان ناشئة المسلمين .

وبجانب هذه الوسائل القديمة استحدثت وسائل حديثة نذكر بعضها على

سبيل المثال لا الحصر :

الفصل السادس بعض الوسائل المستحدثة في مجال التنصير

المبحث الأول : استغلال الحاجة

بلغت إحصائية المبشرين الرسمية في العالم لسنة ١٩٨٣ عشرين ألفاً ومائتي ألف مبشر ومبشرة منهم (١٣٨) ثمانية وثلاثون ألفاً ومائة ألف كاثوليكي و(٨٢) اثنان وثمانون ألفاً من البروتستانت ، وفي أفريقيا وحدها من هذا العدد (١١٩) تسعة عشر ألفاً ومائة ألف مبشر ومبشرة^(١) وهذا هو الإحصاء الرسمي ، ومن المعلوم أن أعداد المبشرين تفوق هذا العدد الرسمي بكثير لأنهم لا يتقيدون بالحصول على إذن الرسمى من هذه الدول وإنما يتسللون إلى أحراش أفريقيا وغيرها بدون إذن من السلطات أحياناً وباسم لافتات تنمية نسي أغلب الأحيان .

ويبلغ ما ينفقه المبشرون من المال لمليونى دولار في العام ، والذين يقومون بدفع هذه الأموال يدركون أن هذا هو أرباح مجالات الاستثمار لأن الذى سيكسب المعركة الدينية فسي أفريقيا سيكسب معها نصف رصيد العالم من الثروات المعدنية والزراعية ، إنهم يعرفون أنهم لا يخوضون معركة دينية فحسب بل دينية واقتصادية وسياسية أيضاً وكل درهم ينفق في الدعوة الدينية سوف يعطى أضعاف قيمته غداً ، ولم تعد وسائل التبشير هي تلك الوسائل المعتيقة من تعليم وتطبيب بل تجاوزتها إلى وسائل شملت الغذاء والدواء والكساء ، لأن الاستعمار لبث أمداً طويلاً يمتص ماء الشعوب ويستلب خيراتهم دون أن يقدم لهم شيئاً خلف كثيراً من المشاكل كال فقر والجهل والمرض كما خلف العديد من المشاكل الإقليمية التي ظلت تنزف دماً كمشكلة الجنوب وارتريا وتشاد وغيرها من المشاكل الإقليمية لثلاث تنعم هذه الأقطار بالاستقرار وخلف وراءه كذلك حلفاء المنصرين يذكون أوار هذه المشاكل الإقليمية ويسعرون نيرانها أضف إلى هذه المشاكل التصحر والجفاف الذى منيت به القارة مما جعل سيول المنصرين تنهمر عليها من كل حدب وصوب تحمل الطعام في يد والإنجيل في الأخرى والهدف من كل ذلك تنصير القارة لابتزاز خيراتها وتعويق المد الإسلامى وإزالته من سبيل التنصير بكل الوسائل

(١) انظر مقال الدكتور حسين مؤنس بعنوان الإسلام أين وإلى أين؟ المجلة ، العدد ١٦٦ ،

بتاريخ ٩ من رجب ١٤٠٣ هـ الموافق ٢٢ / ٤ / ١٩٨٣ م

(٢) مقال للدكتور حسين مؤنس بعنوان : أساليب جديدة في فلسفات الدعوة الدينية ، المجلة ،

العدد ١٦٥ بتاريخ ٢٦ من جمادى الآخرة سنة ١٤٠٣ الموافق ٩ من إبريل ١٩٨٣ م

ولودعا الأمر لتغيير الأنظمة بالقوة إذا لم تساير النظام الكسبي كما حصل في السودان ^(١)،
ويوغندا، عند ما شعرت أوروبا بخطر الرئيس اليوغندي المسلم عيدي أمين الذي تنفّس
المسلمون في عهده ورفعوا رؤسهم بعد ذلة طالت فترتها ولم تجسد المنظمات الكسبية في
جنوب السودان السند اليوغندي الذي كانت تتمتع به، فوقفت أوروبا مجتمعة وسلطت إعلامها
لتجسيم أخطاء عيدي أمين، وأظهرته في ثوب الطاغية الدموي، وانحازت إلى جانب ملتون
أبوتى وجهزت جيشا كينيا مدته بالعتاد والمال والرجال المبشرين البيض الذين وقفوا بجانب
الكنيين فعملوا ضباطاً وجنوداً في الجيش يزعمون أنهم يعملون في مجال الخدمات الاجتماعية ^(٢)
لأن الغرب يعتبر الإسلام هو الخطر الأول الذي يهدد استراتيجيته، وهو يبذل أقصر
جهده لتحويل جنوب السودان إلى منطقة نصرانية عازلة، وملتون أبوتى معروف بعداائه
وطغيانه وعنقه واضطهاد القبائل الجالا اليوغندية المسلمة ^(٣) التي اضطرتها المعاملة القاسية
إلى الهجرة واللجوء إلى جنوب السودان فوصلوا إلى المدن الكبرى بجنوب السودان كـ (جوبا)
عن طريق نملى وبيبي عن طريق كايا وكجوكجو، وعند ما كان أكثرية هؤلاء اللاجئين من
المسلمين وأوقعتها الحاجة في أحضان المنظمات الكسبية المنبثة في الجنوب، سارع مجلس
الكنائس السوداني لاستيعاب الأطفال وعزلهم في أماكن بعيدة عن ذويهم بحجة تمويلهم،
وفي الحقيقة ليسهل تنصيرهم، رفض أولياؤهم تسليمهم للمجلس الكسبي. وللأسف أن الحكومة
المركزية فسق الشمال وقت منهم موقفا سلبيا تاركة الأمر لحكومة الاقليم التي تغلب عليها
الصبغة الكسبية ما عرض هؤلاء اللاجئين للمجاعة والأوبئة فمات منهم عدد كبير بسبب ذلك
حسب التقرير الذي أعده د. عبد السلام، وعند ما شعرت الكنيسة أن وجه المدن الكبرى فسق
الاقليم بدأ يسطبغ بالصبغة الإسلامية وخاصة في المناسبات الدينية لتمسك اللاجئين بالإسلام
في المظهر والمخبر، انزعجوا لذلك وأوعزوا للحكومة الإقليمية بإبعادهم عن المدن الكبرى إلى
مناطق نائية فتم لهم ذلك حيث أصبح أرنى معسكر لهم يبعد من جوبا حوالي ٦٦ ميلا، وذلك
خشية من تأثر السكان بالإسلام، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أهملت منظمات إغاثة
اللاجئين معسكرات المسلمين أو المعسكرات التي يكثر فيها المسلمون، وهي تتمركز في كيت ^(١)
كيت ^(٢) وكرفت ^(١) واو بارى ^(٢) وتوريت، وتورى، وموربو فكل هذه المعسكرات لا تعطى عونا

(١) انظر الإشارة إليه في ص ٢٩٤ من هذا البحث.

(٢) انظر المقال السابق.

(٣) انظر المقال السابق.

من منظمات الإغاثة لأن أغلبها مسلمون ، علما بأن هذا العون الغذائي يقدم من الأمم المتحدة بإشراف حكومة الإقليم ذات العناصر المسيحية المتعصبة من أمثال كلمنت أمبورو وارنست جبارة الذى كان مسلما فارتد حفاظا على كرسى الوزارة فهو لا * هم الذين يشرفون على العون الغذائي ، ويسعون فى تدبير أى مظهر إسلامى .

وعلم من توضيح معتمد اللاجئيين وضابط برنامج التغذية بوكالة الإغاثة الإسلامية الإفريقية الأستاذ محمد يوسف أن الدول الإسلامية تقدم الدعم للأمم المتحدة بواسطة مكتب المندوب السامى للاجئين ، ومن المؤسف أن المنظمات الكسبية التى تتولى التوزيع ، فأصبحت هذه المعونات حربا على الإسلام والمسلمين لا عوناً لهم ، ويدل على ذلك وجود منظمات كسبية وسط اللاجئين تدفع لها الأمم المتحدة مع أنها معروفة بأنها منظمات كسبية . وقال لى الأستاذ محمد يوسف : (وعند ما نأتى نحن كوكالة إسلامية يحال بيننا وبين العمل وسقط اللاهثين .

فالكنيسة النرويجية تقوم بحفر الآبار الجوفية وسط اللاجئين وتقدم لها الأمم المتحدة ... ره دولار عن كل بحر تقوم بحفرها ، كما تدها بالآلات الحافرة بالإضافة إلى العون الذى تقدمه لها الحكومة الإقليمية فى هذا المجال . كذلك نجد (اكروس) وهى منظمة أمريكية كسبية تقوم بمد اللاجئين بالمعدات الزراعية ، والبذور كالطماطم والذرة الشامى ، والجرجير وتمويلها كذلك من الأمم المتحدة بواسطة المندوب السامى للاجئين لتقوم بهذا النشاط وسطهم .

وكذلك البعثة الفنية الألمانية تقوم بالخدمات الصحية للاجئين ، ويقوم بالدفع مكتب المندوب السامى للاجئين . ومجلس الكنائس السودانى يقوم بتوزيع البطاطين والذرة ، والجهة الممولة هى الأمم المتحدة بواسطة مكتب المندوب السامى للاجئين ، كذلك يوجد وسط اللاجئين ، نظام تعليمى يسير على نمط التعليم فى الإقليم ، فهو أقرب بصفة عامة إلى نظام الإرساليات التعليمى .

فنخلص من كل هذا إلى أن الدول الإسلامية تمد التنصير بأموال ضخمة فينبغى لها أن تراجع موقفها ، وأن تتولى هى بنفسها مسألة توزيع العون الغذائى زيادة على ما تقدم أن الحكومة الإقليمية مفتقرة إلى ترشيد الحكومة المركزية ، وهذه الناحية مفقودة تماما مما ضيق الخناق على المسلمين بالإقليم الجنوبي . (فيلد ويكر) السودانى المعاون فى مجال الإغاثة مهمته

الكسبية رصد تحرك أى شخص مناوئ للكنيسة ونشاطها ، وبجانب هذه المهمة هو الذى يباشر توزيع الإغاثة على اللاجئين وبعد دخول وكالة الإغاثة الإسلامية الإفريقية مجال تقديم المعون للاجئين ، حضر مندوب من روما وأعطى كل مندوب ١٠٠٠ ر. عشرة ألف جنيه سودانى ووعدهم بالقيام بخدمات أكثر لئلا يتأثر اللاجئين والمتضررون بالمعون الغذائية الإسلامى .^(١)

والتبشير بالغذاء والدواء ليس فى الإقليم الجنوبى وحده بل نجده فى غرب السودان وشرقه على تلال البحر الأحمر وفسى كسلا حيث تكثر معسكرات اللاجئين وفى جبال الانقسنا ، بل حتى فى الإقليم الشمالى الذى لم يتأثر بالمجاعة ظهرت منظمة إغاثة تسمى منظمة (ادارا) وفتحت لها مكتباً بمدينة كريمة وآخر بالدبة ، واستقطبت الجنوبيين والنوبيين الموجودين بكريمة . واستعانت فى بدء عملها بموظفين مسلمين ثم استبدلت بهم جنوبيين ، ومن الجدير بالذكر فى الأمر أنه كانت بكريمة كنيسة أنشئت فى عهد الاستعمار ولكنها أغلقت عند ما هجر التجار النصارى المدينة بعد مقاطعة المسلمين لهم قبل عشرين عاماً فتزامن فتحها مع وجود هذه المنظمة .

وتقوم المنظمة بمسح المنطقة بين كريمة والدبة ، وتقديم المعونة للعرب الرحل ، ويقوم الجنوبيون والنوبة التابعون لها بتوزيع الكتب النصرانية بأسعار رمزية وأحياناً بالمجان وتشارك فى كل هذه الأعمال منظمات كسبية غربية من "إيطاليا" و"سويسرا" و"سكندنافيا" وفرنسا وكلها تستغل ظروف المسلمين السيئة لتتصيرهم ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل نشطت هذه المنظمات الكسبية العالمية فى جلب صفار الأفارقة من البلدان التى هددها المجاعة والحروب إلى أوروبا وأمريكا حيث يتم تعليمهم ورعايتهم فى أماكن أعدت لهذا الغرض ليتشربوا روح النصرانية ثم يعادوا إلى بلادهم ، وفى الريف الإنجليزى فى (سيد سكومب) تم إنشاء قرية الأطفال الدولية لتستقبل آلاف الأطفال الأفارقة الذين لا تقل أعمارهم عن عشر سنوات بعد الاتفاق مع ذويهم على أن يمكثوا فى القرية عشر سنوات يدرسون خلالها اللغة الإنجليزية والثقافة النصرانية ثم يسمح لهم بعد قضاء المدة المتفق عليها بالعودة إلى بلادهم يحملون الفكر والديانة الكسبية .^(٢)

(١) زيارة ميدانية للإقليم الجنوبى ومقابلة ضابط التغذية بالوكالة الإسلامية الإفريقية فى مايو

١٩٨٣ .

(٢) انظر التبشير ، منظمة الدعوة الإسلامية ، نشرة من إعداد إدارة الاعلام والبحوث والنشر ص ٦/٧ من غير رقم ولا تاريخ .

ووصلت المأساة ذروتها عند ما كُرت هذه القرى الجماعية للأطفال ونقلت صحف العالم قصة المبشر البلجيكي (أندريه سابييه) الذي يقيم في إحدى الدول الأفريقية وقام بتبني ثلثة وتسعمائة وثلاثين ألفاً (٣٠٩.٠٣) من الأطفال الأفارقة وطالب حكومته بعلاوة عائلية تتفق مع ضخامة هذا العدد من الأبناء أى ما يعادل سبعة وثلاثين مليوناً من الدولارات الأمريكية^(١).

واستغل المعضنون الظروف السيئة وتقدموا إلى الأسر المسلمة الفقيرة يتبنون أبناءها مع ترك هؤلاء الصغار مع ذويهم ليقدموا لهم كل ما يحتاجونه ويرأسلونهم ويوزرونهم في فرائهم النائية ولا أنسى ذلك الاسترالى^(٢) الذى قطع المسافات ليزور مكفوله فى أسرته ويقدم له الهدايا ويأخذ له وأسرته صوراً ، وهذا الأمر يعرض الأسرة كلها للتأثير النصرانى ويجعل كثيراً من الأطفال يتمنون حظ هذا الطفل والمسلمون عن كل هذا غافلون .

(١) انظر المبشير، نشرة منظمة الدعوة الاسلامية، ص ٦/٧

(٢) نورمان انجلر استرالى الجنسية يكفل طفلاً من غربة ود الامين بالافليم الأوسط، اسم الطفل بدر الدين . انظر صحيفة الرياض عدد ٥٢٧٧ بتاريخ ٢ من صفر ١٤٠٣ هـ مقال بعنوان (هل تصح كفاية المسيحي للمسلم) بقلم عبد الله السباك

البحث الثامن

المؤسسات التبشيرية التنموية

دخل التبشير كذلك لأفريقيا تحت شعار التنمية فاستفلت الكنيسة العالمية اتفاقية أديس أبابا فغطت الاقليم الجنوبي بالمؤسسات الكنسية التي أتت للتصير تحت شعار التنمية من هذه المنظمات ثلاث وستون منظمة تحمل اسما كنسيا والبقية تعمل للتصير من خلال التنمية فقط وأشهر هذه المنظمات هيئة المعونة الكنسية النرويجية، وهي منظمة تنصيرية متخصصة في الرعاية الاجتماعية تكاد تسيطر على كل دور الرعاية الاجتماعية في الجنوب كما تعمل في مجال توفير المياه الجوفية وتستورد هذه المنظمات جميع لوازمها من أوروبا والبلاد المحاورة للاقليم ككينيا وأفريقيا الوسطى، وجميع هذه اللوازم التي تستورد باسم هذه الهيئات الكنسية معفاة من الضرائب والرسوم الجمركية كما تسهم الحكومة في هذا العمل الأمر الذي أغرى كثيرا من هذه المنظمات بالتجار في السوق السوداء، فإذا قارنا بين ما تحظى به من تسهيلات وامتيازات وبين ما تقدمه من خدمات وجدناها ضئيلة لا تتناسب مع هذه الامتيازات وتأخذ هذا المثال من ملف هذه الهيئة:

الصرف بالجنيه السودانى	العام أول يوليو الى	العام أول يناير الى	العام أول يناير الى
٣٠ من يوليو ١٩٨٢	٣١ من ديسمبر ١٩٨١	٣١ من ديسمبر ١٩٨٢	٣١ من يناير ١٩٨٢
٦٦.٠٠٠	٩٠.٠٠٠		

الأهداف: بدأت الكنيسة النرويجية للمساعدات الداخلية المشروع بالتعاون في عام ١٩٧٨ مع وزارة التعاون والتنمية الريفية في تطوير امداد المياه في الاقليم الجنوبي، وههدف المشروع الرئيسى هو تحسين نوع المياه المتوفرة للاستعمال المحلى وتشجيع المجتمعات الريفية لعمل مشاريع مساعدة بالعون الذاتى .

المكتسبات : الفترة الزمنية أول يناير سنة ١٩٨١ الى ١٩٨١/١٢/٣١ انشاء الآبار عميقين باليد : اصلاح بئرين صغيرتين باليد - عمل سدين لعيون الماء ، حفر بئرين غير عميقين باليد .

التوعية وعمل الحوافز والانشاءات : ٤٩ اجتماعا ، ١٦٧ زيارة منزلية في مشروع يامبيو ، ومركز تابع في تاندى .

الفترة من أول يناير سنة ١٩٨٢ - ١٩٨٢/١٢/٣١

إنشاء الآبار:

حفر بئرين باليد ، عمل ثلاثة سدود لمياه العيون ، عمل عشر آبار ضحلة .

التوعية والحوافز :

اجتماعات حسب متطلبات العمل

الإنشاءات :

إنشاء مركز وصى فى (ازو)

الخطط المستقبلية بعد عام ٨٢

الخطط المستقبلية للمشروع تعتمد على المناقشات بين مصلحة التنمية والمياه الريفيـ

(١)

والرئاسة للمنظمات فى زيورخ بسويسرا والتي ستم فى سبتمبر ١٩٨٢ م .

ونكتفى بهذا المثال لأنشط منظمة كسبية تدعى أنها تعمل فى مجال تنمية الإقليم

تعقد اجتماعاتها الخاصة بهذه التنمية مع الحكومة الاقليمية صاحبة الشأن فى مقر رئاستها

هى وليس فى مقر رئاسة الحكومة التى تدعى أنها تعاونها . . (١١)

(١) انظر صفحة ("M") من ملف الهيئات الكسبية .

المبحث الثالث

الجهود التنصيرية لتحويل السودان من الاسلام إلى النصرانية

رأى الصليبية العالمية تسعى جاهدة لتغيير الطابع الإسلامي للسودان، ولقد بدأت في التفكير في تنفيذ هذه الخطة قبل الاستعمار وتضافرت جهودها^١ أبانه ويعدّه وما زالت تواصل حملتها الشرسة لتحقيق هذا الهدف مستغلة لغفلة المسلمين وتهاون المسؤولين فبدأت بالسعى أولاً في تنصير الأرض وقطعت في ذلك شوطاً بعيداً حيث نشرت الكنائس الكبرى في المدن والأرياف وفي المناطق النائية بعيداً عن رقابة الحكومة فأنشأت معسكرات الكنائس في العراء وفي أماكن المسلمين حيث نجد في منطقة صغيرة جنوب شرق الدنج يفوق فيها عدد المسلمين عدد النصارى ثمانين وثمانين كنيسة مقابل عشرين مسجداً ولم يقف الأمر على إنشاء الكنائس قصداً لتغيير وجه القطر بل جدت الهيئات الكنسية في نبش وحفر الآثار الوثنية لملوك السودان وإضافة صبغة كسبية على هذه الآثار، وشرح نقوشها التي كتبت بلغات بادت، شرحاً كسبياً، وإقامة المتاحف الأثرية لها للاستدلال على عراقية المسيحية في القطر. ولقد خصص المبشر الإيطالي جوفيانى فانتيني جزءاً من كتابه (تاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث) لمرغ هذه الصور والنقوش وعلق قائلاً : (ومهما كان عدد المسيحيين واعتقادهم فإنهم كانوا يسكنون مناطق أوسع بكثير مما نعتقد، وتاريخهم جزء من هذا الوطن الكبير وهو يستحق البحث والدراسة)^(٢).

هجرات التوازن :

كثرت الهجرات من الجنوب والغرب إلى مدن الشمال وذلك بسبب الظروف الطارئة من الحروب والمجاعات في أول الأمر ثم بتشجيع المؤسسات الكنسية كما حدث في بابنوسة في غرب السودان حينما أنشئ المركز الإسلامي وقام بنشاط إسلامي مكف أثر تأثيراً واضحاً ففسى المنطقة، فأرسلت الكنائس مندوبين من أبناء النوبة لأغراء الصغار بهجران المناطق الواقعة تحت تأثير النشاط الإسلامي لسهولة صيدهم في المدن لحاجتهم للمأوى والسكن والعلاج . وكل هذه الأشياء تعتبر من الأنشطة المؤثرة وخاصة الدواء الذي انعدم في صيدليات الدولة والصيدليات التجارية فصار الجميع يتجهون إلى الكنيسة حيث توزعه بالمجان لأبناء

(٢) تاريخ المسيحية ص ٢٠٧

الجهات المتخلفة وبالشئ المنخفض لغيرهم لتربط المجتمع كله بها .

بجانب هذه الأنشطة ظلت الكنائس تعتنق بجميع خدم المنازل من أبناء وبنات الجنسوب والغرب على اختلاف عقائد هم فيقضون أسياتهم بها وتصلهم رسائلهم عن طريقها وفي عصر الجمعة يتجمعون في الساحات والعيادين يلعبون ويرقصون حتى الساعة التاسعة مساءً والغرض من هذا التجمع إحياء العنصرية والمحافظة على عادتهم القبلية خشية زوبانهم وانصهارهم في مجتمع المسلمين . وما يدل على أن وراء هذه الهجرات المنظمات الكنسية وصول مجموعات كبيرة من أبناء النوبة والجنوب مدينة دنقلا حاضرة الاقليم الشمالى ، وهى إضافة إلى السى بعد ها الشاسع عن الجنوب والغرب لم يكن فيها ما يغرى بالهجرة إليها لضيق رقتها^١ دفع شبابها للهجرة إلى مصر قبل أن يعرف السودانيون الهجرة إلى دول النفط .

كذلك يوجد فيها عدد من المبشرين البيض يعملون بالمؤسسات الحكومية في المستشفى والمدارس العليا لتدريس اللغة الانجليزية بالإضافة إلى عدد من الأقباط المصريين الذين لم يجدوا فرصة للعمل بالسعودية ودول الخليج وظلت هذه المجموعات تطالب بالتصريح لها بكنيسة ويتخصيص حى سكنى لهم والغرض من هذا كله محاولة إعادة الوجه النصرانى مرة أخرى إلى المدينة التى يعتبرها النصارى إحدى عواصم مملكتهم البائدة .

وفي شرق السودان بمدينة كسلا أقام المنصرون مجمعاً كنسياً يضم خمس كنائس من المواد غير الثابتة على مساحة تبلغ خمسة آلاف متر مربع أسهم فيها السويديون والإيطاليون والهولنديون والبريطانيون والأمريكان ، فجأر المسلمون بالشكوى للحكومة ولما لم يجدوا منها استجابة شاوروا وقاموا بإحراقه في رمضان سنة ١٤٠٧ هـ وطالبوا بتصديقه مجمعاً إسلامياً ، فتم لهم ذلك وأطلقوا عليه اسم (مجمع عمر بن الخطاب الإسلامى) وبدأ في تدريس القرآن الكريم . والجهود مستمرة لتطويره مدرسة إسلامية مكتملة .^(١)

وخلاصة القول أن السودان مستهدف من الصليبية العالمية التى توثبت عليه من جميع دول الغرب لموقعه من القارة وثقافته العربية الإسلامية ، وظلت تقيم الأحزمة المسيحية المتعددة لتحول دون تحرك الإسلام إلى الداخل ، وهى بجانب الحزام المسيحى الاصفر تسعى

لانشاء حزام مسيحى يبدأ من ارتريا ويمر بجبال الانفسنا فجبال النوبة وجنوب دارفور حتى أفريقيا الوسطى ليكون عائقاً للإسلام من التوغل إلى داخل القارة فهل ينتبه المسلمون ويتحركوا سريعاً لدرء هذا الخطر قبل أن يحدث في السودان ما حدث في لبنان فيتجرعوا كأس الندم ولا ت ساعة مندم .

(١) مقابلة مع الاستاذ حامد كفو ، نائب الدائرة ١٩٢ ، جبهة إسلامية في شهرزى القعدة ١٤٠٧ هـ

الباب الثالث

آثار الاستعمار والنضير في ضعف المجتمع وتفككه

ويشتمل على تمهيد وقصصين

التمهيد : فترة الحكم التركي وكيف مهدت للاستعمار

الفصل الأول : آثار الاستعمار والنضير في ضعف المجتمع

الفصل الثاني : آثار الاستعمار والنضير في تفكك المجتمع السوداني

تمهيد :

دخل الإسلام السودان في عصر مبكر كما سبقت الإشارة إلى ذلك، لأن معاهدة (البقظ) أتاحَت الدخول للمسلمين تجاراً ورعاة، واستمر د خولهم عبر زمن مديد انتشر خلاله الإسلام تدريجياً بعمقٍته، وأخلاقه، وقيمه الاجتماعية التي تمكنت في مجتمع السودان، فنسخت كثيراً من عقائده الفاسدة، وعاداته وتقاليده الوثنية، وتأثر السكان الأصليون بمعاملة المسلمين الكريمة، فدخل كثير منهم في الإسلام. أما النظام السياسي فتأخر كثيراً حتى قامت المملكات والمشيخات الإسلامية ما بين القرن العاشر والثالث عشر الهجري أي ما بين السادس عشر والتاسع عشر الميلادي، حيث قامت هذه الممالك والمشيخات في أماكن متعددة أشهرها مملكة الفونج ٩١٠-١٢٣٦ هـ ١٥٠٥-١٨٢١ م^(١) وقيام مملكة الفونج تم القضاء نهائياً على سلطان المملكة النوبية القديمة التي كانت تقوم على أساس وثنى مع الانتماء الاسمي للنصرانية.

تلى مملكة الفونج من حيث القوة والمنعة سلطنة الفور (١٦٣٧-١٨٧٥ م) فمملكة تغلّسى ٢١٥٧. واستمرت هذه الأخيرة حتى أواخر القرن التاسع عشر، وعلى الرغم من أنها أقل شأنًا من سابقتها، إلا أنها مكنت للإسلام والعروبة في الجزء الشمالي الشرقي من جبال النوبة، مع أن هذه المنطقة كانت دائماً قلعة تحتمي بها جماعات النوبة البعيدة عن الإسلام والعروبة^(٢) ومنذ أن قامت هذه الممالك والمشيخات التزمت الإسلام تشريعاً ينظم شئونها وعلاقاتها، مع ما صاحبها من ضعف في أول عهد لها لقلة بضاعتها في العلم والعلماء، فمثلاً: (عندما تولّى الشيخ إدريس مشيخة العبدلاب تشدد في عقوبة السارق لأنه كان يبيغضه فطرة فكان يعاقبه بالقتل، فانقطعت جريمة السرقة في مدته حتى إن التجار كانوا يتركون أموالهم وبضاعتهم منتشرة في السوق ليلاً ونهاراً، دون حراسة فلا يضيع منها شيء)^(٣) ومما لا شك فيه أن عقوبة السارق في الإسلام لا تصل إلى القتل فالله سبحانه يقول :

(١) انظر ص ٢٦ من هذا البحث.

(٢) انظر جغرافية وتاريخ السودان ج ١ ص ٣٨٧

(٣) انظر د. عبد المجيد عابدين، تاريخ الثقافة العربية في السودان ص ٤٦/٤٧، وانظر كذلك يوسف فضل مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي سنة ١٤٥٠/١٨٢١

(٤) ص ١٠٢/١٠١ تاريخ الثقافة العربية في السودان ص ٤٦

(١)

(والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما)

وكان العلماء في هذه الدولة يتبوءون مكانة فوق مكانة السلاطين فيملكون حق تنفيذ الحدود الشرعية على الناس، ومن ذلك ما فعله الشيخ أحمد المشيخي إذا جاءته امرأة تشكسو امرأة أخرى قالت لها يا فاجرة، فأمر الشيخ أحمد بإقامة حد القذف عليها ثمانين جلدة، وكذلك كان يفعل بأهل بيته (٢).

ولمكانة هؤلاء المشايخ عند الملوك، كانوا إذا طلبوا خارجاً على سلطانهم، فاستجبار بأحد المشايخ خلوا سبيله وإذا استشفعوا شفعوا، وكان يغلب عليهم الزهد، ولا تترك الدولة لهم مطلباً.

النظام الاقتصادي لدولة الفونج :

*
قام نظام هذه الدولة الاقتصادية على ما كان يجمعه الملوك من الزكاة والقطرة والعشور على نحو ما يفرضه الشرع الإسلامي (٣)، وذلك بجانب الغنائم التي كانت تجمع من الحروب .
الدعوة الإسلامية في عهد دولة الفونج :

نشطت الدعوة الإسلامية في عهد الفونج، واشتدت الرغبة في النهوض بالدين، فاستقدم الملوك العلماء وأغدقوا عليهم العطايا ورفعوا مجالسهم، وكان هؤلاء العلماء يهتمون بتعليم ما يصحح عقيدة الناس وعبادتهم، روى عن الشيخ أرباب الخشن أنه (كان إذا جاءه أحد لقراءة القرآن، يقول له : لا يجوز لك أن تقرأ القرآن وأنت جاهل لغرض العين ما فرض الله عليك من أحكام الوضوء، والصلاة، ومعرفة الله سبحانه، ونحو ذلك، أما القراءة فنافلة، والآم القرآن خاصة في الصلاة فإنها فرض، وسورة على سبيل السنية) (٤).

وكانت أساليب الدعوة سلمية في أغلب الأحيان، ولم تكن القوة تستخدم إلا في النادر عندما تعتدى القبائل الوثنية من الشلك أو النوبة على المسلمين فتتزعزع راية الجهاد كما حدث ذلك في عهد السلطان (بادي أبودقن ١٦٤٥-١٦٨٠) الذي شن غارة طاحنة على هؤلاء

(١) سورة المائدة آية رقم ٣٨

(٢) تاريخ الثقافة العربية ص ٢٨

* اصطلاح يطلق على صدقة الفطر

(٣) جغرافية وتاريخ السودان ص ٤١

(٤) الثقافة العربية في السودان ص ٢٦

المعتدين ، وظلت هذه الدولة حامية للإسلام من جميع عوامل الهدم ، فقضت على نفوذ النصارى
وسدت الشغور أمامهم كما ظلت تحتوى هى نفسها بالإسلام كما سبقت الإشارة إلى ما كان بين سلطانها
والسلطان سليم التركى^(١) . وعند ما نخر الوهن هيكلها وتفرقت إلى مشيخات أغرى ذلك التفكك
محمد على باشا بفزوها بعد أن تأكد من ضعفها وتفككها مع التأكد بعق العاطفة الدينية
الجياشة في شعبها^(٢) فسقطت في يد محمد على سنة ١٨٢١ م .

(١) الثقافة العربية في السودان ص ٥٥ ، وانظر ص ٢٧ من هذا البحث .

(٢) انظر ص ٢٨ من هذا البحث .

الفصل الأول

آثار الاستعمار والتنصير في ضعف المجتمع السوداني

المبحث الأول : الأثر التشريعي

لقد كان غزو محمد علي للسودان بداية لتحويله عن قبلته الإسلامية لأن هذا الغزو على الرغم من صورته الإسلامية الخادعة ، وإقامته للمساجد ، وإعازته للخلاوى وزوايا الصوفية كان بداية لسيادة الخط العلماني ، حيث أدخل بعض القوانين والنظم الأوربية ، فأدخل نظام القضاء المدني بجانب القضاء الشرعي .

ذكر الكولونيل استيورات Steward في تقرير سنة ١٨٨٢م ما يلي : (١) :
محكمة شرعية في كل مديرية بها قاض يتقاضى مرتباً شهرياً يتراوح بين ١٠٠ (إلى ١٢٥٠) فر
وليست مهمة هذا القاضي التحري في القضايا الجنائية فقط ، بل القضايا المدنية بحيث يمكن
استئناف القضية إليه إذا وافق الطرفان .^(١) ويعتبر الدور الذي قامت به المحاكم الشرعية خلال
فترة الحكم المصري دوراً مكملاً لدور محاكم المديرات والمحكمة المركزية في الخرطوم .^(٢)
كما فتح محمد علي الباب للنصارى حتى تسلموا أزمة الأمور فصرفوها وفقاً للنظم الغربية
ما أدى إلى ثورة المسلمين بقيادة المهدي ، فرفعوا راية الجهاد في وجه الفساد ، وأبدوا
استعدادهم لبذل المهج رخيصة من أجل تحكيم الشريعة .

يقول أحد الكتاب المحدثين : (إن الإسلام في هذه البلاد واضح ملموس ، تكاد تراه في
الغدو والرواح ، وتلمسه في كل ما يصدر عنه أهل هذه البلاد ، حتى أمس القريب لا يمكن أن
تتجح أية حركة لإحداث انقلاب أو تغيير بعض الأوضاع ، إلا إذا كانت حركة دينية أو متشعبة على
الأقل بشوب الدين وما حديث المهديّة عنا ببعيد) .^(٣)

فجاءت المهديّة متشعبة بشوب الدين وردت الناس اليه وأصدت الطريق في وحشه

النصرانية وسبغت البلباب اسم النصراني ، إلا أنها لم تمكن
للإسلام في المجتمع لأنها كانت غير متمكنة فيه ، وذلك هو سبب انهيارها انهياراً كاملاً عند ما
شنت عليها الصليبية الأوربية غارتها ، فقضت على نفوذها ، مع استشعار الفزاة بعاطفة

(١) انظر الثقافة العربية في السودان ص ١٠٥ / ١٠٤

(٢) The Sudan underwingate P.

(٣) انظر الثقافة العربية في السودان ص ١٢٤ ، وصاحب المقولة هو الاستاذ محمد احمد محجوب
في كتابه الديمقراطية في السودان .

الدين في المجتمع ، ومن هنا بدأ دهاة الإنجليز ودهاقتهم من ساسة ومبشرين وخاصة الذين هربوا من معتقل المهدي أمثال (سلاطين) (واهرولدر) ، يخططون لنقل هذا المجتمع من مجتمع إسلامي ، إلى مجتمع علماني يقدر حضارة الغرب ويحتقر بجانبها مقوماته .

وأول صنيع هذه الإدارة الاستعمارية الجديدة إلغاء التشريع الإسلامي الذي كان يهيمن على المجتمع باستثناء قانون الأحوال الشخصية ، وإعلان الأحكام العرفية التي استمرت معلنة في البلاد أكثر من نصف قرن .

جاء في كتاب (مآسي الإنجليز في السودان) : (يستند الوضع السياسي الحاضر في السودان إلى معاهدة سنة ١٨٩٩م التي جعلته حكما ثنائيا ، وتنص المادة التاسعة من تلك المعاهدة على (وضع السودان كله تحت الأحكام العسكرية العرفية إلى حين صدور أمر آخر يخالف هذا) .

(وبقيت هذه المادة التاسعة نصف قرن ، ولم يصدر ما يخالفها أو يعدلها ، فظلت نللك الدهر الطويل متحركة في الحريات سلطنة على الأعناق . . . إن وضعها كهذا لم يسمع به حتى في أشد العصور ظلاما ووحشية ، ولم يقم مثله في أكثر الأنظمة بطشا وإرهابا ودكتاتورية . . . وهذا وحده أبلغ دليل على الاستهتار بالحريات ، والاستهانة بالحقوق والامتهان لكرامة المحكومين ، وهذا هو الشأن في الحاكم المستبد السيئ النية ، إذ يضع القوانين بالصورة التي تجعل له وحده الحق في تكييفها كيف شاء ، فإذا ما جنح للبطش والعسف كان له من القانون القائم ما يبرر به أعماله وفظائعه ، ونستطيع أن نقول من غير تردد إن هذه الروح تسود قوانين السودان وتشريعاته والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصر ، وجوا لإرهاب والخوف يسود المجتمع وها هو السكرتير القضائي المستر (قورمان) يفضح هذه السياسة في المقدمة التي وضعها للطبعة الجديدة لقوانين السودان حيث يقول : (كانت القوانين الثلاثة ، المدني ، والجنائي ، والإجراءات الجنائية ، صورة مصفرة لشيلائها في الهند إلا أن جزءا من قانون الإجراءات الجنائية مأخوذ من القانون المصري المأخوذ بدوره من القانون العسكري الإنجليزي والسبب في ذلك أن القضاة في العهد الأول كانوا جميعا من ضباط الجيش) هذا هو (١) رئيس الهيئة القضائية في البلاد ، وهذا ما كتبه بيد عن الروح التي تسود قوانين البلاد (٢)

(١) كتب هذا الكلام سنة ١٩٤٦م إبان فترة الاستعمار .

(٢) مآسي الإنجليز في السودان ، تقديم وفد السودان ، ص ١٤٤ / ١٤٦ ، ط دار الشرق للنشر والتوزيع سنة ١٩٤٦ ، وما تجد الإشارة إليه ان الكتاب لم ينسب إلى مؤلفه نظرا للظروف السياسية السائدة آنذاك تحت الحكم الاستعماري ، ولقد نسبة بروفسيرد شرعبد الرحيم إلى السيد أحمد خير المحامي عند ما قدم لكتابه كفاح جيل في طبعته سنة ١٩٧٠

وكان مغذو هذا القانون من الإنجليز أو الهنود ، والإنجليز الذين حكموا السودان بهذا القانون يعترفون بأنه قطر مسلم وما وثقافة ، وحتى الأجزاء التي لم تكن إسلامية تماماً ، فإنها لم تكن إنجليزية أو هندية حتى يطبق عليها هذا القانون ، وثقافة القطر برسته وتقاليد ، تبعه كل البعد عن تقاليد الإنجليز وثقافتهم التي ينادى بها مشرعوهم : (لكي يكون القانون سائفاً وطبيعياً وعادلاً فإنه يجب أن يخرج من ضمير الشعب المحكوم به لا أن يلقى عليهم املاءً) (١)

فلماذا ضربوا بقاعدتهم الحكيمة عرض الحائط في حكمهم للسودان ، والحق أن الغربيين عامة والإنجليز على وجه الخصوص لا يعرفون العدل إلا إذا كان مقصوداً عليهم وحدهم ، ولا يمدحون الحرية إلا إذا كانت لبني جنسهم ، أما إذا نادى غيرهم بذلك فيعتبرون ذلك جرماً عظيماً وشراً مستطيراً ، فيعملون على محو طالبه من الوجود ، ويشرعون ما يسوغ لهم ما ارتكبه من جرم على أنه عدل محض .

ولم تقف جهود الإنجليز وسياستهم القانونية عند حد إزاحة التشريع الإسلامي ، والتمكين لقوانينهم المطلقة ، بل أنشأوا المدارس القانونية لتخريج جيل يساعدهم في تنفيذ قوانينهم ، ثم يحل محلهم إذا اقتضى الأمر إخراجهم ونقصوا هذا الجيل البديل عن المعرى التي تربطه بمجتمعه وأحاطوه بهالات الاحترام والتبجيل ، وقطعوه عن كل عظيم ، وعظموا في وجهه كل حقير ، وحاربوا كل أثر للتشريع الإسلامي حتى في أضيق دوائره التي لا ينافس فيها وهي دائرة الأحوال الشخصية ، حيث طالب كثير من حكامهم بإلغاء المحاكم الشرعية القائمة ، كما جاء في مجلة الفتح ما يلي : (وفي سنة ١٩١٩ طلب المستر (قلن) نائب مدير جبال النوبة إلغاء المحكمة الشرعية هناك ، ولكنها لم تلغ إذ ذاك ، وفي سنة ١٩٢٠ كتب المستر (رد) مفتش قبيلة الكبابيش بمركز بارة يطلب عدم إنشاء محكمة شرعية بجهته ، وعند ما سمع مكاتبات الأهالي تبودلت بهذا الخصوص فلم تنشأ مع أن الجميع هناك مسلمون . وفي سنة ١٩٢١ طلب المستر (ديوى) مفتش غرب كردفان إلغاء المحكمة الشرعية بالهنود مع أنها في وسط إسلامي كبير جداً ، وليس به سوى المسلمين ، فتدخل في ذلك أحد القضاة الشرعيين ، وعارض الفكرة وانتصر فلم تلغ المحكمة . وفي سنة ١٩٢٢ ألغت مديرية أعالي النيل محكمتها الشرعية هذا والتجار المسلمون في مديريةتي منقلا وأعالي النيل محظور عليهم التجوال فيهما للتجار منعاً لاختلاطهم بالأهالي

لئلا يتأثر الأهالي بهم) (١).

وأصبح القضاء الشرعى مقصوراً على شمال السودان فقط كما جاء فى كتاب مآسى الإنجليز (أما القضاء الشرعى فمقصور على الشمال ، كما أسلفنا ، أما الجنوب وغيره من المناطق المغلقة فى دارفور وكردفان فتعتبرها الحكومة بلاداً غير مسلمة لا مجال فيها للشريعة الإسلامية ، حتى إن بعض المحاكم التى كانت هناك من قديم قد قفلت منذ عهد بعيد ، وأصبح المسلمون الذين يعيشون فى هذه المناطق يلجأون للمحاكم الإنجليزية لعمل الإجراءات الشرعية ، ومراسم نظام الأسرة فأين هذا من حرية العبادة فى بلد عربى مسلم ، اللهم إن هذا حال الصبر عليها حرام ، والرضا بها اثم ، والحياة معها تتجافى مع الإيمان بك ، فمتى يشرق الصباح بعد هذا الليل البهيم ؟

أما عن القائمين على شئون القضاء فكبيرهم السكرتير القضائى ، يليه رئيس القضاء ، فالمحامى العمومى ، ثم المسجل العام ، فمدير التركات ، فقضاة المحكمة العليا ، وكل هؤلاء من الإنجليز .

أما السودانيون فمقرهم أسفل السلم القضائى وأدنى المراتب إن لا يزيد الواحد منهم على منصب القاضى الجزئى الذى ليس دونه منصب قضائى (٢)

وهكذا عطلت أحكام الشرع ، وحلت محلها قوانين الغرب ينفذها قضاة لا يربون فى مؤمن إلا ولا ذمة ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لينقضن الإسلام عروة عروة كما ينقض الحبل قوة قوة) (٣) وقال عليه الصلاة والسلام : (لينقضن عرى الإسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها ، وأولهن نقضا الحكم وآخرهن الصلاة) (٤)

وينقض عروة الإسلام الأولى (الحكم) لم تعد له السيطرة على المجتمع بعد أن كان يحته ويدفعه إلى الفضيلة ، ويحميه من التردى فى الرذائل ، بعد دونه ، وتمازيره ، التى شرعها الخلاق العليم فنفذها الحاكم ، وقبلها المحكوم وكلاهما يلتسما بالشرع الأعظم .

فانحسر نظام الإسلام الاجتماعى فى نطاق ضيق ، وفى هذا المجال الضيق المتمثل فى دائرة الأحوال الشخصية ظل القاضى فيه تابعا للقاضى المدنى ، حيث يتوقف حكمه فى أغلب

(١) مجلة الفتح العدد ٥٧ بتاريخ ١٤ من صفر ١٣٤٦ هـ الموافق ١ من أغسطس ١٩٢٧

(٢) مآسى الإنجليز فى السودان ص ١٥١

(٣) المسند ٢٣٢/٤

(٤) المسند ٢٥١/٥ ، وابن حبان فى موارد الظمان ص ٨٧ ، كتاب الصلاة ، باب فمن حافظ على الصلاة ومن تركها ، وأخرجه الحاكم أيضا ثم قال : الإسناد كله صحيح ، ولم يخرجاه ، وأخرجه الطبرانى فى الكبير وفى مسند الشاميين

الأحيان على تنفيذ القاضى المدنى وبذا أصبح القاضى الشرعى محتقرا حتى لقب فى بعض المناطق بقاضى الحريم ، وتحقق الهدف الذى رعى إليه دهاة الإنجليز ، وهو نقل تجارب الغرب الذى اعتبر الدين من أكبر المعوقات فى طريق تقدمه فنبذه وراءه ظهريا ، وحبس بين جدران الكنيسة وزعم أنه لم يصل إلى ما وصل اليه ولم يخلق فى آفاق الحضارة الحديثة إلا بعد التخلص من قيود الكنيسة ، التى كان نفوذها على الملوك والأمراء والعلماء واسعاً شاملاً لا يحد ، فكل من سولت له نفسه تجاهل البابا فضلاً عن مخالفته حكمت عليه باللعن والطرده ، فبات منبوذاً ، ولن ينسى التاريخ إزلال البابا جريجورى السابع للإمبراطور هنرى الرابع حين اختلف معه على حق تعيين الأساقفة على إقطاعياتهم ، فأعلن البابا حرمانه وأحل أتباعه الأمراء من ولائهم له فاضطر الإمبراطور أن يذهب اليه تائباً فى (كانوسا) سنة ١٠٧٧ ، وأن ينتظر الغفران ثلاثة أيام متدثراً بالخيش حافى القدمين وسط الثلج فى فناء القلعة ، ولن ينسى التاريخ كذلك من أحرق وتكل به تحت آلات التعذيب فى محاكم التفتيش من رواد علم الطبيعة وعلم الكيمياء وعلم الفلك بتهمة الخروج على تعاليم الكنيسة أو بتهمة ممارسة السحر الأسود . وهذا الصراع الطويل المرير الذى وقفت فيه الكنيسة سداً بين أوروبا وبين التقدم وظهر فيه العلماء بمظهر الاستبسال فى الدفاع عن مبادئهم وآرائهم حتى الموت^(١) ، لا ينطبق على الإسلام الذى يمجّد العلم والعلماء وللأسف ظن كثير من المخدوعين أن الغربيين صادقون فيما ذهبوا إليه ، وأن ما رميت به المسيحية ينطبق على الإسلام وساعدهم على هذا الاعتقاد تأخر المسلمين فى مجالات شتى من أهمها ميدان العلوم التطبيقية ، والنظرية والاختراعات التكنولوجية الحديثة التى تفتنت فى اختراع آلات الحرب المدمرة ، ونسوا دور الإسلام فى حركة النهضة الأوروبية الحديثة ، يوم أن كان حملته أساتذة البشرية فى جميع مجالات العلوم دون منازع ، وهم الذين أناروا الطريق أمام أوروبا وبددوا ظلام الجهل الذى رعته الكنيسة فترة طويلة ووضعوا الغرب على عتبة الحضارة ، مع الفرق بين حضارة الإسلام التى حررت الإنسان من جميع قيود الذل ، وحضارة الغرب التى عبدته لشرطيّ الأنس والجن ، وكبلته بقيود الاستعباد والفساد وهذه حقيقة يدركها الغربيون عامة والإنجليز على وجه الخصوص ، يدركون أن الإسلام يقيم مجتمعه على أسس أخلاقية

(١) الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ج ١ ص ٢٧٤ ، ط سابعة ، سنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م مؤسسة الرسالة ، بيروت .

سامية تحدد ها مناهجه ، وتحميها شرائعه التي شرعها الله لتطهير المجتمع نفسه من شوائب الانحراف ، فلم يعرف المسلمون دور البغاء ، وحانات الخمر ، ووسائل التردى فى الفواحش من مراقص وملاهي ودور مغامرة إلا بعد خلو الساحة الاجتماعية من الرقابة الإسلامية التي ظلت في انحسار متتابع وكلما غابت هذه الرقابة من مرفق حل محلها الفساد حتى أصبح المنكر مألوفاً ، فنجح الاستعمار في ربط المسلمين بشرائعه الوضعية وصرفهم عن الاهتمام بأحكام الشريعة الإسلامية ففضى عليها عملياً وحصرها في دائرة العبادات والمناسبات الدينية وان دين الدولة الرسمي هو الإسلام ولا مانع من أن يشارك الحكم الإنجليز المسلمين أعيادهم ، وبعد هذا كله يشعرونهم أنهم يتقنون على الحياة المدنية الحديثة الأديان .

ولقد عدد (جب) في كتابه (وجهة الإسلام) مظاهر التأثير الغربي على المسلم فقال : (وهو يجد - أي المسلم - الرجوع إلى المحاكم الشرعية لا يفتنيه شيئاً في كثير من مصاعب حياته ومشاكلها بل يجد نفسه خاضعاً لقانون مدني ، قد لا يعلم له مصدرًا صحيحاً يستمد سلطانه منه ، ولكن لا شك أن هذا القانون لا يستمد سلطانه من القرآن ولا من السنة^(١)) قانون وضع لحماية حضارة الغرب وقيمه حل محل الأحكام الإسلامية التي كانت تحرم ما ظهر من الفواحش في مجتمع المسلمين الذي بنى على الإيمان والطهر والعفاف . فانقرض المجتمع عند ما عطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي ظل سياجاً منيعاً يحصى المجتمع من التردى في المفاسد . ويتعطل هذا الواجب فشت المنكرات في ظل حماية القانون الوضعي الذي أباح الزنا بالتراضي ورخص للحانات والبغاء ، ودور الميسر والمؤسسات الربوية التي قام عليها الاقتصاد فنجحت محاولة الغرب في تحويل حياة المسلمين إلى واقع غير إسلامي ففى مظهره وحقيقته ولم يعد المسلمون جد يرين بالوصف الكريم الذي وصف الله به سلفهم بقوله تعالى : (كتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)^(٢) وانتابهم الضعف والتخلف مادياً ومعنوياً ، فظلوا فترة على أضعف الإيمان الذي ورد فى الحديث الشريف : (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)^(٣)

(١) الاستاذ الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد والفكر والتيارات المعاصرة للإسلام ، بحث مقدم لمؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٣٩٦ هـ

نقلاً عن وجهة الإسلام ، ص ٢١٨

(٢)

آية عمران ١١٠ ، كتاب الإيمان ، بيات النهي عن المنكر من الإيمان ، حديث رقم ٤٩ .

(٣)

وحتى هذا الوصف الأخير - أضعف الإيمان - لم يستمروا عليه طويلاً ، فكانوا في البدء يرون المنكر ، فيعلمون أنه منكر ، وإن لم يستطيعوا تغييره بأيديهم ولا بالسنتهم خشية الوقوع تحت طائلة القانون ، فتكره قلوبهم ، ثم تبلد الإحساس وألفت القلوب المنكرات فشاركوا في فعلها ، وأصبحوا حمايتها ، ولم يعد للوازع الديني مكان في قلوبهم ، بل لم يعد للدين مكان في مجتمعهم وبعد أن كانت صلاة المؤمن ونسكه وحياته وموته لله أصبحت حياته كلها لقيصر ، وانحصر ما لله سبحانه من حياته في ركن قصي عند قلة من الناس ، ففقد الإسلام مكانه في المجتمع ، وانحسر في محاريب العبادة ، فصار علاقة فردية بين العبد وربّه وحسب هذه العلاقة صارت أوهى من حبل العنكبوت . يقول (جب) : (الواقع أن الإسلام بوصفه عقيدة لم يفقد إلا قليلاً من قوته وسلطانه ، ولكن بوصفه قوة سيطرة على الحياة الاجتماعية قد فقد مكانته فهناك مؤثرات أخرى تعمل إلى جانبه ، وهي في كثير من الأحيان تتعارض مع تقاليدّه ، وتعاليمه تعارضاً صريحاً ، ولكنها تشق طريقها بالرغم من ذلك كله إلى المجتمع الإسلامي في قوة وعزم ، وإلى عهد قريب لم يكن للمسلم من عامة الناس ، وللфلاح اتجاه سياسي ولم يكن له أدب إلا الأدب الديني ، ولم تكن له أعياد إلا ما جاء به الدين ، ولم يكن ينظر إلى العالم الخارجي إلا بمنظار الدين ، كان الدين كل شيء بالقياس إليه ، أما الآن فقد أخذ يمد بصره إلى ما وراء عالمه المحدود ، وتعددت أنواع نشاطه الذي لم يعد مرتبطاً بالدين ، فقد أصبحت له ميوله السياسية ، فهو يقرأ أو يقرأ له غيره مقالات في مواضيع مختلفة الألوان لا صلة لها بالدين بل إن وجهة نظر الدين فيها لا تناقش على الإطلاق ، وأصبح الرجل من عامة المسلمين يرى أن الشريعة الإسلامية لم تعد هي الفيصل فيما يعرض له من مشاكل ، ولكنه مرتبط في المجتمع الذي يحيا فيه بقوانين مدنية ، قد لا يعرف أصولها أو مصادرها ولكنه يعرف على كل حال أنها ليست مأخوذة من القرآن وبذلك لم تعد التعاليم الدينية صالحة لإمداده في حاجاته الروحية ، فضلاً عن حاجاته الاجتماعية الأساسية بينما أصبحت مصالحه المدنية وحاجاته الدنيوية هي أكثر ما يسترعى انتباهه ، وبذلك فقد الإسلام سيطرته على حياة المسلمين الاجتماعية وأخذت دائرة نفوذه تضيق شيئاً فشيئاً حتى انحصرت في طوقس محدودة ، وقد تم معظم هذا التطور تدريجياً من غير وعي وانتباه ، وكان الذين أدركوا هذا التطور قلة ضئيلة من المثقفين ، وكان الذين مضوا فيه عن اقتناع قلة أقل .

(وقد مضى هذا التطور الآن إلى مدى بعيد ، ولم يعد من الممكن الرجوع عنه ، وقد يبدو

الآن من المستحيل مع تزايد الحاجة إلى التعليم، ومع تزايد الاقتباس من الغرب، أن يصد هذا التيار أو يعاد الإسلام إلى مكانته الأولى من السيطرة التامة التي لا تناقش على الحياة السياسية (١).

ويستخلص [جب] من تحليله هذا أن الثقافة الغربية تمكنت من مجتمع المسلمين، فأصبحت توجه كثيراً من أقطارهم الوجهة الأوروبية، وأصبح لها سدة في كل قطر من أقطار المسلمين . وهذه حقيقة لا مرية فيها، بيد أن هؤلاء السدة الذين اصطنعهم الغرب اصطناعاً لحماية حضارته، ولقنهم صنيع دعة التحرر الفكري الذين انتهى صراعهم الطويل المرير بانتصارهم على الكنيسة فهدموا سلطانها وحسروا نفوذها في دائرة طقوس محدودة سموها الدين، وبذلك تحقق فصل الدين عن السلطة المدنية، فانكمش نفوذ رجال الدين فلم يعد يتجسداً طقوس التمسيد والصلاة والجنائز، وأصبحت شئون الدولة وتدير نظام المجتمع في يد رجال السياسة، واستتبع ذلك تحرير الفكر، فنشط في الارتياح والكشف في حرية لا تعرف الخوف حتى وضع أوروبا في الذروة في جميع نواحي الحياة المادية (٢)، وشحنت مناهج التعليم وخاصة كتب التاريخ بهذه المنجزات الضخمة وتغنى صنائع الاستعمار ورواد هذه الثقافة من أبناء الشرق بالحضارة الطادية الغربية ورجالات الغرب ونسوا مثل الشرق وأخلاقه ورجالاته فأعقد الغرب عليهم وبوأهم الوظائف العالية فكانوا رسل حضارته، فشهروا أقلامهم يذودون عنها ويرغبون فيها، ولم يعد دافعهم مستخفياً كما بدأ . يقول طه حسين : (بل نحن قد خطونا أبعد جداً مما ذكرت فالتزمنا أمام أوروبا أن نذهب مذهبها في الحكم ونسير سيرتها في الإدارة ، ونسلك طريقها في التشريع، التزمنا هذا كله أمام أوروبا، وهل كان امضاء معاهدة الاستقلال ومعاهدة إلغاء الامتيازات إلا التزاماً صريحاً قاطعاً أمام العالم المتحضر بأننا سنسير سيرة الأوروبيين في الحكم والإدارة والتشريع، فلو همنا الآن أن نعود أدرأجنا وأن نحى النظم العتيقة ! لما وجدنا إلى ذلك سبيلاً ، ولوجدنا أمامنا عقاباً لا تجتاز ولا تذلل ، عقاباً نقيمها نحن لأننا عاهدناها على أن نسايرها ونجاريها في طريق الحياة (٣)

ولم يكن طه حسين وحده الذي فتنه بريق حضارة الغرب واصطنعه الغرب اصطناعاً ليزود عن حضارته بل أمثاله كثر في مجتمع المسلمين منهم ساسة تعاهد هم الغرب، وسلط

(١) د . محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ج ٢، ص ٢١٨/٢١٩

نقلاً عن وجهة العالم الاسلامي ص ٣٣٦/٣٣٨

(٢) انظر الاتجاهات الوطنية، ج ٢، ص ٢٧٥

(٣) طه حسين، مستقبل الثقافة في مصر، ص ٦٩

عليهم إعلانه ، وأضفى عليهم ألقاب المواطنة والحرية والشرف ، ألقاباً تؤهلهم للزعامة والقيادة وهي في حقيقتها كما يقول الشاعر العربي :

ألقاب ملكة في غير موضعهم ————— * كالهريحكي انتفاخاً صولة الأسد

وعند ما آلت الأمور إلى هؤلاء السدنة صنائع الاستعمار قضا على البقية الباقية ،

فمنهم من ألقى حتى المحاكم الشرعية التي عجز الاستعمار عن الغائها ، ومسحوا كثيراً من مدارس الإسلام ، فمثلاً كلية الشريعة في الأزهر الذي يعتبر الإمام للجامعات الإسلامية سميت (كلية الشريعة والقانون) فنحت بقية الجامعات الإسلامية نحوه ، وصار هذا القانون الوضعي الجائر مادة تدرس في صلب مناهج هذه الكليات ، وبهذا أفلح الاستعمار في مسح مجتمعات المسلمين بالشرائع الوضعية التي رسخت أقدامه وسهلت مهام التبشير في ديار الإسلام .

يقول (Millgan) : (إن رسوخ حكم الإنجليز في السودان سهل مهمة المبشرين)^(١)

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تعداه إلى حماية أكبر الكنائس : حماية الردة عن الإسلام ، ويعترف سكرتير الكنيسة الإنجليزية ، بأن السودان أول قطر إسلامي سن إجراءات خاصة بتسجيل المرتدين فيقول تحت عنوان - (الوضع القانوني للذين يغيرون دينهم) -

(إن الإسلام التقليدي لا يعترف بالتحول عنه لدين آخر ، حيث يعتبر هذا التحول ردة عقوبتها الموت ، والسودان يعتبر أول قطر إسلامي سن إجراءات خاصة بتسجيل المرتدين ، والمقتطفات الآتية من النشرة القانونية لشمال السودان سنة ١٩١٢ والتي نصها كالآتي : تتبع الطريقة الآتية عند ما يرغب شخص في تغيير دينه ، وتهدف هذه الإجراءات إلى منع وقوع المشاكل التي تنشأ في المجتمعات " المتمدنة " أو مظاهر الإكراه وسوء المعاملة التي تمارس ضد القديس (Kadis) والقسيس أو القادة الدينيين الآخرين والتي قد تحدث بين فترة وأخرى ، ولا سيما إذا كان مقدم الطلبات من القصر والنساء الذين يودون تغيير دينهم ، أو أولئك الذين غيروا دينهم بالفعل ، فيجب عليهم أن يقدموا طلباً للسلطات الدينية التي يرغبون في الانتماء إلى دينها ، وعلى تلك السلطات تحويل طلبهم إلى المسئولين المدنيين في المنطقة لتقوم بإخطار رجال الدين الذين يود مقدم الطلب التخلي عنهم إذا كان لهم وجود في المنطقة ، وتعمل السلطات المدنية على تهيئة وقت ملائم حتى يتمكن رجال الدين من الاجتماع بمقدمي الطلبات ، وبعد إعطاء رجال الدين

وقتا معقولا لمناقشة مقدم الطلب في مكتب حكومي خاص، تقوم السلطات المدنية بسؤال مقدم الطلب، ويحضر رجال الدين وفي حالة عدم وجودهم بالمنطقة تقوم السلطات المدنية بتسجيل الحقائق بمثل ما تقدم، وتساءل مقدم الطلب أمام شهود عدل يمثلان دين مقدم الطلب طالما كان ذلك ممكنا، وتحفظ السلطات المدنية بسجل رسمي بوقائع المقابلة وأجوبة مقدم الطلب عليها .

كما يجب إعادة الطلب إلى رجال الدين ويجب عليهم تحريره بدون تعطيل^(١)

هكذا هانت كرامة المسلمين على أعدائهم حتى طمعوا في ردتهم، وقتلوا لها ما يحميها من قوانين الكفر والفساد .

ومما لا شك فيه أن هذا القانون وضع أساسا لحماية المرتدين من المسلمين الذين يرغبون في اعتناق المسيحية ويظهر ذلك جليا من تعليق المؤلف التنصيري بفد إيراد النص القانوني حيث يقول :

(هذا الإجراء ليس قانونا يلزم كل الذين يرغبون في تغيير دينهم أن يسجلوا ولم يوجد سجل حكومي خاص بمن يغيرون ديانتهم، ففي حالة ظهور نزاع ولم تتبع الطريقة المذكورة آنفا فإنه في أغلب الأحوال يكفي لإثبات التحول عن الدين إحصار من شهد (عملية التنصير)^(١) أو تلاوة الشهادة فعلية يعتبر الدين معترفا به قانونا، لأن الشخص الذي غير دينه قد يطلب حماية السلطات المدنية له ما قد يتعرض له نتيجة لتصرفه هذا، والمتشددون من المسلمين جعلوا تغيير الدين نحو المسيحية في غاية الصعوبة، وخاصة بالنسبة للنساء بسبب الدعاية التي صاحبت الإجراءات المذكورة أعلاه في السودان .

(فعلى الرغم من أن الشريعة آلت إلى قوانين ولكن لا تطبق في الواقع ولا توجب عقوبة الموت على المرتد^(٢) فإن النظرة الاجتماعية لمن يبدل دينه لا تخفى على أحد، فهى تضاهي قوة القانون، وهذا ما جعل التحول إلى المسيحية أمراً بالغ الصعوبة في أوساط المسلمين^(٣))

The Christian approach to Islam in the Sudan P.35 (١)

(٢) يعنى المؤلف ان المرتد إذا وجد حماية القانون من ان ينفذ فيه حد المرتد، فلا يجد حماية من المجتمع الذي يطلق عليها اسم المرتد ويسقطه من قائمة المسلمين .

The Christian Approach to Islam in the Sudan P.35, 36 (٣)

وهكذا هدت قوانين الاستعمار ونظمه إلى إخراج المسلم من دينه بشتى الوسائل ليصبح نصرانياً، ولكنها باءت جميعها بالفشل، وذلك لأن الذين غيروا دينهم واعتنقوا النصرانية في حكم العدم باعتراف النصارى أنفسهم وهذه حقيقة يقرها زعيم المبشرين صموئيل زويسر اليهودى ، فى مؤتمر القدس سنة ١٩٣٥ بقوله:

(... إني أقركم على أن الذين دخلوا من المسلمين فى حظيرة المسيحيين لم يكونوا مسلمين حقيقة، لقد كانوا كما قلتم أحد ثلاثة:

أما صغير لم يكن له من أهله من يعرفه ما هو الإسلام ، وأما رجل مستخف بالأديان لا يبتغى غير الحصول على قوته وقد اشتد به الفقر وعزت عليه لقمة العيش ، وأما آخر يبتغى الوصول إلى غاية من الغايات الشخصية ولكن مهمة التبشير التى نذبتكم دول المسيحية للقيام بها فى البلاد المحمدية ليست هى إدخال المسلمين فى المسيحية- فإن فى هذا هداية وتكريماً ، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله ، وبالتالى لا صلة تربطه بالإخلاق التى تعتمد عليها الأمم فى حياتها^(١))

ولكن على الرغم من أن هذه القوانين لم تخرج المسلمين من دينهم ليصبحوا نصارى فقد أخرجت كثيراً منهم من دينهم إلى العلمانية ، التى لا تعترف بدين ولا خلق ولا قيم ، فصاروا عوناً للاستعمار فى هدم مجتمعاتهم .

(١) عبد الله التل ، جذور البلاء ، ص ٢٧ ، المكتب الإسلامى ، طبعة ثانية سنة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م

المبحث الثاني أثر الاستعمار في الضعف الديني

لقد نجحت جهود الاستعمار ومخططاته في إبعاد المسلمين عن دينهم وخاصة نسي الجيل الذي صنع المستعمرون بأيديهم وربوه تربية خاصة ليحل محلهم في التبشير بحضارتهم المزعومة . ويعتبر هدم الإسلام في جوانبه التشريعية أكبر هدم لمجتمع المسلمين حيث نبت الشخصية الإسلامية ، أو بتعبير أدق مسخت وشاقت ، واتجه التشريع عن الوجهة الإسلامية إلى وجهة غربية ، ونسى المبهورون مجد هم الذي أضاعته غفلتهم وتعلقوا بالسراب الخادع الذي بهرهم به الغرب الحاقداً ، فنسوا كل شيء يربطهم بدينهم وضائق صدورهم بسماع ما يربطهم أو يذكرهم بماضيهم العريق ورموا دعة ذلك بالرجعية والتخلف ، وبشروا بكل ما هو وافد من الغرب فتمت قوانين الغرب الوضعية واندثرت الشريعة الإسلامية وتبني الاستعمار ثلثة من أبناء المسلمين وأدخلهم مدارس الحقوق الغربية في الداخل والخارج بعد أن زعزعت مدارس عقائدهم ، وقيمهم وأفسدت أخلاقهم ، واستقدم أساتذة القانون الغربيين ليتعهدوا هؤلاء ، فكانوا حرباً على أممهم ومجتمعاتهم وعقائدهم وأخلاقهم ، كما أصبحوا سدنة هذه القوانين الوافدة يذودون عنها ويعتبرونها أساس الرقي والتحضر ويدافعون عن مدارسها ويطالبون بتنميتها وترقيتها حتى أصبحت كليات شامخة تضاهاى كليات الغرب في أعرق وأكبر جامعاته ، وفوقت بذلك جهد الابتعاث إلى الغرب وأوغلت في التفرغ وبذلك نجحت خطط التبشير والاستعمار نجاحاً كبيراً في إبعاد المسلمين عن دينهم وزعزعة عقائدهم ومحو نظمهم السياسية والاجتماعية وتغيير عاداتهم وتقاليدهم ، فبدأ الإسلام يفقد هيئته الروحية على المجتمع تدريجياً كما فقد هيئته التشريعية ، فضعفت العواطف الدينية وقل الاهتمام بتعاليم الدين ففسى الجهل ، وتحقق ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما ورد في الحديث الذي أخرجه الحاكم عن حذيفة رضي الله عنه قال (أول ما تفقدون من دينكم الخشوع ، وآخر ما تفقدون من دينكم الصلاة ، ولتنقض عرى الإسلام عروة عروة ، وليصلين النساء هن حبيس ، ولتسلكن طريق من كان قبلكم حذو القذة بالقذة ، وحسنو النعل بالنعل ، لا تخطئون طريقهم ولا يخطئكنم ، حتى تبقى فرقتان من فرق كثيرة فتقول أحدهما ما بال الصلوات الخمس لقد ضل من كان قبلنا ، وإنما قال الله تبارك وتعالى

(أقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل) لا تصلوا إلا ثلاثاً ، وتقول الأخرى : إيمان المؤمنين كإيمان الملائكة ما فينا كافر ولا منافق . حق على الله أن يحشرهما مع الدجال^(١) .

صنائع الاستعمار وحلفاؤه :

بدأت الطبقة المثقفة أو الصفوة كما يسميها البعض تتبنى التصورات الخاطئة عن الدين وتشير الشبهات التي أثارها المستشرقون والمبشرون والمستعمرون وتلقفها تلاميذهم ببلاد الإسلام وخاصة مصر - وألفوا فيها كتباً روجها الاستعمار بوسائل إعلامه المختلفة ، ومن أشهر هؤلاء الكتاب طه حسين مؤلف (في الشعر الجاهلي) و (مستقبل الثقافة في مصر) و (مرآة الإسلام) و (الأيام) .

وقاسم أمين الذي ألف (تحرير المرأة) و (المرأة الجديدة) . ولقد نسب بعض المؤلفين هذين الكتابين الأخيرين للشيخ محمد عبده والزعيم سعد زغلول ، ولقد خشي الزعيمان على مركزهما الاجتماعي فحملاً قاسماً العبء فحملة بدلاً منهما^(٢) واحتج هذا البعض لنسبة الكتابين لغير قاسم لعدم تمكنه في معرفة الإسلام بينما جاء الكتابان على نسق يبدل على أن المؤلف له خبرة واسعة بعلوم الدين . وعند ما انتقد الدكتور محمد حسين كتاب (تحرير المرأة) لقاسم أمين قال (من هذا العرض يبدو واضحاً أن الكتاب ليس كتاب فقه وأن صاحبه ليس فقيهاً يعرض لشرح النصوص الإسلامية شرحاً نزيهاً ليستنبط منها ، ولكنه كتاب موجه لخدمة فكرة معينة يحاول المؤلف أن يسخر النصوص لخدمتها) ، وفي هامش الصفحة نفسها يعلق قائلاً : (بل المعروف أن مؤلف الكتاب ليس له الملم بالعلوم الإسلامية ولذلك شاع بين الناس وقتذاك أن مؤلفه في الحقيقة هو الشيخ محمد عبده استاذ قاسم أمين^(٣))

وفتح الاستعمار الباب على مصراعيه لهذه الأفكار الهدامة الخبيثة لتتسرب إلى جنوب مصر ، وشرعت وسائل الكفر في التمكين لها ، وكان أثرها على مثقفي السودان كبيراً حيث لم يكن بالسودان من العلم والعلماء ما يقي من سمومها كما كان الشأن في مصر ، فنشأ جيل

(١) قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، المستدرک ٤ / ٦٩ كتاب انفتن والملاحم أول ما تفقدون من دينكم الخشوع .

(٢) انظر المستشار على جريشة ، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ص ٦ ، ط أولي دار الاعتصام ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م

(٣) المؤلف لا ينفي الفقه عن المؤلف وإنما ينفي نزاهة العرض .

(٤) انظر الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ص ٣٠ .

علماني يسخر من الذين يقاومون الاستعمار بالجهاد ويدح الذين يتعاونون مع الاستعمار يقول أحمد خير: (والقيادة الدينية في السودان نوعان : قيادة مستتيرة، وأخرى ضاربة في غياهب الجهل تائهة في سراديب التعصب، والأخيرة هي التي انفردت بتعكير صفو الأمن بين الغينة والأخرى، وفي جهات مختلفة تحت اسم الثورة الدينية تزهق فيها الأرواح ويسفك من الجهد والمال قبل أن يلقي قادتها حتفهم في حومة الوغى أو على خشب المشانق دون عطف أو اهتمام لمن الرأي العام.

أما الأولى من علماء الشريعة والمشايع الصوفية فقد التزمت منذ البداية جانب التعاون مع الهيئة الحاكمة تعاوناً سلبياً أو إيجابياً، ضعيفاً، أو قوياً، علنياً أو سرياً، مقبولاً لسدى الرأي العام أو غير مقبول^(١)

ويستطرد الكاتب فيقول :

(وفي غضون هذه الفترة أخذت طائفة أخرى تتجاوز طور التكوين الزمني والنشوء، وتلك هي طبقة الجيل الحديث في السودان ، حديث في الترتيب الزمني ، وحديث لأنه الجيل الذي نال قسطاً من العلوم العصرية ، ونال حظاً أوفر من التدريب والصقل في دواوين الحكومة ، وبدأ ينظر إلى الحياة وإلى المجتمع السوداني بمنظار عصري ويقدره تقديراً عصرياً هو مزيج من الثقافة الدينية السلمية ، ومن الثقافة الأوربية الجارفة^(٢)) (بالطبع فقد تغيرت نظرة هؤلاء ، إلى الحكام البريطانيين من أعداء الله المشركين إلى مستعمرين دخلاء وأجانب ، وتغير أسلوب المقاومة من (الجهاد الديني ضد الكفار) إلى الخطب والمظاهرات والإضراب ، وتغير الهدف من (هداية العباد وتجديد الدين ومحو الفساد) إلى طرد المستعمر وإقامة حكومة وطنية سودانية ، وكان محور الخلاف السياسي بين أبناء هذا الجيل هو تكوين تلك الحكومة متحدة مع مصر أو مستقلة أو مرتبطة مع الإنجليز^(٣)) وما زالت هذه الأفكار تسيطر على قطاع كبير من يسميهم البعض بـ (الصفوة) . جاء في

(١) كفاح جيل ص ١٨

(٢) كفاح جيل ص ١٨ / ١٩

(٣) د . الطيب زين العابدين ، التيار العلماني وأثره في السودان ، ص ٩ ، بحث مقدم للمؤتمر الأول (الإسلام في السودان) بقاعة الصداقة ١١ - ١٤ من صفر ١٤٠٣ هـ مكتوب على الآلة الكاتبة ، وانظر كفاح جيل ص ١٧

كتاب (حوار مع الصفة) لمنصور خالد^(١) تحت عنوان لإسلام ومجدد وه ما يأتي (. . . و دور
المجددين في اعتقادي المتواضع هو أن يعيدوا للدين إيجابيته بعد أن سلبه الشيخوخ
المتحجرون كل مضمون ثوري . . . إلى قوة دافعة للتحويل الاجتماعي ، ومن صوفية راکدة إلى
دعوة رشيدة للحقوق بركب الحضارة الإنسانية ، وورهم هو أن يعيدوا للإسلام روحه وحيويته
لا أن يعيدوا وتلقين المسلم أصول عقيدته فهو أعرف بها بفطرته^(٢)

فالاستعمار وأعوانه يدركون تماماً أن الوهن لم يدب إلى هذه الأمة إلا بعد أن وهن
اعتقادها ، فهم يحرصون دائماً على ألا تنبئ الأمة إلى موضع الخل فتصلحه ، فتفوت عليهم
الفرص .

وكتب منصور تحت عنوان (الانفتاح الواعي) يقول : (لقد ظلمت أتابع ما يقال . . . وينشر
 . . . ويذاع من أهل المينة الجدد ، وظلمت أتابعه باحثاً عن الرأي الجديد في المشاكل
المشجرة التي تمس حياة المسلمين ، مشاكل التنمية . . . والتحرر الوطني . . . والانتاج . . .
والتربية القومية . . . والتحول العصري . . . والعدالة ، والتكافل . . . ظلمت أتابعه باحثاً عن
الانفتاح الواعي نحو تجارب العصر وفلسفاته لأن هذا هو الطريق الوحيد لبث الروح في
الجسد المحتضر ، وتطهير الفكر من الضلالة ، والجهالة ، انفتاح كإنفتاح إخوان الصفا بالأُس .
(اعلم أيها الأخ أن الشريعة قد تدنس بالجهالات واختلطت بالضلالات ، ولا سبيل إلى
غسلها إلا بالفلسفة لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية ، واعلم أننا لا
نعادي علماً من العلوم ولا نتعصب على مذهب من المذاهب ولا نهجر كتاباً من كتب
الحكماء^(٣))

(٤)

فالكتاب يدعو إلى ما تدعو إليه رسائل إخوان الصفا ولعله اطلع عليها فصادفت هوى
في نفسه وهي رسائل مقول فيها إنها من وضع رجل يريد هدم الأديان ، ولم يقف المؤلف عند

(١) منصور خالد ، ولد سنة ١٩٣١ ، درس القانون في جامعات الخرطوم ، وأمريكا ، وفرنسا
وارتبط بالمنظمات والهيئات العالمية الليبرالية ، واستعملته الغرب في عدة وظائف
هامة أهلها ولاؤه للغرب ، وعمل باليونسكو ، وشغل منصب مندوب السودان الدائم بالأمم
المتحدة كما شغل عدة مناصب قيادية في فترة حكم نيمري كوزارة الشباب ووزارة الخارجية .
(٢) منصور خالد ، حوار مع الصفة ، ص ١٨٣ ، طبع ونشر دار جامعة الخرطوم ، الطبعة الثانية
سنة ١٩٧٩ م .

(٣) نفس المصدر ص ١٨٣ / ١٨٤

(٤) رسائل إخوان الصفا إحدى وخمسون رسالة كل رسالة مستقلة بنفسها وضعها رجل فيلسوف
خاض في علوم الشرع فمزج العلمين وحسن الفلسفة في قلوب أهل الشرع بآيات
وأحاديث يذكرها وقد ظن المؤلف الظنون (انظر الاصفهانية ص ١١٦ والولاية والأولياء
ص ٢٥٦)

هذا بل يذهب أبعد من ذلك فيقول :

(إن الإسلام، بل الأديان السماوية جميعها - في جوهرها ثورات حضارية، وكل ثورة حضارية هي جهد فكري وخلق متطور، فالإسلام إذن جهد حضاري متطور يرفض التحجر... وكجهد فكري واع يحترم العقل، وكثورة خلقية يفرض أدبه على دعاته قبل منكريه. يفرض عليهم التسامح والأمانة العلمية وأدب الخطاب)^(١).

يزعم الكاتب أن الأديان السماوية في جوهرها ثورات حضارية، ولم يقف عند هذا الحد بل يتجاوزه، فيقول: فهي بالتالي جهد فكري وخلق متطور، ومن ضمن هذه الأديان الإسلام فهو في نظره كذلك. جهد حضاري متطور، وطالما كان جهداً حضارياً متطوراً فيعلم من ذلك أنه ليس وحياً من عند المصباح، وهذا أسلوب سلكه عتاة المستشرقين والصهاينة لهدم رسالات الأنبياء جميعاً، وعلى رأسهم الصهيوني (ول ديورانت) الذي قرن هذه الرسائل في كل موضع من كتابه (قصة الحضارة) بآراء الفلاسفة والكتاب وأصحاب المذاهب الضالة الفاسدة في بعض الأحيان، فهو يزعم أن هذه الرسائل ليست منزلة من عند الله ولكنها نابعة من عقول الناس بعد أن تحرروا من أسرار الآراء السائدة في عصرهم، وبذلك هو يحض على الاقتداء بهم حسب تصوره المزعوم في الخروج على كل ما هو ثابت مقرر مما توقره التقاليد، وتقديسه الأديان، وهذا ما يسميه ذلك الهدام بالحرية واستقلال الشخصية^(٢) فنهج نهجه كثير ممن تأثروا بالفكر الغربي فخدموا مقاصد الاستعمار وأهداه بقصد أو بدون قصد.

ثم يواصل منصور الحديث فيقول :

(إن مشاكل المسلمين في السودان عديدة وليست الشيوعية واحدة منها، ثم ما هي هذه الشيوعية؟ وما هو هذا الاتحاد الذين نعترك ضد هما؟ إن الشيوعية النظرية إنما هي فكرة إن انتها حماقة تماماً كإدانة نظرية داروين وأفكار فرويد! وإن الشيوعية كشاط إنما هي تجسيد لواقع في مجتمع قبل ويقبل جميع ألوان الطيف السياسي... والواقع الاجتماعي هذا لم يكن واقعاً قبلناه فحسب، بل واحتضناه وأحطناه بالرعاية يوم أن كانت لنا مصلحة فيه)^(٣)

(١) حوار مع الصفوة ص ١٨

(٢) انظر د. محمد محمد حسين، حصوننا مهددة من داخلها، ص ١٢٢، الطبعة السابعة سنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان.

(٣) حوار مع الصفوة ص ١٨٦

وكما يقرر المؤلف أن إدانته الشيوعية الملحدة في بلد إسلامي حماقة، لم تقل في نظره عن إدانة زعماء التخريب أمثال فرويد وداروين نجد ذلك يقول عن محمود محمد طه (١) (ولد لنا نموذج فيما قال الأستاذ محمود محمد طه، وهو رجل مسلم ملق بالإيمان حتى المشاش، ومفكر يشرف الفكر الإسلامي، رجل مثل محمود لم ينج من تهمة الزندقة لجسارته الفكرية ولمحاولته الرائدة في وضع الدين في إطار العصر، والحرب ضد حرب غير أمينة، وليست من أخلاق الإسلام في شيء... مفاهيم الأستاذ محمود محمد طه الفلسفية هي مفاهيم يقبلها القابلون ويرفضها الرافضون، ولكن الحقيقة الهامة هي أن هذه المفاهيم هي امتداد للفكر الإسلامي (٢)، بل أنه لا يقول إن الأستاذ محمود هو السياسي السوداني الوحيد في مواقع اليمين الذي يفكر برأسه ويأتم بعقله (٣) ثم يقول (والحديث عن محمود يفوتني بالأساس) الحديث عن ظاهرة رجال الدين، وهي ظاهرة بابوية لم يعرفها الإسلام فمفهوم رجل الدين مفهوم موروث من جاهلية الترك غذاه وأبقى عليه الاستعمار، ومظهر رجل الدين العمامة والقفطان المزركش والحزام المقصب مظهر موروث من الأعاجم هو الآخر (٤).

• (وقضاة الشرع من بين رجال الدين، هؤلاء طائفة قضاة الشرع، وما كنت أود أن أتناولها بالحديث لو اقتضت علي أداء واجبها كموظفي دولة يتقاضون رواتبهم من مال دولتهم التي تجب عليهم فيما يجبي من ريع بيع الخمر... نعم ما كنت لأتناولهم لو اقتضوا علي أداء واجبهم الذي يحدده لهم القانون... قضاة أنكحة وميراث قانون وضعه الاستعمار وارتضاه الذين ورثوا الأرض من بعده، وهو قانون لا يملك أن يحدد للمسلمين ظلال الله على الأرض...).

كتب التاريخ تقول إن هذه الظلال قد انحسرت بانحسار ملك آل عثمان، ولا يكفي حسب تقديري المتواضع أن يقوم مواطن فاضل بدراسة الشريعة الإسلامية دراسة وظيفية ثم يرتد

(١) رجل زنديق حكمت جميع المؤسسات والهيئات الإسلامية داخل السودان وخارجيه برده ومروقه عن الإسلام. وعلى رأس هذه المؤسسات الأزهر الشريف ومجمع البحوث الإسلامية بمصر، ورابطة العالم الإسلامي، ومشيخة السودان العلمية، والمحكمة الشرعية العليا التي حكمت برده سنة ١٩٦٨ وظل تنفيذ الحكم معلقا حتى حكم عليه بالردة سنة ١٩٨٣ ونفذ فيه حكم الإعدام شنقا وأراح الله من شره البلاد والعباد.

(٢) بل هي امتداد لمحاولة هدم الإسلام.

(٣) حوار مع الصفوة ص ١٨٧

(٤) المصدر نفسه ص ١٩٠

قفطانا ويتمنطق بحزام، وفي يده مسبحة كهрман، لا يكفي هذا لجعل من المواطن الفاضل حفيظاً على دين الله... هذه هي الصورة التي أراد الأعاجم والاستعمار من بعد أن تنطبع في رؤسنا عن الدين ورجل الدين (١).

ومثل هذا الأسلوب الذي استخدمه المؤلف هو نفس الأسلوب الذي استخدمته الصهيونية في هدم المسيحية ومحو سلطان رجال الكنيسة من قلوب المسيحيين.

جاء في البروتوكول الخامس:

(... وأن الجماعة المعروفة لنا ويمكن أن تنافسنا في هذه الفنون ربما تكون جماعة اليسوعيين Jesuits ولكننا نجحنا في أن نجعلهم هزواً وسخرية في أعين الرعايا من الأغبياء، وهذا مع أنها جماعة ظاهرة بينما نحن أنفسنا باقون في الخفاء محتفظون بسرا (٢)

وهو نفسه الأسلوب الذي اتخذته الصهيونية في هدم الخلافة الإسلامية، وما زالت تتخذ الآن لمحاربة الإسلام، وإفساد دين ناشئسته ومجتمعه، وإضعاف سلطان عقيدته على النفوس وهو أسلوب يقوم على السخرية بعلماء الدين وتصويرهم بصورة الجبهة الجاهلة تارة، والنافقين المستغلين لسلطان وظائفهم تارة أخرى، وبإثارة المشاكل الوهمية حول قواعد الإسلام وأحكامه ليوهبوا ضحاياهم أن أحكام الإسلام لم تعد كافية لسد حاجات المجتمع الحديث (٣).

وليس غريباً أن يجند الاستعمار وأعوانه من بنى جنسه، إمكاناتهم لإخضاع المسلمين واستلاب ممتلكاتهم، إنما الغريب أن يتخذ الاستعمار من أبناء المسلمين بطانة يغذيهم بأفكاره ويرطبها ثقافته ويبوئها المكانة العالية لنشر أفكاره، وتحمل معاول الهدم والتخريب جاهلة أو عابدة، وتأخذ أجر عملتها مالا حراماً، ورتباً عالية رفيعة، فكان خطر هذه الفئة عظيماً لأن علاقتها بمجتمعها أوثق من علاقة العدو والظاهر، فهي تعيش وسط المجتمع تدعى أنها منه وإلى حقوقه وتسهر على مصالحه وهي في الحقيقة تضر له الشر وتبييت

(١) حوار مع الصفوة ص ١٩٠/ ١٩١

(٢) الخطر اليهودي (بروتوكولات حكماء صهيون) ترجمة محمد خليفة التونسي ص ١٣٣، ط دار الجيل.

(٣) انظر حصوننا مهددة من داخلها ص ١٢٥

له الغدر ، ولهذا استطاعت أن تهدم في مدة وجيزة ما عجز الأعداء عن هدمه عبر القرون المديدة ، وصدق الله العظيم القائل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين . فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عندنا فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم ناديين (١)

فهذا النوع السخر لخدمة الأعداء هو نتيجة الجهد الذي بذله الاستعمار والتبشير في بلاد المسلمين عن طريق التعليم العلماني الذي أشار إليه زويمر في مؤتمر القدس بقوله : (ولقد قضينا أيها الإخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية المستقلة أو التي تخضع للنفوذ المسيحي ، والتي يحكمها المسيحيون حكماً مباشراً ، ونشرنا في تلك الربع مكان التبشير المسيحي ، والكنائس والجمعيات ، وفي المدارس الكثيرة التي تهيم عليها الدول الأوروبية والأمريكية ، وفي مراكز كثيرة ، ولدى شخصيات لا تجوز الإشارة إليها ، الأمر الذي يرجع الفضل فيه إليكم أولاً وإلى ضروب كثيرة من التعاون بارعة باهرة النتائج ، وهي من أخطر ما عرف البشر في حياته الإنسانية كلها ، إنكم أعددت بوسائلكم جميع العقول في الممالك الإسلامية إلى قبول السير في الطريق الذي مهدتم له كل التمهيد (إخراج المسلم من الإسلام) إنكم أعددت نشأ لا يعرف الصلة بالله ، ولا يريد أن يعرفها وأخرجتم المسلم من الإسلام ، ولم تدخلوه في المسيحية ، وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراد له الاستعمار ، لا يهتم بالعظام ويحب الراحة والكسل ، فإذا تعلم فللشهوات وإذا جمع المال فللشهوات وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات وجود بكل شيء ، وإن مهمتكم تتم على أكمل الوجوه وقد انتهيت إلى خير النتائج . . ورضى عنكم الاستعمار ، فاستمروا وأدوا رسالتكم (٢) .

بهذا التآمر الخبيث استطاع الغرب أن ينشر سمومه الفكرية التي سرت في كبر من العقول الضعيفة ، المريضة فتأثرت بحضارته ونادت بها متنازلة عن قيمها وأخلاقها راضية

(١) المادة الآيتين رقم ٥٢ و ٥١

(٢) جذور البلاء ص ١٢٥ / ١٢٦

بالذل والتبعية ، لا تحاول الفكك عن هذه المصيدة ، الأمر الذى جعل (شائليه) يقول :
(من المحقق أن الإسلام يضل من الوجهة السياسية ، وسوف لا يمضى غير زمن قصير حتى
يكون الإسلام فى حكم مدينة محاطة بالأسلاك الأمنية)^(١) .

ويقول : (لا ينبغي لنا أن نتوقع من جمهور العالم الإسلامى أن يتخذ له أوضاعاً
وخصائص أخرى إذا هو تنازل عن أوضاعه وخصائصه الاجتماعية ، إن الضعف التدريجى فى
الاعتقاد بالفكرة الإسلامية ، وما يتبع هذا الضعف من الانتقاص والاضمحلال الملازم له سوف
يفضى - بسعد انتشاره فى كل الجهات - إلى انحلال الروح الدينية من أساسها لا إلى
نشأتها بشكل آخر)^(٢)

ولم يكف الاستعمار وأعوانه بهذا القدر فى حرب الإسلام وإضعافه فى نفوس المسلمين ،
بل عملوا جاهدين لايجاد قنوات إسلامية تواثق أهواهم ، تمتص أى عاطفة دينية يخشون
عواقبها ، فشجعوا الطرق الصوفية والطائفية وبنوها وقد سوا زعماءها وأظهروا لهم الود
والاحترام أمام متبوعيههم حتى التف حولهم كثير من الاتباع وأضفوا عليهم من القداسة ما
مكن لهم فى قلوب متبوعيههم وحاربوا بهم كل دعوة للإسلام تقوم على النهج الصحيح .
يقول ترينجهام : (نسبة لذهاب سلطة الأمراء المحليين فى السودان عدت الحكومة
إلى موالاة ورعاية قادة ورؤساء الطرق الصوفية ، والذين كان لبعضهم يد على الحكومة مثل
الميرغنية الذين لعبوا دوراً هاماً فى مساعدة الحكومة فى إعادة فتح السودان ولكن نفوذهم
المتوارث لا يقوم على أساس دينى متين ثابت كالأساس الذى يقوم عليه نفوذ القادة العلمانيين^(٣)
وهو الأرض والشيخو التابعين ، ورجال الدين المقبولين^(٤) الذين يفهمون الدين فهما صحيحا
وهذا الوضع أدى إلى اتباع سياسة ضرب كل من القادة الدينيين بالآخر والتدخل المباشر
فى الأمور بطريق قد يؤدى إلى بذور بذور العداء^(٥))

ولقد قُطنت الإدارة البريطانية لأهمية الطرق الصوفية . وقد رتها على تنظيم أتباعها

(١) الفارة على العالم الإسلامى ص ٢٠

(٢) المصدر نفسه ص ١٩

(٣) يعنى بالقادة العلمانيين الجيل الذى نال خطأ من التعليم فصار ينادى بالحريية
وقيام حكومة وطنية كقادة الحزب الوطنى الاتحادى وغيره ممن لم يكن ولاؤه لهذه
الطوائف الموالية للاستعمار .

(٤) يعنى برجال الدين المقبولين الذين لم يكونوا إمعات لهذه الطوائف التى مكن لها
الاستعمار لاذلال المسلمين

على العمل في منظمات قبلية فسعى كرومر سنة ١٩٠٠ لنصح السيد على الميرغنى لقباً رسمياً باعتباره زعيم طائفة الختمية التي تحظى بنفوذ ديني كبير.^(١)

ويقول الاستاذ عبدالله حسين تحت عنوان (أعيان السودان) : (السير السيد على الميرغنى كبير أعيان السودان وأحد علماء الأعلام، ورئيس الطريقة الميرغنية في القطريين السودانيين والمصري، ورئيس الوفد السوداني الذي سافر إلى لندن في يوليو سنة ١٩١٩، وحامل نيشان القديسين ميخائيل وجورج من درجة فارس ونيشان فكتوريا من درجة فارس).^(٢) وأصبحت كل طائفة من هذه الطوائف تضم جمعا من المسلمين الذين أفرسهم الجهل فتعلقوا بهذه الزعامات المصطنعة التي أغدق عليها الاستعمار من المصالح المادية والمنافع الدنيوية ما جعلها تباع دينها راضية بلعاعة من العيش غير الكريم في ظل الاستعمار وأصبحت مقاييس الدين تقاس بالولاء لطائفة من هذه الطوائف، وانحصر الإسلام في قراءة الموالد وحوليات المشايخ التي كان كثيراً ما يحضرها الحاكم الإنجليزي، وأصبح الدين علاقة فردية بين العبد وربّه لا شأن له بالسياسة والحكم وأصبحت كل طائفة تلعب أختها وتدعى مروقها عن الدين لأن الدين في فهمها ما عليه شيخها، مما جعل كثيراً من المثقفين بالثقافة الغربية في مدارس التبشير والاستعمار تلك المدارس التي أغلقت أمامهم كل طريق يوصلهم إلى معرفة الإسلام الحق، ولم تتح لهم أي فرصة للإطلاع إلا لما يوافق هواها. يظنون أن هذا الواقع المنحرف هو الإسلام، وهكذا نجحت الإدارة البريطانية بالسودان في ضم رجال الدين إلى صفوفها، وكانت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ أكبر محرك لامتحانهم، خاصة وقد دخل خليفة المسلمين الحرب ضد بريطانيا، والسؤال الذي شغل أذهان الإداريين البريطانيين وقتذاك هو هل يستمر زعماء الطرق الصوفية، والعلماء التقليديون بالسودان في التعاون مع الإدارة البريطانية التي دخلت الحرب ضد خليفة المسلمين لتزليل العقبة الكادئة التي واجهت أوروبا فترة من الزمن وحالت دون تحقيق مطامعها، وفي سنة ١٩١٤ طلب الحاكم العام للسودان (ريجنالد ونجت) من أعيان السودان وعلمائه تأييد بريطانيا باعتبارها الصديقة الحامية للإسلام، فاستجابوا استجابة ظاهرة وسريعة ومن ثم أرسل مشايخ الطرق الصوفية والعلماء والأعيان وزعماء القبائل رسائل

(١) رسالة كرومر للملكة ١٢/٢٩ / ١٩٠٠ والإدارة البريطانية ص ٣٢

(٢) الاستاذ عبدالله حسين، السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية، ج٣ ص ٣٢٧، الطبعة الأولى سنة ١٣٥٤/١٩٣٥، طبعة الرحمانية بمصر.

الولاة للحاكم العام، وأعلنوا وأتباعهم استعدادهم للوقوف إلى جانب بريطانيا، واستنكروا إعلان تركيا الحرب ضدّها، وربما كانت أكثر الرسائل أهمية رسالة السيد عبد الرحمن المهدي ابن المهدي نفسه الذي كان في حماية شيخ الإسلام محمد البدوي رئيس لجنة العلماء لانضمامه للوقوف مع الإنجليز بجانب علي الميرغني والشريف الهندي، فتحققت بذلك آمال (ونجت) في أنه سيحول المهديّة إلى طريقة دينية سلمية (سلمية) كالضريقتين الآخرين.^(٢)

ما بعد الحرب :

عند ما انتصر البريطانيون في الحرب العالمية الأولى فكرت إدارة السودان في تكوين وفد من الذين أخلصوا للإمبراطورية في صراعها الطويل ضد أعدائها، فتكون الوفد من رؤساء الطرق التي وقفت مع الإنجليز قبل وبعد أن وطئت أقدامهم أرض السودان كالسيد علي زعيم الختمية والشريف الهندي زعيم الهندية والسيد عبد الرحمن الذي حقق ظن ونجت فاختاره عضوا في الوفد مكافأة له لطاعته وولائه وخدماته وإخلاصه أثناء الحرب. وضم الوفد كذلك ثلاثة من العلماء الموظفين من ذوى المكانة الدينية والمراكز الرسمية وتم اختيارهم لتأييد هم المستمر للإدارة البريطانية وهم الطبيب أحمد هاشم مفتي السودان، وشقيقه أبو القاسم أحمد هاشم، ورئيس هيئته علماء السودان، والشيخ إسماعيل الأزهرى (الكبير) قاضى مديرية دارفور كما ضم الوفد خمسة من زعماء القبائل التي وقفت بجانب الإنجليز في حربهم ضد المهديّة وهم :

١- علي التوم فضل الله، ناظر قبيلة الكبابيش، وهو الذي عينه الإنجليز ناظراً للمعـموم

الكبابيش مكافأة له، خلفاً لأخيه الذي قتله الأنصار.

٢- إبراهيم بك محمد فرح، زعيم الجعليين.

٣- عبد العظيم بك حسين خليفة زعيم قبيلة العباددة، ولم يسافر مع الوفد لأسباب غير معروفة.

٤- عوض الكريم أبوسن، ابن ناظر عموم الشكرية.

٥- إبراهيم بك موسى إبراهيم، زعيم قبائل الهدندوة.^(٣)

(١) جعفر محمد علي بخيت، الإدارة البريطانية والحركة الوطنية، ص ٣٦ ترجمة هنري رياض، ط أولى سنة ١٩٧٣ م، دار الثقافة بيروت.

(٢) نفس المصدر ص ٣٨

وجمعت الرسائل جميعاً في كتاب سعى سفر الولاة ونشر في ملحق خاص لجريدة (سودان

تأريخ) بتاريخ ١٤ أغسطس ١٩١٥
(٣) انظر حسن نجيلة، ملاح من المجتمع السوداني، ص ٥١/ ٥٢

وفى تاريخ ٢١ من يونيو ١٩١٩ كتب صاحب جريدة الحضارة والصحفى الرسمى المرافق للوفد ما يلى :

(علمنا أن وقدأ من سراة هذه البلاد سيتوجه لانجلترا لينوب عن أهالى هذه البلاد فى تهنئة جلالة الملك بنهاية الحرب بنهاية سعيدة مقرونة بالانتصار... . أجل نرف إلى قومنا هذه البشرى التى لم تأتهم بثلبها الأيام من حيث د لالتها على معنى كبير ، فلا بدع إذا ابتهجت البلاد سروراً بهذا الخبر ، لأنه جاء د ليلاً على أن ما أظهرته فى هذه الحرب لم يذهب سد ، بل صادف أمة حرة ، وحكومة كريمة ، فأثبت فيها عواطف العطف علينا كما أن هذا المظهر من مظاهر الإخلاص الذى تظهر به على الدوام لم يكن إلا اعترافاً بالجميل ، فزيارة وفدنا لتلك البلاد التى تربطنا بها روابط... . ودية للتعبير لها عن عواطف الأهلين ، وللإشتراك معها فى الأفراح العمومية التى ستقيمها ، احتفاءً بانتهاء الحرب وتوطيد السلام) .

ووصل الوفد لندن ، وفى ٢٨ من يوليو قابل الوفد الملك جورج الخامس ملك بريطانيا يرافقه السير (ونجت) الحاكم العام للسودان ، ولورد (كرومر) معتمد بريطانيا بمصر و (جرانفيل) مسئول الشؤون الخارجية ، واصطف الوفد أمام عرش الملك ، وأحنى رجاله الرؤس قائمين بواجب الاحترام الطوكى وتلا السير على الميرغنى الخطاب بالنيابة عن الوفد^(١) فقال :

(يا صاحب الجلالة والامبراطورية... نحن الذين تم لنا الشرف الرفيع بالشول لدى جلالتم السير السيد على الميرغنى والشريف يوسف الهندى والسيد عبد الرحمن المهدي بالنيابة عن زعماء البلاد الدينيين ، والشيخ الطيب هاشم مفتى السودان ، والشيخ أبو القاسم هاشم رئيس مجلس العلماء ، والسيد اسماعيل الأزهرى قاضى مديرية دارفور بالنيابة عن موظفى وعمال المحاكم الشرعية ، والشيخ على التوم ناظر الكبابيش ، والشيخ إبراهيم موسى ناظر الهدندوة والشيخ إبراهيم محمد فرح ناظر الجعليين ، والشيخ عوعالكريم أبوسن وكيل ناظر الشكرية ، بالنيابة عن زعماء الوطنيين الإداريين لدى حكومة البلاد ، نلتس بالأصالة

(١) جريدة حضارة السودان ، العدد ٢٥ ، بتاريخ ٢٣ أغسطس ١٩١٩ . (حضارة السودان) أول صحيفة عربية أسسها محمد الخليفة شريف كجريدة أدبية سنة ١٩١٩ وفى عدد ها الصادر بتاريخ ٢٤ / ٦ / ١٩٢٠ أعلن ملكيتها للزعماء الثلاثة : على الميرغنى ، وعبد الرحمن المهدي ، ويوسف الهندى .

عن أنفسنا وبالنياحة عن جميع أهالي السودان أن يسمح لنا أن نقدم بكل خضوع لجلالتكم !
تهانينا القلبية على الانتصار المجيد الذى أحرزته جنودكم . إن ثبات جنود الحلفاء المجيد
الذى دعا إلى انهزام العدو وانهزاماً تاماً ، وانتصاركم الباهر أوجب الإعجاب العظيم بسين
أهل السودان وأفعم قلوبهم سروراً !

(ولقد تحققوا أن هذه الحرب تختلف عما سبقها من الحروب لأنه فصل فيها بسين
مصر الشعوب الضعيفة إذ كانت حرباً بين الحق والباطل ! فقلب الحق وزهق الباطل ،
ومحقت المدنية الهمجية . ولم يعدم أهالي السودان الثقة فى النصر النهائى أبداً فإنه
رغماً عما سمعناه من استعدادات العدو والعظيمة مدة أربعين سنة لم نشك أبداً فى
النتيجة لأنه يستحيل أن تقهر أمة جعلت غايتها نصره الضعيف والمساواة والعدالة .

(إن أنقر عضو فى الامبراطورية العظيمة وأحدثها (أى السودان) قدم ما لديه
بغيرة ونشاط . أجل ، اننى لأخجل إذا ذكرت ما قدمناه بالنسبة إلى غيره إذ يكاد يكون
ذلك كقطعة فى بحر . ولكن السودان قدمت من حاجتها لا من فضلتها ، ويقدمه شعب فقير
مخلص ، وإن تكن صغيرة فى ذاتها إلا أنها عظيمة بالنسبة للعاطفة الشريفة التى دفعتها
لذلك . وفصلاً عن ذلك فإننى أود أن أقول إن القليل الذى أعطيناه إنما هو ثمرة ما زرعه
حكومة جلالتم من الإحسان فكانت ثمرة الإحسان الشكران .

(جعلتم العدل أساس ملككم الواسع فكانت روح العدالة والسلام التى امتدت فى
أنحاء البلاد ، وأظهرته حكومة جلالتم من الاهتمام بشئون السودان والنصيحة التى بذلت
فى سبيل تقدمها وإسعادها مادياً وأدبياً ، وحسبان أهل السودان فى المستقبل يتوقف
على زيادة ارتباط البلاد بامبراطورية جلالتم ، ولذا نضرع إلى الله القدير أن يمنح
جلالتم العمر الطويل المقرون بالسعادة ، وأن يحفظ بريطانيا العظمى رافعة لواء الحرية
والمدنية فى العالم ، ولتخفق الراية البريطانية طويلاً على السودان ناشرة السكينة والسلام !

(وأخيراً نقدم شعائر خضوعنا وولائنا لعرشكم ! والسلام)^(١)

وفى معرض خطاب الملك رداً على هذا الخطاب قال : (أشكر يا سيادة السير على

الميرغنى وبقية أفراد الوفد على خطاب الولا^(٢) الذى قدمتموه) .

(١) خطاب السيد على الميرغنى كما أوردته جريدة الحضارة الصادرة بتاريخ ٢٣ / ٨ / ١٩١٩
فى عدد ٢٥٥ . وانظر د . أحمد إبراهيم دياب ، العلاقات المصرية السودانية

١٩١٩-١٩٢٤ ط مصر النهضة ص ٦٥-٦٧

(٢) المصدر السابق .

أما زعيم طائفة الأنصار فقد قام بتقديم سيف النصر (سيف والده الذي جاهد به
الانجليز دليلاً على الولاء المخلص والطاعة والتسليم، والخضوع، وإغماط سيف النصر إلى الأبد
وقال وهو يقدم السيف مخاطباً ملك الانجليز:

(يا صاحب الجلالة والامبراطورية العظمى : بكل خضوع ! أنتهز الفرصة الثمينة التي
سمح الله هربها لأقف بين يدي جلالته بإخلاص تام لأقدم لجلالته هذا السيف التاريخي
(سيف النصر) الذي كان يخص والدي كرهان أكيد على سلمى وولائي لعرشكم الرفيع !
ولكى يكون في تسليمه لجلالته دليلاً^(١) قاطعاً ثابتاً لرغبتى أن تجعلونى وجميع أتباعى وأهلى
بالسودان فى دائرة سلمكم وعطفكم بعد مرور هذه السنين الطويلة التى برهنت فيها
لرجالكم العالمين المدربين بالسودان عن إخلاصى بالعمل فى ظروف مختلفة، ويوجد عدد
عظيم من أهالى السودان ينتظرون رجوعى حائزاً على جزيل عطفكم، ويرجون أن يكونوا دائماً
من رعاياكم المخلصين، ولى الشرف بأن أكون خادماً لكم المطيع !)^(٢)
فرد عليه الملك قائلاً :

(يا حضرة السيد عبد الرحمن إني أقبل هذا السيف وأقدر عاطفة الولاء التى دفعتكم
على تقديمه لى كرهان على إخلاصكم وعواطفكم نحوى، وإني سأقبله منكم وأعيد إليه ولورثته
من بعدكم للدفاع عن عرشى وامبراطوريتى، وبصفته برهان على قبولى شعائر خضوعكم وخضوع
اتباعكم)^(٣)

ولقد غضب على الميرغنى غضباً شديداً إذ شعر أن عبد الرحمن المهدى منافس له فى
الولاء للإنجليز ما سيضعف مكانته عندهم، وهكذا بلغ ضعف الدين بهؤلاء الزعماء هذا
المبلغ ونسوا قول الله سبحانه وتعالى : (بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً . الَّذِينَ
يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ، أُمِيتُوا عَنْهُمْ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً)^(٥)
وقوله سبحانه : (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا
آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ)^(٦) صدق الله العظيم .

-
- (١) هكذا فى النص وكذا نقله صاحب كتاب العلاقات المصرية السودانية .
وصوابه : (دليل قاطع ثابت) لأنه اسم كان
(٢) جريدة الحضارة بتاريخ ٢٣ / ٨ / ١٩١٩ عدد رقم ٢٥١ . وانظر العلاقات المصرية
السودانية
(٣) المصدر السابق ، وفى آخر الخطاب ركافة لعلها من المترجم
(٤) انظر العلاقات المصرية السودانية ص ٧٠
(٥) سورة النساء ، الآيات ١٣٨-١٣٩
(٦) سورة المجادلة الآية رقم ٢٢

المبحث الثالث التدهور الخلقي

مما لا شك فيه أن الدين أساس الأخلاق ، والأخلاق قوام الأمم ، فالدين منبع الأخلاق فهو منها بمثابة المولد من الآلة ، والأخلاق للأمة بمنزلة العمود الفقري للكائن ، فإذا ذهب الدين ذهب الأخلاق تبعاً له فحل الدمار بالأمة .

يقول أحمد شوقي :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت * فإن هوى ذهب أخلاقهم ذهبوا
ويقول :

فإذا أصيب القوم في أخلاقهم * فأقم عليهم مأتما وعويلاً

والأمة الإسلامية لها القدح المعلى على سائر الأمم والشعوب في مضمار الأخلاق فهي أمة ربانية رسم طريق أخلاقها رب العالمين في كتابه المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهدى إليه نبيه الكريم - صلى الله عليه وسلم - الموصوف بالخلق العظيم في محكم التنزيل (وإنك لعلى خلق عظيم) ^(١) وسئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خلقه فقالت : (فإن خلق نبي الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن) ^(٢)

ولقد فطن الأعداء إلى أنهم لن ينالوا من هذه الأمة طالما كانت محصنة بهـذا الحصن المنيع فصوبوا سهامهم المسمومة فأصابوا مقتلها لما تمكنوا من هدم دينها فضعفت أخلاقها وتسربت إليها أمراض الغرب عند ما فقدت المقاومة فتمكنت هذه الأمراض من الفتك بمجتمعها ، وكان من أكبر العوامل التي ساعدت على هذا الهدم أن الأعداء يشلون حضارة غالبية يختلط فيها الصالح والطالح فظن المغلوبون أن الأمرين متلازمان ، وتوهموا أن مظاهر الانحلال والفساد من مكملات التحضر والتقدم في جانبه الصحيح ، ومن المؤسف أنهم أخذوا مفاصل الحضارة الغربية ، ولم يستطيعوا أخذ الصالح منها بل ما كان الأعداء ليتمكنوا من أخذه فكانت نتيجة ذلك ما قاله أحد كتاب المسلمين ساخراً (نحن جزء من الحضارة الغربية في الفساد والخمر والتحلل الخلقي) ^(٣)

وشرعت وسائل إعلام العدو والمختلفة من صحف ومجلات تتابع باهتمام ما وصل إليه الغرب

(١) سورة القلم (٤)

(٢) الامام مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرضه ١٣٩ هـ ، والسند ١٨٨/٦ .

(٣) انظر الغزو الفكري والتيارات المعادية لسلام بحث للدكتور عبد الستار فتح الله ص ٢١

من مجون وانحلال وتنقله بإعجاب وتصفه بأنه عنوان التقدم والرقى ، واستمرت هذه الصحف تزين صفحاتها بالصور الخليعة وتنتشر القصص الماجنة وتطلق اسم الفن والأدب على هذا الفساد فاستشرى بين الشباب وكر دعاة التقليد الأعلى ، ودأبت دور السينما تجسم هذا الفساد فتبلد الإحساس وغاب الوعي فأطمأن الأعداء^(١) إلى نجاح خططهم ، وأخذوا يستوردون النماذج الحية لكل لون من ألوان الفساد ، فاستوردوا الفاسدات المفسدات تحت اسم المعلمسات والراهبات اللائى أصبحن رائدات فى إفساد الفتيات المسلمات وهذه مهمة شغلت الأعداء^(٢) زمناً طويلاً ، حيث ركز المبشرون جل عملهم لتحقيقها وأخذوا من التعليم وسيلة للوصول إليها مما جعل كثيراً من الناس يحجمون عن دفع بناتهم لمدارس المبشرين التى أقيمت أساساً لإفساد الأخلاق ، ولم تستمر هذه المقاومة طويلاً ، لأن الخطة كانت متقنة الإحكام فكان الذين تأثروا بالحضارة الغربية ، وصاروا جنوداً مخلصين لها أبعد صوتاً ، حيث أفضى بهم تأثرهم إلى المطالبة بما أسموه (تحرير المرأة) والدعوة إلى تمكينها من المشاركة فى الوظائف ، والأعمال العامة . حيث سادت دعوة الحرية الشخصية فى المجتمع وأصبحت هذه الحرية المتمردة على حدود الدين وعرف المجتمع من حق كل إنسان لافرق بين ذكر و أنثى واتخذته شعارها (تخليص الفكر الاجتماعى من سلطان رجال الدين) زاعمة أنهم يصدرون فيما يحلون ويحرمون عن اعتبار التقاليد والأوهام التى ورثوها عن أسلافهم جزءاً من الدين ، واتخذت هذه الدعوة من كتابى قاسم أمين (تحرير المرأة) و(المرأة الجديدة) اللذين تزامن طبعهما مع استعمار السودان ، حيث طبع الكتاب الأول سنة ١٨٩٩ أى بعد استعمار السودان بسنة ، وطبع الثانى سنة ١٩٠٠ وظلا موضع أخذ ورد طوال نصف قرن^(٣) .

والكتاب الأول دعوة صريحة إلى السفور ، وأنَّ الحجاب بوصفه السائد ليس من الإسلام فى شىء ، والدعوة إلى السفور ليس فيها خروج عن الدين ، بينما غلب نهج الكتاب الثانى (المرأة الجديدة)^(٤) - الكتاب الأول ، ودعا قاسم فى هذا الكتاب دعوة صريحة إلى الأخذ بأساليب الحضارة الغربية ، فقال : (بعد أن تبين أن إعجابنا الشديد بالماضى هو نتيجة لشعورنا بالضعف والعجز " هذا هو الداء " الذى يلزم أن نبادر إلى علاجه وليس له دواء إلا أن نربى أولادنا على أن يتعرفوا شئون المدنية الغربية ، ويقفوا على أصولها وفروعها

(١) انظر التبشير والاستعمار ص ٣٦ .

(٢) انظر الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ص ٢٩٣ و ٢٩٤ .

(٣) نفس المصدر و الصفحة

وآثارها ، إذا أتى ذلك الحين - ونرجو أن يكون قريباً - انجلت الحقيقة أمام أعيننا سا طعة سطوع الشمس ، وعرفنا قيمة التمدن الغربي وتيقنا أن من المستحيل أن يتم علاج ما فسى أحوالنا إذا لم يكن مؤسسا على العلوم العصرية الجديدة ^(١) ولم يقف قاسم عند هذا الحد بل عزا انحطاط الأمة المصرية إلى تأخرها في الفنون الجميلة والتصوير ، والموسيقى ، وزعم أن هذه الفنون ترمى جميعاً على اختلاف موضوعها إلى غاية واحدة هي تربية النشء على حب الكمال والجمال ، فإهمالها نقص في تهذيب الحواس والشعور ^(٢) وكانت هذه الآراء نتاجاً طبيعياً لقاسم الذي عاش فترة الانحلال والمجون الفرنسي ، ذلك الانحلال الذي جعل فرنسا تتهاوى تحت أقدام الألمان في أقل من أسبوع ، وهي الامبراطورية التي كانت تستذل الدول وتستعمر الشعوب ، مما جعل رئيس وزرائها يصرح قائلاً : "إن فرنسا هزمتها الانحلال قبل أن يهزمها الاحتلال" ^(٣) .

فالمرأة المسلمة ، عزيزة كريمة ، رفعتها الإسلام إلى أسى المراتب وصانها من الشوائب والمعائب لأنها أساس مجتمعه الطاهر العفيف ، فهي السكن والمودة . قال تعالى :
(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا وليها وجعل بينكم مودة ورحمة) ^(٤)
وهي مصنع الأجيال ومربية الرجال ، قال الشاعر :

الأم مدرسة إذا أعددتها

أعدت شعباً طيب الأعراق

ولذلك كافأها الإسلام بأن جعل الجنة تحت قدميها ، قال صلى الله عليه وسلم :-
(الزمها فان الجنة تحت أقدام الامهات) ^(٦)

فناث بذلك توقيف أبنائها واحترام أمته ، فهدف الأعداء إلى تقويض المجتمع الإسلامي الذي تعتبر المرأة من أسسه القوية عند التزامها بحدود الدين ، فأخرجوها من بيتهم - فهتكت سترها ونبتت حياءها فجنت على نفسها ومجتمعها ، وصارت سلعة رخيصة ، ومارست كل الرذائل باسم الحرية ، ووفرت لها قوانين الغرب الوضيعة ، من الحماية ما جعلها تمارس

(١) المصدر السابق ص ٣١٠ نقلاً عن المرأة الجديدة ص ١٨٥

(٢) انظر الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام بحث د . عبد الستار فتح الله ص ٢١٩

(٣) المصدر السابق ص ٢٢١

(٤) سورة الروم آية ٢١

(٥) الشاعر

(٦) الالباني ، صحيح الجامع الصغير ، رقم ١٢٦٠

الزنا إذا بلغت سنا معينة، وليس لأى شخص أن يمنعها ذلك طالما كان ذلك بمحصى اختيارها، وإلا وقع تحت طائلة القانون، ففسرت بذلك الموبقات فى الأمة سريان النار فى الهشيم، وتجاوزت مرحلة الشيوخ والاستعلان إلى مرحلة الاستقرار والاستحسان^(١)، وفتحت دور البغاء تحت حماية القانون، واستجلبت الخمر وفتحت حاناتها فى واجهات المدن وأسواقها، وصارت الخمر تباع حتى للصغار، وأصبح للزنا دور، وعم الفساد جميع أرجاء المجتمع. يقول الدكتور إبراهيم اللبان فى تحليل ينطبق على جميع المجتمعات الإسلامية.

" وقد ظهر هذا الانحلال فى البداية فى السلوك الفردى فانحرف الناس عن نهج الدين، واستهوتهم مظاهر الحياة الغربية، فأقبل كثير منهم على الخمر والفجور والقمار والربا ونحو ذلك ثم دبّ دبيب التهاون فى الدين، فتناول العبادات والعقائد وغيرها من أنواع الانحلال، فتكاسل الناس عن العبادات، وانتشر فى الجو ضروب من الفلسفة والمذاهب الضالة، واستمالت الشباب وغير الشباب، فصارت العلاقة الجنسية والنظرة الإباحية الشغل الشاغل " للسينما " وكثير من المجلات والصحف ابتغاء وفرة الربح والدخل، فانحرف الشباب، وفسدت روابط الأسرة ثم عم السيل وطم فانهارت الفضائل الاقتصادية والاجتماعية " (٢)

وفى الحقيقة أن التهاون فى العبادات دب إلى المجتمع قبل شيوع الموبقات حيث إن الجيل السابق للجيل الذى صنعه الأعداء على أيد يهيم كان يدرك ما يرمى إليه الأعداء ولكن التخطيط كان محكماً، حيث فصل بين الجيلين فصلاً تاماً، وقطع جميع الأواصر التى تربط بين الجيلين عند ما أبعدهم عن الدين، وهو الأساس الذى يربط بينهم كما أسلفنا القول عن ذلك.

فلا عزة ولا كرامة لهذه الأمة إلا إذا رجعت إلى منبع أخلاقها وقيمها. يقول الأستاذ مصطفى صادق الرافعى :

" والدين هو حقيقة الخلق الاجتماعى فى الأمة، وهو الذى يجعل القلوب كلها طبقة واحدة على اختلاف المظاهر الاجتماعية، عالية، ونازلة وما بينهما، فهو بذلك الضمير

(١) انظر الفزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام، القسم الثانى ص ٢١٣ .

(٢) انظر نفس المصدر والصفحة نقلاً عن رسالة التربية الدينية للدكتور إبراهيم اللبان .

القانونى للشعب، وبه لا يغيره ثبات الأمة على فضائلها النفسية، وفيه لا فى سواء معنى إنسانية القلب.

" لولا الدين بالشريعة لما استقامت الطاعة للقانون فى النفس، ولولا الطاعة النفسية للقوانين لما انتظمت أمة، فليس عمسل الدين إلا تجريد مكان الحى فى فضائل الحياة وتمسين تبعثها فى حقوقها وواجباتها وجعل ذلك كله نظاماً مستقراً فيه، لا يتغير، ورفسع الإنسان بهذا النظام نحو الأكل، وداثماً نحو الأكل .

" وكل أمة ضعف الدين فيها اختلت هندستها الاجتماعية ، وماج بعضها فسى بعض، فإن من دقيق الحكمة فى هذا الدين أنه لم يجعل الغاية الأخيرة من الحياة غاية فى الأرض، وذلك لتنظم الغايات الأرضية فى الناس ، فلا يأكل بعضهم بعضاً، فيفتنى الغنى وهو آمن ويفقر الفقير وهو قانع، ويكون ثواب الأعلى فى أن يعود على الأسفل بالميرة وثواب الأسفل فى أن يصبر على ترك الأعلى فى منزلته ثم يشرف الجميع بفضائلهم والسى تحقيق الغاية الإلهية الواحدة التى لا يكبر عليها الكبير ولا يصغر عنها الصغير ، وهى الحق والخير والتعاون على البر والتقوى (١)

وما أصدق قول الامام مالك رحمه الله: " لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها "

(١) الرافعى، وحى القلم، ج٣، ٢٨٨، / ٢٩٢ وانظر الاتجاهات الوطنية ج٢ ص ٣٢٧ /

الفصل الثانى أثر الاستعمار والتبشير فى تفكك المجتمع السودانى

المبحث الأول : انتهاج سياسة (فرق تسد)

ذكرنا فى معرض الحديث عن المهديّة أنّ من محاسنها صهر القبلات ومحو العنصريات وصقلها فى وحدة تمخض عنها ذلك الجيش المجاهد الذى هزم دولتين متحدتين من أقوى الدول آنذاك " بريطانيا العظمى ، ومصر " ولم تمض سنة واحدة على تلك الانتصارات السياسية الباهرة وقيام ذلك الهيكل الدينى الرائع حتى توفى المهدي فى ٤ من رمضان سنة ١٣٠٢ هـ الموافق ٢٢/٦/١٨٨٥ واستمر ذلك النظام حتى سنة ١٨٩١ فكان للجعليين والناقلة اليد العليا فى سياسة الدولة .

وعند ما أطلت العنصرية برأسها من جديد ، وذلك حين نقل الخليفة السيطرة إلى بنى جلدته من رجال الغرب من البقارة عن طريق الحكم الاستبدادى الذى فرضته الرأية الزرقاء^(١) لب الوهن إلى الكيان الذى كان قوياً متمسكاً فصدع بنيانه فلم يعد ذلك المجتمع القوى الذى صمد فى وجه الصليبيين وهزم جحافلهم فى مواقع كثيرة بقيادة المهدي ولذا نجد أنه لم يستطع الصمود أمام الغزاة الذين شرعوا فى توسيع شقة الخلاف وتفتيت وحدة الأمة وتفريق كلمتها ، ومعلوم أن السياسة الاستعمارية عامة والانجليزية على وجه الخصوص تقوم على مبدأ " فرق تسد " وهو الأسلوب الذى سلكه الانجليز فى جميع البلاد التى منيت بحكمهم فهو بمثابة حجر الزاوية فى السياسة الإنجليزية ، قال وزير مستعمرات بريطانيا ، " إن الحرب علمتنا أن الوحدة الإسلامية هى الخطر الأعظم الذى ينبغى على الامبراطورية أن تحذره وتحاربه ، وليست إنجلترا وحدها هى التى تلتزم بذلك : بل فرنسا أيضاً .

من دواعى فرحتنا أن الخلافة الإسلامية زالت . لقد ذهبنا ونتمنى أن يكون ذلك إلى غير رجعة .

إن سياستنا تهدف دائماً إلى منع الوحدة الإسلامية أو التضامن الإسلامى ، ويجب أن تبقى هذه السياسة كذلك . إننا فى السودان ونيجيريا ومصر ودول إسلامية أخرى شجعنا

(١) انظر لإدارة البريطانية والحركة الوطنية ص ٢٣

- وكما على صواب - نمو القوميات المحلية فهي أقل خطراً من الوحدة الإسلامية، أو التضامن الإسلامي^(١)

فكانت هذه السياسة بمثابة الدستور المقدس للإدارة البريطانية في السودان، وساعد على نجاحها أن البيئة الاجتماعية في السودان كانت مهيئة لنجاحها، لبدور التفرقة والثقافة التي مكن لها الخليفة عبد الله . يضاف إلى ذلك خبث الإنجليز ودهاؤهم وتخصصهم في هذا المضمار حيث استطاعوا بمكرهم هذا أن يخلقوا من أسباب الثقافة وعناصر التفرقة ما مكن لهم وساعد على بقائهم بالسودان أكثر من نصف قرن لذلك كانوا حريصين على هذه التفرقة القبلية حرصهم على الاستعمار نفسه، فكانوا يذكون أوارها ويلهبون الحماس والتعصب من أجلها، فكم أيقظوا النعرات وأثاروا الحفاظ والضغائن التي عفى عليها الزمن، فهذه قبيلة أغارت على أخرى وسلبتها نحاسها*، يتقدم الحاكم العام ويهبها نحاساً جديداً ويخطب قائلاً :

* إنكم فقدتم في الحرب مع قبيلة كذا نحاسكم، وها هي ندى الحكومة تهيبكم نحاساً جديداً . وكانت الحكومة تأمر جميع السودانيين حتى طلاب المدارس أن يوضحوا في كل المعاملات الرسمية اسم القبيلة، ولم تكن كلمة سوداني مقبولة في دوائر الحكومة، وكانت هذه التفرقة المتعمدة من أكبر الأخطار التي هددت وحدة البلاد، وزرعت بين سكانها الضغائن التي يغذيها الاستعمار، وشمل هذا المخطط جميع نواحي الحياة السودانية الاجتماعية والتعليمية، وامتد إلى النواحي الدينية والنفسية والخلقية للشعب بصفة عامة، وعلى الأخص المناطق الوثنية المجاورة لمناطق المسلمين . وشرع المنصرون يعمقون هذا الخلاف بين القبائل التي يعملون وسطها حتى بالنسبة لأداء الطقوس وفي مناسباتهم الدينية وأعيادهم، فتأتي كل قبيلة، وربما يأتي كل فرع من فروعها ليؤدي طقوسه بلغته ثم ينصرف ليحل محله آخر في كنيسة واحدة، وما زالت هذه التفرقة تمارس حتى يومنا هذا في جنوب البلاد وغربها^(٢).

(١) الشيخ محمد الغزالي، هموم داعية، ص ١٦٦/١٦٧ طبعة قطر، بدون تاريخ

نقلاً عن وثيقة بريطانية في ١٩٣٨/١/٩
* النحاس آلة عظيمة مصنوعة من معدن النحاس وجلود الحمير، يضرب عليها عند حدوث أمر جليل وخاصة عند إرادة إعلان الحرب أو عند فقد زعيم قبيلة .
(٢) انظر تاريخ الحركة الوطنية، الاستقلال وما بعده ص ٢٢/٢٣

(٣) انظر مآسي الإنجليز في السودان ص ١٢

(٤) رحلة ميدانية، مايو سنة ١٩٨٣ م

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل جعل الإنجليز هذه التفرقة مركّزهم الأول في حكمهم للسودان فكان المؤتمر الذي عقد في الخرطوم سنة ١٩٢٠ لحكام المدريات، والذي قصد منه مناقشة كيفية إدارة السودان وأقاليمه أول محاولة جادة لوضع سياسة ثابتة لإدارة أقاليم السودان، وعقد المؤتمر تحت شعار الإدارة الأهلية، أو بمعنى أوضح لإيجاد وضع قوى للمشائخ والزعماء للمشاركة في إدارة الأقاليم والمناطق تحت الرقابة البريطانية، وكان أهم ما في المؤتمر ما طرحه (برون C.P. Browne) حاكم محافظة بربر حيث قال :

رأى اعتقد أن هناك اتفاقاً تاماً وضع على أساس ما تم في كل من الهند، ومصر، وإذا كان لدينا اتجاه قوى لتدريب سكان المناطق الإدارية للوقوف على أرجلهم! فمن الأرجح الآن أن الأمر للصدفة وإنما نلتبس الطريقة المشلى لما يجب أن نسير عليه في ذلك إذا لم نكن نريد أن نعيد ما حدث في بعض الأقطار، في السودان. قبل أن تأتي اللحظة التي يتيقظ فيها الشعور الوطني، فمن واجبنا أن نضع الأسس الثابتة والقوية في البلاد وذلك بإعطاء سلطة للتجار والمشائخ، قبل أن يتحرك شخص غير مسئول من أنصاف المتعلمين ليسيطر على الشعور العام^(١)

ولقد كانت ثمرة ملاحظات (برون) قيام المجالس البلدية في العاصمة حيث شملت المدن الثلاث وضمت هذه المجالس بعض السودانيين من التجار والشخصيات الهامة وبدأت المحافظات الأخرى تطالب السكرتير الإداري "ماكايكل" الذي يعتبر مبتكر هذه السياسة ومهندسها الذي وضع أسسها وأشرف على تنفيذها، فقام بإرسال الرسائل للأقاليم مستفسراً كل حاكم عن رأيه في تنفيذها فكانت الإجابات على استفساره مختلفة حيث جاءت من أقاليم الشمال أكثر تفصيلاً من أقاليم الجنوب التي كانت استجابتها ضعيفة، وتجربتها غير كافية باستثناء منطقة الشلك التي كان للث فيها كثير من السلطات. لذا كان الوضع فيها شالياً، ذلك لأن الرث ساعد كثيراً على تنفيذ هذا المخطط، وكذلك منطقة (أوباري D.C.Opari) بمدينة بربر (منقلاً) حيث قام هذا المحافظ بإنشاء مجلسين قبليين استطاعا الفصل في كثير من القضايا، وكان ذلك تشجيعاً للمضى في سياسة الحكم القبلي^(٢)، ومع اقتناع الإداريين البريطانيين أن هذه السياسة ستواجه بعض الصعوبات في الأقاليم الجنوبية نظراً لعدم

Shadows in the grass P. 55,56

(١)

Ibid P. 55, 56

(٢)

وجود العدد الكافي المقدر من الزعماء الجنوبيين بالإضافة إلى عدم استقرار كثير من المناطق في مديريات الجنوب الشاسعة التي ظلت فيها الإدارة البريطانية إدارة اسمية مع ذلك قام كثير من محافظي هذه المناطق بمحاولة إيجاد المجالس القبلية وتسليمها سلطة إدارية^(١).

هذا ولم تلج للإنجليز فرصة توصلهم إلى تفتيت وحدة السودان إلا اغتناموها، وإمعاناً في سياسة التفرقة شجعوا الطرق الصوفية بدءاً " بالختمية " الحليف القديم الذي ظل مؤازراً ومناصرًا لهم طوال سني حكمهم، وعند ما أمنوا جانبها شرعوا في استمالة عدوهم التقليدي زعيم المهديية الجديدة السيد عبد الرحمن المهدي الذي أتمل (ونجت) في أنسه سيحول المهديية إلى طريقة سلبية، فتم له أمله كما أشرنا إلى ذلك فظل ابن المهدي من أعظم المؤيدين الأقوياء الموثوق بهم من جانب الحكومة ومكافأة لإخلاصه وعساوته الحكومة على أن يكون من رجال المال، فمنحته الأفضلية في التعاقد معها لمتطلبات خزان سنار، وتوريد الوقود للبواخر الحكومية^(٢)، وأعطته قرضاً قدره ٥٠٠ ر. في عام ١٩٢٦م ثم تنازلت عنه بادعاء أن ما استلم كان هدية منها له! وذلك لكي يقوم ببدء الزراعة في جزيرة " أبالا"^(٣) وشاركته في كثير من المشاريع على أن توفر هي المال، ويقوم هو بالإشراف، ومنحته بعض الأراضي في كل من الخرطوم وأم درمان فشيّد عليها المنازل والمتاجر، ومن ثم أضحى من كبار ملاك العقار بالعاصمة، وتجاوزت عنه في تقدير الضرائب^(٤) كما منح لقب " سير " وبهذا استطاع الإنجليز أن يجعلوا من المهديية الجديدة قوة صاعدة على المسح السياسي^(٥)، وعند ما قام مؤتمر الخريجين وخشى الإنجليز من حركته ومن اتجاهه الذي ظهرت مقدماته التي شملت دعوة الاتحاد مع مصر، أوعز الإنجليز لزعيم المهديية الجديدة برفع الشعار البراق " السودان للسودانيين " وأشاروا عليه بإنشاء حزب " الأمة " واختاروا له من الأعوان ممن يضمنون ولا هم يلوّحوا لرئيسه بالطك، وأنهم في مقدورهم أن يصلوا به إلى ذلك عن طريق المنظمات الدستورية التي ابتدعوها، ووضعوا الخطة لتطويرها بالطريق الذي يؤدي

(١) Ibid P. 166

(٢) تقرير سرى للمخابرات ٤ نوفمبر ١٩٢٦

(٣) خطاب الحاكم العام للسكرتير المالي ١١/٢/١٩٢٦

(٤) انظر الإدارة البريطانية والحركة الوطنية في السودان ص ١٢٤/١٢٥

(٥) انظر تاريخ الحركة الوطنية في السودان الاستقلال وما بعده ص ٩١

إلى ما يريدون ، ولكن شعار "السودان للسودانيين" الذى رفعه حزب الأمة كان دعوة
 هينى أريد بها باطل ، لأن الإنجليز منذ سنة ١٩٢٤ انفردوا باستعمار السودان دون
 مصر وظل حزب الأمة متعاوناً معهم ، وهو يرفع هذا الشعار ، ولو دعا حزب الأمة لإخراج
 الإنجليز من السودان لما وجد مخالفاً من قادة المؤتمر ولوجد سنداً شعبياً قوياً لدعوته^(١)
 وظلت قيادة الختمية والأنصار فى صراع مستمر تتنازعان على القيادة القبلية ، والجميع فى
 صراع دؤوب على المناصب التى يوزعها الإنجليز ثمناً للولاء لهم ، كما كانت هذه الزعامات
 محاور للأحزاب التى دارت فى فلكها منذ الاستعمار وحتى هذا التاريخ ، وخلاصة القول أن
 الطائفية لم ينج منها إلا القليل حتى الشقيين فقد جرفهم التيار فى انتخابات سنة ١٩٣٤
 فأدرك بعضهم عمالتها سريعاً فوقف بعيداً ، ورفضوها رفضاً باتاً عندما أرادت إححدى
 الطائفتين أن تختفى وراءهم وتتخذ منهم سنداً لحرب الأخرى بعد أن كونوا حزب الاتحادى
 فيما بعد ، وعلى العموم كانت الطائفية قوية أو قل هى البلد كلها تجمعت فى كتلتين
 تعملان ضد بعضهما^(٢) .

وإمعاناً فى تفرقة المجتمع أنشأ الإنجليز الحزب الشيوعى السودانى حيث استوردوا
 نواته الأولى من حقول الشيوعية التى أعدوها فى بلادهم لا لتحكم الشعب الإنجليزى ولكن
 لتصدّر إلى مستعمراتهم وقت الحاجة لذلك .

يقول محمد عمر بشير : (. . . وكان للجندى البريطانى " سفتون " عضو الحزب الشيوعى
 الإنجليزى القدح المعلى فى هذا الخصوص ، ذلك أنه لما عاد إلى إنجلترا بعد أن
 وضعت الحرب أوزارها بادر بإرسال المؤلفات الماركسية لعدد من أصدقائه^(٣)
 ويقول أحمد سليمان عضو الحزب الشيوعى السودانى سابقاً :
 (إن الشيوعيين الإنجليز كانوا هم أول من بادر فى أوائل الأربعينيات بتأسيس الحلقات
 الماركسية^(٤))

ويقول : (ولقد ألقى داكسون مدرس الثانوى الإنجليزى محاضرة فى مدرسة أم درمان

(١) الحركة الوطنية الاستقلال وما بعده ص ٩١ .

(٢) المصدر نفسه ص ٥٦ .

(٣) محمد عمر بشير ، تاريخ الحركة الوطنية فى السودان ، ١٩٠٠ - ١٩٦٩ ، ص ٢٤٥ .

(٤) أحمد سليمان ، مشيناها خطى ، ج ١ ص ١١٨ ، ط أولى سنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، دار الفكر للطباعة والنشر الخرطوم .

الثانوية بدعوة من جمعيتها الأولى بية التي كان يرأسها عبد الخالق محجوب^(١) وتولى أعباء أمانتها التجاني الطيب بابكر، وكان كلاهما في السنة النهائية من دراسته، وحضرها كل الأساتذة وخاصة البريطانيون وكذلك كل طلاب السنتين الثالثة والرابعة، وكان موضوع المحاضرة المادية الجدلية والتاريخية، ولقد تركت أثراً بالغاً بين الطلبة، وظل مستر دكنسون يواصل نشاطه الثقافي إلى أن نقل لمدرسة وادي سيدنا حيث أحضر زوجه معه وكانت هي الأخرى عضواً في الحزب الشيوعي البريطاني، وكانا يتبادلان إلقاء المحاضرات وإدارة حلقات النقاش بالداخلية حيث يقيم الطلاب^(٢) وزيادة على ما ذكره الإنگليز لكثير من رواد الشيوعية بمواصلة تعليمهم في بلادهم .

ويواصل الكاتب قائلا :

" وبجانب هذا التأثير المباشر للشيوعيين البريطانيين كانت هنالك قنوات أخرى تدعم هذه الصلة الفكرية بين رفاق الخرطوم ورفاق لندن منها صحيفة " الديلي ووكر " لسان حال الحزب الشيوعي البريطاني ، ومنها الطلاب الشيوعيون السودانيون الذين كانوا يتلقون دراساتهم بجامعة بريطانيا وكان الاتفاق قد تم بين الحزبين على استيعابهم في فروع ولجان الحزب البريطاني بمعاهدهم الدراسية كما تم الاتفاق على أن يختار الحزب الشيوعي السوداني ويعتمد رصيفه البريطاني أحد الطلاب المقيمين بلندن ليكون حلقة اتصال بين قادة الحزبين^(٣) "

وكانت الإدارة البريطانية عالمة بكل نشاط الشيوعيين في الداخل والخارج ، وكانت المعلومات تصلها من وكالتها بالقاهرة عن مدى تغلغل الشيوعية في أوساط الطلاب السودانيين الجدد ولكنها تعامت عن قراءة ما يصلها من تقارير حول خطورة الأمر وتعامت عن صيحات بعض أعوانها من الموظفين السودانيين الذين كان الشيوعيون يتناولونهم بالقدح والذم ففى منشوراتهم ويسلقونهم بالسنة حداد فى حلقات نقاشهم المفتوحة الستى كانت تقام فى دور الخريجين بالسودان أثناء عطلتهم ، وكان الشيوعيون أنفسهم يعجبون من

(١) أمين عام الحزب الشيوعي ، أعدمه النمرى سنة ١٩٧١ فى محاولة انقلاب فاشلة ضد نظامه

(٢) ، ومشيناها خطى ، ص ١٩

(٣) المصدر السابق ص ٢٠ / ٢١

اهمال الحكومة لنشاطهم ولم يشعروا بالمضايقة والرقابة والعداء قبلهم كما لم تكن هناك شمة قيود أو عراقيل تتصل بإجراءات سفرهم كما كانوا يفعلون مع الطلاب غير الشيوعيين الذين يتلقون تعليمهم في مصر، واستطاعوا أن يدخلوا الكتب الماركسية والمطبوعات الشيوعية، وحتى المحظور منها.

" واذكر بأننى والتجاني الطيب بآبكر، قد جمعنا دون سوانا في بداية العطلة الدراسية الأولى أسفاراً من الأدب الماركسي كان من بينها عشرات النسخ من مجلة "المقاومة" وكانت هذه أقرب إلى المنشورات منها إلى الصحيفة، وكان ذلك العدد خاصاً بالسودان (١)

وهكذا ظل الاستعمار يبذل جهده في تفكيك المجتمع وإضعافه وحرب الإسلام لأنه أقوى الوسائل لتوحيد المجتمع فتبنى كل ما يساعد على الهدم والتفتيت ولم يكن التبشير نفسه دعوة لاعتناق دين بقدر ما كان معولاً من معاول الهدم ويظهر ذلك جلياً أن النصارى كانوا أول من بذروا الشيوعية في البلاد الإسلامية.

وأخيراً شعر بعض المواطنين الحاديين على مصلحة البلد بخطورة هذه التفرقة وأثرها على ضعف روح مقاومة الاستعمار وحذروا منها بشتى الوسائل، فكتب أحد الموالين لمصر - لم يذكر اسمه - منشوراً لجميع الشخصيات البارزة بالعاصمة والمدريات منذراً ومحذراً ممن سياسة " فرق تسد " الانجليزية التي تجابه القبيلة بالقبيلة والزعيم الدينى بالزعيم الدينى والسودانى بالمصرى طالبا من الأمتين السودانية والمصرية توحيد الجهود ضد المستعمر البريطانى والعمل على نيل الاستقلال، زيادة على ذلك هاجم الكاتب صحيفة " الحضارة " لسان حال الزعماء الثلاثة ووصفها بأنها بوق الاستعمار وأداة فسي يده (٢)

وختم الاستعمار جهوده في تفريق المجتمع السودانى بزرع مشكلة الجنوب التى تعتبر من أعوص المشاكل الاقليمية حيث ظلت تستنزف الدماء والأموال من سنة ١٩٥٥م الى يومنا هذا فبلغ مجمل ما صرف عليها من الخزينة العامة حتى قيام الحكم الانتقالى سنة ١٩٨٤م ٢٥ مليار جنيه (خسة وعشرين مليارا من الجنيهات) (٣) ولا تزال الكائنات تذكى نارها حتى هذه اللحظة.

(١) المصدر السابق ص ١٨٧/ ١٨٨

(٢) انظر الادارة البريطانية والحركة الوطنية ص ٤٤

(٣) من محاضرة ألقاها المشير سوار الذهب رئيس مجلس أمناء منظمة الدعوة الإسلامية بسفارة السودان بجدة في ربيع الأول سنة ١٤٠٨ هـ.

المبحث الثاني

دور الاستعمار والتنصير في مشكلة جنوب السودان

جذور المشكلة :

لم تطأ أقدام الاستعمار وأعوانه المبشرين بلداً إلا ساموا أهله سوء العذاب ، ولقد منى السودان بجحافل الغرب تغزو أرضه وأهله تارة باسم الاستكشاف الذى تمثل فى حملتى " سبيك " و " ببيكر " ثم حملات التنصير التى سبقت الاستعمار ، وحكم روادها السودان باسم الخديوى ومهدوا للاستعمار الذى جثم على صدر الأمة أكثر من نصف قرن ، وخلف وراءه من المشاكل ما هو كليل بإعاقه السودان عن النهوض ، ومن أعظم هذه المعوقات التى خلفها الاستعمار مشكلة جنوب السودان التى زرعها لتكون عائقاً لتقدم الإسلام إلى وسط وشرقى القارة الأفريقية وخلف أعوانه المبشرين الذين ارتادوا له الطريق وأسهموا فى وضع الخطة ، خلفهم ليتعهدوا الفرس بالسقاية لئلا يذبل ، فالهدف واحد ، وإن اختلفت وسائل تحقيقه ، فالمبشرون سلاحهم لتحقيقه المكر والخديعة لذا لم تطفن غالبية الشعوب التى منيت بجحافلهم أنهم من أسوأ أنواع الاستعمار الحديث الذى ابتلى به كثير من الأمم ، وكان ينبغى العمل على إخراجهم مع المستعمرين لا أن يتركوا يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ، يتحينون الفرص مثلهم فى البلاد التى منيت بهم كمثل المريفى الذى ابتلى بحمى (الكلاريا) مهما أعطى من العلاج فإن جرثومة الداء تظل كامنة فى جسده تتحين ضعف المقاومة لتفتك به ، فهؤلاء المبشرون يسبقون الاستعمار دحلاً ، ويحملون ألقاباً خادعة كالسراب يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ، فيسمون رسل الإنسانية والرحمة ، وهم فسى الحقيقة أعداء الإنسانية ، ويطلق عليهم رسل السلام ، وهم يبذرون بذور الحرب والخصام وصدق الله سبحانه (ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام . وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد)^(١)

فالمبشرون والمستعمرون وجهان لعملة واحدة . يقول أحد المبشرين وصفا للتمعاون

المشترك :

" سوف أبدأ بنص مختصر من كلمة في احتفال تبشيري ألقاها في إنجلترا الحاكم
الذي عملت مرءوساً له في أيامى الأولى بالسودان مشيراً إلى تعاليم عيسى :
" أن أذهبوا في كل العالم وعظوا بالكتاب كل الخلائق "

يقول مارتن بار:

" ان أمر المسيح ينطبق على كل من يذهب من هنا ليعمل وسط الأفارقة ، الكل سواء
في خدمة الحكومات أو مستوطنين انجيليين ، أو مبشرين كلهم يجب أن يعملوا معاً ، وأن
يظهروا أنهم متفنون ، وإن لم يكونوا كذلك لتحقيق الهدف المشترك ، قد لا يوافقني الجميع
تماماً ولكنى مقتنع ، ولا أتردد في تبني تلك العبارة التي ثبت صدقها من خلال تجربتى
بالسودان كله " .^(١)

ولقد تعاون الاستعمار والتبشير على تصعيد هذه المشكلة فعملوا على تعميق جذورها
بإفساد العلاقات بين شقى القطر ، ولم يكن هذا الإفساد أمراً عارضاً فمنذ بداية الاستعمار
الحديث الذى استغل خيرات الشعوب الأفريقية بدأ الغربيون عامة والانجليز على وجه أخص
يتضايقون من انتشار الإسلام ، فعندما بدأ ينتشر بين اليوغنديين في منتصف القرن التاسع
عشر الميلادى قبيل دخول الأوربيين ووصولهم إلى شرق أفريقيا ووسطها ، وعاصر دخول
الإسلام في يوغندا حركة التنافس الاستعماري على المنطقة عجل الأوربيون بالقضاء سياسياً
واققتصادياً على التجار الزنجباريين في الساحل الشرقي ، وكان لابد لهم من القضاء على نفوذ
المصريين والسودانيين من جهة الشمال ، وذلك لتعزيز السيادة الأوربية ، وقد تضافرت
لتحقيق هذا الهدف كل جهود المبشرين والموظفين الحكوميين ، وخاصة عندما أشر
المصريون على الملك اليوغندى " متيسا " فأسلم الأمر الذى أزعج الدكتور " كيرك " قنصل
بريطانيا بزنجبار ، فقد كان هذا القنصل أكثر تجاوباً مع الإرساليات الإنجليزية ، وأشد
حسداً على الإسلام ، ورأى أن تنصير " متيسا " وقومه هو الترياق الذى ينقذ وسط أفريقيا

Mission and Churches P.1 (١)

(٢) انظر بحث الدكتور ابراهيم الزين صفيرون : الاسلام في يوغندا ص ٢٢٦ ، عن مجلة
" دراسات أفريقية " مجلة بحوث نصف سنوية ، العدد الأول رجب سنة ١٤٠٥ هـ

من المد الإسلامي، وشدد على إبعاد الحكم المصري لأن توغله جنوباً سيصبح عقبة فسي وجه المسيحية هناك، ومن ثم يتهدد أثيوبيا^(١) لذلك شرعت بريطانيا تخطط لفصل الجنوب عن الشمال وضه لاتحاد كانت تحلم به يتكون من أواسط أفريقيا وشرقها تتراجع إليه مستى أجبرتها الحركات الوطنية في مصر وشمال السودان على الانسحاب، واشترك في وضع هذه الخطة وتنفيذها كبار الساسة البريطانيين، واستعانوا بالمبشرين لتحطيم جميع الأواصر الإنسانية والثقافية والاقتصادية بين سكان الجنوب والشمال^(٢).

يقول محمد أحمد محجوب: "إن مسئولية الأوضاع السائدة في الجنوب، والتي ورثناها مع الاستقلال، تقع في الدرجة الأولى على الإدارة البريطانية، وثانياً على المبشرين، لقد كان الجنوب خلال الحكم البريطاني معزولاً عن الشمال، وحتى الزيارات العادية كانت لا تتم إلا بموجب تراخيص خاصة، وكان السودانيون الشماليون عالمين بالجهود التي بذلتها بريطانيا في الثلاثينيات لعزل الجنوب، والمساعدات التي قدمتها للمبشرين في الجنوب، وكان الكاثوليك الذين حاولوا فتح الجروح القديمة بالقول للجنوبيين أن العرب الشماليين هم أبناء وأحفاد تجار الرقيق الذين باعوا آباءكم وأجدادكم في أسواق النخاسة"^(٣) وهكذا أدت السياسة الإدارية العامة، ونشاط الإرساليات التنصيرية إلى تعميق الخلاف بين الشمال والجنوب^(٤).

ولقد ذكرنا سابقاً أن التفكير في وضع هذه السياسة بدأ في عهد الجنرال غردون وبعد أن أحكم الإنجليز قبضتهم على السودان سلكوا اتجاه الجنوب سياسة مرحلية بطيئة التنفيذ عميقة المفعول.

المرحلة الأولى: (١٨٩٩-١٩١٩)

وكانت السمة الغالبة على هذه المرحلة هي عدم التدخل السافر في شئون أهل الجنوب إلا بمقدار استتباب الأمن وتوطيد النظام الذي يفرض سيادة القانون، ويوطد سلطان الحكومة في نفوس المواطنين مع فتح الجنوب أمام البعثات التنصيرية، وتيسير مهام المبشرين

(١) المصدر السابق ص ٢٢٧

(٢) انظر مشكلة جنوب السودان، د. مدثر عبد الرحيم ص ١٩

(٣) محمد أحمد محجوب، الديمقراطية في الميزان، ص ٢٠٩

(٤) انظر د. مدثر عبد الرحيم، الامبريالية ص ٦٨

الذين يؤدى نشاطهم إلى تحقيق أغراض الحكومة الظاهرة والمستترة إلى جانب تنصير السكان ونشر مختلف المذاهب النصرانية بينهم^(١) كما أشرنا إلى ذلك.

أما الجانب المستتر من السياسة فى هذه المرحلة فيتمثل فى إنشاء كيان منفصل للأقليم وهو أمر شغل تفكير جميع الإداريين الإنجليز فى الخرطوم ، وعواصم المديريات وحاولوا تعميقه فى كل المجالات حتى الجيش الذى يتخذ أساساً لحفظ الأمن والمحافظة على وحدة البلاد ، أنشأوا فيه قسماً خاصاً بالجنوب فى وقت مبكر باسم الأورطة الاستوائية^(٢) التى ستعرض للمخاطر التى نجمت عنها عند حد يثنا عن المرحلة الأخيرة .

وعندما أنشئت المدرسة الحربية سنة ١٩٠٥ أعطيت الأفضلية لمن كانت الإدارة تطلق عليهم " السودانيين السود " على السودانيين العرب على أساس أن الحاميات السودانية التى يدرب من أجل قيادتها الضباط كانت من الجنوب والغرب ، ولذلك لم يكن من بين أول دفعة من الخريجين خمسة عشر سنة ١٩٠٨ سوى ثلاثة فقط من الشماليين^(٣) ، وبدأت هذه السياسة تتغير ، وذلك حينما أصدرت مديرية " منقلا " أوامرها فى سنة ١٩١٨ بخطابات رسمية إلى جميع مراكزها لاعتبار يوم الأحد هو يوم العطلة الرسمية من كل أسبوع بدلاً عن الجمعة^(٤).

المرحلة الثانية (١٩٢٠-١٩٤٦)

وسمة هذه المرحلة تحويل مجرى الحياة سياسياً واجتماعياً وثقافياً فى هذا الاقليم عن مجراها الطبيعى الذى اتخذته متأثرة بشمال القطر إلى جهة استهدفت فصل الإقليمين عن بعضهما ، وضم الجنوب إلى مستعمرات بريطانيا فى شرق أفريقيا ، أو تركه مستعمرة بريطانية منفصلة عن الشمال تحت النفوذ الإنجليزى ، وبات الحكم غير المباشر هو الشعار الإدارى الذى بنته الإدارة البريطانية على حطام حواجز القبيلة التى توحدت البلاد بعد إزالتها فى عهدى الإدارة التركية والمهدية^(٥) ، فحورت مظاهر التأثير بالشمال ، وأصبح

-
- (١) انظر مدثر عبد الرحيم ، مشكلة جنوب السودان ص ١٩
 - (٢) وقد كانت هذه الفرقة دائماً وراء حركات التمرد التى وقعت من الجنوبيين ابتداءً من أغسطس ١٩٥٥ وكما نت المؤسسات الكسبية العالمية تقوم بدعم هذه الحركات بالمال والسلاح بواسطة الكنائس الأفريقية كما سيجى شرحه فيما بعد .
 - (٣) انظر تطور التعليم فى السودان ص ٩٦
 - (٤) انظر مجلة الفتح العدد (٥٧) بتاريخ ٤ صفر ١٣٤٦ هـ
 - (٥) انظر مشكلة جنوب السودان ، د . مدثر عبد الرحيم ص ٣٩
 - (٦) انظر الامبريالية ص ٦١

التلبس بأى مظهر من هذه المظاهر جريمة يعاقب عليها الإداريون ففي سنة ١٩٢٠ كان المدعو صالح أحمد عبد طاهى الدكتور أليسون الإنجليزى يصلى الظهر فى جهة "أماى" من أعمال مديرية "منقلا" فراه المفتش الإنجليزى واسمه البماشى "هولاند" فأمر بجلده خمسة عشر جلدة فتظلم إلى مخدومه شاكيا له عسف المفتش "هولاند" فقال له: يمكنك أن تصلى داخل محلك، لأن الصلاة هنا ممنوعة، ومعروف أن السلطات الإنجليزية تعاقب كل من ثبت عليه "تهمة" هداية أحد أهالى المديريات الجنوبية، وجبال النوبة الذين يعتبرهم الإنجليز وثنيين (١)

وكذلك تعاقب السلطات كل من يرشد أهالى تلك المديريات إلى سنة الختان الشائعة بين المسلمين، مثال ذلك أن أحد عساكر أورطة خط الاستواء طلب من (استتجيد) بك مدير "منقلا" السماح له بالذهاب إلى المستشفى لأن حالته تستوجب العلاج إن كان قد (تختن) فرفض طلبه، وأفهم المدير المذكور الضابط أن "السردار" لا يحب أن تسرى عادة التختن فيهم ولا يحب أن يتولى أحد التدخل فى معتقداتهم، وأفهم جميع العساكر هذا أيضا (٢).

ومنعت حكومة السودان المعابد الدينية أو الاحتفالات بالأعياد الإسلامية فى الجنوب ومنطقة جبال النوبة (٣) وفى سنة ١٩٢١ عقد اجتماع إدارى خرج بعدة توصيات من أهمها ١- سيادة النظام القبلى لمحاربة الإسلام واللغة العربية. ٢- أن يقوم فى خلال عشر سنوات نظام المحاكم القبلية التى تكون العادة والعرف فيها أساس قانون التحاكم ليكون ذلك حازماً فى وجه الإسلام، ولهذا ظل الإداريون من "ملكال" إلى "تملى" ومن "كبويتا" إلى "راجا" يعملون فى تأسيس نظام قبلى حازم لا مجال فيه لنشر الإسلام واللغة العربية، وأصبح شعار هذا النهج ترك السلطات لزعماء القبائل تحت الرقابة البريطانية، وفى سنة ١٩٢٣ كان ثمانمائة شيخ من قبائل بدوية وشبه بدوية يتمتعون بسلطات محلية تحظى بدعم الحكومة الكامل (٤).

(١) مجلة الفتح، عدد ٥٧، بتاريخ ١٤ صفر سنة ١٣٤٦ هـ

(٢) المصدر السابق

(٣) المصدر نفسه

(٤) انظر صفحة ٦ من التقرير السنوى رقم ١٩٢٤ لسنة ١٩٢٣

يقول جيس كرى : (لأنه على الرغم من ولا* السودانيين المثقفين للحكومة ، الذى فتح أمامهم الفرص فإن بالإمكان مشاهدة الشباب الإداريين وهم يبحثون بجد عن القباطيل الضائعة ورؤسائها الذين تلاشوا ، وذلك لإعادة نظام قبلى كان قد لفظ أنفاسه إلى الأبد)^(١) . وظل المأمور السودانى الذى خلف المأمور المصرى مسلوب السلطة ، والادارى البريطانى مراقبا لا يتدخل إلا فى الأمور الخطيرة فى النظام القبلى ، وفى مناطق التداخل حيث يشجع العادة المحلية التى لم تتأثر بمادات الشمال كثيرا ، ولكن هذه المحاولات واجهت كثيرا من المشاكل بين قبائل الجنوب فيما عدا قبيلة الشك التى سبقت الإشارة إليها ، فالنوير لم يكونوا مبالين بطبعمهم للنظام والقيود القانونية ، وبالتالى لم يكن زعماءهم يرغبون فى إحكام السيطرة عليهم الأمر الذى قد يفقد هم نفوذهم لدى قبائلهم وحب رؤسائهم^(٢) .

هكذا ركزت الإدارة فى هذه المرحلة على عزل الجنوب عزلاً تاماً عن المؤثرات الإسلامية^(٣) فلا يستخدم فيه غير الجنوبيين وفى الحالات القصوى التى تستلزم استخدام غير الجنوبيين يجب أن يكونوا من الأقباط^(٤) ، كما تقرر بناءً على هذه السياسة ألا يشترك مديرو المديریات الجنوبية فى اجتماعات المديرين التى كانت تعقد بالخرطوم سنوياً ، إلا إذا طلب منهم ذلك بل يجتمعون وحدهم فى الجنوب ، وأن يكونوا على صلة دائمة بأقرانهم ونظرائهم مديرى المديریات فى " كينيا " و " يوغندا " وللتعويض عن الحاكم العام هذه السياسة لصعوبة المواصلات^(٥) ولقد وضع السير هارولد ماكمايكل السكرتير الإدارى مذكرة رسم فيها برنامجاً واضحاً للعمل على طريق الفصل جاء فيه :

- ١- إنشاء وحدات قبلية فى الجنوب تعتمد على تنظيم يستند على العرف والتقاليد والتراث الفكرى والقبلى .
- ٢- التخلص من الإداريين والموظفين والمهنيين الشماليين تدريجياً على أن يحل محلهم أبناء الجنوب .

- ٣- استخدام اللغة الإنجليزية حينما يتعذر استخدام اللهجات المحلية .

(١) انظر الامبريالية ص ٦٣

(٢) *Shadows in the Grass* p. 166

(٣) حيث وضع فيها قانون المناطق المقفلة المشار اليه . انظر ص (١٩١) من هذا البحث

(٤) انظر مشكلة جنوب السودان ، مدثر عبد الرحيم ص ٣٩ .

(٥) المصدر السابق ص ٤٨

ونفذت هذه السياسة تنفيذاً دقيقاً في هذه المرحلة فسار الجنوب سيراً حثيثاً على درب

الانفصال،^(١) ومن العوامل التي عمقت هذه السياسة تعيين ولسون كاش^(٢) W. Cash

سكرتيراً لجمعية C.M.S. ^{البريطانية} سنة ١٩٢٦، وعندما تم تعيينه أعد مذكرة أيد فيها رأى

جويني الذي كان يرى قبول الاعانات الحكومية المشروطة التي كان يرفضها أخال د. "شو"

و"مانلي" بحجة رفض السيطرة الحكومية على أعمال التبشير، ومبدأ قبول هذه المعونات دفع

الإرساليات دفعة قوية في أخطر مجالين لها (التعليم، والتطبيب) وكان رأى (كاش) نفي

الوجود العربي الإسلامي مطابقاً لرأى الإداريين كما أشرنا إلى ذلك، وتزامن تعيين ولسون كاش

مع تعيين (جون مافي John Maffi) حاكماً عاماً للسودان حيث اكتسب الأخير تجاربه السياسية من عمله

بالهند، وكانت علاقته مع جمعية C.M.S. علاقة حسنة تعزز بها الجمعية وما أن حل عام^(٣)

١٩٢٨ حتى كانت السياسة الرامية إلى فصل الجنوب عن الشمال قد اتسعت خطواتها^(٤)

وشجع الإداريون البريطانيون التجار الشماليين على مغادرة الاقليم، ومن لم يستجب يرغم

عنوة، ذكر ذلك مدير مديرية بحر الغزال في خطاب للسكرتير الإداري سنة ١٩٣٠ جاء فيه:

"هناك عدد كبير من التجار الشماليين في المديرية وخاصة بادن (واو) و(أويل) و(راجا)

و(كافيا كجي) و(رمبيك) لم يسمح لأى شخص أن يحمل رخصة تجارية لممارسة أعمال تجارية

جديدة ولكن ذلك لن يؤدي إلى تحسين الموقف كما أن رخص بعض التجار على وشك الإلغاء

بسبب سوء سلوكهم، وإننى أعتقد أنه من الضروري اتخاذ إجراءات أكثر شدة في هذا الشأن

من أن نقوم بتخفيض عدد تجار الشمال فحسب، فإننى أقترح بأن أمنح كل شمالى إنذاراً

لمغادرة الجنوب في خلال خمس سنوات على الأكثر.

إن معظم التجارة بأيدي الشماليين في هذه المديرية إن ليس في (رمبيك) شللاً تجار

من اليونانيين أو السوريين، وأولئك التجار كقاعدة عامة أكثر نشاطاً، وتجارهم أكثر ازدهاراً

من غيرهم، وإذا أبعدوا دفعة واحدة فلن نجد من أبناء الجنوب من يحل محلهم.

"إن بعض هؤلاء التجار رجال من ذوى الشراء الذين أقاموا بالمديريات السنوات الطوال

وقد أسهموا كثيراً في تنمية التجارة، ومهما يكن من أمر فهناك عدد منهم ليسوا إلا تجاراً

بالاسم فحسب إن أنهم لا يدفعون ضرائب الأعمال التجارية كما أن بعضهم منح رخصاً

(١) انظر مشكلة جنوب السودان، محمد عمر بشير ص ٧٨

(٢) عين ولسون كاش سكرتيراً للجمعية الكسبية بعد فترة طويلة قضاها في إرساليات الشرق الأوسط حيث عمل بفلسطين، ومصر وأسس مجلس البروتستانت للتصدي للحركات المعادية للمبشرين بمصر سنة ١٩٢١.

(٣) انظر التبشير النصراني في جنوب السودان وادى النيل ص ١٨٩/١٩٠

(٤) انظر مشكلة جنوب السودان، لمحمد عمر بشير ص ٧٧

تجارية برسوم مخفضة أو مجاناً ، وإبعاد مثل هؤلاء سيكون مفيداً من ناحية السياسة حيال الجنوب ، ولن يكون ضاراً بالتجارة بأي حال (١)

فرد عليه السكرتير الإداري بخطاب ضاف جاء فيه :

(... إن إبعاد تجار الشمال يجب أن يكون تدريجياً بل يتعين أن نبذل عناية خاصة بشأن ذلك في كل حالة على حدة ، حتى إذا طلب منا توضيح الأمر فإنه ينبغي أن نكون في وضع يسمح لنا بالرد الكافي على أية شكاوى أو تحقيقات من الجهات المعنية هنا (٢) وفيما يتعلق بالأزياء قال له :

(إن الأمر حساس تحتاج معالجته إلى قدر كبير من الكياسة والمهارة ، على أنك قد تشير في محادثاتك مع زعماء العشائر من حين لآخر ، بأن الأصول تقتضي التمسك بالتقاليد القبلية فيما يتعلق بأمر الملابس وما شاكلها من أمور (٣) فكتب مدير بحر الغزال لمفتش مركز " راجا " قائلاً :

" لا أعتقد أن الظروف التي ذكرها السكرتير الإداري تسبب لنا قلقاً ، ولكن يجب أن نعمل بحذر ، واعتقد أن من الأفضل أن نقابل كل تاجر منفرداً ونسأله عما إذا كان يرغب في الرحيل إلى الشمال ، ولا يتعين عليك أن تخطره بأن الحكومة ستقوم بدفع مصروفات سفره إذا لم يكن لديه نقود ولكن إذا حدث أن ذكر أي منهم بأن السبب الوحيد لعدم سفره هو عجزه عن تدبير المال اللازم لذلك فإنه يمكن أن تخبره بأنني أوّل في التمكن من مساعدتك ، ويجب أن تضع في الاعتبار أن السكرتير الإداري يرى أن تقديم أسباب معقولة لترحيل أي تاجر حتى يتسنى لنا الإجابة على أي سؤال في هذا الشأن من الجهات المعنية في الخرطوم .

" وأعتقد أن السبب الوحيد الذي يمكن أن نقدمه هو أن التجار قد رغّبوا في العودة إلى الشمال لأن أعمالهم لم تعد رابحة ، وأنهم كانوا راغبين في ذلك منذ أنم بدأ بعيد لو كانت لديهم الامكانيات ، ويستحسن الحصول على إقرار مكتوب من التاجر بأنه موافق على الرحيل إلى الشمال والمساعدة التي يطلبها إلى هذا الشأن ، وإذا كان هناك بعض التجار لا يرغبون في العودة إلى الشمال ولكنك تعتقد أنه يجب أن يرحلوا ، فإني أرجوكم أن تذكروا أسباباً كافية

(١) خطاب بروك مدير بحر الغزال للسكرتير الإداري ١٩٣٠/٣/٢٢ .

(٢) خطاب السكرتير الإداري لمدير بحر الغزال بتاريخ ١١/٥/١٩٣٠ .

(٣) نفس المصدر ، وانظر مشكلة جنوب السودان ، ص ٤٨ .

لذلك مثل : أن د كانه خال من البضائع ، أو أنه لم يعد يمارس أى نوع من الأعمال التجارية
أ و أنه سىء السلوك . . . الخ^(١)

واقترح كذلك قيام تنظيمات تجارية تحت إشراف الإرساليات تمويلها الحكومة ، وتوصل
"مؤتمر منقلا" الذى عقد سنة ١٩٣٠ إلى أن أفضل وسيلة للتقدم التجارى فى الإقليم هو
تشجيع التجار الأجانب على أن يقوموا بتعيين بعض الأهالى وكلاء لهم فى مقابل عمولة
محددة^(٢) ، واقترح التجار اليونانيون أن يرشح السلاطين والرؤساء المحليون أشخاصا
يشقون فى أمانتهم لكي يمدوهم بالبضائع بأسعار أقل من التى يبيعون بها عادة لصفار
التجار الآخرين ، على أن يأمر المفتش السلاطين بضمان الخسارة التى تنجم عن إهمال هؤلاء
التجار.^(٣)

وذهب مدير بحر الغزال إلى أبعد من ذلك إذ قام بمحاولة لمعرفة التكاليف الفعلية
لتشييد المتجر ، وقيمة البضائع اللازمة ونسبة الربح التى تقرر تقريبا ، وعلى هذا أجلس
التجار المسلمون من الجنوب بكل عنف وقسوة ، وسحبت رخص كثير منهم وأجبروا على المغادرة
للشمال قوة وقهراً ، وبحلول سنة ١٩٣٢ خلا الجنوب من تجار الشمال ، ولم يبق سوى
تجار اليهود والنصارى من اليونانيين والسوريين والأقباط.^(٤)

ولم يكن أمر الجلاء مقصوراً على التجار بل تخلص الإنجليز من المسلمين فى كل المجالات
الوظيفية والمهنية واستبدلوا الجنوبيين بهم وفى حالة عدم وجود جنوبيين كان يتم إحلال
مسيحيين محلهم ، وحظر بالمثل على الجنوبيين دخول مديريات الشمال ، كما سعت الإدارة
البريطانية لمقاومة الأزياء العربية فى اللباس ، وفضلت أن يظل الجنوبيون عراة كعادتهم
البدائية إذا استحال إغراؤهم أو حملهم على اتخاذ أزياء الغرب^(٥) ، وحتى مفتش " راجا"
الذى سخر من سياسة رؤسائه وعلق عليها قائلًا :

" انها مفتعلة مضحكة لا يقدر أحد على مجاراتها بإخلاص وقلب سليم) وذلك عند ما

علق على محاولة تغيير أسماء الجنوبيين بأسماء قبلية صرفة فقال :

"إننا نسمح للإرساليات بتنصيرهم وتسميتهم بأسماء أجنبية إيطالية هى أكثر بعداً عن مجتمعهم

(١) خطاب مدير بحر الغزال الى مفتش " راجا " يوليو ١٩٣٠ .

(٢) انظر مشكلة جنوب السودان ، محمد عمر بشير ص ٨٢ .

(٣) انظر المصدر نفسه ص ٨٣ .

(٤) نفس المصدر والصفحة .

(٥) انظر مشكلة جنوب السودان ، مدير عبد الرحيم ص ٤٨ .

وثقافتهم من الإسلام والعربية) حتى هذا الرجل رغم عدم اقتناعه كما صرح بنفسه - اشتد في حمل التجار وغيرهم من المشتغلين بصناعة الملابس العربية وبيعها على الإقلاع عن صنعها وبيعها . وفي يناير سنة ١٩٣٥ أرسل خطابا شديد اللهجة إلى الخواجة* عما نوييل لاغوتيرس (قال فيه :

* لقد اتضح لنا أنكم رغم تنبيهاتنا المتكررة ما زلتم توالون صناعة الملابس العربية - وبيعها بكميات كبيرة ، ولذا نلغى أنظاركم إلى أن صناعة الملابس العربية وبيعها ستكون منذ اليوم ممنوعة منعاً باتاً ، فإذا أردتم تفصيل أى قمصان في المستقبل فلتكن ذات ياقة وفتحة أمامية على الطريقة الأوربية ، وليست بأعناق مستديرة كقمصان البقارة من أهل دارفور ، كذلك ينبغي أن تكونوا منذ اليوم عن صناعة الطواقى التى تلف عليها العمائم كما هى عند القبائل العربية ، إننا بموجب هذا الإنذار نمحكم فرصة إلى آخر فبراير تتخلصون فيها من الكميات الموجودة عندكم من الملابس العربية ، وليكن معلوماً لديكم أن الأوامر المذكورة أعلاه تنطبق على جميع الوكلاء* ، وأصحاب ماكينات الخياطة الموجودين خارج المدينة^(١)

وما لاشك فيه أن مفتش "راجا" كان على قدر كبير من التسامح واللين إذا قيس بمزلائه الذين ظلوا يحرقون الملابس العربية قبل عشر سنوات من إصدار خطابه^(٢) ، وفى الاجتماع الذى عقد بتاريخ ١٤ / ١١ / ١٩٤٠ بـ (كافيا كينجى) بين مفتش المنطقة الغربية لمديرية بحر الغزال ومفتش المركز بمدينة دافور ، تم الاتفاق على عدم السماح بدخول المسلمين لمنطقة "راجا" إلا من يحمل تصريحاً معتمداً بتوقيع المفتش^(٣) ، ثم عقد اجتماع آخر فى ١٧ / ٣ / ١٩٤٢ بين مديري بحر الغزال ، ودافور ، ومفتش مركز دافور اتفق فيه على إصدار جوازات مرور للراغبين فى دخول "راجا" لأسباب معينة ، وصدرت هذه الجوازات باللغة الانجليزية من المفتش ، وذلك للحد من اتصال القبائل العربية بما فى ذلك البقارة والكارا وسكان راجا بالجنوب ، وبهذه الطريقة أصبح من العسير على سكان الاقليم أن ينتقلوا^(٤)

(١) خطاب مفتش راجا الى عمانويل لاغوتيرس بتاريخ ٢١ / ١ / ١٩٣٥ ، وانظر مشكلة جنوب السودان
مدير عبد الرحيم ص ٤٩ / ٥

(٢) المصدر نفسه ص ٥٠

(٣) وقائع جلسات مؤتمر كافيا كينجى ١٤ / ١١ / ١٩٤٠

(٤) انظر مشكلة جنوب السودان ، محمد عمر بشير ص ٨٥

من الشمال إلى الجنوب وبالعكس ، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك حين حدوا من علاقة التزاوج بين سكان الاقليمين فمنعوا انتقال الزوجة وأولادها مع زوجها إلى الشمال .^(١)

المرحلة الثالثة (١٩٤٦-١٩٥٦)

كان للمذكرة التي رفعها مؤتمر الخريجين بتاريخ ٣ من أبريل سنة ١٩٤٢ والتي تضمنت فقرتها الخامسة المطالبة بإلغاء قوانين المناطق المقفلة ورفع قيود الانتقال والاتجار داخل السودان - أثرها في تغيير السياسة البريطانية على الرغم من أن رد الحكومة عليها كان عنيقاً^(٢) إلا أنها كانت نقطة تحول في المسار السياسي في السودان بوجه عام ، وفي الجنوب على وجه الخصوص ، أضف إلى ذلك تزامن هذه المذكرة مع ظروف الحرب العظمى ، حيث هدد الطليان من الشرق ممتلكات بريطانيا فسعت إلى المحافظة على الجبهة الداخلية من التصدع فأبست بعض التنازل .

ففي أغسطس سنة ١٩٤٣ كتب مدير الاستوائية قائلاً :

إن سياسة الجنوب تحتاج لشيء من إعادة النظر ، ومهما يكن من أمر فلا بد أن نعمل لتحقيق نوع من الحكم الذاتي في الجنوب يمكن الجنوبيين من الانضمام إلى شمال القطر أو إلى المناطق الواقعة جنوب القطر .

أما انضمام الجنوب إلى الشمال فاحتمال لا يمكن رفضه أو استبعاد ما دنا نسلم بحقوق تقرير المصير ، ولو أن السياسة المتبعة حالياً تجعل هذا الأمر عسيراً وبعيد الاحتمال من وجهة نظر الجنوب .^(٤)

ولما اشتد ضغط الشماليين على الحكومة حاولت إرضاءهم بإنشاء المجلس الاستشاري لشمال السودان سنة ١٩٤٤^(٥) حتى تكون متمشية ظاهرياً مع تيار التقدم الذي أحدثته الحرب العالمية الثانية متخذة من إنشاء دليلاً على ما قامت به من رفاهية السودان ، ولكن العناصر الوطنية رفضت الاشتراك فيه لأنها اعتبرته خطوة دستورية لفصل الجنوب وذلك لعدم اشراك

(١) مشكلة جنوب السودان ، مدثر عبد الرحيم ، ص ٤ .

(٢) انظر الحركة الوطنية السودانية الاستقلال وما بعده ، ص ٣٤٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٤٨ .

(٤) خطاب مدير الاستوائية لمفتش المركز الغربي في ١٤/٨/١٩٤٣ ، دار الوثائق المركزية الخرطوم

(٥) انظر على عبد الرحمن ، الديمقراطية والاشتراكية في السودان ، ص ٣ ، ط ١٩٧٠ ، المكتبة العصرية

الجنوبيين فيه ،ولأن أكثريه أعضاء معينون من قبل الحاكم العام ،وشعر الإنجليز بغسل
(١)
الخطه فسارعوا لتدارك موقفهم فأنشأوا لجنة السودنة ، سنة ١٩٤٦ فجاء تقرير اللجنة فى
جملته إداة قوية لسياسة الحكومة تجاه الجنوب ،ولهذا رفض السكرتير الإدارى نشره .
(٢)

يقول الدردري محمد عثمان ،أحد أعضاء اللجنة : إن اللجنة بعد أن زارت الجنوب
مراكزه ومدارسه فى المدن والأحراش وضعت تقريراً ضافياً حاوياً لسياسة الحكومة ،وبالأخص
أعمال المبشرين هناك ،وعند ما قدم التقرير لمكتب السكرتير الإدارى لم يشأ نشره بل وصفه
بأنه ورقة اتهام للحكومة وليس بتقرير (٣) ، ومن ثم فقد أصبح من الضرورى الذى لا مفر منه
وضع سياسة جديدة للجنوب مقبولة لدى العناصر الوطنية ،وكان من رأى السكرتير الإدارى

Sir James Robeson

سير جيمس روبرتسون

أن مقام السياسة الجديدة لا على رأى من سماهم المتطرفين من نقاد السياسة القديمة بل
على أسس اقتصادية واجتماعية سليمة ،يكون من شأنها كسب مساندة القادرين على النظر إلى
الأشياء بعقول مفتوحة ،ومنطقية ،ومن هذا المنطلق سيكون على السودانين شماليين
وجنوبيين أن يتولوا شئونهم ،ويوجهوا الأجيال المستقبلية من أبنائهم فى هذه البلاد
وأنه على حكومة السودان من الآن فصاعداً أن تبني أعمالها وتصرفاتها على التسليم بأنه
من صفات سكان الجنوب الأساسية أنهم زنوج أفريقيون إلا أن العوامل الاقتصادية قد حكمت
بربطهم بالمستعمرين من أهالى السودان الشمالى ربطاً لا انفصام له خاصة فيما يتعلق
بمستقبل تصورهم (٤)

ويعتبر خطاب السكرتير الإدارى الآف الذكر إداة قوية من الحكومة نفسها لسياستها
تجاه الجنوب فى ربع قرن كما يعتبر الخطوة الأولى لسياسة التحول الجديدة التى رحب بها
جميع مدبرى المدريات فى الإقليم مما ترتب عليه انعقاد مؤتمر جوبا فى يونيو سنة ١٩٤٧ برئاسة
السكرتير الإدارى ،وعضوية مدبرى المدريات الجنوبية ومدبر شئون الخدمة مع سبعة عشر رجلاً
من زعماء ومتعلمى الجنوب بالإضافة إلى ستة من الشماليين ،وقرر المجتمعون ما عدا عضواً

(١) (السودنة) مصطلح أطلق للدلالة على استبدال موظفين سودانيين بالموظفين الأجانب
فى الخدمة المدنية .

(٢) انظر مشكلة الجنوب ،مدر عبد الرحيم ص ٦٣

(٣) المصدر السابق ص ٦٣

(٤) خطاب السكرتير الإدارى بتاريخ ١٦ ديسمبر سنة ١٩٤٦ دار الوثائق الخرطوم

أعضاء من الاستوائية بأن الوحدة بين الشمال والجنوب ضرورة لا بد منها، وأيدوا الفكرة القائلة بأن الفصل أمر غير ممكن^(١).

وتمخض عن هذا المؤتمر قيام الجمعية التشريعية التي انشئت سنة ١٩٤٨ فضمت الشمال والجنوب، ورفع المتعلمون الشماليون والجنوبيون شعار الوحدة من داخل الجمعية، ووافقت الجمعية على الخطة الخمسية (١٩٥١-١٩٥٥) والتي شملت التوسع والتحسين لنظام التعليم، إلا أن هذه السياسة جاءت بعد فوات الأوان حيث قطع الجنوب شوطاً طويلاً على درب الانفصال، ولم يعد من السهل استقراره زيادة على هذا فإن سياسة الوثام لم تعجب الإرساليات التي ساءها رضى الإدارة وموافقتها على السياسة الجديدة الرامية لوحدة القطر، فكتب (ترينجهام) سكرتير مجلس الإرساليات بالجنوب مندداً بهذا النهج فقال :

"إننا نعلم أن الشعار الذى يطلقه شقوى الشمال بوحدة السودان لا يقوم على أساس البتة فى واقع الأمر ولولا الصدفة التى جاءت بالحكم الغربى لما أمكن توحيد الحكم بين أقوام متنافرة"^(٢)

ورأى سكرتير مجلس الإرساليات أن قيام جمعية تشريعية لكل القطر يعتبر تنازلاً من البريطانيين لموظفى الشمال وخرقاً واضحاً لوصاية بريطانيا على الجنوب، ونشأت معارضة الكنائس لقيام سودان موحد من الاعتقاد بأن الشماليين سيعلمون أن دين الدولة الرسمى هو الإسلام، وسيضعون التعليم فى الجنوب تحت سيطرة الدولة، وفى ذلك الحد من نفوذ الكنيسة فى جنوب القطر^(٣) ومن ذلك التاريخ وحتى يومنا هذا تشعل الكنائس نار العداوة بين شقى القطر.

(١) انظر مشكلة جنوب السودان ، محمد عمر بشير ص ١٠٥

(٢) مشكلة جنوب السودان ، محمد عمر بشير ص ١٠٧/ ١٠٨

(٣) انظر المصدر نفسه ص ١٠٨

المبحث الثالث بداية الصراع المسلح

كانت الأورطة الاستوائية التي أنشأها الاستعمار استعداداً لفصل الاقليم، والتي ظلت في الجنوب منذ إنشائها، لا يحرك أفرادها خارج الاقليم كبقية الجنود في أقاليم السودان الأخرى - أساس التمرد حتى يومنا هذا، وقد ظلت هذه الفرقة كأنها جيش دولة أخرى، وليست جزءاً من قوة دفاع السودان، وعندما بدأ الحكم تدريجياً يؤول إلى الوطنيين، أخذوا يفكرون في وسيلة يحركون بها هذه الأورطة لدعمها في قوة دفاع السودان، فوجدوا في مناسبة الاحتفال بجلاء القوات البريطانية عن السودان الفرصة المناسبة لتحريكها شمالاً، وتم الاتفاق على دعوة البلوك المقيم في "توريت" لحضور الاحتفال، على أن يتم استبدال جنود شماليين به كما اتفق بالمثل مع بلوك "ملكال" ولكن الأيدي الخفية^(١) التي تعمل ساهرة على زعزعة الأمن كانت تتخذ من مشروع سودنة الوظائف موضعاً لزعزعة الأمن، وكان ذلك المشروع قد بدأ في تنفيذه سنة ١٩٥٣ ليحل الوطنيون محل الانجليز، واستكمل تدرجه سنة ١٩٥٥ وكان نصيب الشماليين بحكم تأهيلهم وأكثريتهم أكبر بكثير من الجنوبيين، الأمر الذي أدى إلى تصديق دعاة الفتنة، بالتالي أدى إلى بداية الاضطراب في الجنوب يوم ١٩٥٥/٧/٢٥ فخرج الناس محتجين في أنحاء متفرقة من الاقليم في "ملكال" و"أنزارا" و"بيي" و"جوبا" بافتعال حوادث وهمية في الغالب، كإشاعة محاكمة عضو جنوبي في المجلس القومي، والحكم عليه بالسجن فقاد هذا الخبر الموهوم إلى الاضطرابات التي قتل فيها ثمانية أشخاص وجرح آخرون^(٢)، وفي يوم ٧ من أغسطس تم اكتشاف مؤامرة للتمرد وسط الجنود الجنوبيين، واعتقل موظفان كانا يعملان بقوة دفاع السودان، فأدى اعتقالهم إلى خروج الناس متظاهرين بالغضب في الاقليم مما نبه الإداريين الشماليين للخطر، فطلبوا تعزيز الموقف بجنود شماليين فأرسل خمسون جندياً إلى جوبا لحماية المرافق الهامة، وعندما طلب من فرقة توريت التحرك إلى الشمال حسب الاتفاق، دب التمرد إلى صفوفهم فرأى الضباط الشماليون تجريد الفرقة من السلاح وتسريحها من الخدمة تنفيذا للقوانين العسكرية، فرفضت الرئاسة بالخرطوم اقتراحهم

(١) انظر الحركة الوطنية السودانية، الاستقلال وما بعده ص ٣٤٢

(٢) Edger O. Ballance, the Secret war in the Sudan 1955-1972 P. 40

وعندما أحضرت السيارة العسكرية التي ستقلهم إلى الخرطوم للاشتراك في الجلاء، رفض مائة وتسعون جندياً بقيادة الملازم رينالد ولويلا الاستجابة لأوامر ضباطهم ، وانقضوا على الضباط الشماليين فقتلوا عليهم ، وكسروا مستودع الذخيرة ، وشمل التمرد الذي بدأ في "توريت" "جوبا" و "بيي" و "يامبيو" و "مريدي" واستحر القتل في الشماليين فبلغ عدد الضحايا ٢٦١ من الشماليين معظمهم قتل بالاستوائية^(١) مقابل ٧٥ من الجنوبيين^(٢) ونهبوا الأموال والممتلكات، وهتكوا الأعراض، وحرقوا المرافق ، وقطعوا وسائل الاتصال بالشمال ، وحدث ذلك في يوم ١٨ من أغسطس ١٩٥٥ ، وفي يوم ١٩ منه أعلنت الحكومة خبر التمرد ، كما أعلنت حالة الطوارئ وفي يوم ٢١ من نفس الشهر تم نقل ثمانية آلاف جندي شمالي من الخرطوم إلى الجنوب ، وتوقع المتمردون مساندة وتشجيع البريطانيين ، فأرسلوا برقيات إلى رئيس وزراء بريطانيا وإلى G.O.C. القوات البريطانية بالسودان ، وفي يوم ٢٢ من نفس الشهر ، وجه الرئيس الأزهرى نداً للمتمردين يأمرهم بالاستسلام ، فرفضوا بل طالبوا بسحب الجنود الشماليين إلى الشمال ، وهنا ظهر الساسة الجنوبيون ، وطلبوا من القوات البريطانية والمصرية التدخل ، فلم يقبل طلبهم ، وعند ما عاد الحاكم العام Sir Knox Helm كوكس هيلم من الإجازة وجه في يوم ٢٦ تحذيراً للمتمردين بتسليم أنفسهم ووعدهم بأنهم سيقدمون إلى محاكمة عادلة ، فانتهى التمرد في اليوم التالي^(٣) ، وتم اجتماع بين قوات الحكومة والمتمردين بالقرب من جوبا ، وتم الاتفاق بين الطرفين على أن يسلم المتمردون الذين دخلوا الغابة أنفسهم يوم ٨/٣٠ في توريت . وعندما وصلت قوات الحكومة توريت وجدت أنها قد هجرت حيث نكث المتمردون وفروا بأسلحتهم إلى الغابة ، وتقدم الصاغ صلاح سالم باقتراح مفاده بقاء الفرق البريطانية بالسودان وإرسال فرق مصرية للجنوب للمحافظة على الأمن فرفض الرئيس الأزهرى اقتراحه وغادرت القوات البريطانية السودان بنهاية الشهر . وفي يوم ٦ من سبتمبر سنة ١٩٥٥ أعلن أن الأمن مستتب وأن قوات الحكومة دخلت الاستوائية ، وقضت على التمرد بها

(١) Ibid P.43

(٢) انظر مشكلة جنوب السودان ، محمد عمر بشير ص ١١٥

(٣) The Secret war in the Sudan P. 40/41

حيث القواعد الرئيسية ، وتم تسريح الفرقة الاستوائية ولكن بعض جنودها فروا بأسلحتهم إلى الغابة كما تقدم وانحى الشماليون باللوم على البريطانيين ، وعزوا هذه الاضطرابات الدامية إلى سياستهم التي قامت على التفرقة بين الشمال والجنوب زمناً طويلاً ، بالإضافة إلى إهمال الجنوبيين ، وعدم دعوتهم للاشتراك في المفاوضات التي أجريت بين أحزاب الشمال والحكومة المصرية في القاهرة ، فاعتبروا عدم دعوتهم لتلك المفاوضات دليلاً على تجاهل الشماليين لهم ، فاستجابوا لدعاة الفرقة وشيروا الشكوك^(١).

أما الأسباب المباشرة لهذه الاضطرابات بالإضافة إلى ما ذكر ، أنه قد نشرت على نطاق واسع أنباء تفيد بأن برقية بتوقيع الرئيس الأزهرى تحض الإداريين الشماليين على ضغط الجنوبيين ، ومعاملتهم بقسوة^(٢) كما وزعت على أوسع نطاق خطابات مدسوسة تحمل نفس المعنى ضلعت فيها عناصر حانقة على رئاسة الأزهرى^(٣).

ثم غادر سير كنوكس هيلم السودان نهائياً في ١٥ / ٩ / ١٩٥٥ لانتهاء عمله بالسودان وقدّم قائد المتمردين رينالد ولويلاه إلى المحاكمة وأعدم سنة ١٩٥٦^(٤).

وأتاح الحوادث المشؤومة الفرصة واسعة لذوى الأغراض الخبيثة أن يسعروا نيران الفتنة ، ويوسعوا شقة الخلاف بزعمهم أن حلول الشماليين محل الإنجليز يعنى استبدال استعمار بآخر ، ورسخوا هذا في أذهان الجنوبيين ، فعلق أحد الكتاب على حوادث التمرد قائلاً :-

" إن سرعة سودنة الوظائف عام ١٩٥٣ والتي تعنى بالنسبة للجنوبيين اتيان الشماليين لأخذ وظائف البريطانيين - سببت عدم قناعة في الجنوب كما سببت الخوف من مقاصد الحكومة فظهر للجنوبيين وكأنهم استعمروا للمرة الثانية) ، ويغض الكاتب الطرف عن الأسباب التي أدت إلى قلة نصيب الجنوبيين في عطية السودنة أما المنصرون فقد ظلوا منذ أمد بعيد حلقة الوصل بين الدوائر الاستعمارية والجنوبيين وجاء رأيهم واضحاً في تقرير الكيسسة الكاثوليكية الذي أصدرته سنة ١٩٨٤ بعنوان :

(١) انظر مشكلة جنوب السودان ، محمد عمر بشير ص ١١٧
The Secret war in the Sudan P. 42

(٢)

(٣) انظر الحركة الوطنية السودانية الاستقلال وما بعد ص ٢٣٤

(٤) The Secret war in the Sudan P. 43

(فرصة ذهبية ضاعت على الكنيسة الكاثوليكية.) The Catholic Church in the Sudan a Golden opportunity lost.

جاء فيه: " لا شيء يعادل رفض الجنوبيين (الواعين) لوضعهم السياسى المفروض عليهم، ويرجع هذا إلى عام ١٩٥٥ عندما تمت عطية السودان للهائنة وظيفه إدارية عليا كانت فى السابق فى يد البريطانيين، كان نصيب الجنوبيين منها ثلاثاً لا غير، ويرجع هذا إلى أن الشمال كان بمقدوره أن يؤمن مجموعة من المتخصصين القادرين على إدارة الشؤون الوطنية فى القطر، فى حين أنه لم يكن بالجنوب اثنا عشر رجلاً أتوا تعليماً فوق الثانوى، وقد فهم هم هذا الفارق العددي من قبل الجنوبيين فهما خاطئاً وفسر على أساس أنه تفرقة عنصرية، وأخذت العداوة الشديدة أبعاداً متطرفة حتى إن حادثة صغيرة ربما تشعل صراعاً بين الطرفين غير معروف العواقب، وإحدى هذه الحوادث حدثت فى "توريت" فى ١٨ من أغسطس سنة ١٩٥٥ نتج عنها وفيات عدة وبذرت فيها بذور حرب أهلية استمرت سبعة عشر عاماً (١) وما زالت مستمرة، ويقول التقرير فى تعليقه على الحالة التعليمية بالاقليم:

" فى العام الدراسى ١٩٥٥/١٩٥٦ كان عدد المدارس الحكومية ١٤٦٢ تكاد تكون كلها فى الشمال وبها ١٦٤٢٥٥ طالب يتلقون تعليماً بالمجان منهم ١٢٩٠٧٢ من الذكور و٣٥١٨٣ من الإناث فى مراحل التعليم من الابتدائى إلى الثانوى، وتشمل هذه الإحصائية ١٨٪ من الذين هم فى عمر الدراسة بينما توجد فى ذات الوقت بالجنوب ٣٥٠ مدرسة (٢) تيشيرية من صغرى إلى متوسطة منها ٣٠٠ كاثوليكية و٥٠ بروتستانتية بها ٣٠٠٠ طالب وهذا الرقم يمثل ٣٪ من هم فى عمر الدراسة (٤)

فالتقرير فى مجمله إدانة واضحة لأعمال التنصير عامة والكاثوليك بصفة خاصة، لمن كان له عقل، فالكنيسة الكاثوليكية تزعم فى تقريرها أن أتباعها بالاقليم ١٧٪ من مجموع سكانه، ومن المعلوم أنها بدأت العمل بينهم منذ أكثر من قرن من الزمان حيث بدأت سنة ١٨٤٦ وأصبح التعليم محتكراً للكائس عامة والكاثوليك على وجه الخصوص، وباعتراها أن الذين نالوا تعليماً فوق الثانوى لا يتجاوزون اثنى عشر رجلاً، فماذا كانت تعمل هذه الكائس التى احتكرت التعليم؟

(١) The Catholic Church in the Sudan a Golden opportunity P. 5

(٢) Ibid P.5

(٣) Ibid P.7

(٤) Ibid P.5

(٥) Ibid P.4

يجيب على هذا السؤال رجل من كبار السياسيين الذين اکتووا بنار المنصرين الذين كان همّ أحد هم أن يجمع عدداً من أبناء الجنوب يث فيهم كراهية الشمال والعرب ويعلق على صدورهم الصلبان ، ويأخذ لهم صوراً يرسلها إلى مؤجره على أن هؤلاء قد اعتنقوا المسيحية مدلاً بذلك على نجاحه في عمله ، يقول المرحوم خضر حمد^(١) في زيارته للجنوب بعد أن لاقى العنت في استخراج التصريح لها :

... وفي أول محطة رأيت أحد أبناء الشلك يلبس (اللاو) وفي عنقه صليب فسألته عنه فقال بالعربي : (بتاع القسيس) أي أنه لا يهيمه في كثير ولا قليل ، ولكنه يخلص القسيس فهل كان ضمير هذا القس مرتاحاً يشعر بأنه خدم المسيحية ، وخدم هذا الوثني بأن جعله يعتنق ديناً ويؤمن بالله ويهتدي إلى الخير ؟ . . . وفي تلك الزيارة رأيت الكتب التي تدرس لتعليم الأولاد القراءة والكتابة ، هل كانت دينية أو كانت معلومات تتعلق بالبلد ؟ وكيف يستفاد من تلك الأرض الطيبة ؟ كلا لم يكن في تلك الكتب شيء واحد مما ذكر ، بل كانت كلها تتعلق بالإسلام وسبه واتهام محمد (صلى الله عليه وسلم) بالكذب وسفك الدماء وأن غرضه وغرض دينه هو العرب واحتقار غيرهم واستعبادهم ، وقد حاولت جاهداً أن أدفع (للمراسلة)^(٢) جنبها كاملاً ليعطيني الكتاب ، ولكنه أبى خوفاً مما سيصيبه إذا عرف أن هذا الكتاب تسرب عن طريقه إلى شخص مثلي^(٣) ، وهكذا ظلت الكنيسة حجر عثرة أمام تقدم الاقليم ، ولن يتقدم إلا بعد الانعتاق من أغلالها لأنها احتكرت التعليم وجعلت الكلكة رسماً لدخول مدارسها ومنذ أن تسلم أول وزير معارف سوداني كانت سياسته توحيد نظام التعليم في مديريات السودان شمالاً وجنوباً لاستيعاب أكبر عدد ممكن من التلاميذ في جميع أنحاء القطر ، كما صرح بأن الطلبة الذين لا يعتنقون ديناً سماًوياً لهم الحرية في عدم حضور حصص الدين ولعل هذه أول مرة تتاح فيها الفرصة للجنوبيين الذين لا دين لهم للالتحاق بالمدرسون أن يفرض عليهم أن يكونوا مسيحيين ، كما كان الحال سابقاً ، وفي سنة ١٩٥٤ وجهت الحكومة

(١) خضر حمد من مواليد سنة ١٩١٠ تخرج في كلية غردون سنة ١٩٢٩ من مؤسسي مؤتمر الخريجين

ومن أوائل الذين قاموا بالاستعمار بكتابات الساختنة تحت توقيع مستعار ، عمل متطوعاً

بالجامعة العربية (١٩٤٨-١٩٥١) شغل مناصب قيادية كوزارة الري والقوى الكهربائية

ووزارة الدولة وأخيراً كان عضو مجلس السيادة ، توفي سنة ١٩٧٠ .

(٢) المراسلة : هو العامل الذي يخدم الزوار .

(٣) الحركة الوطنية الاستقلال وما بعده ص ٣٦

(٤) انظر مشكلة جنوب السودان ، محمد عمر بشير ، ص ١٧٨

الدعوة إلى لجنة دولية مختصة بشئون التعليم الثانوى للاستفادة من خبراتها فيما يختص بنظام التعليم فكانت أهم المسائل التى وجهت إليها عنايتها ، نظام التعليم فى الجنوب ، فأوصت بضرورة استيلاء الحكومة على جميع المدارس ، لتوفير للناشئ الجنوبى المواد التعليمية التى تجعل منه مواطناً سودانياً ، والجدير بالذكر أن جميع أعضاء هذه اللجنة كانوا غير سوادانيين^(١) ، وهذه إداة عالمية للتعليم الكسبى بالجنوب ، ولم توضع توصيات هذه اللجنة موضع التنفيذ إلا فى عام ١٩٥٧ نسبة لأحداث التمرد حيث دعا وزير التربية والتعليم مندوبى الهيئات التنصيرية لحضور المؤتمر الذى عقد فى فبراير سنة ١٩٥٧ ووجه الوزير الخطاب للحاضرين قائلاً : إن الحكومة قررت أن تضع يد ها بصورة كاملة على شئون التعليم بالمديريات الجنوبية^(٢) وعلى الرغم من أن الوزير طمأن مندوبى الإرساليات على مستقبل المسيحية والعاملين لها وأظهر المندوبون رضاهم عن هذه السياسة من غير قيد ولا شرط ، فإنهم سرعان ما نكصوا على أعقابهم ، وقلبوا ظهر المجن .

الكنيسة تواجه الحكومة :

اعتبرت الكنائس قرار الحكومة هضماً لحقوقها فثارت ثائرتها وخاصة الكاثوليكية ، على الرغم من أن الحكومة سعت فى إرضائها بضم جميع العاملين بمدارسها للقطاع الحكومى ومنحتها حرية تدريس المسيحية ، فعقد مندوبو الكاثوليكية اجتماعاً خرجوا منه بالقرارات التالية كشروط لاستيلاء الدولة على مدارسهم :

١- إن إدارة المدارس الكاثوليكية لا تترك أموالها تؤول إلى الحكومة السودانية إلا بمقتضى اتفاق بينها وبين السلطة العليا بضمانات مناسبة وذلك بمقتضى تشريع يصدر عن البرلمان السودانى .

٢- يجب أن تدفع وزارة التربية والتعليم أجراً مناسباً لسلطات الكنيسة مقابل الانتسفاع بالمباني المدرسية التى شيدتها .

٣- يجب أن يتم تعيين مندوب عن الكنيسة فى مجلس التعليم الوطنى بكل مديرية ، وفى كل

(١) مشكلة جنوب السودان ، محمد عمر بشير ص ١١٧

(٢) انظر المصدر السابق ص ١١٨ ، وانظر بشير محمد سعيد ، السودان فى ملتقى الحضارات الافريقية ص ١٨٠ ، وانظر تقرير الكنيسة الكاثوليكية لسنة ١٩٨٤ ص ٧

لجنة منطقة تعليمية .

٤- يجب أن يعطى المدرسون الكاثوليك تدريباً كاملاً كما يجب أن يجتازوا امتحاناً يعدّه مندوبو الكنيسة قبل تخرجهم وتعيينهم .

٥- على الحكومة أن تقدم قائمة بأسماء المدرسين الذين يدرسون في المدارس المحولة لتوافق عليها الكنيسة .

٦- ولكي يجتنب النزاع الأيدولوجي والاحتكاك داخل المدارس يجب أن يتاح لسلطات الكنيسة حق طلب سحب المدرسين الذين يتضح أن مسلكهم ونظرتهم للحياة معادية لتعاليم المسيحية .

٧- يجب أن يكون مندوبو المدارس وأغلبية المدرسين العاملين من معتنقي المذهب الكاثوليكي .

٨- يجب أن يعطى أولوية الدخول بالمدارس المحولة لأبناء الطائفة الكاثوليكية ، ولا يدرس فيها غير المذهب الكاثوليكي .

٩- يجب ألا يقل الزمن المقرر للدروس الدينية والحفلات الدينية والعطلات المدرسية عما كان مقرراً من قبل لهذه الأغراض .

١٠- يجب أن يترك تحديد المنهج والكتب المدرسية الخاصة لسلطات الكنيسة الكاثوليكية .

١١- وأن يسمح لتعيينه سلطات الكنيسة دخول المدارس في الفترات المخصصة للتربية الدينية للإشراف على سير العمل ، وأنّ على السلطات الحكومية كفالة التسهيلات اللازمة لعقد الامتحانات في كل وحدة من المدارس المحولة .

١٢- يجب إتاحة الفرصة للآباء لممارسة حق اختيار المدرسة التي يفضلون إلحاق أولادهم بها ، وفي حالة توفر العدد الكافي من التلاميذ الذين يرغبون في الالتحاق بالمدرسة الكاثوليكية فإن على سلطات التعليم الحكومية بعد أن تشهد بذلك سلطات الكنيسة الكاثوليكية ، وتحقق وزارة المعارف من ذلك ، أن تنشئ مدرسة جديدة تتولى الإشراف عليها وإدارتها وفقاً للشروط التي تنطبق على المدارس التي تؤول للحكومة .

١٣- يجب توفير الضمانات الكافية لبعض المدارس الكاثوليكية المحولة لكي تكون رئاستها وموظفوها من المندوبين الكاثوليك في الفترة التي تشرف عليها الحكومة كما يجب توفير

الضمانات الكافية للمدارس الكاثوليكية الخاصة لإنشاء مدارس لها في المستقبل .

وكان من البدهى أن ترفض أغلب هذه الشروط التي أطلتها الكنيسة مظهرة تعاليها وبسط نفوذها ليس على التعليم فحسب بل على الحكومة نفسها حيث اعتبرت تحويل التعليم عنها وضمه للدولة اعتداءً من الشمال على الجنوب^(١) .

جاء في تقرير الكنيسة الكاثوليكية " لقد خشى المبشرون أن تكون اللغة العربية هي حصان طروادة الذي به يدخل الإسلام إلى الجنوب ، ولقد صاغ أحد علماء السودان العلاقة بين الاثنين بقوله : " اللغة العربية والإسلام وجهان لعملة واحدة يرتبطان دائماً ولا يمكن التفريق بينهما " وكانت حكومة السودان فيما سبق استعماراً ثنائياً بالاسم وإدارة إنجليزية بالفعل ، ففي عام ١٩٢٢ أمرت باستعمال الإنجليزية مكان العربية كلفة للإدارة في الجنوب وفي عام ١٩٥٠ حينما استجابت الحكومة لرغبات الوطنيين أمر وزير المعارف بإدخال العربية في المدارس الوسطى والثانوية في خلال سنتين فخفضت الإرساليات الكاثوليكية للأمر برغم خوفها من المخاطر الكامنة وحاولت أن تفرق بين اللغة والدين ، وبعثت بعض مبشريها إلى لبنان لتعليم اللغة العربية ، وكانت الحكومة ملحة في إتمام التعريب . . . ولقد برر الوزير هذا العمل بأنه من أجل الأهداف الوطنية ، وأعلن في الوقت نفسه أن هذا الإجراء لا يعنى أن الحكومة تشك في أن الإرساليات تعمل على تقويض الوئام بين شقى الوطن ووعد الوزير بأن تدرس المسيحية للطلاب سيستم^(٢)

ويقول التقرير أيضا :

" وبدأ الفرض الحقيقى من ضم المدارس جليا بعد وقت قصير ، ففي مديرية أعالي النيل أصبحت المدارس أشبه بالخلوى - (مدارس تحفيظ القرآن الكريم) - وكانت المادة الرئيسية الإسلام^(٣) مما دفع الكنيسة الكاثوليكية لتحريض الهيئات التبشيرية غير الكاثوليكية لإعلان السخط على الحكومة التي أدخلت اللغة العربية في نظام التعليم بالإضافة إلى إدخال الموظفين الشماليين ، فاعتبروا ذلك مدّا للنفوذ الإسلامي^(٤) ، وخرجت صحيفة الرسول

(١) انظر محمد عمر بشير ، مشكلة جنوب السودان ص ١١٩-١٢٠

(٢) The Catholic Church in the Sudan a Golden opportunity lost.P.7

(٣) Ibid P. 7

(٤) انظر مشكلة جنوب السودان ، محمد عمر بشير ص ١٢١

التبشيرية التي تصدر في الجنوب تحمل ملخصاً لموقف الهيئات التبشيرية تجاه سياسة الحكومة جاء فيه :

" لقد أنشئت مدارسنا الكاثوليكية بتضحيات غالية لكي يتسنى لهؤلاء الأطفال تعليم كاثوليكي صحيح ، وتقع على عاتق الآباء مسئولية إرسال أبنائهم للمدارس الكاثوليكية كما أن قانون الكنيسة يقضى بعدم السماح للآباء الكاثوليك بإرسال أبنائهم لغير المدارس الكاثوليكية دون إذن راعي الكنيسة ، وأننا نرغب في هذه الأيام التي تسمى الحكومة فيها لفرض سيطرتها التامة على شئون التعليم أن تعلن بوضوح أنه لا يمكن لأي كاثوليكي أن يقر مثل هذا التصرف ، لقد منحت الكنيسة تفويضاً وحقاً من السيد المسيح لكي تسهم في تعليم وتربية الإنسان ، وللآباء الحق ، بل عليهم واجب أن يقوموا بتعليم الأبناء الذين منحهم الله ويجب أن تنال هذه الحقوق الخاصة بالكنيسة والآباء احترامها من الدولة^(١) هكذا تريد الكنيسة أن تكون هي الدولة والدولة خادمة لها تأتمر بأمرها وأن التعليم في الجنوب حق لها ، واعتبرت فقدانه ضربة قوية لها ، وفي ذلك الوقت نشرت إحدى الصحف الكاثوليكية التي تصدر في إيطاليا ما يلي :

" أصدر البابا أوامره بمقاومة الحكومة السودانية المتهمة بارتكاب أخطاء جسيمة ضد الملايين الثلاثة التي تعيش في جنوب السودان ، وظل أمر البابا بمقاومة الحكومة في السودان سارياً من لحظة صدوره إلى يومنا هذا على كل الحكومات المتعاقبة بصرف النظر عن سياستها ،^(٢) لأن الإرساليات أدركت أن الاستقرار من عوامل نشر الإسلام ولقد جاء ما يؤيد ذلك في تقرير الكنيسة نفسها حيث قال : " كان من الممكن أن ينتشر الإسلام في الجنوب من خلال هذه المدارس التبشيرية الأصل ، ولكن حرب العصابات حطمت نظام التعليم كلياً " ، ولم تقف الكنيسة عند إشارة التمرد الذي أشعلت ناره ضد أول حكومة حاولت تنمية الجنوب وانتشاله من التخلف متخذة من ضم التعليم خطوة أولى على طريق التقدم ، بل ذهبت الكنيسة أبعد من ذلك بتحريك عملائها في الداخل والخارج لتفسير

(١) انظر المصدر السابق ص ١٢٢/١٢١

(٢) The Catholic Church in the Sudan a Golden opportunity lost P 8

(٣) مشكلة جنوب السودان ، محمد عمر بشير ص ١٢١

(٤) The Catholic Church in the Sudan a Golden Opportunity lost p 8

أى حكومة تجرؤ على ذلك، وبالفعل سقطت الحكومة بانقلاب الجنرال عبود سنة ١٩٥٨ ،
وعندما هدأت الأحوال والتفت الحكام العسكريون للجنوب، قررت الحكومة في فبراير سنة
١٩٦١ أن تكون الجمعة عطلة رسمية في الجنوب بدلا عن الأحد فلم يعجب هذا القرار
الكنيسة^(١) فشنت الحرب على الحكومة مما اضطر الحكومة أن تمارس حقها القانوني في الجنوب
فحصرت عدد المبشرين الأجانب الذين دخلوا الجنوب فكان عددهم ٤٦٠ مبشراً أجنبياً
منهم ٣٦٠ كاثوليكى و ١٠٠ بروتستانتى وأغلبهم دخلوا بدون إذن - وهؤلاء غير الذين
دخلوا مبشرين تحت لافتات التنمية للتعمية - وغير الثلاثين الذين قامت الحكومة
بإبعادهم سنة ١٩٥٨ لأنهم تسببوا في بعض الحوادث المخلة بالأمن والنظام نصفهم من
الكاثوليك والنصف الآخر من البروتستانت، ثم اتبعهم آخرون لارتكابهم مخالفات قانونية
كتسببهم في كثير من حوادث الطرق لعدم اكتراثهم بالمواطنين وكثوزيعهم الدواء بدون ترخيص^(٢)
ولا تخصص، وهى أمور ظلت الإرساليات تمارسها منذ عهد الاستعمار وحتى اليوم
نسبة لتفشى الجهل في الاقليم مع انعدام الرقابة القانونية من قبل الدولة لأن الاستعمار
كان لا ينظر للمواطن الجنوبي كإنسان .

جاء في تقرير كرومر: " لا أحسب أن أكثر دعاة الإخاء والمساواة عمى عن واقع
الأحوال وحقائق الأمور يستطيع الإدعاء بأنه من المعقول أن يحاكم المدعو (كوات وداويونج)
وهو شلكاوى قتل المدعو (أجوك ودينج) لاعتقاده أن هذا الأخير قد سحر ابنه وساق إليه
تساحا التهمة بنفس الطريقة والإجراءات المتبعة في محاكم باريس وليون^(٣) .

وهكذا أعطت الإدارة البريطانية المبشرين الحق في معاملة الجنوبيين هذه
المعاملة غير الإنسانية، وظل رجال الإرساليات يمارسون مختلف المهن بغير علم، وهذا
مسئول الكنيسة الكاثوليكية جوفيانى فانتيلى وهو حائز على درجة دكتوراة في اللغات يعترف
بأن المبشرين يمارسون أعمالا لا علم لهم بها فيقول :

" أغلبهم رجال لكل الأعمال ، ولكن بعضهم أصبح مختصا (عن طريق الخبرة الذاتية) !
في مختلف المجالات بدون أن يكونوا حائزين على شهادات مدرسية أو دراسات تخصصية .

(١) Ibid P 9

(٢) Ibid P 9

(٣) انظر التقرير السنوى عن الأحوال المالية والإدارية في مصر والسودان لعام ١٩٠٤ ، وانظر
مذكر عبد الرحيم ، مشكلة جنوب السودان ص ٣٣

ان الأخوات (الفيرونيات) عموما كن مرضات باجتهد هن الشخصى ، ومدرسات فى المدارس ، ومساعدات فى عديد من قطاعات العمل التبشيري ، لقد كانت مواهبهن الشخصية مع اخلاصهن الدينى ، والحماسة للعمل التبشيري هى التى خلقت منهن أدوات لا تقدر بثمن فى التنصير ، وبدون مساعدة الأخوان عموما والأخوات (الفيرونيات) لم يكن الآباء (الفيرونيون) ليتمكنوا من تحقيق ما حققوا بالفعل فى السودان ، إن العلاقة بين الإرساليات الرومانية وسلطات الحكومة كانت فى عمومها ودية للغاية فى جميع الأوقات (١) . بجانب هذه الفوضى فى جميع المجالات المهنية تسبب المبشرون فى إزهاق أرواح كثير من المواطنين بحوادث الطرق وانتهكوا أعراضهم مع كل هذا الفساد والإفساد فإن الذين أبعدوا كانوا يمارسون التنصير بغير تصريح رسمى . (٢)

Roman Catholic Contribution to Evangelization in the Sudan P.1/2 (١)

The Catholic Church in the Sudan a Golden opportunity P.9 (٢)

- ٢٩٣ -
المبحث الرابع
الحكومة تواجه الكنيسة

طرد المبشرين سنة ١٩٦٤ :

زعمت الكنيسة الكاثوليكية في تقريرها المشار إليه أن سبب طرد المبشرين سنة ١٩٦٤ هو نشرهم المسيحية في منطقة تريدها الحكومة لنشر الإسلام ، والواقع غير ذلك لأن الإرساليات ساءتها جهود الحكومة الاصلاحية ففى الجنوب ، فأخذت تؤلب عملاً*ها فى الداخل والخارج ضد السياسة الرامية إلى الاستقرار فى الاقليم مما اضطر الدولة لطرد المبشرين الأجانب الذين دخلوا السودان بغير إذن وظلوا يمارسون التخريب تحت ستار التبشير بدون تصريح كما ذكر ذلك وزير الداخلية فى تصريحه بتاريخ ٢٧ من فبراير سنة ١٩٦٤ بأن مجلس الوزراء قرر طرد المبشرين الأجانب الذين لا يحملون تصريحاً بالعمل بالتبشير فمثل قرار الابعاد ٢١٤ كاثوليكية و٥١ من البروتستانت، وفى يوم ٤ من مارس أذاع الفريق ابراهيم عبود رئيس الدولة بياناً وضع فيه أسباب الإبعاد نجترئ منه ما يأتى :

.. لقد أخذنا نراقب منذ زمن بعيد النشاط المعادى الذى ظل يقوم به هذا النفر من الأجانب بتلك المناطق والبقاع، وأخذنا نرصد تحركاتهم وأعمالهم فى صير شديد وسمة صدر ملحوظة متسامحين تارة ومحذرين فى كثير من الرفق واللين تارة أخرى، ولكنهم حسبوا التسامح ضعفاً، وظنوا التساهل تردداً واعتقدوا أن الحلم خوف ووجل، فلم يشوبوا إلى رشد هم، ولم يحتكموا إلى عقلهم حتى كادت أعمالهم التخريبية تؤدى بوحدة البلاد، وحتى كاد نشاطهم المعادى يقضى على مقومات النظام ويهدم أركان الاستقرار فى هذا البلد الذى أكرمهم وأعزهم، وفسح لهم المجال من غير قيد ولا شرط، وأتاح لهم من الإمكانيات والتسهيلات ما لا يخطر على بال، أو يرقى إليه تفكير أحد، إن أعمالهم المتسمة بالخروج الواضح على القانون، وإصرارهم على التحدى والتخريب، وهى السبب الذى اضطر الحكومة لمعالجة الأمور بما تستحق من حزم وشدة، بعد أن عجز التساهل واللين .

(١) The Catholic Church in the Sudan a Golden opportunity lost P.9

(٢) فى البيان (خوفاً ووجلاً) وهو خطأ لأنه خبران .

قد ثبت بالأدلة القاطعة أن هؤلاء الأجانب ظلوا يقومون بأعمال مناهضة للدولة ، ومخالفات لقوانينها ولوائحها ، هددتهم من ذلك حض المواطنين على التخريب ، وادفعهم إلى ذلك تقويض أسباب الاستقرار والنظام .

" وبودي يا سيدى الرئيس لو سمح لى المجال بسرد تفصيلى للحوادث الكثيرة والجرائم العديدة التى ثبت ارتكابها فى هذا الصدد بالأدلة الدامغة والبراهين الساطعة ، ولكن المجال وبكل أسف لا يسمح ، والوقت يضيق ، ولا كفى بالإشارة العابرة لحوادث قليلة ، وقليلة جداً ، على سبيل المثال فقط .

" فقد ثبت أن الأب (جون يريغلا) حرض بعض المواطنين وساعد هم على الهروب خارج حدود السودان بعد أن أدخل فى روعهم كذباً وإفكاً أن البلاد مقبلة على اضطرابات ، وأعمال عنف شديدة تؤدى بحياتهم وممتلكاتهم .

كذلك ثبت أن الكنيسة بمنطقة (رمو) تقوم بمساعدة الخارجين على القانون لاجتياز الحدود ، وثبت أن القس الكاثوليكي (أندرية تروكي) سكرتير أعمال الكنيسة الكاثوليكية ب(واو) يقوم بترحيل الأشخاص الذين يرغبون فى التسلل خارج الحدود بعربات الكنيسة من واو إلى بورو ، ومن هناك إلى ديم زبير حيث يقضى المتسللون ليلتهم داخل الكنيسة ، فيواصلون الرحلة فى اليوم التالى سيراً على الأقدام ، كما ثبت بما لا يدع مجالاً للشك بأن الكنيسة وعاملها يقومون بدور بارز كحلقة للاتصال بين رئاسة الخارجين على القانون خارج البلاد والمواطنين فى الداخل فينقلون الأخبار والمكاتبات ، وفى عواصم المديريات حرض القس طلاب المدارس على الإضراب^(١)

وخلاصة القول أن رد الفعل من طرد القس الأجانب كان عنيفاً فى خارج السودان وداخله حيث هاجمت وسائل الإعلام العالمية حكومة السودان واتهمتها بأنها عنصرية وتولى بابا الفاتيكان كبر هذه الحملة العدائية ، فحرك عملاءه فى جميع أنحاء العالم لمواجهة الحكومة السودانية .

(١) أذيع هذا البيان بتاريخ ١٩٦٤/٣/٤ ونشر بجريدة الثورة السودانية بتاريخ ١٩٦٤/٣/٥ وانظر الوثائق العربية ، وثيقة رقم ٥٢ ، وانظر الملحق رقم (٥) .

(٢) مشكلة جنوب السودان ، د . مسعودى ، ص ١٥٦

(٣) مشكلة جنوب السودان ، محمد عمر بشير ص ١٢٩

جاء في مجلة أفريقيا التي تصدر في لندن ما يأتي :

" إن الكاثوليك عمومًا وخاصة الذين ينتمون إلى كرسى فيرونا قد أطلقوا برءوسهم سياسيًا وجماهيريًا ، ومنذ زمن بعيد يرجع إلى أبريل من العام المنصرم اتهمت مجلة آباء فيرونسا عرب الشمال بالسعى للقضاء على الكنيسة باعتبارها رقبيا غير مرغوب فيه لمحاربة محاولة استرقاق الجسد والروح بين غير العرب الذين يبلغ عددهم أربعة ملايين ^(١) ، ووزع الآباء الكاثوليك منشورًا مناوئًا للحكومة جاء فيه : " ليس هناك أحد مهما علا شأنه ملكا كان أو امبراطورًا يمكنه إجبارنا على أن نسير في طريق يخالف تعاليم أبينا الذي في السموات أو يتجافى مع ضميرنا " ^(٢) .

وقال المنشور إن القانون قد أضى سلاحًا لكبح المسيحية وفرض الإسلام ^(٣) ، وهكذا نجحت الكنيسة بما لها من إمكانيات مادية أن تثير السخط عالميًا ومحليًا ضد الحكومة ، الأمر الذي أدى إلى ضعف موقفها أمام هذه الهجمات الشرسة حيث خرج الناس ينادون بسقوط الحكومة فأثر رئيسها التنحي عن أريكة الحكم حقًا للدماء ، وذلك في أكتوبر سنة ١٩٦٤ ، وتم تشكيل حكومة انتقالية برئاسة سر الختم الخليفة الذي لم تكن له تجربة سياسية ريثما يتم انتخاب حكومة جديدة قادرة على التفاوض مع التنظيمات الجنوبية التي أنشئت في فترة التمرد .

التنظيمات الجنوبية :

أنشأ المتمردون تنظيمات عدة أغلبها أنشئ خارج السودان ، من هذه التنظيمات رابطة المسيحيين السودانيين ، سكندرو SACDNU وهو اختصار له :
Sudan Africa Closed District National Union .

ومعناها : حزب السودان للمناطق الوطنية المغلقة ، وتم إنشاؤه في سنة ١٩٦٠ ^(٤) وتغير

اسمه إلى SANU سنة ١٩٦٣ ، وهو اختصار لـ Sudan Africa National Union

(١) مجلة أفريقيا ، عدد ٨ بتاريخ ١٧ / ٤ / ١٩٦٤ ، وانظر مشكلة جنوب السودان ، محمد عمر بشير ص ١٢٩

(٢) مجلة أفريقيا ، عدد ٨ بتاريخ ١٧ / ٤ / ١٩٦٤

(٣) مشكلة جنوب السودان ، محمد عمر بشير ص ١٢٧

(٤) مشكلة جنوب السودان ، د . مسعودي ص ١٥٧ . وهناك قول بأنه أنشئ عام ١٩٥٨ ، وانظر مشكلة جنوب السودان ، محمد عمر بشير ص ١٢٥

ومعناها الاتحاد الوطنى الأفريقى السودانى . وكان يرأسه جوزيف أد وهو وأمينه العام وليام دينق^(١) . ونقل سائو نشاطه إلى كمالا بعد زوال حكومة عبود وطالب الحكومة الانتقالية بالأتى :

١- إعلان العفو العام عن جميع اللاجئين الذين تركوا الجنوب فى أعقاب تمرد سنة ١٩٥٥

سواء الذين حوكموا بالفعل أو المطلوبون للمحاكمة .

٢- أن يظل العفو مفتوحاً غير محدد بأمدة ينتهى فيه .

٣- إلغاء قانون المناطق المقفلة ، وقانون الهيئات التبشيرية^(٢) .

٤- الموافقة على أن يكون نظام الحكم فدراليا .

٥- أن تخضع الإدارة المحلية والسياسية لحكومة إقليمية من أبناء الجنوب .

٦- أن يكون نائب رئيس الدولة المركزية جنوبياً .

٧- الاعتراف بالإنجليزية لغة رسمية للجنوب .

٨- إلغاء القيود المفروضة على المدارس الخاصة بالهيئات التبشيرية .

٩- تحويل مدرسة رمبيك الثانوية إلى جامعة .

١٠- تعيين جنوبيين بالخارجية .

١١- تنظيم الجيش بالجنوب وإسناد قيادته إلى جنوبيين^(٣) .

غير أن الحكومة الانتقالية لم تكن فى وضع يسمح لها بالبست فى هذه المطالب فاكفى

رئيسها بتوجيه نداء فى يوم ١٠ من ديسمبر سنة ١٩٦٤ دعا فيه إلى المصالحة ، وأن حكومته

إمعانا منها فى إظهار حسن النية تجاه مشكلة الجنوب ، قد وافقت على عرض المطالب التى

تقدم بها (سانو) على مؤتمر المائدة المستديرة المزمع عقده فى فبراير ١٩٦٥ م .

ولم تكن القيادة الجنوبية على وفاق حتى ترتفع إلى مستوى التفاوض ، فلقد كان حزب

سانو منقسماً إلى قسمين : داخلى ، وخارجى وفى خلال سنة ١٩٦٥ انقسم الجناح الخارجى كذلك

(١) وليام دينق من الذين فروا خارج السودان ، ومن أهم الأعضاء المؤسسين لحزب سانو فى الخارج ، وكان أولاً من دعاة الانفصال ، ولكن تخلص من هذه الفكرة بعد إعلان العفو العام بعد ثورة أكتوبر سنة ١٩٦٤ . نادى بقيام نظام فدرالى لتسوية مشكلة الجنوب وبعد إعلان نتائج الانتخابات بيومين اقتيل فى رومبيك فى ١٩٦٨/٥/٩ فى ظروف غامضة حيث وقعت سيارته فى كمين . ولم تعرف هوية القتل . واعتبر محمد أحمد محبوب فقد ه خسارة فادحة بالنسبة للسياسة الجنوبية . انظر الديمقراطية فى الميزان ص ٢٢٠ . وأقول : إن فقد ه خسارة بالنسبة للسياسة الشماليين كذلك حيث انضم حزبه إلى حزب الوحدة السودانى بقيادة سانتينو دينق وفلمون ماجوك . وهما الحزبان الكبيران بين أحزاب الجنوب اللذان يؤمنان بوحدة السودان ويؤيدانها ويدعوان لها . انظر ص ١٥٧ من مشكلة جنوب السودان ، محمد عمر بشير .

(٢) انظر المصدر السابق ص ٣٩

(٣) انظر مقال الاستاذ تموتى سى نابلو ، بمجلة السياسة الدولية ، العدد رقم ٤١ سنة ١٩٧٥

ص ١١٩ بعنوان (تجربة الحل السلمى) .

إلى قسمين قسم بقيادة جوزيف أد وهو أطلق على نفسه (جبهة تحرير ازانيا) والقسم الآخر بقيادة أفري جادين تحت اسم (جبهة تحرير السودان الأفريقي) ^(١) ثم توحد الجناحان مرة أخرى .

وهناك تنظيم (الأنانيا) ^(٢) في الغابة بقية جوزيف لا فو ^(٣) الذي لم ينضو تحت قيادة الأزانيا من الخارج ولما عاد قائد الأزانيا من الخارج ليعمل في الداخل من الغابة اعتقله قائد الأنانيا لأنها انتهكت أراضيه ،

وبعد عام اعتقل قائد الأنانيا كذلك أزيوني مديري الذي كان يشغل منصب وزير دفاع الأزانيا ، بل حتى الأنانيا نفسها لم تكن تملك إمكانية التفاوض بدون الرجوع إلى مسعى الحرب الحقيقيين ، وهذا يوضح صعوبة إجراء المفاوضات بين الحكومة المركزية وأطراف النزاع وإذا تمت المفاوضات فإمكانية نجاحها ضعيفة بغير حضور الطرف المؤثر الحقيقي ، وهو مجلس الكنائس العالمي وبالفعل تأخر انعقاد المؤتمر إلى منتصف مارس سنة ١٩٦٥ وحضره ممثلو الجنوبيين ، من حزب سانو ، وجبهة الجنوب ، وحزب الوحدة مع أحزاب الشمال بيد أن المؤتمر لم يتوصل إلى حل للمشكلة فاكفى بتكوين لجنة من جميع الأحزاب سميت لجنة الإثنى عشر لتواصل النقاش في المسألة الدستورية على أن تعرض إنجازها على مؤتمر مائدة مستديرة آخر يعقد في غضون ثلاثة أشهر من تاريخ المؤتمر الأول .

وعزا المراقبون إخفاق المؤتمر لأسباب عدة منها

١- أن المفاوضات استبعدت العناصر التي كانت تسعر المقاومة ضد الحكومة المركزية ، (فالأنانيا) لم توجه لها الدعوة لحضور المؤتمر ، ولم تبد من جانبها اهتماما للمشاركة فيه . ^(٤)

٢- تنافس الأحزاب الجنوبية فيما بينها على القيادة جعل من الصعب الاتفاق فيما بينها على رأى ، لأن أى تنازل من طرف يستغله الطرف الآخر على أنه نقطة ضعف أمام الشمال .

(١) انظر المصدر السابق والصفحة

(٢) الأنانيا : شعبان قاتل استعير اسمه للترهيب

(٣) جوزيف لا فو تخرج في الكلية الحربية بالخرطوم ، وعمل بالجيش السوداني ، ثم هرب إلى الخارج وترزع حركة الأنانيا ، وظل متمرداً حتى عاد بعد اتفاقية أديس أبابا سنة ١٩٧٢ فصار نائباً لرئيس الجمهورية .

(٤) انظر مشكلة جنوب السودان ، د . المسعودى ص ١٧٢

ولكن فى الواقع أن ما ذكر ليس هو السبب الحقيقى فى عدم نجاح المؤتمر، لأن كلا من حزب سانو وجبهة الجنوب يزعم أن الأنانيا خاضعة لسلطانه أو يدعى أنه وثيق الصلة برجالها غير أن الجميع خاضع لنفوذ الكنيسة والقوى الاستعمارية التى صنعت المشكلة وتقف خلف رجالها تحمىهم بالرأى والمال والسلاح .

هذه القوى هى التى أسهمت حقيقة فى عدم نجاح المؤتمر لأنها ضد الاستقرار ، فسعت بالدس بين صفوف الجنوبيين تقوى الشك فى نفوسهم تجاه الشمال فمن صالحها بقاء الحال على ما هو عليه واستمرار الصراع حتى تمكن سلطانتها فى الإقليم ، وكذلك عند ما تنحت حكومة سر الختم وجاءت الحكومة القومية برئاسة محمد أحمد محجوب سنة ١٩٦٥ ، وقام بجولة فى الدول المجاورة ليضمن وقوف رؤسائها إلى جانبه وعدم مساعدة المتمردين لكى ينحصر التمرد فى الأدغال نصحه الرئيس (موبوتو) ببدء حوار مع البابا بولس السادس قائلاً : " إننى أعتقد أن معظم الثوار فى جنوب السودان كاثوليك مثلى ، وأن الكنيسة الكاثوليكية أقوى على الأرض من الله - كبرت كلمة تخرج من فيه ما قال إلا كذبا - فيجب عليك أن تكون حريصا " . ثم عرض أن يستخدم مساعيه الحميدة بالنيابة العامة مع البابا وعمل محجوب بنصيحته وبدأ حواراً مع الكرسي الرسولى بواسطة سفارتي السودان فى لندن وروما ، وتلقى اقتراحاً بقبول كهنة أفارقة وعرب ريثما يتم إعداد كهنة من جنوب السودان وفى المقابل وعد بأن يوجه نداءً إلى اللاجئيين والثوار بالقاء السلاح لكى تعود الأحوال الطبيعية للسودان .^(٢)

وبعد فترة وجيزة من تسلم الصادق المهدي للسلطة سنة ١٩٦٦ تقدمت حكومته بدعوة إلى مجلس كنائس عموم أفريقيا وهو عضو فى مجلس الكنائس العالمى لإرسال وفد لزيارة السودان لمراقبة الوضع الذى أدى إلى عدم الاستقرار ، وقد كان مجلس كنائس عموم أفريقيا يتقرب هذه الدعوة ولكن حكومة المحجوب لم ترحب بالفكرة ، وبالفعل زار السودان وفد المكون من أربعة أشخاص ، فاستقبلته الحكومة بحفاوة ، واجتمع برئيسها وبعض أعضائها ، وزار مدن الجنوب

(١) انظر مشكلة جنوب السودان ، د . مسعودى ص ١٢٢

(٢) انظر الديمقراطية فى الميزان ص ٢١٧

(٣) انظر تجربة الحل السلمى ص ١١٧

الرئيسية ، وكتب تقريراً وصف فيه الصادق المهدي بأنه شخصية تقدمية ، ولم يستمر الصادق طويلاً حيث أطيح بحكومته ورجع المحجوب مرة أخرى فعادت الأمور إلى ما كانت عليه من قبل واستغلت الأنانيا فترة الهدوء الذي سار الموقف بعد أكتوبر فنظمت صفوفها ، وحصلت على أسلحة من بقايا حرب الكفؤ الأهلية وساندتها الإرساليات بالمؤن الحربية والغذائية فاستأنفت القتال بضراوة ، ومن ثم انعدم الجو الملائم للتفاوض ، ولعل هذا كان عملاً مقصوداً^(١).

وجاء النميري :

وجاء النميري فأعلن بعد اسبوعين من تسلمه السلطة أن سياسته نحو الجنوب تتحل في منحه الأولوية في التنمية مع الاحتفاظ بثقافته وتقاليد ، وأوضح البيان الذي أذاعه ، أنه لا مجال للتساؤل حول فرض ثقافة عربية أو إسلامية على الجنوب ، وعين وزيراً جنوبياً مختصاً بشئون الجنوب وهو (جوزيف قرنق) الذي قام برفقه وزير الأشغال (أبيل أليز) وهو جنوبي كذلك بزيارة ليوغندا ، وقابلا عدداً من قادة التمرد لإقناعهم بالتفاوض مع الحكومة الجديدة للتوصل إلى حل سلمي للمشكلة ، ولكن باءت مساعيها بالفشل لعدم ارتباط وزير شئون الجنوب بإيدولوجيات الأنانيا وجماعتها لأن وزير شئون الجنوب كان عضواً بارزاً في الحزب الشيوعي السوداني ، بالإضافة إلى أن المتمردين كانوا اشتاتاً متفرقة ، وليس من السهل التفاوض معهم كما أشرنا آنفاً .

إسرائيل والأنانيا الوطنية :

لقد حاولت منظمة الأنانيا الحصول على أسلحة من إسرائيل ولكنها لم تحصل عليها إلا في سبتمبر سنة ١٩٦٩ ، وذلك عندما أرادت إسرائيل أن تشل حكومة نميري عن الاشتراك مع دول المواجهة^(٢) وجندت لذلك جوزيف لاقو الذي شق عصا الطاعة وخرج

(١) انظر تجربة الحل السلمي ، ص ١٢٣

(٢) المصدر السابق ص ١٢٣

(٣) انظر السودان في النفق المظلم ، د . منصور خالد ، ص ٧٩

(٤) انظر مشكلة جنوب السودان ، محمد عمر بشير ص ١٩٣ ، وتجربة الحل السلمي ص ١٢١

على قائده (اميليو تافينق) وكون ما أسماه بالأنيانيا الوطنية، وزار إسرائيل مرتين وحصل على إمدادات هائلة من الأسلحة التي كانت تصله بمعدل حملتين جويتين في الشهر^(١) فتمكن لا قوبخبرته العسكرية وأسلحته الإسرائيلية من فرض نفوذه على الأجنحة الأخرى^(٢) فأصبح قائد الأنيانيا بلا منازع،^(٣) الأمر الذي أهله لدخول المفاوضات مع الحكومة.

(١) تجربة الحل السلمي ، ص ١٢١ نقلا عن الاوزيرفر لندن بتاريخ ١٩٧١/٣/٧ م

(٢) وهي تسعة أجنحة ، انظر مشكلة جنوب السودان ، د . سعودي ص ١٩٢

(٣) تجربة الحل السلمي ص ١٢١

المبحث الخامس

اتفاقية أديس أبابا

لقد سبق الاتفاق النهائي تمهيدات فردية عبر مجلس الكنائس العالمي في مايو سنة ١٩٧١، كما جرت مفاوضات مع المتمردين في لندن أسهمت فيها باربراهاك ، ومحمد عمر بشير ، وعابدين إسماعيل الذي كان سفيراً للسودان بلندن ، وكان كذلك عضواً في الحزب الشيوعي ، وفي نفس العام اختلف الشيوعيون والنميري ، وأداروا عليه انقلاباً فاشلاً فدارت عليهم الدوائر ، وكان وزير شئون الجنوب ضمن أعضاء الحزب الشيوعي الذين أعدوا وفي خلال انعقاد مجلس الكنائس العالمي بأديس أبابا في يناير سنة ١٩٧١م للتباحث في كيفية إرسال مساعدات للمتضررين بالصراع ، وصلت دعوة من الحكومة السودانية تطلب إرسال وفد من مجلس الكنائس العالمي ومؤتمر عموم كنائس أفريقيا لزيارة السودان للاطلاع على جهود الحكومة لإعادة الأوضاع الطبيعية إلى الجنوب ، وكان مجلس الكنائس على صلة وثيقة بجنوب السودان^(٢) مما دعا الوفد لاستماع وجهات نظر بعض المؤثرين في الأنباريا وذلك قبل سفره إلى الخرطوم وفي يومى السابع والثامن من مايو قسام بزيارة العاصمة اليوغندية وكيبالا حيث اجتمع بلجنة كيبالا وهي مكونة من رجال كنائس سودانيين ، وبعض رجال الكنائس غير السودانيين ، وبعض المحاضرين الأجانب بجامعة مكبرى^(٣) ، وهي اللجان المختصة بإيصال المساعدات للأنباريا ، كما كانت تقوم بالنواحي الإعلامية لهم ، ولقد حضر الاجتماع المشترك بين المجلسين جوزيف لاقو الذي انتخب للتفاوض عنه ماديلى دى قرنى ولورنس وول ، وتكفلت الكنائس بتسيير نقلهم لاقاع زملائهم في العواصم الغربية ، وزودهم لاقو بخطابات تدل على التفويض ، وبعد محادثات الوفد في الخرطوم أحس المجلسان الكسيان بالثقة من أن حكومة السودان أصبحت مهيئة لدخول المفاوضات ، وعقد مندوب مؤتمر كنائس عموم أفريقيا (كاون بيرجس كار) اجتماعاً في كيبالا مع ثلاثة من قادة المتمردين وبعد أن تيقن مجلس الكنائس العالمي ، ومؤتمر كنائس عموم أفريقيا من استعداد المتمردين للتفاوض طار الوفد إلى العاصمة السودانية للتفاوض في الإطار العام الذي تم الاتفاق عليه

(١) السودان والنفاق المظلم ، ص ٧٩

(٢) انظر تجربة الحل السلمي ص ١٢٤

(٣) كان من أبرز هؤلاء الدكتور استورد ماكاى الكندى الذى يعمل بشعبة اللغة الإنجليزية

ورفع تقريراً بنتائج مباحثاته مع قادة التمرد ، ومن ثم رأت الحكومة ضرورة البدء في إجراء محادثات تمهيدية ، وطلبت من المجلسين الكسبيين تنظيم اجتماع يضم ممثلي الحكومة والتمرديين في أسرع وقت ممكن ، وحددت أدريس أبابا مقررًا للتفاوض واشترط لا قو حضور المجلسين الكسبيين اللذين حضرا المحادثات التمهيدية كمراقبين ، ولكنهما في أثناء المؤتمر برهننا على أنهما أساس التفاوض ^(١) ، والتقى الطرفان - إن صح هذا التعبير ^(٢) - في الخامس عشر من فبراير سنة ١٩٧٢ على مائدة المفاوضات في أكبر معقل للصهيونية في أفريقيا تحت رعاية (هيلاسلاسى) الذى صنعه الصهيونية العالمية والاستعمار ، ونصب امبراطوراً على دولة يكون المسلمون غالبية سكانها حيث يصلون ٦٥٪ من السكان ^(٣) ويمكن كذلك من فرض نفوذه على ارتريا المسلمة ، أضف إلى ذلك أن وفد الحكومة نفسه كان برئاسة نصرانى هو (أبيل أليز) ومسلمين بشهادات الميلاد كنصور خالد الذى برهنت كتاباته وأعماله على ولائه للنصارى ، وعدائه للإسلام والمسلمين فهو يستحسن عمل النميرى عندما يكون فى خدمة النصرانية والنصارى ، ويستهنه عندما يشتم فيه رائحة الاسلام ^(٤) . أما جوزيف لا قو فقد اختار وفده من أكثر العناصر حقداً على الشمال برئاسة أزبونى منديرى من أوائل المنادين بالانفصال واستمرت المفاوضات من الخامس عشر والسابع والعشرين من فبراير سنة ١٩٧٢ ولم يكن فى الإمكان معرفة مدار فى المؤتمر

(١) انظر تجربة الحل السلمى ص ١٢٨

(٢) لغياب من يمثل الإسلام الحقيقى

(٣) انظر المهندس فتحى غيث ، الاسلام والحبشة عبر التاريخ ، ص ٣٤٧/٣٤٩ ، شركة الطباعة الفنية المتحدة ، بدون تاريخ .

(٤) يقول منصور خالد : (وفى عاصمة الاقليم الجديد شارك النميرى فى قداس للسلام أقسم بكنة رافيسة المدينة ، كما حضر فى نفس الوقت مراسم زفاف أحد القادة السياسيين الجنوبيين ، وكان لوجود قائد شمالي مسلم فى مكان عبادة مسيحي فى قلب الجنوب أثر عميق على الناس هناك ، والحادث ليس بالبساطة التى يراها بها البعض ، ومن عجائب أمور هذه الدنيا أن يكون نميرى هذا هو نفس الرجل الذى يعود بعد عشرة أعوام ليفرض على الجنوبيين مسيحيين ووثنيين على السواء قوانين الشريعة الإسلامية لا ليقم بها العدالة الاجتماعية وينشر بها التراحم ، وإنما ليحد القساوسة جلسداً لشربهم دم المسيح ! ويقطع بها يد الهنقى الجنوبي السارق .

- ويزعم منصور خالد - أن أغلب من طبق عليهم حد السرقة فى الخرطوم - الجنوبيين العاطلين فى طرقات الخرطوم - من كتاب منصور خالد فى السودان والنفاق المظلم ص ٨٤

لأن النقب لم يكشف عما دار في الاجتماع، ولكن أشارت تقارير غير رسمية إلى دور هيلاسلاسي والمنظمات الكنسية في حسم الخلاف عند مايتور، وفي السابع والعشرين من مارس سنة ١٩٧٢ وقعت الاتفاقية النهائية التي كانت تتويجاً للجهود الكنسية في أفريقيا عامة وفي السودان بخاصة حيث جعلت من المتمردين الندد القوي الذي فرض هيمنته على الحكومة، وأعطى عليها شروطه بتحديد مكان الاجتماع ونوعية العناصر المشاركة فيه مما أهل الكنيسة لفرض هيمنتها لا على الجنوب فحسب بل على الشمال نفسه حيث ضمنت هذه الاتفاقية نفسى دستور جمهورية السودان سنة ١٩٧٣ وصارت جزءاً منه ورفض مجيزوه أن يكون دين الدولة الرسمى هو الاسلام^(١) وهو أمر لم يجرؤ الانجليز المستعمرون على محوه، مما جعل الكنيسة الكاثوليكية تكتب معلقة على هذا الانتصار ما يلى :

* اتفاقية أديس أبابا عالجت الأمور السياسية والإدارية التي تهم المديرىات الجنوبية، ولطرح التخوف المفروض، فإن البند السابع نص على أن العربية لغة السودان الرسمية والانجليزية لغة الجنوب الرسمية... ثم دمج الاتفاق فى دستور جمهورية السودان الذى ضمن حرية الأديان، إسلامى، مسيحى، وثنى، والأهم من الضمانات المكتوبة^(٢)، فإن التنفيذ فى الجنوب قد وضع فى أيدي الإداريين الجنوبيين، وكلهم تقريباً مسيحيون تلقوا تعليمهم فى الإرساليات، ولم يعد فتح المدارس الكنسية والمستشفيات ونقط الغيار أو صيانة المباني، وتكوين الجمعيات الدينية وتنقل القس إلى أماكن نائية، وتنصير المناطق البكر، لم يعد كل ذلك يحتاج لطلب كما رحبت حكومة الاقليم بمبادرة الكنيسة التي أتت بالتقدم المادى والأخلاقي^(٣) !

ومن المعلوم أن المنظمات الكنسية ظلت تؤثر فى إدارة شؤون الاقليم منذ عهد الاستعمار وبعد قيام ماسى بالحكومات الوطنية، وتسوم مسلمى الاقليم سوء العذاب على الرغم من أن عدد هم يفوق عدد المسيحيين بشقيهم الكاثوليك والبروتستانت لاستضعاف المسلمين وعدم النصير من الداخل والخارج وزادت حالهم سوءاً بعد أن اكتسبت الكنيسة سلطة شرعية هيمنت بها على الاقليم باتفاقية أديس أبابا .

(١) انظر السودان والنفق المظلم ص ٨٦

(٢) كلمة (المكتوبة) التي وردت فى تقرير الكاثوليكية تدل على أن هناك ضمانات غير (مكتوبة) فى الاتفاقية التي نشرت على الناس، وهذا يحوئد الذين ذهبوا إلى أن الاتفاقية حوت بنوداً سرية ولقد أنكر هذا بعض أعضاء المؤتمر .

انظر السودان والنفق المظلم ص ٨٨

أثر الاتفاقية على الشمال :

لم يكن أثر اتفاقية أديس أبابا مقصوراً على الجنوب ، بل تعداه إلى الشمال حيث استغلت المنظمات الكنسية محلياً وعالمياً ضعف الحكومة السودانية فمهدت لقيام علاقات دبلوماسية بين السودان والفاتيكان^(١) ، ومن المعلوم أن الفاتيكان يخطط لازالة الإسلام من أفريقيا مع نهاية القرن العشرين ، والبابا نفسه ينتقل بين أقطار شتى ليطمئن إلى سى نجاح الخطة المرسومة ويزيد ها ضراوة^(٢) ونشرت أخبار اللجنة كذلك قيام البابا بزيارة لعدد من الدول الأفريقية ونشرت بعض الصحف تصريحات لمساعديه ذكروا فيها أن الهدف من الزيارة ، وقف المد الإسلامي في أفريقيا ، ولقد افتتح البابا أكبر كنيسة في العالم بعد الفاتيكان في ساحل العاج ، انشئت في أهم المواقع في العاصمة (أبيدجان) علماً بأن الكاثوليك حسب الإحصاءات الرسمية ١٣٪ والمسلمين ٣٥٪ من السكان ، ومن المعلوم أن الإحصاءات في أكثر الدول الأفريقية تضخم عدد المسيحيين وتنقص عدد المسلمين ، حيث تبلغ النسبة الحقيقية للمسلمين حسب إحصاءات اللجنة ٦٠٪ ، ولقد بلغت تكاليف هذه الكنيسة مائتي مليون دولار أمريكي^(٣) .

ولهذا يهيم من يظن أن الحرب الدائرة اليوم في جنوب السودان حرب عنصرية بين عرب وأفارقة ، وإنما هي حرب بين النصرانية والإسلام على أرض السودان^(٤) .

وعلى الرغم من أن الحكومة أعطت الدنية في دينها إلا أنه لم يحصل استقرار في الجنوب ، فقد تجددت الحرب بعد سنتين فقط من الاتفاقية ، وذلك في سنة ١٩٧٤ ثم تفاقت سنة ١٩٧٦ ، وفي سنة ١٩٨٠ نشب صراع بين جوزيف لاقو قائد الاقليم ، وكلمنست أمبورو رئيس مجلس النواب الاقليمي حول موضوع تقسيم الاقليم لأن سكان الاستوائية ، ومعظمهم من القبائل الصغيرة شعروا بطغيان قبيلة الدينكا واحتوائها للاقليم بحكم كافتها العددية الأمر الذي اضطر النيمري إلى إصدار أمر بعودة الاقليم إلى ما كان عليه قبل الاتفاق^(٥) .

-
- (١) انظر ص ١٢١ من هذا البحث .
(٢) انظر الشيخ محمد الغزالي ، هموم داعية ، ص ٥١ ، وانظر أخبار اللجنة ، نشرة لجنة سلسى أفريقيا بتاريخ ربيع الآخر سنة ١٤٠٦ يناير ١٩٨٦ ، الصفحة ، الكويت .
(٣) انظر أخبار اللجنة بنفس التاريخ أعلاه
(٤) *Economist* 45/2 / 1987
(٥) انظر تجربة الحل السلسى ص ١٢٩
(٦) السودان والنفاق العظيم ص ٣٧٦

فشارت الكائنات وأجبت نار التمرد لأن قرار التقسيم تهدد لاستراتيجيتها التي ترمى من ورائها إلى جعل الإقليم وحدة تلوى بها ذراع الحكومة المركزية لتنفيذ أهدافها كما أن إعلان النميري بأن السودان سيكون بعد اكتشاف النفط سلة لفضاء العالم أمر أزعج الأمريكيين الذين رأوا في الإعلان تحدياً لهم ومنافسة في أقوى سلاح يهددون به أقوى أعدائهم الاتحاد السوفيتي، وهو القمح، فجن جنونهم فحركوا عملاءهم بقيادة جون قرنق دي مابور^(٢) الذي كان يخطط لفصل الجنوب عن الشمال، وكان من بنود اتفاقية أديس أبابا استيعاب الأنبياء البالغ عددهم أربعة عشر ألفاً في الجيش السوداني، وأن يكون ثلثا جيش الإقليم الجنوبي منهم على أن يظل الثلث الباقي من الشماليين، وحتى هذا الثلث لم يتوفر لأسباب عدة أهمها اضطراب الأحوال على أيدي المنصرين والتمردين ففكرت الحكومة المركزية أن تحد من هذا الاضطراب بتحريك بعض الوحدات الجنوبية لتحل محلها وحدات شمالية ليحصل التوازن، وبالفعل استجابت الوحدات فشعر جون قرنق أن مخططه سينهار إذا حركت الوحدات الجنوبية شمالاً فسارع إلى أخذ عطلة

(١) انظر مقال عقيد أ. ح. على حاج الطاهر الذي نشرته جريدة الصحافة السودانية عدد ٨٣١٢ بتاريخ ٨ من رجب ١٤٠٦ هـ الموافق ١٧ من مارس ١٩٨٦ م

(٢) جون قرنق يشحدر من قبيلة الدينكا ويبلغ من العمر حوالي ٤٠ سنة، درس سبع سنوات بإسرائيل، وخمس سنوات بأمريكا. (مقال عقيد أ. ح. على حاج الطاهر السابق)

حصل على البكالوريوس من كلية قرينل Grinnel بولاية Lowa بأمريكا سنة ١٩٦٩، ومنح إحدى جوائز توماس جيبى للمصداقة ذات الشهرة العالمية يزعم مساعدته للاجئين، وفي سنة ١٩٧٥ ابتعث من القوات المسلحة السودانية إلى فورت بيتين في جورجيا، ثم عاد مرة أخرى إلى أمريكا في نهاية السبعينيات ليحصل على درجة الماجستير ثم الدكتوراة سنة ١٩٨١ من جامعة ولاية لوا، وظل يشغل رتبة عقيد في الجيش السوداني حتى تمرد في مايو سنة ١٩٨٣

السوية وسافر إلى الجنوب بحجة قضاء أجازته بمسقط رأسه (بور) فألب حاميتها فتمردت في مايو سنة ١٩٨٣ وظل قائد الاقليم الجنوبي ينتظر أوامر الخرطوم التي جاءت متأخرة بضرب القوات المتمردة، ولم تكن الضربة حاسمة فتمكن كثير منهم من الفرار إلى الحبشة ورفعوا شعار فصل الجنوب عن الشمال^(١)، وعند ما أعلن النمرى قانون العقوبات الاسلامي في سبتمبر سنة ١٩٨٣ الذي ألغى بموجبه قانون العقوبات الوضعي لسنة ١٩٧٤ وقانون محاربة البغاء لسنة ١٩٧٦^(٢)، وكونت محاكم سميت بمحاكم العدالة الناجزة، وأقيمت الحدود الإسلامية بواسطة قضاة مؤهلين كان ذلك بداية عهد جديد للاستقرار بعد خمس عشرة سنة تخط فيها النظام بين الشرق والغرب، الأمر الذي أفرغ أعداء الله في داخل السودان وخارجه ففي الداخل وجه راعي الكنيسة الكاثوليكية رسالة^(٣) إلى النصارى طفحت بالحق والتحريرى نذكر منها شواهد تدل على هذا الحق والتحريرى يقول: "... نحن لدينا الكفاية والقوة التي تمكنا من العيش عيشة صالحة"^(٤) (أما القانون الذي ينظم أشد العقوبة كرادع يمنع المواطنين من ارتكاب الجريمة هو مبادئ المبادئ المسيحية)^(٥) وحتى ان نجحت السلطة بدفع الناس بهذه الوسائل فهذا سيكون معارضا لكرامتهم كمخلوقات مزودة بالعقل وتطبيق عقوبة رادعة كقطع اليد، فبذلك يكون قد حكمنا على الفقراء كسب معيشتهم بطريقة غير لائقة وكرامة الجنس البشرى^(٦) (نحن نعترض على الطررق الأخرى من العقوبة لأنها تجرد الطبيعة البشرية من الإنسانية مثل جلد النساء، وبمعنى العقوبات مثل الإعدام لا تتناسب وجسامة الجرم في بعض الأحوال، فعقوبة الإعدام يجب ألا تطبق إلا في الحالات القصوى؟!

"... ان الحياة البشرية قيمة لأنها تنحدر من عند الله . فمن حق المجرم أن يعطى الفرصة ليندم ويصلح حياته . " إذا طبقت العقوبة الجسدية علناً أمام الجمهور ستص أيضاً

(١) انظر مقال عقيداً ح على حاج الظاهر المشار اليه . والجدير بالذكر أنني عاصرت هذه الأحداث عند ما كنت أتجول بين مدن الاقليم في رحلة ميدانية .

(٢) انظر ملحق التشريع الخاص للجريدة الرسمية لجمهورية السودان الديمقراطية رقم ١٣٢٠ بتاريخ ١٩٨٣/٩/٩ ملحق رقم ٥

(٣) ، (٤) ، (٥) جبرائيل زيمير واكو راعي الكنيسة الكاثوليكية ، من رسالته التي وجهها إلى النصارى يهاجم فيها القوانين الإسلامية ، ويحثهم على معارضةها .

(٦) العبارة ركيكة لكسبها هكذا وردت في المقال .

(٧) نفس المصدر ص ٩

مشاعر الإنسان الأدبية والبشرية، أن المواطنين يجب ألا يعتادوا على الاستمتاع بآلام الآخرين مهما كان ذلك الطرف مستحقا للعقاب، وأننى أحثكم جميعا على الابتعاد عن الأماكن التى يتم فيها تنفيذ العقوبات الجسدية^(١)

* ومع ذلك يجب على المسيحيين أن يحتجوا ويهتفوا عن عدم رضاهم، إذا ما كان تطبيق القوانين الإسلامية يجبرهم إلى كبت المسيحيين أو الحد من حرية عبادتهم وحرمانهم من ممارسة شعائرتهم الدينية على الصعيدين الخاص والعام. وحرية نشر دينهم، ويجب على المسيحي أن يحتج دون خوف إذا كانت مسيحيتة هى العائق المباشر لحرمانه من فرص العمل... الخ^(٢)

فكانت رسالة المطران فى جملتها تطفح بالحق والتحرير لمقاومة القوانين الإسلامية هذا فى الداخل، أما فى الخارج فقد تضافر الغرب الصليبي مع الشرق الملحد، ولم يجمع بينهما إلا الحق على المسلمين وكراهية الإسلام، فلقد آزر السوفيت وكوبا واليمن حركة التمرد بجنوب السودان من منطلق الحفاظ على النظام الحبشى الماركسى لىستقر، ويبقى ليكون نموذجا يحتذى فى القارة الأفريقية، ولا يتم له ذلك مع اشعال الارتبين الحرب ضده بدعم الحكومة السودانية^(٣)، هكذا برر الشيوعيون وقوفهم بجانب المتمردين، وقاتلوا تحت قيادة جنود قرقنق العميل الغربى الصليبي، واستعملت فى هذه الحرب مدافع ذات مدى بعيد من داخل الأراضى الحبشية ضد الجيش السودانى كما استعملت طائرات لنقل العتاد والمؤن والجنود المرتزقة الذين بالغ الإعلام المأجور فى تضخيم عدد هم وعتادهم، فقد رعد هم بأربعين ألف مقاتل، وهى نسبة تقرب من عدد الجيش السودانى^(٤)، ولولا اتفاقية الدفاع المشترك المبرمة بين السودان ومصر لدخل الأحباش المعركة بثقلهم للضعف الذى ألحقه الرئيس نيمرى بالقوات المسلحة السودانية بإزاحة القيادات الحقيقية بغية بقائه فى الحكم، فطالب قرقنق بإلغائها ضمن الشروط المقدمة للتفاوض مع الحكومة ليركع السودان بواسطة

(١) نفس المصدر ص ١٠

(٢) المصدر السابق ص ١٢

(٣) انظر مقال العقيد أ. ح على حاج الطاهر السابق.

(٤) الاستاذ احمد الحسن أحمد، مقال بعنوان (المؤامرة الدولية على السودان) نشر بجريدة الصحافة السودانية عدد رقم ٨٣١١ بتاريخ ٦ من رجب ١٤٠٦ هـ.

الأحباش تحت قدميه أما سبب وقوف الشيوعيين وأعاونهم مع قرنق في هذه الخيانة فراجع إلى عجزهم عن بلوغ مرامهم في إلقاء القوانين الإسلامية بعد الإطاحة بالرئيس نيمرى ، وهو ما أطلقوا عليه تصفية آثار مايو، وقوانين سبتمبر وجمعوا لذلك عملاء الشرق والغرب تحت راية ما أسموه بالتجمع الوطنى ، وباءت كل مخططاتهم بالفشل ولذلك علقوا أملهم على نجاح جون قرنق ، هذا ما كان من الشرق .

أما الحرب فقد تباطأت الولايات المتحدة الأمريكية في الوفاء بالتزاماتها العسكرية للسودان بل تنصلت من تسليم السودان طائرات كانت قد التزمت بها قبل حركة تمرد قرنق ، واحتجت لتصلها من التسليم بأن ذلك النوع من الطائرات قد صرف النظر عن إنتاجه في الوقت الحاضر، بل احتجرت طائرات سودانية كانت قد أرسلت للصيانة فلم تسلمها فى المدة المحددة لتسليمها واعتذرت بلباقة عن تسليم الأسلحة التى كانت قد وعدت بتسليمها فذكرت لذلك حججا متنوعة إلى أن ظهر جليا أن الحكومة الأمريكية عاجزة عن الوفاء بسبب ضغط الكونجرس الأمريكى الذى تذرع بأن القوات السودانية سوف تستخدم الأسلحة ضد المسيحيين بجنوب السودان ، وما يقال عن أمريكا زعيمة الغرب كله يقال عن بقية الدول الغربية وفى مقدمتها بريطانيا التى رفضت صيانة الطائرات كما رفضت الوفاء بأى التزام حول التسليح وقد تملصت بذات الحجج ، وأبرزها أن البرلمان البريطانى يرفض هذه القوات المسلحة السودانية بالأسلحة لأنها ستستخدم ضد المسيحيين فى الجنوب، بل إن فرنسا تساعد المتمردين لئلا يد مروا حافراتها لقناة جنقلى^(١) ، ومن هذه الدول المذكورة ودول عربية أخرى ، وإسرائيل ، تنهمر المساعدات للمتمردين عبر مجلس الكنائس العالمى والهيئات الكسبية ، ومن الشرق تصل بواسطة الحكومة الحبشية .

وعندما ذهب رئيس حكومة السودان الانتقالية إلى ليبيا ووضح أبعاد المؤامرة العالمية على السودان ، وتغهم المسئولون فى الحكومة الليبية الموقف ، وقد موا مساعدتهم للجيش

(١) المرجع السابق .

السوداني لفك حصار (رمبيك) وأوقفوا معونتهم للمتمردين جون قرنق بعد اقتناعهم أن الجبر لدعته قد زال بزوال الرئيس السوداني السابق، غاظ هذا الموقف أمريكا وحرضها لتحرك ضد ليبيا فبدأت مناوراتها العسكرية بخليج (سرت) تهددًا للليبيا لتحجيم دورها الخارجي بصفة عامة، ولوقوفها بجانب السودان بصفة خاصة، وذكر معلق بارز في الشؤون الدولية أن ضربة خليج (سرت) هي رد فعل أمريكي على دور القذافي في قصم ظهر جون قرنق في رمبيك إذ أن السودان قد أفلت من العقال الذي أرادت أمريكا ربطه به، حتى يرهن نفسه لها باعتبارها الحليف الوحيد القادر على دعمه عسكريا واقتصاديا.^(١)

فهل تنبه المسلمون إلى ما تكهنة الكفر من حقد لاستئصالهم، وأن الحروب التي شنت عليهم منذ أن قضوا على دولتي الروم والفرس لم تنته بعد ولن تنتهي ما دام للباطل اتباع وللحق جنود، غاية ما في الأمر أن وسائلها تتعدد ولكن هدفها واحد، فتارة تأتي باسم الحروب الصليبية، وتارة تأتي في شكل جحافل تنصيرية ترتدي ثوب السحر والاحسان في مسح الرهبان وصدورهم تغلى حقدًا على الإسلام والمسلمين، وما يدور الآن بجنوب السودان وفي كثير من أجزاء العالم الإسلامي امتداد لهذه الحروب الصليبية وليس من المؤمل أن تنتهي في القريب العاجل، ولكن من المؤكد الموعود به من الله سبحانه أن الحق سينتصر وأن الباطل سيندحر عند ما تكمل وسائل النصر التي أمر الله سبحانه باتخاذها في قوله تعالى:

(وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) وقوله تعالى:

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَلِيُمَكِّنَ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا)^(٣)

(١) انظر صحيفة الراية، عدد ٩٢ بتاريخ ٢٠ من رجب سنة ١٤٠٦ هـ الموافق ٣٠ من مارس

١٩٨٦

(٢) سورة الانفال الآية ٦٠

(٣) سورة النور الآية ٥٥

المبحث السادس فشل النصرانية في جنوب السودان

لقد اعترف حكام النصارى وكتابهم أن النصرانية لم تكن نعمة على الجنوب، وإنما كانت نقمة، نشرت الفساد بدل الصلاح وعند ما تولى الكولونيل جاكسون أعمال الحاكم العام في غيابه عارض نشاط النصارى في الجنوب، وكان رأيه أن النصرانية ستحطم شخصية الجنوبي فقال :
(إن الجنوبي عند ما يعتنق المسيحية يتحول إلى متسكع وغد كذاب في حين أنهم الآن سعداء راضون بواقعهم شرفاء لا يعرفون الرذيلة ولكن ما إن تدخل الإرساليات النصرانية بلادهم حتى تختفى هذه القيم من حياتهم)^(١)

وجاء مصداق ذلك في تقرير الكييسة نفسها فقال التقرير:

(كثير من المسيحيين يمارسون الوثنية خاصة السحر وتعدد الزوجات^(٢) وهناك عصابات شيطانية تحول دون نمو مجتمع نصراني سليم ومنها :

- إدمان الخمر واستغلال كرم الضيافة والانغلات الجنسي والركون إلى الكسل والإفكار من الرقص والمخدرات وبمجرد قيام الحكومة الإقليمية تفشت الرشوة والفساد وسوء استعمال الممتلكات العامة والاتجار في السوق السوداء والتصرف بعدم مسئولية في العرافة العامة من المسئولين والطبقة المستنيرة)^(٣)

ذلك انتقد الحاكم العام في سنة ١٩٢٧ أسلوب المبشرين وتعاملهم مع الجنوبيين فقال :
(وعلى الجانب التعليمي لابد للحكومة من فعل شيء لتحسين الأمرفاني ضعيف الاقتناع بعمل المبشرين في هذا المجال، وذلك لأنه ينقصهم بعد النظر، والقدرة على مثل هذا العمل لأنهم محجوبون بتحيزهم ضد عادات الأهالي الاجتماعية وعاداتهم في الزواج)^(٤)

(١) M.O. Bashir, the Southern Sudan background P. 25

(٢) ليس تعدد الزوجات عادة وثنية وإنما الزيادة على الحد المشروع

(٣) وهكذا حدث ما توقعه جاكسون علماً بأن الحكومة الإقليمية تتكون من خريجي المدارس الكسبية وتعتبر النصرانية من شروط عضويتها .

(٤) B.M. Said, Sudan Cross Roads of Africa P. 88

ويقول الكاتب الأمريكي روبرت كولنز Robert O. Collins في توضيح

سبب فشل النصارى في الجنوب

(بالرغم من الاعداد الضخمة للمبشرين النصارى الكاثوليك والانجليكان في ملك بالجنوب

سنة ١٩١٦ والتصير البرسبتريني Prestyrian سنة ١٩١٣ فقد

فشلت الكنيسة في الجنوب في إحراز نتائج مساوية للجهود التي تبذلها ويمكن تفسير هذا
الفشل جزئيا بقلّة الموارد وصعوبات الأرض والماء . . . ولكنه ناتج أساسا من الافتراضات
الخاطئة للمبشرين أنفسهم فقد كان المبشرون الأوائل بلا استثناء يظنون أن الجنوب كان
كافرا، أو مشركا، أو بلا دين، لأنه غير مسيحي، وكلمة كافر بالطبع كانت تعني أشياء مختلفة،
لمجموعات مختلفة من المبشرين النصارى) ^(١) (إن كلمة كافر التي أطلقها المبشرون على
الجنوبيين، كان معناها عند البعض أن الجنوبيين لا يملكون عقائد ولو بدائية، وأنّ عليهم
فقط أن يملأوا رؤوسهم الفارغة (بالكلمة النصرانية) ولكن في واقع الأمر كان الجنوبيون يحتفظون
بشئى المعتقدات المحلية التي اصطدمت بالوعظ النصراني لفراسته عليها ولهذا رفضته ولم
تتجاوب معه) ^(٢) فمثلا حينما كان المبشرون يتحدثون عن الخطيئة الأولى، كان الجنوبيون
لا يفهمون مثل هذا الكلام، وكانت الخطيئة الكبرى عند هم شيئا آخر، ^(٣) وربما صلب
الجنوبيون لمريم العذراء وهم في غاية من الحيرة والاضطراب وعدم الفهم، ولربما صلبوا
لمجرد أن يتخلصوا من الخطيئة، ولو أن الخطيئة لها مفهوم آخر عند هم غير مفهومها عند
النصارى ^(٤)، ولهذا لم يجد المبشرون المنفذ المناسب ليقدموا تعاليم المسيحية لمجتمعات
لها تقاليد ومفاهيمها الخاصة فاصطدم ذلك بما عند هم فلم يقبل إلا عدد قليل منهم
هذا الدين الجديد ولهذا غيرت الكنيسة طريقتها الوعظية القديمة فاعتمدت أكثر على
النواحي المادية في كسبهم السطحي واعتمدوا الموسيقى، وأعطوهم ظواهر النصرانية، وركزوا
في استراتيجيتهم على تعليم الصغار قادة المستقبل فنجحوا في ذلك

Robert Collins, Land Beyond the Rivers p. 321

(١)

Ibid

(٢)

J. Duncan, The Sudan P. 215

(٣)

Ibid

(٤)

فالمبشرون لم يكونوا صادقين في تقديم النصرانية التي تتحدث عنها الأناجيل
الحالية - (رغم تحريفها) - فانعزلوا عن الأهالي وتعالوا عليهم وسكنوا في أماكن منفصلة
بعيدة عنهم وكان بعضهم يشرب الخمر، ويتخذ من التبشير تجارة وسلاة وربما كان عدد
قليل جداً ممن اتخذها عقيدة وعملاً دينياً وهذا من الأمور التي جعلت الجنوبيين يرفضون
النصرانية ديناً لهم، بينما نجد التجار المسلمين قد اتصلوا بالأهالي بل تزوجوا منهم
ولهذا حصل اختلاط شديد كان في صالح الإسلام. (١)

اعتراف الكنيسة الكاثوليكية بهذا الفشل :

تعتبر الكنيسة الكاثوليكية من أكبر المؤسسات الكنسية العاملة في حقل التنصير في
السودان، وهي الرائدة في هذا المجال، جاء تقريرها الصادر في عام ١٩٨٤ : (منذ
عام ١٩٤٤ فصاعداً عين مائة واحد عشر قسيساً للسودان مات منهم سبعة عشر، ومنهم ثمانية
وعشرون تركوا العمل. وفي سنة ١٩٨٣ آثار اثنا عشر البقاء في أوروبا وأمريكا وتظاهروا بمواصلة
التعليم ولكن في الحقيقة هربوا من العمل الكنسي في مناطقهم والبعض عاش حياة بعيدة عن
التبتل والبعض جمع بين العمل الكنسي والإدارة الحكومية، وقلة هم أولئك الذين صدقوا
في تدريس التعاليم الكنسية في المدارس وزيارة المناطق النائية.
ويوجد اثنا عشر سودانياً لديهم درجات جامعية في الدراسات الدينية، ولكن لا أحد
من هؤلاء يقوم بالتدريس في المعهد الرئيسي، والذين عينوا في وقت ما كان لابد أن يتحولوا
بعد عام أو عامين. وعليه فإن الحلم بأن تكون للسودان كنيسة تقف على قدميها كان صفرًا.
(فالأساقفة الجدد لم يكن بمقدورهم أن يوقفوا تيار القساوسة الذين يخرجون من
الخدمة الكنسية، وبناءً على هذه التجربة المؤلمة، اتجهت الكنيسة لطلب المساعدات من
الإرساليات الأجنبية وعلى وجه الخصوص من آباء (فيرونا) وآباء (مل هيل) الذين سبق لهم
العمل في الجنوب، وأرسلت طلبات لجمعيات كنسية أخرى.

بدأ عشرة يسوعيون خدمتهم في المدارس والمراكز الكنسية، وثلاثون من آباء (فيرونا) للوعظ، وثلاثة من آباء (مرى نل) وأربع من راهبات (مرى نل)، وثلاثة من آباء (سليزيين) وست من راهبات (سليزيين)، مستولون عن الطباعة والوعظ، وستة من آباء (كليتيان) للتدريس وواحد من الآباء البهين جاء لفتح مركز جديد في أسقفية (ملكان) وثلاثة من البطريركية اللاتينية (بيست لحم)، جاءوا للتدريس في المعهد والمدارس، وثلاثون من راهبات (فيرونا) كن في حقل التعليم والوعظ ومكافحة مرض الجدام، وأربع راهبات هنديات من جماعة (أم كامل) جئن للتدريس في معهد تدريس صحي، وأربعة قسيسين من جمعية عيسى (بكينيا) ليفتحوا معهدا في أسقفية (جوبا)، وإلى جانب هذا طلب مؤتمر القس الكاثوليك من اتحاد أساقفة شرق أفريقيا المساعدة في إصلاح هذا الوضع، فطلب من كل أسقفية أن تفرغ أحد قساوستها للعمل في السودان، ولم يستجب إلا أسقف أبرشية (كمبالا) الذي ولد بالسودان (١).

هذا الاستنفار الكسبي الضخم من أكبر الأدلة على أن السودان مستهدف من

الصلبية العالمية، لذلك نذكر المسلمين شعوبا وحكومات أن يهبوا لنصرة السودان وهو يمر بهذه المرحلة الحرجة التي تعتبر من أخطر مراحل التاريخ، وهي من مراحل تعميق الجهاد، فقد ذكر الفقهاء أن الجهاد يكون فرض عين : (بتعيين الامام، وبهجوم العدو وعلى محلة قوم فيتعين عليهم وعلى من يقربهم إن عجزوا، ويتعين على المرأة والرقيق مع هذه الحالة ولو منعهم الولي والزوج، والسيد، ورب الدين أن كان مدينا، . . . وفك الأسير من الحربين أن لم يكن له مال يفك منه فرض كفاية وإن أتى على جميع أموال المسلمين) (٢)

فعلى المسلمين أن يدركوا ما يراود بهم ويكونوا حذرين وأن يعدوا العدة للدفاع عن دينهم وأنفسهم ويعلموا أن الخطر لا يأتيهم من الخارج فقط بل أن أعدائنا فسى الداخل أشد خطرا لأنهم من بنى جلدتنا يتكلمون بلغتنا ويظهرون حبنا ويزعمون أنهم يبحثون عن مصالحنا فآلسنتهم معنا وقلوبهم مع أعدائنا فهل يتنبه المسلمون لحقد الكفار والعسلاء وما يحيكونه ضد هم وسد عقيدتهم فيوحدوا صفوفهم وينسوا خلافاتهم فيواجهوا عدوهم صفا كأنهم بنيان مرسوم (٣) ويفقهوا قوله تعالى : (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردكم عن دينكم إن استطاعوا) (٤). صدق الله العظيم.

(١) The Catholic Church in the Sudan a golden Opportunity lost.

(٢) الشيخ أحمد بن محمد الصاوي المالكي، بلفغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الامام مالك على الشرح الصغير للقطب الشهير أحمد بن محمد الدردير، ٣٥٥، دار المعرفة للطباعة والنشر، يدون تاريخ، لبنان سنة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.

(٣) انظر الاستاذ محمد فريد بك المحامى، تاريخ الدولة العثمانية، تحقيق احسان حق،

ص ١٣ ط ٢ سنة ١٤٠٣ / ١٩٨٣ م

(٤) سورة البقرة الآية ٢١٧ .

الباب الرابع

في طرق مواجهة التنصير

وتحتة تمهيد وفصلان

التمهيد في : أن المواجهة تقوم على محورين
أساسيين محور الهدم ومحور البناء

الفصل الأول : العودة إلى الطريق المستقيم

الفصل الثاني : السودات وطرق المواجهة

ذكرنا في ثنايا البحث، أن الإسلام منذ نشأته تعرض لحملات عدائية بدأت علنا إبّان ضعف المسلمين في فجر الدعوة، قبل أن يأذن الله لهم بالقتال، فلما اشتد أمرهم أذن الله لهم بقتال أعدائهم بقوله تعالى : (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير^(١)) وتوالى نصر الله لهم، وتلاحقت هزائم الباطل فانزوى الأعداء، وأخذوا يستخدمون شتى الأساليب، في حرب سرية طويلة وكيد عظيم، وتلك عادة الباطل يظهر بضعف الحق ويختفى بقوته، يستغل مواطن الضعف لينقض منها، وما مواطن الضعف في هذه الأمة إلا الجهل والهوى، وكثيراً ما ينبهنا القرآن الكريم إلى ذلك كما في قوله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم)^(٢) . وقوله تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبائلاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون . ها أنتم أولا تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور . إن تمسكم حسنة تسؤهم^(٣) وإن تبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط) وبالصبر والتقوى استطاعت هذه الأمة أن تتغلب على الكيد فرأيت الصدع الذي أحدثته الفتنة الكبرى، بخلافة عمر بن عبد العزيز المجدد الأول^(٤) الذي رد الأمة إلى أصولها بعد أن حدث في الإسلام بسبب الملك العضوض الذي نتج عن تلك الفتنة الدامية التي حصدت كثيراً من خيار الصحابة . فرد عمر رضى الله عنه ما عهد إليه من أمر المسلمين إليهم فاختروه خليفة فاكسبت بيعته بذلك الشرعية التي خلا منها عصر بني أمية قبله، فرد الأمور كلها إلى نهج النبوة والخلافة الراشدة، فاستخدم سلطته في تطهير مجتمع المسلمين من

(١) سورة الحج، آية ٣٩

(٢) سورة الانفال، آية ٦٠

(٣) سورة آل عمران، ١١٨-١٢٠

(٤) عبد الله كنون، مفاهيم اسلامية، ص ١٢، دار الثقافة ط سنة ١٤٠٥ - ١٩٨٤

آثار العصبية التي نمت في أحضان الملك الذي استمر نصف قرن ، وتمكن من قمع المعاصي التي فشت في بيوت الأمراء والقادة كشرب الخمر والاسترسال في اللهو وقضى على جميع البدع والعقائد الفاسدة ، فظهر بذلك الحياة الفكرية والخلقية والاجتماعية من جميع المفاصل ، وسهد السبيل لنشر العلم بين عامة الرعية ، وقوم الانحراف الفكري برد اعتبار أهل العلم الشرعي فنشطت علوم القرآن والسنة والفقه فبعث بذلك نهضة علمية مباركة أنتجت نوابغ العلماء وكبار الأئمة من أمثال أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وكثير غيرهم من الهداة وأعلام الإسلام ، فجدد بذلك الدين ، وكان جديراً بلقب خامس الخلفاء الراشدين وكانت ولايته على رغم قصرها أعظم أثراً وأكبر بركة ويمناً على الإسلام والمسلمين من كل عهد بنى أمية ، وهي سنة حسنة يجب على الأمة أن تجد في سبيل إحيائها ، كما أنها خير مثال على أن الانحراف لا يقوم إلا الرجوع إلى النهج الإلهي القويم ، كما أثبتت التجربة أن الانحراف يزداد كلما ابتعدت الأمة عن الموضعف تصورها الشمولي للإسلام باعتباره منهجاً يحكم سلوكها ويضبط سيرتها في هذا الكون فتقوى بذلك عوامل التفكك فتعم الفتن ، وذلك هو الأمر الذي أدى إلى تمزق العالم الإسلامي فكرياً وسياسياً واجتماعياً فهجم عليه الغرب هجومه الصليبي المسلح واستمرت هذه الحروب الصليبية قرنين من الزمان فأوهنت قوى العالم الإسلامي وعلى الرغم من أن الصليبيين ردوا على أعقابهم إلا أنهم ظلوا في محاولتهم تحطيم الإسلام وابتلاع بلاده ، والمسلمون يغطون في سبات عميق ، وكان الأجدر بهم أن توقظهم ضربات الصليبية الموجهة ، ولكن لا حياة لمن تنادي ، فقد استشرى الجهل ، والبهوى والفقر ، وعمت الفوضى مجتمعتهم وتنحت الأمة عن الريادة والقيادة وصارت في مرحلة قابلية الغزو الأجنبي من جراء سوء الحال التي آل إليها أمرها ، فسقط العالم الإسلامي من أرناءه إلى أفضاه - والسودان جزء منه - تحت نير الاستعمار الصليبي الحاقد الذي أصاب مقتل العالم الإسلامي عندما أفلح في بث سمومه في ربوعه تفتك بمقوماته الأساسية المتمثلة في عقيدة الأمة وأخلاقها فعم الفساد بره وبحره ، ففرق بذلك جمعه وشتت شمله ، فأخذ الناس يتساءلون عما دهم الأمة من المصائب والحوادث والنكبات ، فنسب بعضهم كل ذلك إلى دينها ورأى آخرون أن في ذلك تناقضاً مع ما استفاد وتواتر به القرآن الكريم والسنة المطهرة من إيثارة هذه الأمة واختيارها لحمل الرسالة الخاتمة وإعزاز هذا الدين بها فيما سلف

والانتساب إلى خاتم النبيين^(١)، وما لاشك فيه أن النصف العاقل لا يتصور أن الدين الذى كان سبب الإصلاح يكون سبب الفساد والاختلال، لأن العلة لا يصدر عنها معلولات متقابلة فإذا كان لدين المسلمين تأثير فى حال خلفهم فلا بد أن يكون ذلك من جهة غير التى أصلحت سلفهم، وما هى إلا البدع والمحدثات التى فرقت جمعهم وزحزحتهم عن الصراط المستقيم^(٢) وهذه سنة الله، وسنته سبحانه ماضية، وعداها ووعيدها (فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا)^(٣).

فباستمرار الغفلة والفرقة يتحقق الوعيد وبالاكتصام يحبل الله وعدم التفرقة يتحقق الوعد. وخلال قرن كامل من الزمن والعالم الإسلامى يحاول الانعتاق من قبضة الغرب ولكن على الطريق الذى يرسمه له الغرب، وليس على طريق الخلاص الذى ينبغى أن يسلك، فالاستعمار كان مدفوعا بدوافع متعددة من أهمها:

١- استنزاف خيرات الشعوب المقهورة لأن الثورة الصناعية التى أحدثتها النهضة الأوروبية كانت محتاجة إلى المواد الخام لتحريك المصانع الضخمة، فاحتكرت الشركات الاستعمارية الأرض بما فيها من المعادن المختلفة، وما عليها من المحاصيل الزراعية والثروات البشرية، وكشال لذلك نجد الحكومة الاستعمارية فى السودان قبل أن يستتب لها الأمن فى سنة ١٩٠٥ زرعناكر من ٢٣٨٩٨ فدان من القطن، وفى نفس العام منحت شركة السودان الزراعية الانجليزية امتيازاً فى بعض مناطق السودان الزراعية وبدأت الشركة فى التوسع بتمويل من الحكومة بلغ فى سنة ١٩٢٤ ثلاثة عشر مليوناً من الألفنة فى منطقة مشروع الجزيرة وحدها، بالإضافة إلى أنها تملك نصف أسهم شركة (كسلا) الزراعية فى حوض (القاش) وهى منطقة مشهورة بإنتاج أجود أنواع القطن فى العالم بعد (لونج ايلاند)^(٤).

ويدعى الإنجليز أن المشروع يدار على نظام الشركة المتساوية بين أطرافها الثلاثة، فللحكومة ٤٠٪ وللشركة ٢٠٪ وللمزارع ٤٠٪ ولكن الدعاوى شتى والواقع شىء آخر، ويكفى أن

(١) انظر محمد زكريا الكاند هلوى وأسباب سعادة المسلمين وشقايتهم فى ضوء الكتاب والسنة

مقدمة الكتاب، لأبى الحسن الندوى، ص ٥ الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٠/ ١٩٨٠.

(٢) انظر محمد رشيد رضا، مقدمة الاعتصام، ص ٤ مطبعة المنار، بدون تاريخ

(٣) سورة فاطر، الآية ٤٣

(٤) أحمد خير، مآسى الإنجليز فى السودان ص ١٣٤

نذكر أن المزارع الذى يعكف على الأرض سحابة نهاره لا يجد فى النهاية ما يسد به رمقه ورمق أطفاله الذين يساعدونه فى الزراعة فيحرمون نعمة التعليم والتهذيب وكثيراً ما يجد نفسه مدنياً للشركة فى تأجير الماء والبذور والإرشاد، ويحرم عليه أن يطلع على حسابات الشركة ليعرف صحتها ويعرف حقه، بل يعطى له قروش معدودة يحتار كيف ينفقها على حاجاته المتعددة واذكر أننى زرت إحدى قرى الجزيرة^(١)، وكان الفلاحون مكرويين لقدوم العيد لا يملكون ثمن ما يتطلبه من كساء وطعام، وبينما هم كذلك، جاءهم البشير بأن مدير الشركة قد تعطف بصرف عشرة قروش لكل مزارع رغبة فى تمكينهم وعائلاتهم من الابتهاج بالعيد السعيد! فما هذا الابتهاج الذى تجلبه عشرة قروش^(٢)، وما يزيد الأمر وضوحاً أن (ثالبوت) كتب إلى (ونجت) فى أوائل الغزوة (.. .) إننى أعجب لذلك لقد امتصنا هذا الشعب تماماً، أمل أن يكون بقى لهم شئ من التقاوى^(٣)

٢- كان المستعمر مدفوعاً بكوامن الحقد الصليبي مدركاً قبل أن يحل بأرض المسلمين، أن الإسلام وحده هو القوة التى تحول دون تمكينه من بلوغ أهدافه إذا وجدت المحرك الصادق القوى، وكانت عيونه متجهة إليه قبل وبعد أن حل بأرضه، ولم يقدم إلى ما أقدم عليه، ولم يصل إلى ما وصل إليه إلا بعد أن أكد له أعوانه من مبشرين ومستشرقين أن الساحة أصبحت خالية من الرقيب، وأن الفرصة باتت سانحة لاجتياح بلاد المسلمين لغفلتهم وبعدهم عن دينهم مع التحذير الشديد من أن ينتبه الغافل ويصحو النائم.

يقول المستشرق منتغمى واط:

* إذا وجد القائد المناسب الذى يتكلم الكلام المناسب عن الإسلام، فإن من الممكن لهذا الدين أن يظهر كأحدى القوى السياسية العظمى مرة أخرى^(٤).

ولهذا نجد الدول الاستعمارية رغم اختلاف مصالحها وتعدد مظاهرها تعمل فى تعاون تام وتنسيق كامل، بل كثيراً ما تتحد لضرب أى حركة إسلامية صحيحة، من أجل هذا نجد

* المتحدث هو أحمد خير من كبار السياسيين السودانيين، تولى رئاسة مؤتمر الخريجين وشغل

منصب وزارة الخارجية بعد انقلاب ١٩٥٨

(١) حيث يوجد أكبر مشاريع السودان الزراعية

(٢) المصدر السابق ص ١٣٨

(٣) (السودان فى حكم ونجت) ترجمة محمد الخضر سالم (مطبوع بالآلة الكاتبة) ص ١٢ والمقارن ما يحفظ

(٤) د. يوسف القرضاوى، حتمية الحل الإسلامى نقلاً عن التايمز اللندنية سنة ١٩٦٨

يزرع

الاستعمار حينما أيقن أن بقاءه مستحيل في هذه البلاد أخذ يؤسس نظاماً للحكم على غرار ما يوجد في بلاد مع الفارق في نوعية القيادة ، ففي الغرب لا يتولى رئاسة الحزب وبالتالي رئاسة الدولة إلا من أجمع الناس على وطنيته وحبه لبلاده . أما في بلاد الشرق فترئيس الحزب صنعة استعمارية في الغالب الأعم ، أو تلميذ ينشد الإصلاح على منهج الغرب ، ومن هنا كانت الأنظمة في الشرق امتداداً لفترة الحكم الاستعماري بعد خروجه لأن قادة هذه الأحزاب كانوا من اصطنعهم الغرب . لنفسه ورياهم على عينه ، وجعل رعاة هذه الأحزاب من زعماء الطوائف الدينية الموالية له - كما في السودان - فكانوا واسطته وحماة من غضبه المسلمين مقابل ما أجرى عليهم من العطايا والهبات مع تعاقد أبنائهم بالتربية العلمانية ليكونوا أعواناً له في فترة بقاءه ، وحراساً لمصالحه بعد انتهائه ، ومطارق قمع لأي توجه إسلامي صحيح يعيد للأمة عزتها .

يقول أحمد خير :

* احتل رجال الصف الأول من الخريجين مكاناً في المجتمع السوداني يلي مكانة الزعماء الدينيين مباشرة ، وصاروا بسبب ذلك مصدر قوة المجتمع ، كما صاروا مصدر ضعفه ، فقد أفاد رجال الصف الأول فوائد شخصية محسوسة بالقياس بمواطنيهم من أن يتمتعوا بالعيش الرغد كما يتمتعون بمظاهر جوفاء من الجاه والسلطان ، ولذلك احتكروا حق المشورة والنصح عند الحاكمين ، وحق مراجعتهم عند الخطورة ، كما احتكروا نفس الحق عند الزعماء الدينيين ويلاحظ أن أحد الحقيين كان وسيلة وجوازاً للثاني ، وقد أفاد كبار الخريجين من الحقيين معاً نفوذاً عند الأهليين يزداد ويضعف أو ينهار تبعاً لثبات الواحد منهم في مكانته عند رجال الحكم ، أو رجال الدين ، أو تحوله عن تلك المكانة ^(١) .

وهو الأمر الذي لفت إليه كمتشنر انتباه معاونيه موضحاً أن أهدافهم لا تتحقق إلا من خلال الاستعانة بالطبقة العليا من المواطنين الذين نأمل من خلال تعاونهم معنا التأثير تدريجياً على عامة السكان ^(٢) .

(١) كهاج جيل ص ٩٨

(٢) انظر السودان تحت حكم ونجت ، ترجمة محمد الخضر سالم ص ١٠

وهكذا نجح الاستعمار في تربية أجيال مبتوتة الصلة بقاعدتها موصولة السبب بسادتها تنفذ مخططاتهم وتحمل مصالحهم، وثقافتهم وأخلاقهم، فنشأت من أول يوم حكومات ضعيفة لا جذور لها في مجتمعها، فكان الفشل حليفها، وازدادت الحال سوءاً عما كانت عليه أيام الاستعمار، فعم الظلم وفشا الفساد واستشرى وتزعزعت القيم واختل ميزان الأخلاق وأصيبت الحياة كلها بالشلل والركود بل والتعفن، فلم تستطع تجربة الديمقراطية أن تحقق الأمل الموعود ولا أن تقرب إلى التقدم المنشود^(١)، وظلت الحكومات تتعذر بتعذر الأحزاب ينفرد حزب بالحكم تارة ويألف مع غيره أخرى، وظلت المصائب تتعاقب بتعاقب الحكومات حتى سئم الناس الديمقراطية وكرهوا الحياة النيابية، وأيقنوا أنها ألفاظ جوفاء فارغة لا وزن لها لأنها لم تزد هم إلا خبالاً .

فالأمم لم يستتب والاقتصاد لم ينتعش والرفاهية لم تتحقق وإنما هي أضغاث أحلام، بل زادت الحساسة الاقتصادية في السوء عما كانت عليه أيام الاستعمار، وانقسم المجتمع إلى طبقتين طبقة متخمة حلت محل المستعمر، وأخرى معدمة يفتك بها الفقر والمرض . والحرية لم تتحقق إلا في مجال الشهوات والتفسيخ والمجون، فعم الفساد وطم وأصبح المنكر معروفاً، والمعروف منكراً، ففتحت الحانات وشربت الخمر، ورفعت للزنا رايات، وصار الربا دعاماً للاقتصاد الأولى وكل ذلك تحت حماية القوانين المستجلبية ورعاية الحكومات الوطنية اسماً الغربية شكلاً ومضموناً، تستمد من الغرب وجودها وحمايتها وتأييدها لأنها مبتوتة الصلة بأرضها وشعبها الفقير المقهور الذي يعيش من فتات الأمم الغربية، قد فتكت به الأمراض والمجاعات، وأحاطت به النصرانية من كل جانب تستغل عونه، وتطمع في تنصيره، فسئم الديمقراطية الليبرالية وزهد فيها، وكثر تساؤله عن هذه الديمقراطية وحكمها . هل جلبت شيئاً من السعادة؟ هل أمنت لهم شيئاً من الحياة؟ أو ساقته إلى النفوس الهدوء والطمأنينة والاستقرار؟ هل استقرت الجنوب في المضاجع؟ أم هل جفت الجفون من الدماغم وهل حوربت الجريمة واستراح المجتمع من شرور المجرمين؟ هل استغنى الفقراء وتحقق الرخاء؟ هل ساقته هذه الملاهى والمفاتن التي ملأت الساحة وسرت مسرى الهوائ العزاء

(١) انظر مجموعة رسائل الامام حسن البنا، رسالة الأخوان تحت راية القرآن ص ٣٦٥ .

للمحزونين ؟ هل ذاقَت الشعوب طعم الراحة والهدوء وأمنت المعتدين وظلم الظالمين ؟
لاشى* من هذا تحقق . إذن فما فضل هذه النظم^(١) ؟

هكذا سئمت الشعوب الديمقراطية وبدأت تتطلع للبدل ، وكان من الممكن أن يكون
الإسلام هو البدل لأن الأمة قد عرفت وألغت ولكن أعداءها المتربصين بها الدوائر
لا يريدون نهضتها وعزتها لذا كانوا أسبق في إعداد البدائل حيث بذروا كما سبقت الإشارة
بغور الماركسية التي لبست لكل بلد ما يناسبه من الشعارات محاولة أن تجد لها قاعدة
ترتكز عليها كما فعلت الديمقراطية قبلها ، وكان زعماءها في جميع بلاد المسلمين أما يهودا
أو نصارى ، أو من تتلمذ عليهم ، فأنشأوا أحزاباً شيوعية اشتراكية ، أو بعثية اشتراكية ، أو قومية
اشتراكية عنصرية ، ولما عجزت هذه الأيدولوجيات عن الوصول إلى الحكم ساند هم أعداء الإسلام
للوصول إليه عن طريق الانقلابات العسكرية الدموية التي ألبسوها ثوب الثورات السياسية
أو الحركات الاجتماعية التي أضفوا عليها أسماء جذابة كحركات التحرر ، والتقدم ، والإصلاح ،
والديمقراطية ، وهي الأخرى كانت أشد إخفاقا لبعدها عن أفهام الناس ووجدانهم . ومن ثم
لم تجد من يلتزمها .

والذي يهنا أن هذه الدعوات كلها باءت بالفشل والإخفاق ولا بد أن هناك (سنة)
هي التي تؤدي إلى إخفاقاتهم ومآل . ولقد أضافت هذه الحركات - إلى ما هو كائن من سوء الحال
في جميع الأحوال - القهر والتنكيل والتشريد والتقتيل وصرنا كما قال الشاعر :

المستجير بعمرو عن كربته * كالمستجير من الرمضاء بالنار

وخلاصة القول إن المذاهب المستجلبة من الخارج أخفقت من أقصى يمينها إلى أقصى
يسارها وباءت بالفشل ، فينبغي للأمة الإسلامية بعد كل ما تقدم أن تدرك زيف كل هذه
الدعوى الفارغة وأن تنفض عنها غبار السنين ، وأن تبحث عن طريق خلاصها ، وما سبيل
خلاصها إلا الرجوع إلى المصدر الذي انبثقت منه عزة المسلمين وكرامتهم ، فلقد نزل الإسلام
بين العرب ، وهم يومئذ أهون ناس في الدنيا فما زال يربيههم من جاهلية ، وينظمهم من فوضى

(١) انظر : مجموعة الرسائل ، رسالة الإخوان تحت راية القرآن ص ٣٣٦

حتى أنشأهم خلقاً جديداً لم يكن لهم في الأرض ولا في تاريخ الإنسانية كلها شيل ، ثم اندفعوا من جزيرتهم كالسيل يجرفون كل ما واجههم من فساد الاعتقاد وانحلال الأخلاق ، ويقومون عوج السياسات وينظمون المجتمعات فكانوا بالإسلام الذي حملوه عافية العالم من سقامه ، وشفاؤه من أوهامه ، وكانت أحوالهم العلمية والخلقية والعسكرية راجحة في كل ميزان ، وراياتهم عالية في كل ميدان ، ولهم القدر المعلى في كل سباق ، ولم يكن هذا الرجحان وليد حضارة قديمة انتفع بها الإسلام ، أو نتيجة ارتقاء محلي تسلفه ^(١) وباتفاق علماء الاجتماع والسياسة والتاريخ من مختلف الأمم أن العرب منهنزوا نهضتهم الأخيرة بالمدنية والعمران إلا بتأثير الإسلام في جمع كلمتهم وإصلاح شئونهم النفسية والعملية ^(٢) ، كما يرشدنا إلى ذلك الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ، عند ما قال له قائد جيوشه أبو عبيدة ابن الجراح ، وعمر يترجل عن ناقته ، ويخلع خفيه ويضعهما على عاتقه استعداداً لعبور مخاضة عارضة ، خشى أبو عبيدة أن يرى الخليفة المهاب في هذه الصورة ، فقال : (ما يسرنى أن أهل البلد استشفوك) أي رأوك .

فقال له عمر : (أوه ! لو يقل ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالا لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنا كنا أذل قوم ، فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله) ^(٣)

فهل يعنى المسلمون هذا الدرس القيم من ماضيهم العريق فيصلحوا واقمعهم المريب بعد أن جربوا جميع الحلول المستوردة التي باءت كلها بالفشل ، بل زادتهم تأخراً على تأخر ويات من الواضح أن معالجتهم لقضاياهم من أكبر البراهين على عدم وعيهم لمتهاج الله وعدم فهمهم لواقعهم المعسماش ، فالسار الصحيح يتثل في فهم المنهج ، وفهم الواقع ، ودارسة القرآن كما أنزل من عند الله وتدبره ، واستثال أوامره واجتناب نواهيه ، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها .

(١) محمد الغزالي ، الإسلام في وجه الزحف الأحمر ، ص ١٣٨ / ١٣٩ ، طبعة ثانية ١٤٠٥ / ١٩٨٤

دار التوفيق النموذجية للطباعة والجمع الآلى ، الناشر مكتبة وهبة

(٢) مقدمة الاعتظام ، محمد رشيد رضا ص ٢٠

(٣) أسباب سعادة المسلمين وشقايتهم في ضوء الكتاب والسنة ص ٥٢ / ٥٣

الفصل الأول
العودة إلى الطريق المستقيم
المبحث الأول : وسائل العودة

المنهج التربوي :-

بعد أن فشلت كل الحلول المستوردة ، وتخبطت كل الأنظمة السياسية التي أفرزتها هذه الحلول خبط العشواء ، وبأت بالعجز والخيبة والفشل كل هذه المذاهب والاتجاهات العلمانية ليبرالية كانت أم شيوعية وظهر للجميع أن تلك المدرسة العصرية التي ظلت تعمل سواء في دائرة النظام الديمقراطي الليبرالي أم النظام الاشتراكي ، كانت مضللة فاسدة وأن كل المحاولات والنماذج والأساليب التي قدمتها للأمة الإسلامية لم تحدث تقدماً ، بل كانت كما قال الله سبحانه : (كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه) ^(١) ، وكما قال الشاعر :

وأصبحت من ليلي الغداة كقايض * على الماء خاتته فروج الأصابع ^(٢)
بات تغييرها أمراً لا مفر منه ، ولا يختلف فيه عاقلان ، بل أصبح حتماً على الشعوب الإسلامية قادة وقاعدة ، عرباً وعجماً ، أن تتحرر من التبعية المخزية للغرب الصليبي . والشرق الملحد وأن ترفض الجري وراء السراب الخادع .

ولقد أدرك كل بلد واع حريص على سلامته ، أن التربية هي الجهاز الذي يفرس المعاني والأسس التي تؤمن بهما الشعوب ، وتنشأ عليها الأجيال ، وتقوم عليها النظم الاجتماعية كلها ، فمن أولى مهام التربية في الأمة الواعية غرس العقائد والحقائق في قلوب الناشئة حتى يكون إيمانها إيماناً عالياً صادقاً ، وهذا ما فطن له أساطين التربية الحديثة فقال (سبريرس) :

"وإن التربية هي الجهد الذي يقوم به آباء شعب ومربوه لإنشاء الأجيال القادمة على أساس نظرية الحياة التي يؤمنون بها ، وإن وظيفة المدرسة أن تمنح القوى الروحية فرصة التأثير في التلميذ ، القوى الروحية التي تتصل بنظرية الحياة ، وتربي التلميذ تربية تمكنه من الاحتفاظ

(١) سورة الرعد الآية ١٤

(٢) ديوان مجنون ليلى

بحياة الشعب وتديد ها إلى الأمام*

ويقول جون ديوى : " . . . إن عملية التجديد تقوم على تعليم الصغار ، إن هذه الأمة تكون من الأفراد الأميين ورثة صالحين لوسائلها ونظرية حياتها ، وتصوغهم في قوالب عقائد ها ومناهج حياتها ،

ويقول كلارك : " . . . مهما قيل في تفسير التربية فمما لا محيص عنه أنها تعنى الاحتفاظ بنظرية سبق الإيمان بها وعليها تقوم حياة الأمة ، وتجاهد في سبيل تخليد ها ونقلها للأجيال القادمة " (١)

ومن المأسى التى تحير العقل وتجرح القلب أن تظل الأقطار الإسلامية وحدها فى الفوضى ، فلا تفكر فى التوفيق بين عقيدتها وبين التربية التى تنفق عليها جزءاً كبيراً من إمكاناتها ، وكانت حرية أن تكون بعيدة عن أن تعيش متطفلة على موائد الأمم الأجنبية ، حرية أن تزيل جميع العقبات من سبيل الوثام بين العلم والدين (٢) ، لأن ذلك هو المنقذ الوحيد لخروج هذه الأمة من واقعها الأليم ، وما لاشك فيه أن مهمة التربية ليست أمراً سهلاً بل هى شاقة ومضنية ، تحتاج إلى جلد وصبر ، وما يزيد ها صعوبة وتعقيداً أنها تقوم على محورين أساسيين وهما لا يكون الأساس سليماً ولا البناء قوياً وهما :

(ب) ومحور البناء

(أ) محور الهدم

أ / محور الهدم :

فمحور الهدم يقتضى بذل الجهد المتواصل لإزالة الآثار السامة التى خلفتها الحضارة الغربية فى بلادنا ، تلك المخلفات التى تعتبر من أهم العوائق التى وضعها الغرب فى طريق الإسلام ، فدمرت المجتمعات ، وأفسدت الفطرة والعقول فصار هدمها من مستلزمات التربية ، فكما أن المزارع الناجح لا يلقى بذوره فى أرض سبخة مكدبة قبل أن يقوم بإصلاحها ، وإزالة ما بها من عوائق تعوق نماء الزرع وتفسده ، ثم بعد ذلك يتعاهد بالحراسة والسرى لتمتد جذوره فى باطن الأرض ليؤتى ثماره ، كذلك الداعى إلى سبيل الله لا يستطيع أن يجعل دعوته شجرة حتى يبذل الجهود المضنية لهدم وإزالة هذا الركام من جميع المؤسسات

(١) انظر د . محمد أمين المصرى ، المسئولية ، ص ١٢٦ / ١٢٧ أخذاً من تقرير أبى الحسن الندوى الذى قدمه لوزارة التربية العرب فى مؤتمرهم فى الكويت

(٢) المصدر السابق ص ١٢٩

(٣) انظر احمد حسن اصلاحي ، منهج الدعوة الى الله ، ص ٩٧ ، تعريب أسعد الندوى وآخر ، نشر الكتاب الاسلامى ، الصفاة الكويت ، بدون تاريخ

الحيوية في المجتمع الإسلامي ، من شئون الحكم والتعليم ، والسياسة ، والاقتصاد ، وبدون ذلك فلن يستقر للتربية أساس ، والأمر الذي يساعد على هدم وإزالة ركام الحضارة الغربية إفلاسها وفشلها في تحقيق الرفاهية التي بشرت بها طويلاً ، وظل أنصارها أكثر من نصف قرن يلهثون وراء شعارات كاذبة ، وفي كل عام يرزلون ، ثم لا يتوبون ولا يذكرون ، ومما يبعث الأمل في النفوس أن هؤلاء الأنصار انفض سائرهم ، وأفانق كثير من الشباب من سكرة الانبهار التي خبلت ألبابهم بعد اعتراف كثير من باحثي الغرب أنفسهم بحقائق خفيت زماناً طويلاً على كثير من المسلمين نذكر منها على سبيل المثال الآتي :

يقول هـ. أ. ر. جيب :

" لقد اتضح بكل جلاء أن المثالية والإنسانية التي يبشر بها الغرب لا تتسق - طبقاً لأي منطق - مع ما يسجله الواقع لأبناء الغرب من أعمال لا تتفق مع المثالية أو القيم الإنسانية ولا شك أن لشل هذا التناقض بين القول والفعل أثره في خلق روح من الشك العميق في كل ما يدعيه الغرب من خير في نظمه الاجتماعية أو سلوكه الفردي " (١)

ويقول : " . . . ولا شك أن مثل هذا العمل يهين أذهان أبناء الغرب لتتبع العقلية والفكرية في العالم الإسلامي ، وإذا لم يتيسر لهم أن يفهموا هذه التطورات فهماً كاملاً أساسه معرفة الظروف النفسية والاجتماعية ، بل ربما أصبح ذلك أهم عمل المستشرقين عند ما تبلغ العبقريّة الإسلامية الجديدة حد النضج الكامل وتصبح قديرة على الإبداع الفنى ، وتهدف إلى بناء ثقافتها من جديد بعد تخطيط معالمها وميزاتها تخطيطاً ذاتياً متميزاً .

" لعل في عبارة (بناء ثقافتها من جديد) (دوراً) ومع ذلك فإن هذه العبارة هي خير ما يمكن أن أصف به المهمة التي تنتظر قادة الفكر الإسلامي ، وهناك عاملان - إن لم نقل ثلاثة - يفرضان على هذه العبقريّة الإسلامية أن تبني ثقافتها من جديد :

أولهما : أن العهد الأول في حركة الاقتباس عن الغرب قد خلف في جميع أقطار الإسلامية آثاراً واضحة في تنظيم الإدارة الحكومية والإدارة ، وفي القوانين والطب والخدمات الفنية كما خلف صحافة تسير على نفس النسق الذي تسير عليه الصحافة الغربية . . .

(١) ت. كويلرينج ، الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته ، ص ٣٤٦ / ٣٤٧ ترجمة د . عبد الرحمن محمد أيوب دار النشر المتحدة .

" ولو صرفنا النظر عن هذا العمل لأنه مجرد فرض قد لا يتحقق وقوعه ، فإن البناء الجديد ضرورة يفرضها ما حدث في المجتمع من تخلخل بلغ في بعض الحالات حد الانحلال على أثر اتصال العالم الإسلامي بالعالم الغربي ، لقد ضعفت الروابط الاجتماعية القديمة بين جميع الطبقات أو زالت ، وبضعفها أو زوالها زالت القيم التي قدسها الفرد من قبل . والتي أحترم من أجلها ما يفرض عليه من واجبات ، ومع ذلك فإن النظم الجديدة لم تصل به إلى مرحلة استقرار فإن جذورها لم تعمق بعد حيث يكون لها من التقديس عند الأفراد ما يجعلها مستقرة ، وتركيا استثناء من هذا العموم ، فقد عوضت السلطة الثورية عن سطحية هذا الوضع الجديد بشكل محسوس ، فيما عدا تركيا لم يبق سوى الإسلام سلطة ونظاماً له في نفوس الأفراد قدسية وسلطان (١) .

يقول برنارد لويس :-

" والتغريب الذي كان أكبره من عمل التغريبين من أبناء الشرق جاء بتغييرات يشك كثيراً في قيمتها ، وأول هذه التغييرات ، هو الانحلال السياسي ، الذي أدى إلى تفتيت المنطقة وتجزئتها ، فقبل ذلك التاريخ كان في الشرق الأوسط نظام سياسي مستقر ، فالشاه يحكم إيران ، والسلطان هو عاهل المملكة العثمانية التي تشمل كل ما بقي من الشرق الأوسط ، وقد لا يكون كل السلاطين الذين تعاقبوا على الحكم محبوبين من رعاياهم ، ولكنهم كانوا في موضع احترام .

" والأهم من ذلك إن لم يكن هناك خلاف على مشروعية الحكم فالسلطان هو الحاكم بلا منازع لأنه عاهل لآخر خلافة إسلامية تضم جميع مسلمي العالم تقريباً ، ثم عزل السلطان ، وهدمت الخلافة ، وقام مقامه عدد من الملوك والرؤساء الدكتاتوريين الذين دبروا لعدة أمرهم ، وريحوا تأييد وتصفيق شعوبهم ، ولكنهم لم يكونوا أبداً موضع الرضا التام والقبول الطبيعي والولاء الأكيد ، الذي كان منوحيًا لحكومة السلطان الشرعية ، وهذا الولاء والرضا والقبول ، جعل السلطان غير محتاج للضغط والعنف والأرهاب ، أو الديمagogية السياسية في الحكم .

* لا مجال لاستثناء تركيا من هذا العموم لأن تركيا أدركت عظم الخديعة التي منيت بها بعد خيانة الكماليين التي زحزحتها من مقدمة الدول الكبرى إلى المؤخرة .

" بضياح الشرعية والولا " خسر أهل الشرق الأوسط (هويتهم الواحدة) القديمة ، فبعد أن كان كل مواطن عضواً من أعضاء " إمبراطورية إسلامية كبيرة لها ألف سنة أو تزيد من السترات والتاريخ ، وجد الناس أنفسهم مواطنين لسلسلة من الدول التابعة والوحدات السياسية الجديدة المفتعلة والتي تحاول الآن إيجاد جذورها في ضمير الشعب وولائه .

" وصاحب نفس وانهيار النظام السياسي القديم على أية حال انحلال اجتماعي ، وثقافي ، مواز له ، وربما كان النظام القديم في حالة تفسخ ، ولكنه على أية حال كان قائماً بوظيفته حيث كانت الولاات والمسئوليات واضحة الحدود والمعالم ، تجمع فئات الشعب في إطار واحد ثم دمرت الأساليب القديمة وسخر من القيم القديمة ثم أهملت ، وقام محلها مجموعة من المؤسسات والقوانين والمقاييس الوضعية المستوردة في الشرق الأوسط ، بالإضافة إلى كونها تافهة بالنسبة لحاجاتهم " (١)

ونضيف إلى ما ذكر الآتي :

١- إن العالم الإسلامي ذا الأصالة ، والتاريخ والمنهج الرباني لم يكن لينخدع أكثر مما انخدع بأسلوب العيش الغربي الذي لم يحقق له ما تطلع إليه ، بل العكس أن الغرب هو الذي جعله منطقة نزاع بين قوى البغى العالمية من يهودية مأكرة وصلبيية حاكمة وشيوعية ملحدة ، ولا يجمع بين تناقضها إلا محاولة الإجهاز عليه ، ومن رحمة الله به أنه استيقظ في الوقت المناسب .

٢- إن الأمة الإسلامية تشهد في الآونة الأخيرة صحوة مباركة انطلقت من إحساس الصادق بالحاجة إلى المنهج الإسلامي باعتباره المنهج الوحيد الصالح لكل زمان ومكان ، المستوعب لجميع متطلبات المرحلة الراهنة مع الاستجابة لمتطلبات الأمة والرد على كل التحديات التي تواجه التطبيق الكامل للإسلام في الواقع المعاصر ، وهذه الصحوة هي أكبر المقاييس لفشل المذاهب العلمانية التي حاول دعاة التحديث فرضها ففشلوا بالفشل .

(١) د . يوسف القرضاوي ، حتمية الحل الإسلامي ، ص ٦١ نقلا عن الغرب والشرق الأوسط

٣- ان الغرب لم يكن مخلصاً في تعامله مع المسلمين ، ولا صادقاً في هدايتهم المزعومة إلى عوامل القوة والتمكين ، وإلاّ فلماذا حجب عنهم العلوم والتكنولوجيا الحديثة ، والأسلحة النافذة واكتفى بأن يقدم لهم أدوات الاستهلاك والترفيه الذي يحطم الأمم .

٤- هدف الغرب إلى تغريب العالم الإسلام ، ودلت على ذلك التجارب المتعددة التي مارسها في كثير من بلاد الإسلام كتركيا وإيران^(١) وتونس حيث ساند المخططات التغريبية التي وضعها وولكلها إلى سدنته من أبناء هذه البلاد ، وكانت من أخطر المحاولات لهدم الإسلام والقضاء عليه وعلى حضارته التي قامت على ضوء الكتاب والسنة .

وذكرنا أن بعض الغربيين أدركوا كثيراً من هذه الحقائق فمن الأولى أن يدركها المسلمون ، وخاصة المفكرون الذين يعنيهم أمر العالم الإسلامي ، فيجندوا أنفسهم لمتابعة فلول العلمانيين المهزومين لتفنيد مزاعمهم وشبههم الواهية التي يضعونها لمرقلة مسيرة الصحو الإسلامية المباركة ، وهو عمل يتطلب رؤية كاملة شاملة لإنقاذ المجتمع والفكر جميعاً بعيداً عن الحزبية والعنصرية والإقليمية مع مراجعة واعية للتراث الإسلامي ، والنظر في الخلفية التاريخية للحركات الهدامة المتمثلة في الصهيونية والتبشير والشموعية التي يشنها الغرب على الإسلام وثقافته ولغته العربية بحسبانها الركيزة الأساسية التي إذا أمكن هدمها وإزالتها ، أمكن القضاء على مقومات المسلمين ، وصهرهم في بوتقة الحضارة الغربية ليكونوا أتباعاً أن لا ضائعين ، ومن فضل الله ورحمته بهذه الأمة لم تف بالفرص المطلوب ، ولم تجد استجابة حقيقية من الحس الإسلامي السليم حين أدرك أنها معارضة للفطرة ولحقا ثبقت الأشياء ، ولم يخدع بها إلاّ ذوو العقول الضعيفة ، وما لاشك فيه أن هذه الحضارة فيها محاسن ، حيث أفدنا كثيراً من الجوانب النافعة من علومها الحديثة ، وفيها كذلك مساوئ وهي أعظم من هذه المحاسن ، فلا بد من أن نميز بين ما حازه الغرب من الرقي الحقيقي في مجال العلوم التجريبية ، وما أتت به من مخترعات في مختلف شعب الحياة ، وننتفع به لأن العلم ميراث إنساني وليس حكراً لأمة دون أخرى ، وبين ما أطلق عليه العلوم الإنسانية التي كانت

(١) انظر أنور الجندي ، المد الإسلامي في مطلع القرن الخامس عشر ، ص ٩ ط دار الاعتصام

شراً وبئلاً، وداءاً مستظيراً فأفسدت الفكر والأخلاق والمجتمعات^(١)، وإن كانت العلوم التجريبية ذاتها قد امتزجت لدى الغرب بسموم الحادية ينبغي لنا تطهيرها منها لتتم الفائدة المرجوة منها .

وخلاصة القول أن نأخذ العلوم التجريبية بعد إزالة الشوائب التي علقت بها ونسترك الأخرى لأن عندنا ما يفنيها عنها بحمد الله ، وهذا ما نادى به دعاة الإسلام الصادقون حيث كانوا يرشدون إلى أخذ المنافع وترك المضار الوافدة من الغرب .

ب/ محور البنائيات :

ذكرنا فيما سبق أن سبب سقوط الأمة الإسلامية في حبال الغزاة الصليبيين هو جهلها وتخلفها وابتعادها عن تعاليم الدين ، ومقاصده وأهدافه السامية ، ففقدت بذلك أهم مقوماتها ، وأساس قوتها ، وهو الإيمان الذي ظل أمداً طويلاً حصنها الحصين وحاجزها المتين الذي تحطمت عنده عوامل التغيير الطارئة وتلاشت ، ولم تنفذ إليها جرائم الفسزو للفتك بها إلا بعد أن تضعف إيمانها ، إذ لا تنال عوامل التغيير من وضع اجتماعي رفيع قائم على أساس متين إلا إذا ضعف ، فعندئذ فقط تصبح عوامل التغيير قوية . ومثال قوة الإيمان وضعفه في الأمم والأفراد مثال السناعة في الجسد ، تصد هجمات الجراثيم الفتاكة ، فلا تنال منه طالما كان متيناً بها فإذا فقدها افترسته بسهولة ، لهذا كان البناء التربوي هو الوقاية التي تقى الأمة من شرور أعدائها ، وهو يتطلب العودة بالأمة إلى قواعد دينها وأصوله وحضارته ، كأساس للنهضة الشاملة ، لأن بناء النفوس والضائير يسبق بناء الجيوش والمصانع ، وهذا البناء لا يتم إلا وفق تعاليم الإسلام^(٢) القائمة على التوحيد الكامل المتضمن لتوحيد الربوبية والإلهية ، والصفات كما جاء به القرآن الكريم

١- توحيد الربوبية :

هو الاعتقاد الجازم بأن الله هو الرب المتفرد بالخلق والرزق والتدبير ، الذي ربي جميع خلقه بانعمه ، وربي خواص خلقه وهم الأنبياء وأتباعهم بالعقائد الصحيحة ، والأخلاق القويمة

(١) انظر أبا الفعلى المودودي ، موجز تاريخ الدين وأحيائه ، واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم

ص ١٨٠ ط الثالثة سنة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م مؤسسة الرسالة .

(٢) انظر الشيخ محمد الغزالي ، حصاد الغرور ، ص ١٤٥ دار البيان ، الكويت ط أولى

١٩٧٠ / ١٣٩٠

والعلوم النافعة ، والأعمال الصالحة ، والتربية النافعة للقلوب والأرواح ، الشجرة لسعادة الدارين ^(١) . قال الله سبحانه وتعالى : (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) ^(٢) وقال تعالى : (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم) ^(٣) وقال سبحانه : (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون . سيقولون لله ، قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم . سيقولون لله قل أفلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون . سيقولون لله قل فأنى تسحرون . بل أتيناكم بالحق وأنهم لكاذبون . ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون . عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون) ^(٤)

٢- توحيد الالهية :

وهو الذى يتضمن إثبات إلهية الله وحده بأن يشهد ألا إله إلا الله ولا يعبد إلا إياه ولا يتوكل إلا عليه ، ولا يوالى إلا له ولا يعادى إلا فيه ، ولا يعمل إلا لأجله . ^(٥)

هذا هو التوحيد الذى أرسلت لأجله الرسل ، وأنزلت له الكتب ، وهو العلم والاعتراف بأن الله ذو الألوهية والربوبية على خلقه أجمعين ، وإفراده وحده بالعبادة كلها وإخلاص الدين له وحده .

يقول المرحوم سيد قطب : (إن التوحيد كان هو الخاصية الأولى البارزة فى كل دين جاء به رسول من عند الله ، كما أنه كان المقوم الأول فى دين الله كله . . . وأن (الإسلام) - على إطلاقه - كان هو الدين الذى جاء به كل رسول ، بما أن الدين هو إسلام الوجه لله وحسده وإتباع منهج الله - وحده - فى كل شؤون الحياة ، والتلقى عن الله وحده فى هذه الشؤون كلها ، والعبودية لله وحده بطاعة منهجه وشريعته ونظامه ، والعبادة لله وحده سواء فى الشعائر التعبدية أو فى نظام الحياة الواقعية) ^(٦) (قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) ^(٧)

(١) انظر محمد ناصر ، كتاب القول السديد فى مقاصد التوحيد ص ١٦ ط الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد

(٢) سورة الزمر ، الآية ٣٨

(٣) سورة الزخرف ، الآية ٩

(٤) سورة المؤمنون الآيات ٨٦-٩٢

(٥) انظر د رء تعارض المسئل والنقل ، لشيخ الاسلام ابن تيمية ، ج ١ ، ص ٢٢٤

(٦) سيد قطب : خصائص التصور الاسلامى ومقوماته ص ٢١ الطبعة الشرعية الرابعة ، ١٣٩٨ / ١٩٧٨ م

(٧) سورة الانعام ، ١٦٢-١٦٣

وقال تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فأعبدون)^(١)

فالإسلام هو دين الله الذي بعث به رسوله مبشرين ومنذرين ولهذا أمرنا الله سبحانه بالإيمان بهم جميعاً فقال جل شأنه : (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالاً بعيداً)^(٢) . وقال سبحانه : (والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله لا نفرق بين أحد من رسوله)^(٣) .

فتوحيد الألوهية شامل لأقسام التوحيد كلها متضمن لها لأن الألوهية صفة تعم أوصاف الكمال وجميع أوصاف الربوبية والعظمة^(٤) قال تعالى : (وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو الوالد واحد فأياي فارهبون . وله ما في السموات والأرض وله الدين واصباً أفغير الله تتقون . وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون ، ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم يرميهم بشركون)^(٥) وقال تعالى (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ، وما من إله إلا الله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم . أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم)^(٦) وقوله سبحانه (أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون . لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون . لا يسأل عما يفعل وهم يسألون)^(٧)

٣- توحيد الأسماء والصفات :-

وهو الاعتقاد بانفراد الله جل شأنه بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة والجلال والجمال التي لا يشاركه فيها مشارك بوجه من الوجوه ، وذلك بإثبات ما أثبتته لنفسه أو أثبتته له رسوله صلى الله عليه وسلم من جميع الأسماء الحسنى والصفات العلى ، ومعانيها وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة على الوجه الذي يليق بعظمته وجلاله ، من غير نفى شيء منها ، ولا تعطيله ، ولا تحريفه ، ولا تشيله ، كما علم ذلك من الكتاب والسنة ، لأن أسماء الله وصفاته توقيفية فلا يسمى ولا يوصف إلا بما سى ووصف به نفسه ، أو ساء ووصفه به رسوله صلى

(١) سورة الأنبياء الآية رقم ٢٥

(٢) سورة النساء الآية رقم ١٣٦

(٣) سورة البقرة الآية رقم ٢٨٥

(٤) انظر القول السديد ص ١٦ / ١٧

(٥) سورة النحل الآية رقم ٥١-٥٤

(٦) سورة المائدة الايتين رقم ٧٣-٧٤

(٧) سورة الأنبياء الآيات رقم ٢١-٢٣

الله عليه وسلم ، ولا ينغى عنه شيء من خلقه ، ولا يجعل معه في خلقه شريك ، ولا له منهم نـد
ولا شبهه بوجه من الوجوه أو معنى من المعاني . قال تعالى (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير)^(١)
قال سبحانه : (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه
سيجزون ما كانوا يعملون)^(٢) . وقال تعالى : (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفوا أحد)^(٣) .

فهذه الآيات وغيرها كثير تثبت أن الله تعالى واحد في ذاته وواحد في صفاته ، وواحد
في أفعاله وتصرفاته لا إله غيره ولا رب سواه ، فالقرآن الكريم ينبوع العقائد به ربي رسول
الله صلى الله عليه وسلم الجيل الأول ، ذلك الجيل الفريد الذي لم يعرف التاريخ مثله ،
لأن الرسول صلى الله عليه وسلم تعهد به بالقرآن ، ولم يدع له أي مجال ليشوب عقيدته
بغير القرآن الكريم ،^(٤) فيجب على المسلمين أن يسلكوا هذا النهج القويم في أخذ عقيدتهم
من القرآن والسنة ، وهو المسلك الذي انحرف عنه الفلاسفة والمتكلمون ، فسلكوا طريقا ينافي
الفطرة السليمة .

(١) سورة الشورى الآية ١١

(٢) سورة الأعراف الآية ١٨٠

(٣) سورة الاخلاص

(٤) انظر الاستاذ سيد قطب ، معالم في الطريق ، ص ١٣ / ١٤

أسس التربية الصالحة:

القرآن الكريم والسنة المطهرة:

لما كان الهدف من التربية عموماً تعديل سلوك الأفراد ليكونوا لبنات صالحة في بناء المجتمع الصالح، نجد القرآن الكريم عني بالتربية الشاملة لتقويم السلوك البشري حيث أعطى كل عنصر من العناصر التي بها قوام الإنسان حقه، فبدأ بتربية الروح لأنها أسمى عناصر الإنسان، وثنى بالعقل لسموه على عنصر الحيوانية، وبه استحق الإنسان أن يكون الإنسان المكرم المميز في هذا الكون. والآيات الدالة على ذلك كثيرة، قال تعالى: (ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً) (١).

لهذا أمر الله الإنسان بتدبر القرآن لحصول الذكرى والاعتبار فقال: (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب) (٢). فبتدبر العقل على التفكير والتدبر والاعتدال (٣) تحصل الاستقامة على العبودية لله وحده، وهي أهم أهداف التربية الإسلامية التي تسعى لتزكية الإنسان ليكون عضواً صالحاً في المجتمع، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ثُمَّ اسْتَقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (٤). وقال سبحانه: (فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير) (٥)، فما استقام العبد وسلم من الخطايا فهو من الصالحين (٦). وقال سبحانه (أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوا الألباب) (٧). قال القاسبي: (٨) وفي وصف أولي الألباب الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل. فتلك

(١) سورة الاسراء، الآية رقم ٧٠

(٢) سورة ص الآية رقم ٢٩

(٣) انظر عبد الرحمن محلاوي، والتربية والمشكلات المعاصرة ص ٢٦ المكتب الاسلامي ط أولى سنة ١٤٠٢/١٩٨٢ م.

(٤) سورة الاحقاف، الايتين رقم ١٣-١٤

(٥) سورة هود الآية رقم ١١٢

(٦) من رسالة القاسبي، مطبوعة ضمن كتاب التربية الإسلامية للاهواني ص ٢٧٤

(٧) سورة الرعد الآية رقم ١٩ هو أبو الحسن علي بن محمد بن حلفا المعافري المعروف بالقاسبي ولد ٣٢٤ هـ/٩٣٥ م

(٨) وتوفي سنة ٤٠٣ هـ/١٠١٤ م. الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين مطبوعة ضمن كتاب التربية الإسلامية للدكتور احمد فؤاد الاهواني ص ٢٧١

الأوصاف كلها من وفى بها فهو المستقيم كما أمر^(١)

كما اهتم القرآن الكريم بتربية القلب على الخشوع فقال تعالى (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق^(٢)) وقال تعالى (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب^(٣) الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب^(٤)) ولقد اهتم السلف الصالح من هذه الأمة بتعليم القرآن لأبنائهم كأساس للتربية الصالحة اهتماماً يليق بعظمته، فقال ابن سعد رضي الله عنه: (أرى أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وإنما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين^(٥))

وقال الشهيد سيد قطب: (فمنهج الإسلام الواضح في التربية يقوم على أساس تحويل الشعور الباطن بالعقيدة وآدابها إلى حركة سلوكية واقعية وتحويل هذه الحركة إلى عادة ثابتة، وقانون، مع استحياء الدافع الشعوري الأول في كل حركة لتبقى متصلة بالينبوع الأصيل^(٥)) فهو منهج متكامل للتربية يوائم البشر جميعاً على مختلف طباعهم، فيسلك لكل ما يناسبه، فالترغيب لمن يحسن حاله به، والأمثال لمن يعتبر بها، والحوار والنقص بمختلف أنواعه للاقتناع والاعتبار، وأخيراً التهيب بالوعيد الشديد لمن عدا على فطرهم عاد من الفساد، ولا يصلح حالهم إلا بالوعيد، فهو منهج وضعه المعلم الخبير لتزكية المؤمنين، وقيام الحجة على المعاندين، قال القابسي: (وقد أمر المسلمون أن يعلموا أولادهم الصلاة والوضوء لها، ويدربوهم عليها ليسكنوا إليها ويألفوها فتخف عليهم إذا انتهوا لوجوبها، وهم لا بد لهم إذا علموهم الصلاة أن يعلموهم من القرآن ما يقرؤونه فيها، وقد مضى أمر المسلمين أنهم يعلمون أولادهم القرآن، ويأتونهم بالمعلمين، ويجتهدون في ذلك، وهذا مما لا يمتنع منه

(١) الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين ص ٢٧١

(٢) سورة الحديد، الآية ١٦

(٣) سورة الرعد، الآيات ٢٨-٢٩

(٤) الرسالة المفصلة، ص ٢٧٣

(٥) الشهيد سيد قطب، في ظلال القرآن ج ٤ ص ٢٥٢، الطبعة الشرعية السابعة سنة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م، دار الشروق.

أحد تهاونا واستخفافاً، ألا والد جاف لا رغبة له في الخير، إن الله سبحانه وصف في كتابه عباده فقال : (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً . . . إلى قوله تعالى) والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً) فمن رغب إلى ربه أن يجعل له من ذريته قرة أعين، لم يبخل على ولده بما ينفق عليه في تعليمه القرآن . . . فما يدع الرغبة في تعليم أهله وولده الخير إلا شحاً على الإنفاق أو تهاوناً بفقد هم ذلك الخير إلا جاف أو بخيل .

"إن حكم الولد في الدين حكم والده ما دام طفلاً صغيراً، أفيدع ابنه الصغير لا يعلمه الدين؟ وتعليمه يؤكد له معرفة الدين . . . لقد استغنى سلف المؤمنين أن يتكفوا الاحتجاج في مثل هذا، واكتفوا بما جعل في قلوبهم من الرغبة في ذلك فعملوا به وأبقوا ذلك سنة ينقلها الخلف عن السلف، ما احتسب في ذلك على أحد من الآباء ولا تبين على أحد من الآباء أنه ترك ذلك رغبة عنه ولا تهاوناً به، وليس هذا من صفة المؤمن المسلم، ولو ظهر على أحد أنه ترك أن يعلم ولده القرآن تهاوناً بذلك لجبّل وقبح ونقص حاله. ولكن قد يخلف الآباء عن ذلك قلة ذات اليد فيكون معذوراً^(١)

ويقول محمد بن سحنون* : (قال سحنون ، ولا يجوز للمعلم أن يرسل الصبيان فسي حوائجه وينبغي للمعلم أن يأمرهم بالصلاة إذا كانوا بنى سبع سنين ، ويضربهم عليها إذا كانوا بنى عشر - وكذلك قال مالك - حدثنا عنه عبد الرحمن* قال : قال مالك : يضربون عليها بنو عشر ، ويفرق بينهم في المضاجع ، قلت : الذكور والإناث ؟ قال : نعم . قال سحنون : ويلزمه أن يعلمهم الوضوء والصلاة لأن ذلك دينهم ، وعدد ركوعها وسجودها ، والقراءة فيها ، والتكبير وكيفية الجلوس ، والإحرام ، والسلام ، ويتعاهد هم بتعليم الدعاة ، ليرغبوا إلى الله ويعرفهم عظمته وجلاله ليكبروا على ذلك^(٢) .

(١) الرسالة المفصلة لحوال المتعلمين ، وأحكام المعلمين والمتعلمين ص ٢٨٨
* هو أبو عبد الله محمد بن سحنون ، ولد سنة ٢٠٢ هـ تفقه على أبيه وكان إماماً في الفقه عالم بالآثار لم يكن في عصره أحذق بفنون العلم منه . توفي سنة ٢٥٦ هـ . انظر ترجمته في الديباج المذهب ٢٣٤ / ٢٣٥ ، وطبقات الفقهاء ص ١٥٧
* هو عبد الرحمن بن القاسم العتقى المصرى الفقيه أثق أصحاب مالك ، ولد سنة ١٢٨ هـ وتوفي سنة ١٩١ هـ انظر المدارك ج ١ ص ٤٤٦ ، وتخريج أحاديث المدونة ج ١ ص ١٦١

(٢) أبو عبد الله محمد بن سحنون ، آداب المعلمين ، مطبوعة ضمن كتاب التربية الإسلامية للدكتور أحمد فؤاد الأهواني ص ٣٦٠

ولم يكن تعليم القرآن مقصوراً على المستطيعين من أبائهم في مكة منه أو على قيود الحياة ، بل نجد فقهاء المسلمين اعتبروا التعليم حقاً مشاعاً لجميع أبناء المسلمين ذكوراً وإناثاً ، أيتاماً وضعافاً .

تعليم المرأة :

يقول القابسي في تعليم الإناث :

" أما تعليم الأنثى القرآن فهو حسن ومن مصالحها " ^(١) على أن يكون تعليمها بعيداً عن اختلاطها بالذكور ، قال سحنون : " وأكره للمعلم أن يعلم الجوارى ويخلطهن مع الغلمان لأن ذلك فساد لهم " ^(٢)

تعليم اليتيم :

قال القابسي : " وأما إن كان للولد مال فلا يدعه أبوه أو وصيه إن كان قد مات أبوه ، وليد خل الكتاب ، ويؤاجر المعلم على تعليمه القرآن من ماله حسب ما يجب ، فإن لم يكن لليتيم وصى نظر في أمره حاكم المسلمين ، وسار في تعليمه سيرة أبيه أو وصيه ، وإن كان ببلد لا حاكم فيه نظر له في مثل هذا لو اجتمع صالحو ذلك البلد على النظر في مصالح أهله ، فالنظر في هذا اليتيم من تلك المصالح ، وإن لم يكن لليتيم مال فأمه أو أولياؤه الأقرب فالأقرب به هم المرغبون في القيام به في تعليم القرآن ، فإن تطوع غيرهم بحمل ذلك عنهم فله أجره ، فإن احتسب فيه المعلم فعله لله عز وجل ، وصبر على ذلك فأجره إن شاء الله يُضعف في ذلك ، وإن هي صنعتها التي يقوم منها معاشه ، فإذا آثره على نفسه استأهل إن شاء الله حظاً وافراً من أجور المؤثرين على أنفسهم) " ^(٣)

هكذا كان مجتمع المسلمين كالبنيان يشد بعضه بعضاً فلا تجد الآفات طريقها إليه ، فعندما فشت الأنانية وحب الذات ، وغاب الوعي الإسلامي ، تسلت الصليبية الحاكمة اليأس و مدت حبالها المتمثلة في مدارس التنصير التي انتشرت في الرقعة الإسلامية فتبنت الأيتام وأبناء الضعفة ولم يسلم منها أبناء العلية مع الفارق بين تعليم الطبقتين حيث تقدم النصرانية سافرة للأولى ، ومغلقة في ثوب علماني للثانية ، كما أشرنا إلى ذلك .

(١) الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المتعلمين ص ٢٨٩ .

(٢) آداب المعلمين ص ٣٦ .

(٣) الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المتعلمين ص ٢٨٩ .

ولا يعنى جعل القرآن الكريم أساس التربية لناشئة المسلمين أن تكون التربية وعظاً دينياً ، ليس هذا هو المقصود ، وإنما المراد أن يكون القرآن الكريم أساس جميع مناهج العلوم لتزول الثنائية الفكرية التي غرسها المستعمر بواسطة مناهجه العلمانية لخدمة الحضارة الغربية المادية ، وجنى ناشئة المسلمين ثمارها الخبيثة شكاً ، وإحاداً ، ومروقاً من الدين ، فقد كان وما يزال في بعض البلاد حتى الآن ، يدخل معلم الدين فيلقن التلاميذ الدليل على وجود الله خالق هذا الكون بأحيائه وجماده ، وأنه خلق آدم أباً البشر من طين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وأمر الملائكة أن يسجدوا له ، وجعله سيد هذا الكون وسخره له ، فاستحق بذلك الشكر والعبادة . ثم يعقبه معلم العلوم مثلاً فيعفى على أثره ، بحد يثه عن أصل الخليقة وأصول الحيوانات وتراكيبها وأن الطبيعة زودت الغيل بكذا والزرافة بكذا وأن الإنسان ارتقى وتطور إلى آخر ما مر عند ذكر مناهج التعليم ، لذلك وجب على المسلمين أن يقتلعوا هذه الثقافة من مجتمعاتهم بالعودة إلى أصول تربيتهم الإسلامية لتزول هذه الثنائية .

كيفية ربط المنهج بالقرآن الكريم :

من المعلوم أن القرآن الكريم دعا الإنسان إلى النظر في ملكوت السموات والأرض ليدرك العلاقة القائمة على الترابط والانسجام بين عناصر هذا الوجود كلها فقال سبحانه :
" أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء " (١)
وفي هذا الإحكام والتوائم أكبر الأدلة على وجود المكون وقدرته ، وحكمته ولا ريب أن الإشارة المتكررة في القرآن الكريم إلى أن الله ذلل للإنسان الأرض بما فيها من كوز ، ومسا عليها من أحياء ونبات ، وفيها حث للإنسان على العمل الجاد الشمر لاستغلال هذه المنافع ، وذلك أساس حضارة الإسلام التي كانت نعمة وبركة على الإنسانية جمعاء ، قال سبحانه : " هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور " (٢)
فالأرض بكل ما تحمله على ظهرها من حيوان وثمار ، وما بداخلها من مياه ومعادن ، وما يحيط بها من غلاف جوى ، كل ذلك مسخر للإنسان ، قال تعالى : " الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجروا في البحر بأمره

(١) سورة الأعراف الآية ١٨٥

(٢) سورة المائدة الآية ١٥

وسخر لكم الأنهار . وسخر لمسكنكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار . وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إِنَّ الإنسان لظَلُومٌ كَفَّارٌ^(١) وقال سبحانه : (الله الذي سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه)^(٢)

والإنسان مدعو إلى استغلال ذلك كله باكتشاف الوسائل العلمية التى توصله إلى أحسن وجوه استغلال هذه المنافع لخير الإنسانية وسعادتها وليس لشقاؤها ودمارها كما تفعل حضارة الغرب المادية ، لئلا هذا يجب توجيه المناشئة المسلمين إلى كنوز هذا القرآن عن طريق المؤسسات والمناهج التربوية حتى يزول الازدواج الموجود فى المناهج الحالية وتزول العزلة التى أحدثها الغرب بواسطة المناهج عن أذهان التلاميذ ، ويتشكروا دينهم نوراً يدخل فى الحياة كلها ويشفى صدورهم من أمراض الغرب التى جرتهم إلى الشك والإلحاد

القدوة الحسنة :

من السهل إعداد المنهج المتكامل ، ولكنه سيظل حبراً على ورق إذا لم يجد من يحوله إلى حقيقة واقعة متحركة فى الواقع المعاش^(٤) ، فالمعلم المسلم يستطيع أن يقرر حقائق هذا الدين من خلال مادته التى يدرسها للتلاميذ ، لأن كل العلوم كونية أو غيرها لها اتصال مباشر بالدين ، والعمل على تفسير أسرارها وربطها دائماً بخالقها وخالق الكون هى مهمة المعلمين المسلمين فى كل مجال من مجالات العلوم ، كل فى مجال تخصصه فجميعها تهدف إلى إشاعة روح الدين فى التلاميذ حتى يتأثروا به فيما يفعلون وما يتركون فى شئون الدنيا ، ومن المعلوم أن هذه الحقيقة لا تقرر بدروس الدين وحدها ، فقد يدرس التلميذ الدين وينجح فيه بتفوق ، ولكنه يكره الدين ومعلمه وسائر المتدربين ، وهذه جريمة لا شك يتحمل معلم الدين وزرها لأنه زرع علم الدين ولم يزرع الدين فى تلاميذه ، فواجب المعلمين عامة ، ومعلم الدين بخاصة أن يتحدث عن الدين بقلبه ولسانه ، موقناً بما يقول ، وأن يتحمله عملاً وسلوكاً

(١) سورة إبراهيم ، الآيات ٣٢-٣٤

(٢) سورة الجاثية ، الآيتان ١٢ ، ١٣

(٣) انظر أنور الجندى ، الإسلام تاريخ وحضارة ص ٧ ، ط دار الاعتصام ، بدون تاريخ .

(٤) انظر الاستاذ محمد قطب ، منهج التربية الإسلامية ج ١ ص ٢٢١ . ط ثانية ، دار الشروق .

ليتموفر جو الرهبة والخشية والوقار لدرس الدين ، ومدرسه ^(١) ، وبهذا يتحول المنهج إلى واقع مترجم بالسلوك ، والتصرفات والأفكار ، وعندئذ فقط يتحول إلى حقيقة وحركة وتاريخ ، ولقد علم الله سبحانه وهو يصنع هذا المنهج العلوي المعجز أنه لا بد من مثال يرى في الواقع المشاهد ، فاقتضت حكمته ورحمته ببنى البشر أن يكون المثال إنساناً منهم يحمل هذا المنهج ، ويحوّله إلى حقيقة لكي يعرف الناس أنه حق ثم يتبعوه ، فبعث محمداً صلى الله عليه وسلم ، ليكون ذلك المثال ، فقال سبحانه : " لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة " ^(٢) ووضع في شخصيته صلى الله عليه وسلم الصورة الكاملة للمنهج الإسلامي ، الصورة الحية الخالدة على مدار التاريخ ليكون الأسوة الحسنة التي يتأسى بها الناس ، وقال سبحانه " لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة " ^(٣) وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم ، فقالت : " كان خلقه القرآن " ، ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مربياً هادياً بسلوكه ، قيل أن يكون مربياً بالكلام السدي ينطق به سواه في ذلك القرآن المنزل أو الحديث الشريف وهو في ذلك كله يدعوه إلى الله وإلى تطبيق شريعته لتكمل فطرتهم وتهذب نفوسهم ، وتتوحد قلوبهم فتتوجه طاقاتهم كلها إلى الخير والسمو ^(٤) ، فربى بذلك جيلاً كاملاً شهد له الله سبحانه بأنه خير أمة أخرجت للناس لاستمساكه بهذا المنهج الرباني فقال سبحانه " كتبتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله " ^(٥)

فالشخصية الإسلامية لا تتحقق بالتوعية الفكرية المجردة بل لا بد من التربية والتعهد حتى يصبح الإسلام وحده هو المقياس لاشباع الميول والنوازع ، ولتحديد الخير ونشره ، ولحدود الحلال والحرام ، ولهذا وجب إعداد (الطليعة الإسلامية) إعداداً نفسياً ومعنوياً ، وعقدياً وأخلاقياً وفكرياً وحركياً للقيام بالدور الكبير لمواجهة مسئولياتها الضخمة بمستوى السرعة والدقة والكفاية التي تتطلبها العصر والتي تتطلبها مواجهة الجاهلية ^(٦) . ومن الوسائل المعينة على تحقيق هذا الهدف وجود اعلام اسلامي .

- (١) انظر عبد البديع صقر ، كيف ندعو الناس ص ١١٤ ، ط الاتحاد الاسلامي العالي للمنظمات الطلابية سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م
- (٢) سورة آل عمران الآية ١٦٤
- (٣) سورة الأحزاب الآية ٢١
- (٤) المسند ج ٦ / ١٨٨ .
- (٥) انظر منهج التربية الإسلامية ج ١ ص ١٢٢ / ١٢٢
- (٦) المصدر السابق ص ٢٢٥ / ٢٢٦
- (٧) انظر التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة ص ٢٦١
- (٨) سورة آل عمران الآية ١١٠
- (٩) انظر فتحي يكن ، نحو حركة اسلامية عالمية واحدة ص ٤٦ ، ط رابعة ١٤٠٥ / ١٩٨٤ مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان .

المبحث الثالث إعلام إسلامي قوى

يعتبر الإعلام من أميز سمات هذا العصر لما أحرز فيه من تقدم فائق، ففي العصور السابقة كان التأثير عن طريق الخطابة والكتابة، أما اليوم فبالصورة الطونة، والناطقة والمتحركة مضافاً إلى ذلك فن التصوير والإبداع في الإخراج، والبراعة في التوجيه الإعلامي، والدعائى على يد خبراء متخصصين في استخدام الوسائل الإعلامية بجميع أنواعها، مما جعل الإعلام ذا أثر على جميع الناس فسفدا قوة لها شأنها في الصراعات الفكرية، والسياسية، والاقتصادية وصار سلاحاً ماضياً في الحروب النفسية والحسية، وأضحى الإنسان في نظر الإعلاميين (نفساً إعلامية) تتغذى بالخبر وتنمو بالفكر^(١) وأصبح مجاله واسعاً، وليس كمجال التعليم الذى تحكمه النظم والقيود، والرسميات المتثقلة في المناهج، وأعداد التلاميذ وأعمارهم.

فوسائل الإعلام الكيرة المتعددة تستطيع تغيير العقول والأفكار والقيم، والموازين، بموضوعاتها المتعددة، وأساليبها المتنوعة، فتوجه الجمهور إلى ما تريد من مفاهيم جديدة تعمل على ترسيخها في الأذهان، بالمقال، والخبر، والصورة، والقصة حيناً، والتحقيقات والتحليلات أحياناً، ولقد كانت هذه الوسائل وما تزال من أقوى دعائم الغزو الثقافى^(٢) الذى واجهته الأمة الإسلامية فى مختلف ديارها بعد التعليم، ولم تعد وسائل الغزو الفكرى هى تلك الوسائل التقليدية العتيقة التى استعملها الغرب فى القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، من تبشير، واستشراق ودس للنظريات المفلغة بدعوى العلم الحديث، والمؤتمرات الحاقدة فحسب، كما ذكر أحد الشققين فى قوله: "ان الغزو الثقافى الخطر لم يعد يأخذ صورة مبشر فى كنيسة يقنع المهلين المهج باعتناق ديانته متحضرة، وإن كانت النشاطات التبشيرية فى بعض أنحاء العالم الثالث لا تزال مصدر تهديد لا يستهان به، والغسزو الثقافى لم يعد يتخذ شكل كتاب ملئ بالدس يؤلفه مستشرق لئيم فى جامعة غربية، وإن كان هذا النوع من المستشرقين لم ينقرض تماماً، إن الغزو الثقافى الخطر اليوم لم يعد يتخذ شكس

(١) انظر منى حداد يكن، أبناؤنا بين وسائل الاعلام واخلاق الاسلام ص ١٥/١، مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣

(٢) انظر التبشير والاستعمار ص ٢١٣

مؤامرة استعمارية تستهدف تشكيك شعب ما في تاريخه وأخلاقه وديانته ، وإن كان الحديث لا ينقطع عن مؤمرات كهذه حقيقية أو وهمية . إن أخطر ما في هذا الغزو الثقافي المعاصر أنه أصبح ذا واقع ذاتي تلقائي يتم دون مجهود من الجهات الفازية فيقدم المغزو فـسـى حماسة وبله لا إلى قبوله فحسب ، بل إلى اعتناقه واحتضانه دون أن يدرك ضرره ، وهنا مكن الخطر^(١) ، وهذا كله يتم بواسطة وسائل الإعلام المسموعة ، والمسموعة المرئية التي تفنن الغرب في ابتكارها ، من صحافة ، وإذاعة ، وسينما ، وفيديو ، وتلفاز ، و لليهود فيها نصيب الأسد^(٢) ، وهذه الوسائل لا توجه الرأي أو تهيج لقبول ما تنشر فقط ، بل أصبحت تكون الرأي العام^(٣) وهي وسائل متطورة متجددة كل يوم ، وما زالت الجهود تبذل في كل من اليابان وأمريكا ، وفرنسا ، لتطوير التلفاز ليصبح مع بداية القرن الحادي والعشرين مذياعا مرئيا ، يستطيع كل فرد أن يبحث في قنواته المتعددة عن المحطة ، أو البرنامج الذي يعجبه في أي مكان في العالم . ففي اليابان تجري تجربة النظام الدولي للاتصالات المرئية وسيغطي هذا النظام الجزر اليابانية مع مطلع التسعينيات ثم يغطي أرجاء واسعة من القارات الخمس مع بداية القرن الحادي والعشرين .

والمشروع الأمريكي سوف يعمل قبل حلول عام خمسة وتسعين وتسعمائة بعد الألف ، وسيغطي القارة الأمريكية وأوروبا الغربية ، وأجزاء من الشمال الأفريقي .
والثالث المشروع الفرنسي الذي وضعت نواته في أكتوبر سنة ١٩٨٥ ، وأطلق عليه مركز التلفاز العالي ، وسيصل بثه إلى جميع شاشات التلفاز المنزلية ، وبإمكانه التقاط البرامج من محطات عالمية بواسطة القمر الصناعي الفرنسي للبث التلفازي المباشر دون الحاجة إلى المحطات الأرضية^(٤) .

(١) من محاضرة ألقاها دكتور عبد القادر طاش ، رئيس قسم الاعلام بكلية الدعوة والاعلام بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، وذلك في مساء الأحد ٢٧ من رجب ١٤٠٦ هـ بجامعة أم القرى بمكة المكرمة بعنوان (اضاءات حول الاعلام الاسلامي)

(٢) انظر أبنائنا بين وسائل الاعلام واخلاق الاسلام ص ٤٠ .

(٣) النظرية الإعلامية في الاعلام والعلاقات الانسانية ، بحث قدم للندوة العالمية للشباب وطبع مع مجموعة البحوث بعنوان : النظرية الاسلامية في الاعلام ، ص ٢٩٢ وما بعدها ط أولى ، سنة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

(٤) من محاضرة عبد القادر طاش .

إن هذا الغزو الرهيب الذى اختصر مسافات الزمان ومساحات المكان ، واقتحم الجدر والأسوار ، واتصل بالناس وهم داخل حجرهم دون أن يكلفوا أنفسهم مؤونة الاتصال^(١) ، وأصبح ميدانه واسعاً ويعمل بحرية ونشاط ، لا بد من مواجهته والتنبيه لخطورته .

والمؤسف أن الإعلام فى جميع بلاد العالم - ماعدا بلاد المسلمين - يسير وفق خطة سياسية وضعت لخدمة المعتقدات والأفكار والنظم التى يقوم عليها المجتمع ، ففى دول العالم الشيوعى يقوم الإعلام بدور فعال فى الدعوة إلى الاشتراكية ، وتشقيف المجتمع بمبادئها وتفسيره من المبادئ المناوئة لها ، ودحض جميع الأفكار التى تخالف النظرية الشيوعية ، والقائمون عليها يرون أن وسائل الإعلام لا وظيفة لها إلا خدمة سياسة الحزب ومصلحته ، وتعبئة الرأى العام وربطه بمنهج الحاكم .

سأل (لينين) نغراً من الشيوعيين ، عن هو الشيوعى الممتاز فى تقديرهم ؟ فلمّا اضطربت إجاباتهم قال لهم :

إنّ السينمائى الشيوعى فهو الذى يستطيع أن يخدم الحزب والدولة أكثر من ألف شيوعى منتظم .

وفى الدول الغربية الأوربية والأمريكية نجد الحال نفسه من قيام الإعلام بالترويج للنظام العلمانى اللبرالى ، والإشادة بالحرية والديمقراطية ، والتنفير من الماركسية فكراً ، وسياسة ، والجري وراء المذات والشهوات الحسية^(٢) . حتى غدا المجتمع الغربى دون مجتمع الحيوان تحلاً وانغماساً فى الرذيلة ، وبالإضافة إلى ما ذكر فإن غالبية وسائل الإعلام إن لم تكن جميعها مسخرة لتشويه تعاليم الإسلام وعرضها بصورة تنفر الناس منه ، وتشويه واقعه المسلمين باظهارهم فى أقبح المظاهر .

وسائل الإعلام فى بلاد المسلمين :

أما وسائل الإعلام فى بلاد المسلمين فهى فرع عن أصل ، والفرع تابع لأصله ، فكما أن الحكم تغلب عليه الصبغة الغربية التى صبغ الاستعمار بها مجتمع المسلمين ، فكذلك هذه المرافق

(١) انظر أبنائنا بين وسائل الاعلام واخلاق الاسلام ص ٢٢ / ٢٣

(٢) نفس المصدر والصفحة .

الحيوية، لأن الاستعمار هو الذى شيد لها لحمايته، واهتم اهتماماً زائداً بوسائل التربية والتوجيه ليربط هذه المجتمعات ربطاً محكماً بنظمه وثقافته وأفكاره، فقام نظام التعليم والإعلام فى هذه البلاد غربياً صرفاً، إلا ما فسحه المستعمر للأفكار الشيوعية فى هذه المجتمعات لتتصدى لأى توجه إسلامى يعجز عملاؤه عن مواجهته، ولهذا السبب آلت بعض وسائل الإعلام للشيوعيين فى كثير من بلاد المسلمين، ولا تزال هذه التبعية قائمة إلى يومنا هذا.

فأنباء العالم الإسلامى وأحداثه وقضاياها يطلع عليها العالم بل المسلمون أنفسهم من خلال البرقيات التى تذيبها الوكالات الأجنبية، وأصبحت وظيفة وسائل إعلام المسلمين محصورة فى إعادة نشر تقارير هذه الوكالات باللغة العربية أو اللغات المحلية الأخرى ونتيجة لهذا الغياب الإسلامى طمست قضايا المسلمين فى كثير من أجزاء المعمورة، وضخت قضايا أعدائهم كالصراع بين اليهود^(١) والمسلمين فى فلسطين، والهندوس والمسلمين فى شبه القارة الهندية والنصارى والمسلمين فى يوغندا والحبشة وجنوب السودان، يضاف إلى هذا التعطيم الإعلامى أن وسائل الإعلام فى البلاد الإسلامية معاول هدم وإفساد وتد مير لأنها لا تملك رشد هط وإنما هى حاكية لما يدور فى مراكز التوجيه الرئيسية فهى موظفة، وموجهة لزعزعة عقائد المسلمين، ومحاربة مبادئ الإسلام وتعاليمه، وهدم أخلاقه وقيمه، ومحو ثقافته من مجتمع المسلمين، وإفساد ناشئتهم بدءاً بمرحلة الطفولة حيث يشاهد أطفالهم أفلام (الكرتون) التى تشرح لهم عملياً نظرية النشوء والارتقاء، وكيفية تطور الإنسان من حيوان - قرد - فينتقلون إلى مراحل التعليم وفهمهم قابلية لتصديق هذا الهراء، كما يشاهدون صورة مصفرة تعرضها هذه الأفلام (الكرتونية) عن الأب والابن (عيسى وأبيه) وهى عطية إفساد لعقولهم الصغيرة التى نقشت هذه الوسائل فيها أن عيسى هو ابن الله، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، والقنساء الأجنبية يتخلل التبشير برامجهن، فتعرض الأساليب الكسبية والتراتيل النصرانية عبر القصص بلا اقحام مفتعل، ولا تدخل مصطنع يوحى بالتكلف والتزوير، كما يقوم هذا الجهاز بتقديم أنواع من الفن الهابط والأغاني الماجنة والمسلسلات العربية التى تدور حلقاتها المتلاحقة على المكيدة والتزوير وسوء السلوك وهى فى معظمها هابطة المستوى متدنية العطاء تعرض علاقة

(١) انظر الإعلام الإسلامى والعلاقات الانسانية ص ٣٠٦

الرجل بالمرأة عبر مخادع النوم ، وثيات الاغراء الشفافة بأسلوب رخيص ماجن^(١) فأصبحت المرأة عنصراً مهيناً مهدر الكرامة في عالم الإعلام ، والإعلان فاستغلت لرواج الفساد قبل رواج السلعة فقل أن تجد إعلاناً خلا من صورة امرأة عارية تماماً أو شبه عارية بدلاً بشفرة الحلاقة وانتهاء بأطر السيارات وآلات الحرث والزرع ، وقد تكون المعلنة نفسها امرأة عارية أو شبه عارية ، وبهذا تسلل الفساد إلى جميع المنازل إلا من عصم الله^(٢) ، ولم يكن الأمر مقصوراً على التلفاز بل دأبت وسائل الإعلام الملونة الأخرى على عرض الصور الخليعة لترويج وإنتاجها فهي تهرع إلى المصائف والمراقص وحانات الخنا لتزين صفحاتها بصور الساقطات على أنهن عنوان الرقي والتحضر ليكن قدوة للبنات.

أما السلسلات الأجنبية فتتلخص في الجرائم البشعة التي يقرؤها محترف يتوارى عن الأنظار فيتهم رجال الشرطة برئيتها ، وخلال ذلك تعرض الجرائم بشتى ألوانها وممارساتها بحيث لا يبقى في ذهن الطفل إلا أسلوب الإجرام الذي شاهد على اختلاف أضافه ، من قتل أو استيلاء على الأموال أو تسلق للعمارات أو تفجير للسيارات أو نهب لها أو لخزائن المصارف المتينة التي يحرسها منه كهربائي ورجل مدجج بالسلاح ، لهذه الأسباب تكونت داخل مجتمعاتنا عصابات تقلد أبطال هذه السلسلات التي ارتفعت الأصوات برفضها حتى نفس بلادها الأصلية حيث تقدمت آلاف الأمهات الأمريكيات إلى الكونغرس ليعمل على وقف إنتاجها وعرضها على الجيل الجديد ، فاستجاب لشطر الطلب ، وشجع على تصدير الإنتاج للاجتماع المنكودة خارج أمريكا^(٣).

وفي ألمانيا قام الخبراء بدراسة عن تأثير الأطفال بالإرهاب الذي يعرضه التلفاز ، فاتفق أن في أسية واحدة شاهد حوالي نصف مليون طفل في ألمانيا الغربية أحد البرامج عن (المافيا) فحدثت خمس جرائم قتل ، وحالة انتحار بشعة ، واتفق كذلك من الدراسة التي قاموا بها أن نصف الأطفال بين السادسة والرابعة عشرة نسوا أن هناك موتاً طبيعياً ، وأيقنوا أنه لا بد أن يموت الإنسان مقتولاً ، والمعجيب في الأمر أن الخبراء الذين أجروا الدراسة قاموا

(١) انظر يوسف العظم ، الاعلام العربي المعاصر وأثره في ضياع الجيل وهزيمة الأمة ، ص ٥٦ مطبوع ضمن بحوث الندوة العالمية بعنوان (الاعلام والعلاقات الانسانية) النظرية والتطبيق

(٢) انظر أيناؤنا بين وسائل الاعلام وأخلاق الاسلام ص ٤

(٣) انظر الاعلام العربي المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٥٠٧

بمحاكمة التلفاز كأنه شخص مائل أمامهم، وحكموا عليه بالسجن المؤبد (٥٢) مرة وزادوه ثمانين سنة سجناً عادياً^(١) وهكذا غدت وسائل الإعلام وسائل إفساد يتزعمها التلفاز ان لا يوجد بينها ما هو أوسع منه انتشاراً وأفظع منه . تدويراً حيث يقبع الشباب ذكراً وإناثاً الساعات الطوال أمام شاشته يشاهدون ما أشرنا إليه من مسلسلات وأفلام غارية بالإضافة إلى البرامج المتنوعة التي تنقل أنماط الحياة الغربية بكل ما فيها من صخب ومجون وفساد ووباء خلق متنوع.

ومجمل القول إن إعلامنا يقوم بدور الناقل أو الحاكي ، فبرامجه إما غربية أو مستغربة تصادم واقعنا ومعتقداتنا وعاداتنا وتقاليدنا ، وتعوق نهضتنا وتقدمنا وتفسد شبابنا ونساءنا وتسبب في تنشئة أجيال ليس لها من الإسلام إلا الاسم ، غربية المنهج والفكر والسلوك ، أجيال تعرف الكثير عن المغنين والراقصات ، وتتخذ من هذا المسخ المشوه أسوة وقسوة وتجهل تاريخنا وروائع حضارتنا جهلاً تاماً فهل هذا كله يتم عفواً دون تخطيط ؟ كلا فإن وسائل الإعلام في بلاد المسلمين تسير وفق سياسة مرسومة أحكمت حلقاتها وتم ربطها بالقوى العالمية التي تحركها بواسطة عملائها الذين يخدمون مصالحها في هذه البلاد .

يقول المستشرق (جب) :

(إن مديري الصحف اليومية ينتمون معظمهم إلى التقديس ولذلك كان معظم هذه الصحف واقعاً تحت تأثير الآراء الغربية . . . إنهم لا يلعبون دوراً مهماً في تشكيل الرأي العام بالقياس إلى الأحداث المحلية فحسب ، ولكن صحفهم تحتوى كذلك على مقالات مترجمة من الصحف الأوروبية ، ثم هم في الوقت نفسه يقفون الرأي العام على ما يجري في الغرب من أحداث ، وما يستحدث من آراء مبيينين صدى ذلك في الشرق)

ويستعرض الصحافة في بلاد المسلمين فيقول :

(إن الصحافة التركية بطبيعة الحال وطنية لادينية ، وهي لا تجرؤ على أن تكون دينية لأنها مراقبة من قبل الحكومة مراقبة شديدة . أما المصرية فهي على العكس من اتجاه الأولى الثوري ، تتطور ببطء ، وتعرض طائفة من الآراء الجديدة ، وهي على كل حال لادينية فسي اتجاهها^(٢))

وما ساقه المستشرق عن الصحافة ينطبق على بقية وسائل الإعلام .

(١) صحيفة الراية السودانية ، العدد ٢٥٩ ، بتاريخ ٣٠ ربيع الأول ١٤٠٧ هـ ، يد ديسمبر ١٩٨٦

(٢) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ص ٢٠٢

تنقية وسائل الإعلام:

لكل ما سقناه من الشواهد نرفع الصوت جهراً إلى أولى الأمر ومنغذى السياسات الإعلامية في بلاد المسلمين إن كانوا أحراراً فيما يفعلون، أن يقوموا بخطوة إيجابية ينظفون بها وسائل الإعلام من عملاء الغرب أعداء المجتمع وإلا سوف لا تؤتى أى جهود إصلاحية ثمرتها المرجوة، لأن كل إصلاح يقوم في زمن مديد، يهدمه الإعلام في وقت وجيز وما أصدق قول

الشاعر: متى يبلغ البنيان يوماً تمامه * إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

وقول الآخر:

لو ألفت بأن خلفهم هادم كفى * فكيف ببان خلفه ألفت هادم

ولا يكتفى أن يقوم المسلمون بتنقية هذه الوسائل ما تحمله من خبث بل يجب أن تشكل تشكيلاً إسلامياً كاملاً، ولا يعنى تشكيلها إسلامياً أن تكون برامجها وعظاً دينياً فتبت آيات القرآن ثم تعقبها بأحاديث نبوية شريفة، وكلمات توجيهية ليس هذا هو المراد، فالرسول صلى الله عليه وسلم كان أحب إلى أصحابه من أنفسهم، ومع ذلك كان يتخولهم الموعظة مخافة السامة، وإنما المراد أن يكون إعلامنا إعلاماً مستقلاً يهدف إلى تعميق الوعي الإسلامى فيعرض برامجه من وجهة النظر الإسلامية، فنشرة الأخبار ينبغي أن تتطرق لمشاكل السياسة والاقتصاد من وجهة النظر الإسلامية كما تلقى الضوء على مشاكل العالم كما يعيشها الآن من زاوية إسلامية.

فإن خال الإسلام بصورته الصافية الواعية ليحدد معالم الطريق لهذه الأمة وينقذها من التيه والضياع يحتاج إلى وضع برنامج يومي مدروس وخطة واضحة المعالم ذات فعالية مؤثرة لانقاذ الشباب من هذا التردى السحيق، وتوجيه الإعلام وجهة إسلامية وفق الهدف الإسلامى والأمل الإسلامى المنشود. فإذا لم يستطع ولا الأمر ومنغذوا السياسات الإعلامية فيديار المسلمين أن يقوموا بخطوة إيجابية جريئة لتنظيف إعلامهم من عملاء الغرب والشرق أعداء مجتمعاتهم ويستبدلوا بالاعلاميين المفسدين آخرين خيرين ملتزمين للقيم الإنسانية العليا ليمزقوا الخير ويجيبوه إلى النفوس. ويعمقوا أسس الفضيلة ويظهروا الإعلام من البرامج التي

(١) الاستاذ محمد قطب، الإعلام الإسلامى ص ١٦١ بحث مطبوع مع بحوث أخرى بعنوان:

الإعلام الإسلامى والعلاقات الإنسانية، طبعة أولى ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م

(٢) انظر الأستاذ محمد قطب، واقعنا المعاصر ص ٢٣٦، طبعة أولى ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٦ م

مؤسسة المدينة للصحافة.

تزيين الانحراف فكرياً وسلوكياً، ويسهموا في وضع برامج إسلامية واضحة المعالم تخرج الإعلام من
طور العموميات، إلى طور الإيجابيات الدالة على الوعي وتحمل المسئولية لتتخلص من التبعية
والانقياد الأعى للغرب، إذا لم يستطع المسئولون ذلك فقد وقع العبء على الأمة الإسلامية
ذاتها، ووجب عليها أن تبذل جهدها في هذا الأمر.

المبحث الرابع اعداد الدعاء

إذا تقاعست الحكومات المنتسبة للإسلام وعجزت عن حماية المسلمين ، فقد وجب على المسلمين أن يقوموا بواجب الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا من أوجب الواجبات وأجل الأعمال التي بعث الله بها رسوله ^(١) ، وأمرنا باتباعه والاقتداء به فقال : (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجد منه مكتوباً عند هم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر) ^(٢) . ومدحهم به فقال : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم اللسان الله عزيز حكيم) ^(٣) . وأمرهم به فقال : (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) ^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم : (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) ^(٥) . وقال صلى الله عليه وسلم : (إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقابه) ^(٦) . وقال تعالى : (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) ^(٧) . فإذا لم يقم المسلمون بهذا الواجب الكفائي أشوا جميعاً إثمًا لا يرفعه إلا أن يهيشوا طائفة منهم تتولى ذلك . وبالقيام بهذه الفريضة على الوجه الأكمل تتحقق لهذه الأمة الخيرية التي مدح الله سبحانه بها أولها بقوله جل شأنه : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) ^(٨) . فالله سبحانه جمع لهذه الأمة من المزايا والفضائل ما فرقه في سائر الأمم السابقة ، وبين أنها خير الأمم لأنهم أنفع الناس للناس ، وأعظمهم إحساناً وإيثاراً حيث أمروا بكل معروف ونهوا عن كل منكر وأقاموا ذلك بالجهاد في سبيل الله بالنفس والمال لإسعاد البشر جميعاً ، وهذا

(١) د . صلاح الدين المنجد ، المجتمع الاسلامي في ظل العدالة ، ص ٦٣ ، دار الكتاب الجديد بيروت ، لبنان ، طبعة أولى ١٩٦٩ م .

(٢) سورة الاعراف ، الآية ١٥٢ .

(٣) سورة التوبة ، الآية رقم ٧١ .

(٤) سورة آل عمران ، الآية رقم ١٠٤ .

(٥) صحيح مسلم ، ٦٩ / ١ كتاب الايمان ، باب بيان كون النهي عن المنكر من الايمان (٢٠) حديث (٧٨) وأبو داود في سننه رقم ٤٣٤٠ ملاحم . والامام أحمد في المسند ١٠ / ٣

(٦) رواه أحمد في مسنده ١ ص ٢٥٥ و ٩٠ وابن ماجه ١٣٢٧ / ٢ في الفتن ، رجاله كالمثقات وهو صحيح الاسناد

(٧) سورة المائدة ، الآيات ٧٨-٧٩ .

(٨) سورة آل عمران ، الآية رقم ١١٠ .

كمال النفع، ولهذا قال أبو هريرة رضى الله عنه فى تفسير قوله تعالى : (كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) : " كُتِبَ خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ تَأْتُونَ بِهِمْ فِي الْأَغْلَالِ وَالسَّلَاسِلِ حَتَّى تَدْخُلَهُمُ الْجَنَّةُ " (١) ولم تقع هذه الأمة فيما وقعت فيه إلاّ عند ما أهملت هذه الفريضة مما أدى إلى سقوط الخلافة الإسلامية ، فأصبح المسلمون كالأيتام الذين فقدوا راعيهم فتواثبت عليهم الأمم كما تتواثب الأكلة إلى قصعتها ، لذلك فقد وقع العبء على الجماعات الإسلامية ، وتحتم عليها إعداد طائفة من بيئها من الشباب الواعى الراغب فى العمل الإسلامى ، وإعدادها إعداداً كاملاً يتأهلها علمياً بأن تكون على علم بالإسلام فى كلياته مع التمسك بأساليب البيان ، والقدرة عليه لتدعو إلى الله على بصيرة (٢) ، وهذا القدر من العلم والبيان زاد ضرورى لجميع الدعاة مع انتخاب عدد منهم على درجة عالية من الكفاءة ليتخصصوا فى فروع العلوم المختلفة ، فالداعية المؤهل كالطبيب الناصح العليم الذى يعرف تشخيص الداء وكيفية حسمه بالدواء (٣) ، ولكى تحقق الدعوة النجاح المقصود لا بد من أن تسير وفق منهج واضح وخطة مرسومة وغاية معلومة فالمنصرون الذين غزوا مجتمعات المسلمين بالتصوير حين يحصل أحدهم على المؤهل أو الشهادة الجامعية لا بد له من الذهاب إلى كليات اللاهوت للتمرس على عمل التصوير ، فدعاء الإسلام يجب ألا يكونوا أقل عناية واهتماماً بأساليب دعوتهم من سواهم (٤) فلا بد من دراسة علم النفس وعلم الاجتماع والجناس بالإضافة إلى فقه الكتاب والسنة ، ليكون الداعية على بصيرة كما قال سبحانه وتعالى : (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ) (٥) لأن الجاهل من أكبر معوقات الدعوة ، فالجاهل يهدم ولا يبنى ويفسد ولا يصلح ، وليس معنى ذلك أن تتوقف الدعوة حتى يتم هذا الإعداد الكامل ، بل يجب الاستمرار فى التبليغ لقوله صلى الله عليه وسلم (بلغوا عني ولو آية) (٦) ولأن المجتمع اليوم يموج بعدد من المذاهب والاتجاهات التى تتجاذب الناس بالدعايات المنمقة ، والأساليب المزوقة تخاطبهم من حيث يسمعون وتحسسون رغباتهم وتلاسن أرواحهم وتحسسون أمراضهم مما يوجب على كل فرد من المسلمين أن يدعوا

(١) انظر شيخ الإسلام بن تيمية ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بتحقيق صلاح الدين المنجد

دار الكتاب الجديد بيروت ١٣٩٦ / ١٩٧٦ ص ١٢

(٢) انظر واقعنا المعاصر ص ٥٣٥٠

(٣) انظر الشيخ عبد العزيز بن باز ، منهج الدعوة إلى الله ص ٣٧ ، وانظر له كذلك الدعوة وأخلاق

الدعاة ، ص ٢٣ ، ط ١ ، إدارات البحوث سنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م

(٤) و (٥) انظر فتحي يكن ، مشكلات الدعوة والداعية ، ص ١١٨ / ١١٩ .

(٦) سورة يوسف ، الآية رقم ١٠٨ .

(٧) رواه البخارى فى صحيحه ٤٩٦ / ٦ ، كتاب أحاديث الأنبياء ، حديث رقم (٣٤٦١) ، والترمذى

فى سننه رقم (٢٨٠٧) .

من يعرف من أقرانه وجيرانه ودعوته إليهم ببيان الإسلام بقدر ما يعرف وذلك كان دأب الصالحين من هذه الأمة في صدر الإسلام وما جاء بعده من عصور^(١) كما تتطلب مصلحة الدعوة أن يكون الداعي ذكياً يأخذ بالحكمة المشفوعة بالحلم والصبر، على علم بأن للقلوب إقبالا وإدباراً ليأتي المدعويين من قبل ما ألفت نفوسهم من عادات وتقاليد، غير مباعد عنها إلا أن تكون قبيحة فيعمل على تغييرها من غير مباغته أو مهاجمة مع ترغيب المدعويين وتأليفهم وجذبهم برفق وبسر اقتداءً بقوله وفعله صلى الله عليه وسلم (يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا)^(٢) وينبغي ألا تغوته الملاحظة الدقيقة لدى المخاطبين مع عدم التهاون في الحق ولا التفريط فيه، فالإسلام محتاج إلى نوعية هؤلاء الدعاة الصادقين الذين يحسنون عرضه بأسلوب شيق^(٣) سهل غير معقد، مع معرفة نفوس الأفراد والجماعات وأحوال المجتمع ليشارك المدعويين في السراء والضراء وهذا من صميم الدعوة .

ومن هنا كانت مهمة الداعي حساسة تتطلب كثيراً من الحكمة واللباقة، فالنفوس مجبولة على حب الإحسان لذلك وجب على الداعي أن يكون موطأ الأكاف لها في غير ضعف متواضعاً في غير ذلة - ليماً رزيناً يقابل الناس بالحسنى، ويعدل بينهم، ويأخذ المخالفين باللين ويقابلهم بالمودة لأن المودة وعدم الغلظة عليهم تقربهم وتدنيهم، ولأن الغلظة عليهم تنفرهم وتبعدهم، وتقوى العناد في قلوبهم، وحيث كان العناد كان الجحود^(٤) قال تعالى : (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم)^(٥) وذلك امثالاً لقوله تعالى : (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)^(٦) وفي الحديث عن أبي أمامة رضي الله عنه : أن غلاماً شاباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبي الله أتأذن لي في الزنا ؟ فصاح الناس به ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أدن . فدنا حتى جلس بين يديه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أحبه لأهلك ؟ قال : لا . جعلني الله فداك . قال : كذلك الناس لا يحبونه لأهياتهم . أحبه لهنالك ؟ قال : لا . جعلني الله

- (١) انظر أبا زهرة ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ١٢٥ .
(٢) البخاري في صحيحه ج ١ ص ١٦٣ كتاب العلم ، وسلم في صحيحه ١٣٥٩ / ٣ ، في الجهاد والسير باب الأمر بالقيصر .
(٣) الدعوة إلى الإسلام ص ١٢٢
(٤) المصدر السابق ص ١٣٩
(٥) سورة الانعام ، الآية ١٠٨
(٦) سورة النحل ، الآية ١٢٥

فذاك . قال : كذلك الناس لا يحبونه لبنااتهم . أتجبه لأختك ؟ وزاد ابن عوف أنه ذكر
 العمة والخالة ، وهو يقول في كل واحدة : لا . جعلني الله فداك . فوضع رسول الله صلى
 الله عليه وسلم يده على صدره ، وقال : " اللهم ظهر قلبه ، واغفر ذنبه ، وحسن فرجه " .
 فلم يكن شيء أبغض إليه منه - يعني الزنا - (١) . وصدق الله العظيم القائل : في شأن رسوله
 الرحيم : (فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فأعف عنهم
 واستغفر لهم وشاورهم في الأمر) (٢) . وقال تعالى لموسى وأخيه هارون في شأن فرعون :
 (فقلوا له قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى) (٣) وإنما أمرهما الله سبحانه باللين في القول مع علمه
 الأزلي بعدم إيمان فرعون تعليمًا وتهذيبًا للدعاة ، وفي الحديث الصحيح يقول النبي
 صلى الله عليه وسلم : (اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به ومن ولي من أمر
 أمتي شيئاً فشق عليهم فأشقق عليه) (٤)
 وينبغي أن يكون الداعية معروفًا بكمال الخلق مع كمال السمات وحسنه بعيداً عن
 الشبهات ، قال صلى الله عليه وسلم : " من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه " (٥)
 وألا يكون مظهره ومخبره مخالفاً لما يدعوا إليه ، قال تعالى : (أتأمرون الناس بالبر
 وتنسون أنفسكم) (٦) وقال سبحانه : (يا أيها الذين آمنوا لم لا تقولون مالا تفعلون . كبر مقتاً عند
 الله أن تقولوا مالا تفعلون) (٧) ، وأن يكون ذا شخصية نافذة لا تقتحمها العين ولا تزدهيها
 النفس غير معيب بعيب خلق لأن الدعوة بالعمل أوقع في النفس من الدعوة بالقول . فقد كان
 سلف هذه الأمة دعاة بأفعالهم قبل أقوالهم إيمانهم في ذلك رسولهم صلى الله عليه وسلم
 الذي أمرنا الله سبحانه بالتأسي به فقال : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) (٨) وكان
 عمر رضى الله عنه إذا أراد عمل شيء ، بدأ بأهله فطبقه عليهم ثم يأمر بقية الرعية ، وقال أبو بكر
 ابن أبي سيرة لما رد عمر بن عبد العزيز المظالم ، قال : إنه ينبغي ألا يبدأ بأول من نفسى ،

(١) رواه أحمد بإسناد جيد في المسند ج ٥ ص ٢٥٦ / ٢٥٧ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٥٩ .

(٣) سورة طه ، الآية ٤٤ .

(٤) رواه مسلم في صحيحه ٤٥٨ / ٣ في الامارة باب فعمل الامام العادل . رقم (١٩) .

(٥) متفق عليه ، البخارى ٢٦ / ١ في الايمان ، باب فعل من استبرأ لدينه وعرضه حديث رقم (٥٢) ،
 ومسلم ١٢٢٠ / ٣ في المساقاة ، باب أخذ الحلال وترك الحرام .

(٦) سورة البقرة ، الآية رقم ٤٤ .

(٧) سورة الصف ، الايتان رقم ٣-٢ .

(٨) سورة الأحزاب ، الآية رقم ٢١ .

فنظر إلى ما في يده من أرض ومتاع فخرج منه حتى نظر إلى فص خاتم فقال : هذا ما كان الوليد أعطانيه ما جاء من أرض المغرب فخرج منه^(١)

فالداعية الرباني المخلص المبتغى بدعوته وجه الله سبحانه المتجرد من الغرض الذي لا يريد منصباً ولا جاهاً ولا مالاً، المؤمن بوجوبها، المتسامي بها المدرك أنها وظيفة المرسلين الذين كان لسان حالهم (لا أسألكم عليه أجراً)^(٢). الآية (١) (لا أسألكم عليه مالا ان أجرى الا على الله). الآية (٢) (لا أسألكم عليه أجراً ان أجرى الا على الذي فطرني)^(٣) مثل هذا النوع من الدعاة هو الذي يحيى موات هذه الأمة ويجمعها على الإيمان والحب لتواجه أعداءها مجتمعة كما يفعلون بها.

الدعوة إلى وحدة الأمة :

تعتبر الدعوة إلى الوحدة من أولى مهام الداعية بعد غرس العقيدة الصحيحة في القلوب فإذا كانت الأمم في عصرنا الحاضر تتجمع وتتصنع عوامل التجمع لتحافظ على بقائها وتواجه أعداءها فأولى بهذا الاجتماع هذه الأمة الإسلامية، وهي التي أغناها الله سبحانه بالمقومات التي توحدتها، فربها واحد وكتابها الذي هو أساس التشريع واحد^(٤) وقبلتها واحدة وهدى فيها واحد، فلا بد من اجتماعها بعد طول فراق، لأنها تقوم على هذه الروابط المتينة، ولا يوجد رباط أقوى من رباط الإيمان فوحدة الدين والعقيدة ووحدة المبادئ الخلقية الفاضلة والنظم الاجتماعية العادلة^(٥)، كل ذلك من عوامل الوحدة، والله سبحانه يخاطبها بقوله :
(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن وإلاً وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون)^(٦)

(١) الحافظ جمال الدين ابن الجوزي سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢٩ دار الفكر، بدون تاريخ

(٢) سورة الشورى، الآية رقم ٢٣

(٣) سورة هود، الآية رقم ٢٩

(٤) سورة هود، الآية رقم ٥١

(٥) انظر الاستاذ يوسف العظم، المنهزمون، دراسة للفكر المتخلف والحضارة المنهارة،

ص ٢٦٦ الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٩/١٩٧٩

(٦) انظر الامام أبازهرة، الوحدة الإسلامية، ص ٢٣٤/٢٣٥، دار الراشد العربي بيروت لبنان

(٧) سورة آل عمران، الآيتان ١٠٢ و ١٠٣ بدون تاريخ

وقوله سبحانه: (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم اليينات وأولئك لهم عذاب عظيم)^(١)

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد)^(٢) ويقول: (المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم)^(٣) فلا بد لهذه الأمة أن تتحد لتواجه أعداءها فتقاتلهم كافة كما يقاتلونها كافة . قال تعالى: (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين)^(٤) وقال سبحانه وتعالى: (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص)^(٥) فإذا اتحدت هذه الأمة على الإيمان فلن تستطيع قوة في الأرض أن تقف أمامها .

(١) سورة آل عمران، الآية رقم ١٠٥

(٢) متفق عليه، رواه البخاري ١٠ / ٤٣٨ في الأبواب باب رحمة الناس والمهاجرين رقم (٦٠١١) ومسلم ٤ / ١٦٩ في كتاب البر والصلة والآداب باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم .

(٣) رواه أبو داود في سننه رقم (٤٥٣٠) في الدييات باب أيقان المسلم بالكفر؟ رواه ثقات وهو صحيح الإسناد .

(٤) سورة التوبة، الآية رقم ٣٦

(٥) سورة الصف، الآية رقم ٥

المبحث الخامس السلطة المسلمة

تعتبر الدعوة إلى إعادة العلاقة بين السلطان والقرآن من أهم أعمال الدعاة، وكل ما ذكر من وسائل لإصلاح المجتمع الإسلامي يهدف في النهاية إلى قيام دولة إسلامية كبرى تقوم على العقيدة الإسلامية الصادقة التي ينبع منها نظام المجتمع الأخلاقي والاقتصادي والسياسي لأن الدولة ركن لا مفر من وجوده لتحرير رعاياها من العبودية لغير الله، وتوجيههم إلى الالتزام برسالة الإسلام ومضى المسئولة عن حماية هذه الرسالة بتحقيق الحياة الإسلامية الكاملة، وترويض النفوس على تحقيق هذا الهدف وإخضاع جميع الطاقات النفسية والفكرية والباطنية لتحقيقه. ولكن هذا الركن لا يتحقق إلا بتحويل التربية إلى سلوك عملي واقعي في حياة الأفراد والجماعات فيدفعهم إلى الكفاح المرير الشاق الذي لا ينقطع والجهاد الذي لا بد منه في سبيل حمايتها مما يكتنفها من كيد الأعداء في الداخل والخارج^(١) مع الالتزام بما شرعه الله سبحانه وبيّنه رسوله صلى الله عليه وسلم أمراً ونهيّاً وتحليلاً وتحريماً، وهذا الذي يشل عنصر الطاعة والخضوع لأن (لا إله إلا الله) معناها لا معبود بحق إلا الله فمادة (ع-ب-د) تعنى الإذعان والانقياد. والعبادة الذل لله عن رضا وانكسار، وهي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال الظاهرة والباطنة، كالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة... الخ من جميع أنواع البر أمراً ونهيّاً كحرمة الربها والزنا والخمر... الخ وبهذا يتحقق مقتضى لا إله إلا الله محمد رسول الله. فليس عبداً ولا عابداً من رضى الاستسلام لأمر الله واستكبر من اتباع نهجه والانقياد لما شرع على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وإن اعترف بأن الله خالقه ورازقه، فهذا إقرار الربوبية الذي اعترف به المشركون فلم يكونوا به مؤمنين، إذ لا بد من الخضوع والانقياد والتعبد والتذلل الذي هو حق الألوهية.

وبذلك تعود العلاقة التي طال انفصامها بين علمي التوحيد والفقه بجميع فروعه. فعلى المسلمين جميعاً أن يعلموا أن التوجه بشئ من العبادات لغير الله شرك يناقض

(١) انظر الاستاذ سيد قطب، مقدمة كتاب الايمان وأثره في نهضة الشعوب، للاستاذ يوسف العظم الطبعة الثانية سنة ١٣٨٩ هـ الدار السعودية.

الشهادة بأنه لا إله إلا الله، وعبادة الله بطريق غير الطريقة التي جاء بها رسول الله ابتداء في الدين لا يقبله الله، فمن صلى لغير الله أو صلى بغير الطريقة التي بينها رسول الله عامداً غير جاهل لا يكون مسلماً وإن تلفظ بالشهادتين، والعبادة كما بينها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ليست محصورة في الصلاة والزكاة والصوم... الخ بل تشمل كل أعمال الإنسان، ولكن كثيراً من المسلمين يجهلون هذا المعنى الشامل للعبادة الذي يشمل تحكيم شرع الله، كما يشمل الصلاة والزكاة والصيام، ويجهلون أن حكم التوجه بالحاكية لغير الله كحكم الصلاة لغيره سواء بسواء.

والحكم بما أنزل الله لا يعنى تطبيق الأحكام القانونية وحدها كما هو المفهوم الضيق في الأذهان اليوم لكلمة الشريعة، فالتصورات والمناهج والقيم والموازن كلها تشريع،^(١) والمجتمع الإسلامي وحده هو الذي يلتزم بكل ما جاء من عند الله، قال تعالى: (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه) فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون. وإن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم وأحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون^(٢)

يقول المرحوم سيد قطب: (وهكذا تتبين القضية . إله واحد ، ومالك واحد ، وإن فحكم واحد ، ومشرع واحد ، ومتصرف واحد ، ومنهج واحد ، وقانون واحد ، وإن فطاعة واتباع وحكم بما أنزل الله فهو إيمان وإسلام ، أو معصية وخروج وحكم بغير ما أنزل الله ، وهذا هو الدين كما أخذ الله ميثاق العباد جميعاً عليه كما جاء به كل الرسل من عنده ، أمة محمد والأمم قبلها سواء ولم يكن بد أن يكون دين الله هو الحكم بما أنزل الله دون سواء . فهذا مظهر سلطان الله . مظهر حاكمية الله . مظهر أن لا إله إلا الله وهذه الحتمية - حتمية التلازم بين دين الله والحكم بما أنزل الله - ليست هي السبب الرئيسي للقاعدة الأولى

(١) انظر معالم في الطريق ، لسيد قطب ص ١٠٨

(٢) سورة المائدة ، الآيات ٤٨-٥٠

والأساس في حتمية التلازم هي أن الحكم بما أنزل الله إقرار بالوهمية الله، ونفى لهـذـه
الألوهية وخصائصها عن عداء، وهذا هو الإسلام والاستسلام والتجرد عن ادعاء أخص
خصائص الألوهية وهي السلطان والحاكمة^(١)

لقد قضى الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمور كثيرة
بأحكام، وطلب منا الرضى بها والعمل بمقتضاها فالرضى بها والعمل بمقتضاها هو لازم الإيمان
بالله والثقة به والاطمئنان إلى علمه وعدله ورحمته، وترك العمل بها إنكاراً لها أو تفضيلاً
لغيرها عليها أو اعتبارها مماثلة لذلك الغير، كل هذا تعبير عن فقدان الثقة بعلمه وعدله
ورحمته، وهذا مناف للشهادة بأنه لا إله إلا الله، قاله تعالى هو الذى قضى بأن أمر
المسلمين شورى بينهم^(٢) (والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم^(٣)) وهو
الذى أمر برد الأشياء المتنازع فيها إلى كتابه سنة رسوله صلى الله عليه وسلم (فإن تنازعتم
في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً)^(٤)
فهذه الآية تأمر المسلمين عند الاختلاف في أمر من الأمور أن يحسموه بالرد إلى كتاب الله،
وبالرجوع إلى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وتجعل هذا الرد مقتضى الإيمان بالله واليوم
الآخر فمن أعرض عن هذا فليس بصادق الإيمان بالله واليوم الآخر.

وهذه أهم قواعد التصور الإسلامى، فالذى يعلن أنه مسلم يجب عليه أن لا يفرق بين
الصلاة والحكم .

ثم تقول الآية الكريمة (ذلك خير) أى فى الدنيا (وأحسن تأويلاً) عاقبة ومآلاً فى الآخرة
وهل يرجو المسلم الصادق الإيمان أكثر من حكم يكون خيراً له فى دنياه وأحسن عاقبة فى
فى أخراه، وتقول الآية الكريمة بعدها (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك
وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكوا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن
يضلهم ضلالاً بعيداً وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين
يصدونك صدواً)^(٥)

(٢) فى ظلال القرآن، ج ٥، ص ٨٢٨

(٣) من كلمة وجهها الدكتور جعفر شيخ إدريس إلى الأمة السودانية

(٣) سورة الشورى، آية رقم ٣٨ .

(٤) سورة النساء، آية رقم ٥٩ .

(٥) سورة النساء، الآيتين رقم ٦٠-٦١ .

والطاغوت هو كل حكم غير حكم الله سبحانه ، وهو الحكم باتباع الشيطان وهوى النفس ، وسعى طاغوتا لتجاوزه الحد . والإيمان الحق يقتضى الكفر بجميع الطواغيت فالتحاكم إليهم والرضى بحكمهم ينقض الإيمان من أساسه ، ولذلك لم تقل الآية عن هؤلاء المتحاكين إلى الطاغوت إناهم مؤمنون بل قالت : (يزعمون أنهم آمنوا) والزعم مطية الكذب وهو يناقضى الحقيقة ، وفعلهم دليل على عدم إيمانهم إذ كيف يقول الإنسان إنه مؤمن بالله وكتابه وبأبى حكمه ويحارضه ، ويرضى بما هو مأمور باجتنابه ؟ قال تعالى : (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)^(١)

وقد وصف الله سبحانه هؤلاء الذين يصدون ويعرضون عن التحاكم بما أنزل الله بالنفاق والنفاق أقبح من الكفر (إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا)^(٢) وتستمر الآيات بعد ها فى نفس الموضوع (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك ، فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)^(٣)

أقسم الله سبحانه فى هذه الآية الكريمة التى ينبى أن تكون وحدها كافية لمن كان له قلب فى حسم قضية الإيمان حيث يقسم الله تعالى لرسوله بأن شرط الإيمان الذى لا يقسم إلا بالإيمان إلا به هو تحكيم الرسول صلى الله عليه وسلم فى كل خلاف ، والتسليم لهذا الحكم والرضى به وعدم الشعور حتى فى الباطن بشئ من الضيق والحر والنفور من قضاء هذا الرسول ، والرسول إنما يقضى بما علمه الله تعالى فقضاؤه هو قضاء الله^(٤) : (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما)^(٥)

الحكم بخير ما أنزل كفر :

يقول الحافظ ابن كثير فى تفسير قوله تعالى (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن ممن الله حكما لقوم يوقنون)^(٦) :

- (١) سورة النحل : الآية رقم ٣٦ .
- (٢) سورة النساء ، الآية رقم ٤٥ . (٣) سورة النساء ، الآية رقم ٦٥ .
- (٤) د . جعفر شيخ أدريس ، من كلمة وجهها للامة السودانية
- (٥) سورة النساء ، الآية رقم ١٠٥ .
- (٦) سورة المائدة ، الآية رقم ٥٠ .

(ينكر الله تعالى على من خسر عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات ما يضمنونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيز خان^(١) الذي وضع لهم (الياسق)، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والطبقة الإسلامية وغيرها، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه فصارت في بنيه شرعاً متبعاً يقدّمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير فإن الله تعالى قال: "أحكم الجاهلية يبغون" أي يتبعون ويريدون، وعن حكم الله يعدلون "ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون" أي ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه وآمن به وأيقن، وعلم أنه تعالى أحكم الحاكمين وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها، فإنه تعالى هو العالم بكل شيء القادر على كل شيء^(٢))

(١) جنكيزخان هو الذي وضع لهم السياسات التي يتحاكمون إليها ويحكمون بها وأكرهها مخالف لشرائع الله وكتبه، وهي شيء اقترحه من عند نفسه وتبعوه في ذلك. انظر الحافظ ابن كثير عمدة التفسير ج٤ ص ١٧٢/١٧٣، بتحقيق أحمد محمد شاكر طبعة دار المعارف ١٣٧٢/١٩٥٢.

وقال المقرئ في الخط تحت ذكر أحكام السياسة: أصلها (ياسة) فحرفها أهل مصر وزادوا بأوليها سينا فقالوا (سياسة) وأدخلوا عليها الألف واللام فظن من لا علم عنده أنها كلمة عربية.

واسمع الآن كيف نشأت هذه الكلمة حتى انتشرت بمصر والشام وذلك أن جنكيزخان القائم بدولة التتر في بلاد الشام لما غلب الملك أوك خان وصارت له الدولة، قرر قواعد وعقوبات أثبتها في كتاب سماه (ياسة) ومن الناس من يسميه (يسق) ولما تم وضعه كتب ذلك نقشا في صفائح الغولان وجعله شريعة لقومه والتزموه بعده حتى قطع الله دابرهم. وكان جنكيزخان لا يدب بشيء من أديان أهل الأرض فلما مات جنكيزخان التزم من بعده أولاده واتباعه حكم (الياسة) كالإسلام المسلمين الأوائل حكم القرآن وجعلوا ذلك ديناً لم يعرف عن أحد مخالفته بوجه. انظر الخط للمقرئ ٣/٣٥٢/٣٥٨.

(٢) ابن كثير البداية والنهاية ج١٣، ص ٢١٧

وقال : (فمن ترك شرع الله المحكم المنزل على محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء وتحاكم إلى السى الشرائع المنسوخة كفر - فكيف بمن تحاكم إلى الياسا وقد مها عليها ؟ من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين)^(١)

وقال أحمد شاكر : (أفيجوز مع هذا - فى شرع الله أن يحكم المسلمون فى بلادهم بتشريع مقتبس من تشريعات أوربة الوثنية المتحدة ؟ بل بتشريع تدخله الأهواء والآراء الباطلة يغيرونه ويبدلونه كما يشاءون لا يبالون واضعه أوافق شرعة الإسلام أم خالفها ؟

(إن المسلمين لم يبلوا بهذا قط فيما نعلم فى تاريخهم إلا فى ذلك العهد - عهد التتار - وكان من أسوأ عهود الظلم والظلام ومع هذا فإنهم لم يخضعوا له بل غلب الإسلام التتار ثم مزجهم فأدخلهم فى شرعته ، وزال أثر ما صنعوه بثبات المسلمين على دينهم وشريعتهم وبأن هذا الحكم السى الجائر كان مصدره الفريق الحاكم إذ ذاك لم يندمج فيه أحد من أفراد الأمم الإسلامية المحكومة ولم يتعلموه ، ولم يعلموه أبناءهم فما أسرع ما زال أثره ! أفرأيت هذا الوصف القوي من الحافظ ابن كثير - فى القرن الثامن لذلك القانون الوضعى الذى صنعه عدو الإسلام جنكيزخان ؟ ألسن ترونه يصف حال المسلمين فى هذا العصر فى القرن الرابع عشر^(٢) إلا فى فرق واحد أشرنا إليه آنفا أن ذلك كان فى طبقة خاصة من الحكام أتسى عليها الزمى سريعاً فاندمجت فى الأمة الإسلامية و زال أثر ما صنعت .

(ثم كان المسلمون الآن أسوأ حالا وأشد ظلماً وظلاماً منهم لأن أكثر الأمم الإسلامية الآن تكاد تندمج فى هذه القوانين المخالفة للشرعة الإسلامية والتى هى أشبه شىء بذاك (الياسق) الذى اصطنعه رجل كافر ظاهر الكفر ، هذه القوانين التى يصطنعها ناس ينتسبون للإسلام ثم يتعلمها أبناء المسلمين ويفخرون بذلك آباء وأبناء ثم يجعلون

أمرهم إلى معتقضى هذا الياسق العصرى ويحقرون من يخالفهم ذلك ويسمون من يدعونهم إلى الاستمسك بدِينهم وشريعتهم رجعيًا وجامدًا إلى مثل ذلك من الألفاظ البذئية ، بل إنهم أدخلوا أيديهم فيمابقى فى الحكم من التشريع الإسلامى يريدون تحويله إلى ياسقهم

(١) نفس المصدر ج ١ ص ٢١٨

(٢) وما زالوا كذلك فى القرن الخامس عشر وما أدري ماذا يكون بعد !

الجديد ، بالهويينا واللين تارة ، وبالمكر والخديعة تارة ، وبما ملكت أيديهم من السلطان تارات ، ويصرحون ولا يستحيون بأنهم يعملون على فصل الدولة عن الدين .

(أفيجوز إذن - مع هذا - لأحد من المسلمين أن يعتنق هذا الدين الجديد ، أغنى التشريع الجديد ؟ أويجوز لأب أن يرسل أبنائه لتعليم هذا واعتناقه واعتقاده والعمل به عالمًا كان الأب أو جاهلاً ؟

(أويجوز لرجل مسلم أن يلى القضاء في ظل هذا الياسق العصري وأن يعمل به ويعرض عن شريعته البينة ما أظن أن رجلاً من المسلمين يعرف دينه ويؤمن به جملة وتفصيلاً ويوقن أن هذا القرآن أنزله الله على رسوله كتاباً محكماً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وبأن طاعته وطاعة الرسول الذي جاء به واجبة قطعياً الوجوب في كل حال - ما أظنه يستطيع إلا أن يجزم غير متردد ولا متأول بأن ولاية القضاء في هذا الحال باطلة بطلاناً أصلياً لا يلحقه التصحيح ولا الإجازة . إن الأمر في هذه القوانين الوضعية واضح وضوح الشمس ، هي كفر بواح لا خفاء فيه ولا مداورة ولا عذر لأحد ممن ينتسب للإسلام كأئناً من كان - في العمل بها والخضوع لها أو إقرارها ، فليحذر أمروء لنفسه ، وكل امرئ حسيب نفسه . ألا فليصدع العلماء بالحق غير هيايين ، وليبلغوا ما أمروا بتبليغه غير موأنين ولا مقصيرين)^(١)

قاله سبحانه لم ينزل هذا القرآن عبثاً ولم يرسل رسوله لعباً ، قال سبحانه وتعالى :

(وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بأذن الله)^(٢)

ومن حسن حظ الإنسانية جمعاء أن منزل القرآن تكفل بحفظه ولم يكله للناس كما كان الأمر في الديانات السابقة الأمر الذي يفرض على الأمة الإسلامية أن تعيد النظر في واقعها وفق الغم الشامل للتصور العقدي الصحيح حتى يمكن لها أن تبني مجتمعها بقوة في جميع مجالات الحياة على ذات الأسس والمفاهيم التي قام على أساسها مجتمع عهد النبوة والخلافة الراشدة ، ولا غرو أن نجاحها في إرساء مجتمعها على هذا التصور يجعل الهيمنة لدينها على كل شؤون الحياة بدءاً بالحكم والاقتصاد والعلاقات الخاصة والدولية ، وختاماً باماطة

(١) أحمد محمد شاكر ، هامش عمدة التفسير للحافظ ابن كثير ج٤ ص ١٧٣ / ١٧٤

(٢) سورة النساء ، الآية رقم ٦٤ .

الأذى عن الطريق فيصبح واقعها تعبيراً صادقاً لمعنى القيادة وتحقيقاً كاملاً للعبودية لله الواحد الأحد ، فتحظى حينذاك بالاستخلاف والتمكين لأنها موعودة بذلك من الله سبحانه (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهن الذين ارتضى لهن وليد لهن من بعد خوفهن أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً) ^(١) فتكرر المعجزة التي صنعها الإسلام في إنشاء خير أمة أخرجت للناس وهي ممكة التكرار ما بقى الليل والنهار لأنها تقوم على ناطق بالحق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ونبوة تعالى قدر البشر. ^(٢)

ولقد قرر الله سبحانه أنه لن يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً إذا استكملوا حقيقة الإيمان في قلوبهم تصوراً وشعوراً وواقعاً عملياً في حياتهم ، فالنصر ليس للعناوين وإنما هو للحقائق التي وراء العناوين ، وليس بيننا وبين النصر في أي زمان وأي مكان إلا أن نستكمل حقيقة الإيمان ونستكمل مقتضيات هذه الحقيقة في حياتنا وواقعنا كذلك ، ومن حقيقة الإيمان أن نأخذ العدة ونستكمل القوة ، ومن حقيقة الإيمان ألا نركن إلى الأعداء ، ولا نستمد منهم القوة ، وألا نطلب العزة والحماية إلا من الله ، ووعد الله هذا الأكيد يتفق مع حقيقة الإيمان وحقيقة الكفر في هذا الكون ، فالإيمان صلة بالقوة الكبرى التي لا تضعف ولا تفنى وأن الكفر انقطاع عن تلك القوة وانعزال عنها ، إن قاعدة المعركة لقهر الباطل هي إنشاء الحق وحين يوجد الحق بكل حقيقته وبكل قوته يتقرر مصير المعركة بين الحق والباطل مهما يكن هذا الباطل من الضخامة الظاهرية الخادعة للمعيون (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق) ^(٣) (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً) ^(٤)

(١) سورة النور ، الآية رقم ٥٥ .

(٢) انظر محمد الغزالي ، هموم داعية ، ص

(٣) انظر في ظلال القرآن ، ج ٢ ، ص ٧٨٣ .

(٤) سورة الأنبياء ، الآية ١٨

(٥) سورة الاسراء ، الآية ٨١

المبحث السادس الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس

أولاً : الجهاد بالمال :

قال تعالى : (آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير)^(١)

وقال تعالى (انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون)^(٢)

وقال تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها)^(٣)

وأوجب سبحانه الزكاة وجعلها أحد مباني الإسلام العظام إذ هي ثالث الدعائم الخمس وثالث ثلاث هن عنوان الدخول في الإسلام ورمز أخوة المسلمين فقال سبحانه : (إن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم)^(٤) وقال تعالى : (إن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين)^(٥)

وهي حق معلوم فرضه الله في أموال الأغنياء للفقراء فقال سبحانه (والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم)^(٦) وهي مال الله لعباده ليس فيها معنى التبرع أو التطوع أو الإحسان الاختياري بل تحصل بواسطة الدولة المسلمة وتوزع بواسطتها على مستحقيها المنصوص عليهم في آية الزكاة^(٧) حتى لا يخالط المعطي الرياء والعجب ولا يشعر الأخذ بالذلة والمهانة .

ولم يطمع المنصرون في ضعف المسلمين وأراملهم وأيتامهم إلا عند ما عطل الحكم بكتساب الله ، فتعطل ركن الزكاة تبعاً لذلك إلا من أفراد قلة ، فاخترق التكافل الاجتماعي باختفائها فأستغل أعداء الإسلام عوز المعوزين وحاجة المحتاجين ، فنفذوا إلى المجتمع الإسلامي تحت شعار البر والإحسان فعاشوا في الأرض الفساد ، ونسى المسلمون وعد الله بمضاعفة النفقة في

(١) سورة الحديد ، آية رقم ٧

(٢) سورة التوبة ، آية رقم ٤١

(٣) سورة التوبة ، آية رقم ١٠٤

(٤) سورة التوبة الآية رقم ٥

(٥) سورة التوبة ، آية رقم ١١

(٦) سورة المعارج ، آية رقم ٢٤ ، ٢٥

(٧) حتمية الحل الإسلامي ص ٥٩

سبيله إن يقول : (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم)^(١)

قال الإمام القرطبي : (هذه الآية لفظها بيان لشرف النفقة في سبيل الله)^(٢)

وجاء في تفسير الخازن أن المقصود من الآية أنه إذا علم الإنسان الطالب للزيادة والربح أنه إذا بذر حبة واحدة أخرجت سبعمئة حبة ما كان ينبغي له ترك ذلك ولا التقصير فيه فكذلك ينبغي له طلب الأجر عند الله في الآخرة ، وألا يترك الإنفاق في سبيل الله إذا علم أنه يحصل له بالواحدة عشرة ومائة وسبعمئة والله يضاعف لمن يشاء^(٣) وقال ابن كثير هذا المثل أبلغ في النفوس من ذكر عدد السبعمئة فإن هذا فيه إشارة إلى أن الأعمال الصالحة ينهيها الله عز وجل لأصحابها ، كما ينهي الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة^(٤)

إنفاق المال لجهاد الأعداء :

قال سبحانه : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يـوفـي اليكم وأنتم لا تظلمون)^(٥)

وقال جل من قائل : (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم)^(٦)

قال ابن العربي : (لا تقبلوا على الأموال إيثارة لها على الأعمال الصالحة ، ولا تركوا إلى التجارة الحاضرة تقدماً لها على التجارة الرابحة تنجيكم من العذاب الأليم)^(٧)

وقال صلى الله عليه وسلم : (من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا)^(٨)

وعن أبي مسعود الأنصاري قال : جاء رجل يناقة مخطومة فقال : هذه في سبيل الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لك بها يوم القيامة سبعمئة ناقة كلها مخطومة)^(٩)

(١) سورة البقرة ، الآية رقم ٢٦١

(٢) الامام القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١ ، ص ١١١

(٣) تفسير الخازن ، ج ١ ، ص ٢٣

(٤) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ، ص ٤٦٧

(٥) سورة الأنفال ، آية رقم ٦٠

(٦) سورة التوبة ، آية رقم ١١٩

(٧) الامام ابن العربي ، أحكام القرآن ، ج ٢ ، ص ١٤٩

(٨) متفق عليه ، البخاري ، كتاب الجهاد ، باب فضل من جهز غازياً وخلفه بخير ، ومسلم ١٥٠٧/٣

(٩) في كتاب الامارة ، باب فضل اعانة الغازي في سبيل الله . صحيح مسلم ١٥٠٥/٣ ، في كتاب الامارة ، باب فضل الصدقة في سبيل الله . والنسائي في سننه ٤٩/٦

وروى أبو داود عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : (أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً أن نتصدق فوافق ذلك ما لا أعندي ، فقلت اليوم أسبق أبا بكر * أن سبقته يوماً * فجئت بنصف مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أبقيت لأهلك ؟ فقلت : مثله . قال : وأتى أبو بكر رضي الله عنه بكل ما عنده ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أبقيت لأهلك ؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله . قلت : لا أسابقه أبداً ^(١))

وروى ابن هشام في السيرة ، قال حدثني من أثق به أن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنفق في جيش العسرة في غزوة تبوك ألف دينار ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم أرض عن عثمان فإني عنه راض ^(٢)

الجهاد بالنفس :

من واجب الدعاة إعداد جيل لا يسترسل أثناء السلم ولا يخلد إلى الراحة فيفقد قوته وبأسه وقد رته على الجهاد ، ولا يستسلم عقب الحرب حين يتحقق له النصر للفضب والحقس والوحشية فيصبح همه الانتقام بالتقتيل والتنكيل والتعذيب ناسياً رسالته السامية التي يجاهد من أجلها ، فاقداً كل رحمة ورغبة في هداية الآخرين وإنقاذهم من العبودية لغير الله التي هي هدف الجهاد ^(٣) .

والجهاد ذروة سنام الإسلام شرع لإزالة الضواغيت التي تقف حجر عثرة في سبيل الإسلام الذي يسمى لتحرير البشرية من العبودية لغير خالقها ، وليس الجهاد في الإسلام حرباً دفاعية كما يظن المتوهمون المهزومون روحياً وعقلياً ممن كتبوا عن الجهاد في الإسلام ليدفعوا عن الإسلام هذا الاتهام يخلطون بين منهج هذا الدين في النص على استنكار الإكراه على العقيدة وبين منهجه في تحطيم القوى السياسية المادية التي تحول بين الناس وبين الإسلام والتي تعبد الناس لغير الله وتحول دون عبوديتهم له ، وهما أمران لا علاقة بينهما ولا مجال للالتباس فيهما ، ومن أجل هذا التخليط وقيل ذلك من أجل تلك الهزيمة يحاولون أن يصرخوا

(١) رواه أبو داود في سننه رقم (١٦٧٨) في كتاب الزكاة باب في الرخصة في ذلك (في الرجل يخرج

ماله) والترمذي في سننه ٢٧٧ / في المناقشب ، وقال الترمذي حديث حسن صحيح .
(٢) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٥١٦

(٣) انظر التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة ص ١٨١

الجهاد في الاسلام فيما يسمونه اليوم الحرب الدفاعية . والجهاد في الاسلام أمر آخر لا علاقة له بحروب الناس اليوم ، قال تعالى : (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) (١)

فان هذا الدين اعلان لتحرير الانسان في الأرض من العبودية للعباد ، ومن العبودية للهوى أيضا وذلك باعلان ألوهية الله وحده للعالمين . (٢)

والجهاد في سبيل الله هو الذي يصون المجتمع الاسلامي ويحفظه من الأعداء ، وهو أفضل ما تطوع به المسلم ذودا عن دينه أن يحال بينه وبين الناس ، وحفاظا على اسلامه أن يعتدى عليه . ولم يصب المسلمون بالقوارع فيذلوا في عقد ادهم ، وتنتهك أعراضهم وتستباح دماؤهم فيذبحوا كالسوائم وتذهب دماؤهم هدرًا الا بعد تركهم الجهاد ، وهذا مصداق قوله صلى الله عليه وسلم : (اذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة ، وتبعوا أذناب البقر ، وتركوا الجهاد في سبيل الله أدخل الله عليهم ذلًا لا يرفعه عنهم حتى يراجعوا ينهم) (٣) وقوله صلى الله عليه وسلم : (من لم يغز أو يجهز غازيا أو يخلف غازيا في أهله بخير أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة) (٤)

ولم تقم لهذه الأمة قائمة الا بالرجوع اليه . قال تعالى : (انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) (٥)

وقال سبحانه : (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) (٦)

وقال سبحانه : (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدین درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدین أجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة) (٧)

وقال سبحانه : (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون) (٨)

(١) انظر معالم في الطريق ، ص ٥٣ .

(٢) سورة التوبة ، الآية رقم ٢٩ .

(٣) انظر معالم في الطريق ، ص ٥٣ .

(٤) انظر الخضر عبد الرحيم أحمد ، الولاية والأولياء في الاسلام ، رسالة ماجستير مخطوطة بمكتبة جامعة أم القرى بمكة المكرمة .

(٥) الطبراني في المعجم الكبير ١٢ / ٤٣٢ رقم ١٣٥٨٣ ، والامام احمد برقم ٤٨٢٥ اسناد صحيح بمجموع طرقه .

(٦) أبوداود رقم (٢٥٠٣) في الجهاد ، باب كراهية ترك الفزو . وابن ماجه ٢ / ٢٣ في الجهاد ، باب التغليب في ترك الجهاد حد يشرقم ٢٧٦٢ اسناد حسن .

(٧) سورة التوبة ، الآية رقم ٤١ .

(٨) سورة الصف الآية رقم ١٠ . (٩) سورة النساء الايتان ٩٥ ، ٩٦ (١٠) سورة التوبة الآية رقم ٢٠ .

وسبب نزول هذه الآية اختلاف الصحابة رضوان الله عليهم في أى الأعمال أفضل ؟ ستأية

الحاج ، أم عمارة المسجد الحرام ، أم الجهاد ؟

فأنزل الله سبحانه الآية جواباً على اختلافهم (١)

وقال صلى الله عليه وسلم : (غداة في سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها) (٢)

وقال صلى الله عليه وسلم : (من مات ولم يفز ولم يحدث نفسه بالفزومات على شعبة من

نفاق) (٣)

والجهاد في سبيل الله طريق إلى نيل إحدى الحسنين فهو إما تجارة رابحة وعزة كاملة

في الدنيا ، وإما شهادة عظيمة موصلة إلى جنة عالية في الآخرة .

عفى الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : (انتدب الله

عز وجل لمن خرج في سبيل الله لا يخرج به إلا إيمان به وتصديق برسلى . أن أرجعه بما نال من

أجر أو غنية أو أدخله الجنة ، ولولا أن أشق على أمتى ما قعدت خلف سرية ولوددت أنى أقتل

ثم أحياء ثم أقتل) (٤)

فأله سبحانه تكفل للمجاهد المخلص لإعلاء كلمته أن يدخله الجنة إذا أخذه شهيداً

أو يرجعه إلى مسكه الذى خرج منه بالأجر والمغنم ، روى أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول

الله صلى الله عليه وسلم قال : (تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرج به إلا الجهاد في سبيله

وتصدق كلماته بأن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكه الذى خرج منه) (٥)

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : (كل كلم يكلمه المسلم في سبيل الله يكون يوم القيامة

كهيبته نهاراً إن طعنت يفجر دماً اللون لون الدم والعرف عرف المسك) (٦)

فالجهد كما ذكرنا في هذه النماذج الصادقة مكانته في الإسلام عالية إن هو : (ندوة

سنامه) كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعند ما سئل عن عمل يعد له قال للناسل :

(١) انظر صحيح مسلم كتاب الامارة فصل في الشهادة ج ص عن النعمان بن بشير

(٢) متفق عليه . البخارى كتاب الجهاد والسير الباب الخامس . وسلم كتاب ٨ باب ٥١

(٣) مسلم كتاب الامارة حديث ١٥٨ وأبو داود والنسائي كتاب الجهاد

(٤) رواه البخارى في صحيحه ج ١ عن ٩٢ في الايمان ، باب الجهاد من الايمان حديث رقم (٢٦) والنسائي في سننه ١٦/٦ و ١٧ في الجهاد ، باب ما تكفل الله عز وجل لمن خرج يجاهد في سبيله . والامام احمد في مسنده ج ٢ ص ٢٣١ .

(٥) متفق عليه رواه البخارى ١٣/٤٤١ في التوحيد وسلم ١٤٩٦/٣ في الامارة ، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله ج (١٠٤)

(٦) متفق عليه ، البخارى ١/٣٤٤ في الوضوء ، باب ما يقع من النجاسات في السمن والماء رقم ٢٣٧

و ٢٨٠٣ و ٥٥٣٣ . وسلم ١٤٩٦/٣ في الامارة باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله حديث رقم (١٠٥)

(لا أجد) ثم قال له : هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر؟ قال : ومن يستطيع ذلك؟^(١) . وخلاصة القول ان هذا هو طريق الخلاص مما وقعت فيه هذه الأمة .

ولقد حاولت هذه الأمة النهوض من وهديتها بغير الرجوع إلى الله ، وجربت كثيرا من أنواع العلاج فزادت حالتها سوءاً . حسن لها العلمانيون الاكتفاء من الدين بما فهمه الغرب ، ولكن الإسلام ، كما كان عليه محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه ، عقيدة وسلوك ، ومنهج يشمل كل جزئيات الحياة فلا يمكن إصلاح جزء داخل هذا الإطار بدون ارتباطه بأصله فهذا هو الطريق للإصلاح ، والعلاج الشافي لضعف هذه الأمة ، وهو طريق تكتنفه الصعاب وتحفه المخاطر . وهو طريق شاق طويل ولكنه مجرب صحيح مع الاعتماد على الله والصبر والحذر وأخذ العدة والزاد اللازم حتى يحقق الله لهذه الأمة من النصر ما حققه لأسلافها حيث مكبها في الأرض وفتح لها العالم المعتمد في أقل من ثلاثين سنة وهي موعودة بذلك : (يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)^(٢)

(١) اللؤلؤ والمرجان في ما اتفق عليه الشيوخان ج ٢ ص ٣٠٠ ج ١٢٣٣

(٢) سورة محمد صلى الله عليه وسلم ، آية رقم ٧

الفصل الثاني

السودان وطريق مواجهة التنصير

المبحث الأول : تجربة المواجهة الفردية

كل ما ذكر من طرق المواجهة أمر لا بد منه لصد التيار الجارف الموجه من ملة الكفر نحو الإسلام في جميع بلاد المسلمين وهي معركة تختلف باختلاف المواقع، وتفاوت من بلد لآخر وهي في السودان أشد ضراوة لموقعه الوسط من قارة أفريقيا التي يركز الغرب عليها ويعتبرها منطقة نفوذ له، تمتد به شراوتها الغنية ومنتجاتها الزراعية، وسوقاً لاستهلاك سلعه التجارية وليس هنالك ما يحول بينه وبين تحقيق أطماعه سوى الإسلام، ويعتبر السودان الموصل الأول له لما امتاز به من وسطية الموقع حيث يجاور عدداً لا يستهان به من أقطار القارة البكر، كما هو نموذج مصغر للقارة من حيث المناخ والسكان مضافاً إلى ذلك ثقافته الإسلامية ولغته العربية، وقد فطن الغرب إلى أنه موصل جيد للإسلام فسارع للحيلولة دون ذلك بشتى الوسائل بدءاً بالبعثات التنصيرية الأولى من عهد (سبيك، وصموئيل، وغردون) ثم الاحتلال ومحاولات استئصال الإسلام من شماله بعلمنة التعليم، ومحاولات تفتيت القطر وسن قانون المناطق المقفلة ومحاربة اللغة العربية، ووضع الأحزمة المتعددة أمام تقدم الإسلام المندفع من الشمال والغرب نحو جنوب القارة وشرقها، وما زالت حكومات الغرب تلقى بثقلها نحو هذا الهدف وترصد الأموال الطائلة وتنشئ المعاهد الكبرى لأعداد الشباسب للعمل في هذه المناطق، وتتوارى خلف هذه المؤسسات الكبيرة التي تتلون بألوان شتى وتتخذ أسماء متعددة فتارة باسم التنمية وتارة باسم الإغاثة، وأخرى بالخبرات الفنية، وهي في حقيقة أمرها مؤسسات كسبية مدعومة مادياً ومعنوياً من الداخل والخارج. فمن الداخل تجد كل عون وتسهيل من الحكومتين المركزية والإقليمية كما سبقت الإشارة لذلك ومن الخارج تدعم بالمال والرجال.

فنشرت الذعر والخوف باسم السلام، والخراب والدمار باسم التنمية، والأحقاد والضحايا باسم المسيحية وتمتد المتمردين بالأسلحة والمؤن، وفي الجنوب كما أشرنا إلى ذلك أكبر مسنستين منظمة كسبية تعمل باسم التنمية وهي في حقيقتها من أكبر المعوقات والعقبات في وجه تقدم الاقليم وكثير من أفرادها رجال استخبارات وتعتبر الفاتيكان على صغر حجمها أكبر دول

العالم، العاماً بدقائق أخبار الدول الداخلية سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وثقافياً، فتعرف مواطن ضعف الدول، ومواطن قوتها لكثرة انتشار المبشرين الكاثوليك التابعين لها المنتشرين في جميع أنحاء العالم ما أهلها لأن تكون أعلم الدول بما يجري في العالم^(١) وهذا أمر تدركه الدول الغربية جيداً ويجهله كثير من المسلمين أو يتجاهلونه، ففي أثناء الحربين العظميين عامل رؤساء الدول المبشرين معاملة المحاربين، فأسر من أسر وأبعد من أبعد وهو أمر شائع، وحدث في السودان إبان الفترة الاستعمارية وكذلك في سنة ١٩٦٤، كما حدث في الحبشة سنة ١٩٣٥ وفي الصين سنة ١٩٥٠.^(٢)

ولقد فطن لهذا الخطر أفراد من المسلمين في الشمال والجنوب وجاهدوا في سبيل نشر الإسلام، وعلى الرغم من قلة الإمكانيات وضيق ذات اليد وضراوة الحرب فإن أثرهم الإسلامي في مدة وجيزة ما فعله النصارى في وقت طويل مع توفر الإمكانيات، الأمر الذي يبشر بأن المسلمين إذا بذلوا الجهد المستطاع من القوة والعتاد فيكون النصر حليفهم بإذن الله، والمستقبل لدين الفطرة، ونذكر على سبيل المثال بالإضافة إلى جهود الزبير باشا المشار إليها آنفاً جهود رجلين استيقظا مبكراً وانتبها لخطورة التنصير، وعلا على التصدي له ثم نتطرق بإيجاز كذلك لمنظمة الدعوة الإسلامية التي تحاول أن تجمع الجهود لمواجهة هذا الخطر المسلط على القارة بأسرها.

١- الرجل الأول هو الشيخ محمد الأمين القرشي :

من مواليد سنة ١٣٠٨ هـ حفظ القرآن في خلوة جده الشيخ^(٣)

القرشي شيخ المهدي، وتلقى العلم (برقاعة) على بعض العلماء ثم ذهب إلى كلية غردون وبعد تخرجه عمل مدرساً ثم قاضياً، وكان محباً للحلم مجالساً للعلماء وتنقل للعمل في مدن السودان المختلفة، وفي سنة ١٩١٧ نقل لغرب السودان، فسأه عمل المنصرين فعزم في نفسه أنه إذا تقاعد عن الخدمة أن يسكن هذه المنطقة ويدعو فيها إلى الله لأنه قرأ في صحيح

(١) انظر التبشير النصراني، ص ٢٣

(٢) المرجع نفسه ص ٢٥

(٣) د. أحمد عبد الرحيم نصر، الإدارة البريطانية والتبشير الإسلامي والمسيحي في السودان، دراسة أولية، ص ٧٤، طبعة وزارة التربية والتوجيه والشئون الدينية والاوقاف.

البخارى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للإمام على بن أبى طالب: (لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم)^(١)

وفى سنة ١٩٣٢ نقل للعمل بمدينة عطبرة وبعد ثلاثة أيام من وصوله جاء أحد مسلمى القرية (١٤) وهى قرية تكونت حديثاً من فرقة عسكرية نوبية مسلمة سرحت^(٢) من الجيش فجاء أحد القسيس وعمل بها كنيسة من الخشب، وصار يوزع الطعام والكساء على بعض أفرادها، ويذهب إلى الخلوة حيث يتعلم الأطفال القرآن الكريم، ويعطى كل طفل حديدة كتب عليها (قرشان) وهو عبارة عن تعهد به بدفع قرشين لكل طفل يحضرها له إلى الكنيسة. فذهب الشيخ إلى المسجد وعقب صلاة الجمعة خطب الناس ونبههم إلى خطورة عمل القسيس، وعلم أن الخوف هو الذى يحول دون احتجاجهم، فدعا بعضهم إلى مقابلته فى اليوم التالى بالمحكمة وكتب احتجاجاً طويلاً للمفتش فجاءه المفتش وادعى بأنه لا علم له بذلك، فقال له الآن قد علمت فامنع هذا القسيس من المسلمين، ولكن المفتش كان على علم وأمر بعض الأعيان بالذهاب إلى القاضى ليكلف عن الموضوع، ولكن القاضى أبى عليهم واستهان بكل ما يحدث، وكتب إلى المفتش إذا لم يفاد القسيس القرية، وتزال الكنيسة حتى الساعة الثانية عشرة سوف ترى ما يكون،^(٣) فأصدر المفتش أوامره بإزالة الكنيسة، ومنع القسيس، وعزم على إحالة القاضى إلى التقاعد، وكتب بذلك للسكرتير القضائى فأحيل القاضى إلى الكشف الطبى تمهيداً لإيقافه فسأله الطبيب الانجليزى عن عمره فقال: مائة سنة، وعن قوة إبصاره فقال: لا أرى شيئاً فضحك الطبيب وكتب تقريره بأن الرجل سليم الحواس فإذا أردتم فصله فأفصلوه.^(٤)

واستمر الشيخ فى الخدمة حتى سنة ١٩٤٦ وفى سنة ١٩٤٨ كما يروى ذلك قائلًا:
(طلبتنى الكلية للعمل فيها مدرساً لتدريس الشريعة، وفى أثناء ذلك تذكرت تلك الكلمات التى عاهدت الله بها فى جبال النوبة فشغلت تفكيرى فتقدمت باستقالتي على الرغم من عتاب الناس - كيف تستقيل وأنت تأخذ معاشاً وراتباً فى وقت واحد؟ - فقلت لهم: عندى أمر فلما قبلت

(١) متفق عليه: البخارى ١١/٦؛ فى الجهاد، باب رقم (١٠٢) حديث (٢٩٤٢) . ومسلم ١٨٢٢/٤ فى فضائل الصحابة، باب فضائل على رضى الله عنه، حديث رقم (٣٤)

(٢) أنهيت خدماتها فيه

(٣) الإدارة البريطانية والتبشير الاسلامى والمسيحى فى السودان ٨٠/٧٩

(٤) المصدر السابق، ص ٨١

استقالتى كُتبت للحاكم العام الانجليزى فقلت لسه : (أنتم أناس طيبون كُلتم حرية الأديان
وأنا رجل من السودان والجبال والجنوب كله وطنى ، وهناك كثير من القسس يبشرون بديسى
عيسى ، فأريد أن تسمحوا لى بالتبشير بديسى محمد ، فحول طلبى إلى السكرتير الإدارى
(روبرتسون) فرأى أنه طلب غير معقول أن يسمح لرجل من السودان بالتبشير بالإسلام فس
منطقة مغلقة للمسيحيين لا يدخلها غيرهم ، حتى إذا دخلها حيوان لعربى سلم لا يحق لسه
الدخول بحثاً عنه إلا بأذن (١)

واحتفظ بالطلب فلم يرد عليه ، وبعد مدة ذهبت إليه فقلت له : لماذا لم ترد على طلبى
فقال : هذا عمل كبير جداً وأنت لا تقدر عليه ، فنحن لانصدق ولا نرد عليك . قالها بلهجة
غليظة فأجبتة : أنكم تزعمون حرية الأديان ، والبلد بلدى فأنا ابن السودان تمنعوني ؟ سأشتكيكم
إلى الحكام فى البلاد الإسلامية ! ! فرد على : افعل ما شئت ، وحاولوا تسليط السادة
الكبار ليعيدونى إلى الخدمة فى وظيفة مفتى السودان فأبيت . وزار السودان (القصدال)
أحد وزراء حضرموت معلنا رغبة ملكها فى تعيين قاضى قضاة سودانى راتب كبير قدره مائتا
جنيه ووسطوا السيد عبد الرحمن المهدي لأقبل هذه الوظيفة المفترية فأبيت . ثم كُتبت
لأعضاء الجمعية التشريعية ورئيسها وكانوا أربعة وستين مسلماً لكل خطاب مستقل وأطولها
خطاب رئيسها الشنقيطى رحمه الله . قلت فيها : إن الحكومة منعتنى من التبشير بالإسلام ،
وأنتم أهل الحل والعقد ، فإذا كان هذا صحيحاً فما أن تصدقوا لى بالتبشير بالإسلام وإما
تخرجوا جميع القسس من السودان ، وإما أن تكونوا كاذبين وسأذهب إلى مصر واستصدر
فتوى شرعية من علمائها بكفركم ! ! لأنكم تحولون دون نشر الإسلام فى تلك البلاد .

فذهبوا إلى السكرتير الإدارى وقالوا له إن الحق مع هذا الرجل ، إما أن تأذنوا له
بالعمل للإسلام أو تخرجوا المبشرين فأسقط فى يده (٢) ، وعمل جميع حيله السرية والعلنية
ليحول بينى وبين التبشير ، ولكنها باءت جميعها بالفشل للضغط من الجمعية ومنى ، ولكن
التلغرافات والخطابات وأخيراً جاء التصديق بالعمل كتابة فقرأته فى الجامع الكبير بأمر
وكان فى الناس تخاذل وخوف فتوكلت على الله ، وتكونت لجنة فى أمر رمان ، ثم ذهبت إلى

(١) انظر المصدر السابق ص ٧٧/٧٨

(٢) نفس المصدر ص ٧٨

(٣) نفس المصدر ص ٧٨/٧٩

الأبيض ، وهى بلدة معروفة بالنسبة لى لأننى عملت بها مدرساً ، وقاضياً ، وكونت بها نواة للعمل ثم ذهبت إلى الدلنج ، فوجدت أمامى رجلاً من قبيلة النيمانج اسمه (انجلو) كان جندياً حتى صار (جاويشا) وعند ما أسلم طرد فسكن مع العرب ، وعند ما سمع بمقدى جئنى فعلمته فرائض الإسلام وأسميته (صديق) وعينته مؤذناً للمسجد ، وكان رجلاً على التزام كامل بالإسلام فى نفسه وأسرته ، فلا يدخل على نساءه أجنبى ، فاشتهر بالعفة والأمانة ، فكان المسافر يحفظ عرضه فى بيته .

ثم أسلم الملك (كده كربوس) فكان نعم العون لى يقوم بالترجمة لكلامى لتمكنه من العربية ، وضحى بوظيفته وصحبى للدعوة إلى الله ، وبدأ الإسلام ينتشر فى المنطقة وكانت (بسلارا) مدرسة تبشيرية أنشئت قبل خمس وعشرين سنة ، وبها قسيس ، فاتصلت بالملوك والكجيرة^(١) وآباء الأطفال ، وحذرتهم من عمل القسيس ، وساعد فى ذلك أنى كتبت للملك فاروق عند ما سمعت أنه يوزع الهدايا بمناسبة مولود الجدي قائلاً له : إبنى فى بلد بها كبير من المسلمين العراة المعدمين واحتاج إلى قدر من الملابس ، فوجه بإعطائى ما احتاج ، فجاءتنى سيارة محملة بالأقمشة ، فأراد المفتش أن يشاظرنى فيها ، فقلت له : هذه هدية مسلم للمسلمين ولا يمكن أن أعطيك منها شيئاً فوزعتها باسم فاروق المسلم فكان لها وقع طيب فى النفوس فاستجاب أولياء أمور التلاميذ ودعوتهم إلى الإسلام فأسلم الجميع وفى يوم الأحد دعاهم القسيس إلى الصلاة فقالوا له لا نصلى صلاة النصارى لأننا مسلمون ويصوت متحد قالوا : لا إله إلا الله محمد رسول الله . فخر القسيس مفشياً عليه وأخذ إلى المستشفى وبعد أن أفشائى ذهب إلى المفتش ، ثم المدير ، واتصل بالخرطوم وقال : ان هذا الرجل أفسد علينا المدرسة ولها خمسة وعشرون عاماً فأوفدت الحكومة وزير المعارف ومديرها ، وكان المدير انجليزياً للنظر فى أمر هذه المدرسة فثبت جميع التلاميذ على دينهم وعند ما أراد المدير الكلام أسكته التلاميذ بقولهم : أنت ابن عم القسيس فلا تقبل منك ، فطلبت منهم إبعاد هذا القسيس من المدرسة المسلمة ، فقالوا : يبقى لعلاج التلاميذ . فأبيت ذلك ، فصحبهم غير مأسوف عليه^(٢)

(١) الملوك : جمع ملك وهو لقب لرئيس المنطقة القبلى الذى تتحاكم إليه القبيلة .
الكجيرة : جمع كجور وهو الذى يمارس الشعوذة والسحر فى المنطقة التى تغلب فيها الوثنية (الغنى) فى مناطق الجهل فى المجتمع الاسلامى
(٢) المصدر السابق باختصار ص ٨٢ / ٧٩

وهكذا بجهد قليل وامكانيات محدودة كان هذا الأثر الطيب ، والثمرة المباركة ولم تكن جهود هذا الداعية محصورة في غرب السودان بل ذهب كذلك إلى جنوب السودان وكان له أثره الواضح . نسأل الله سبحانه أن يرفع درجاته في الصالحين .

٢- الرجل الثاني : الزعيم عيسى أحمد فرتاك

وهذا الرجل من أبناء المديرية الجنوبية وهو من مواليد سنة ١٩١٠ وهو أحد أبناء قبيلة الفروحي تلقى تعليمه على يد شيخ من البرنو يسمى (محمد) فعلمه القرآن والكتابة والعربية ، فأسلم على يديه ، وحسن إسلامه فصار داعياً مخلصاً لدينه ثم خلف والده على زعامة القبيلة فحكم بالقسط ، وكان محبوباً من أفراد القبيلة ومن التجار (الجلابة) في راجا .

اعتبره الانجليز عقبة كاداً في سبيل سياستهم الرامية إلى إبعاد المسلمين من المنطقة فشغلهم أكثر مما شغلهم إبعاد التجار وترحيلهم إلى الشمال لأن موقعه كداعية للإسلام مع زعامته للقبيلة أقض مضاجعهم ، وخاصة عندما أبدى استياءه من سياستهم الرامية إلى طرد التجار المسلمين ، وزاد غضبه عندما فصل الانجليز قبيلتي (الباندا) و(الكريس) من سلطنة والحقوهما بزعمائهم تقليصاً لسلطته ، فكتب في سنة ١٩٣١ إلى عبد الحميد أمير (زالنجي) يسأله عن مخرج وخاصة بعد طرد العرب من (راجا) وحظر استعمال اللغة العربية ، وسعائلة فرض

النصرانية بالقوة على سكان مديرية بحر الغزال ، فانزعج السكرتير الإداري (ماكايكل) لهذا الاتصال ، ورأى بروك Brock أن يسترضيه كزعيم للفروحي . وكان فرتاك ذكياً ومتعلماً فطلب السماح له بتعليم عربي له ولأفراد قبيلته التي تضم ٦٨٩ من دافعي الضرائب للحكومة ، وتمثلت موافقة بروك في السماح له بـ (فكيين) ^(١) ومنحه راتباً شهرياً مقابل زعامته للقبيلة ، كما التزمت الحكومة بتشديد سكن له على نفقتها وسط أفراد قبيلته بخور شامون بالقرب من (راجا) كل هذا الاسترضاء لم يمهله محارضته وإن أضعفها بعض الضعف مما أغضب كلا من (Kidd

وسمسون Simson) فخفف الأخير راتبه إلى النصف فاشتدت ثورته على الحكومة ، وهدد بها من مركز سلطته . وظلت الحكومة تسترضيه مرة وتقااضي عنه مرات ولكنها كانت تضمر له سوءاً وتمهد لعزله ونفيه . فوافقت الفرصة عندما تقدم بطلب لإنشاء مدرسة عربية بمدينة راجا فرأت الإدارة أنه تجاوز حده فدعت لاجتماع لقبيلة الفروحي ترأسه بيثيل Bithel وتم عزله وعين أخوه تيم بدلا عنه ونفى عيسى إلى مدينة الفاشر بمديرية دار فور. ^(٢)

(١) تشنية (فكي) وهو معلم القرآن للأطفال وامام المسجد . وهي تحريف للكلمة (فقيه)

المبحث الثاني تجربة المواجهة المنظمة

كما أنه قد كانت هناك جهود فردية منظمة فذلك قامت هيئات إسلامية للدعوة الإسلامية ومواجهة التنصير، كهيئة النشاط الإسلامي ومنظمة الدعوة الإسلامية^(١).

ونكتفي بمنظمة الدعوة الإسلامية كمثال للعمل الجاد لنشر الإسلام، ومواجهة التنصير، ونعرض لبعض العوائق الكبيرة المتعددة التي تواجه هذه المنظمة، ولا نتعرض لنظامها الأساسي ككيفية تكوينها، وتمويلها، فغاية ما يهم البحث أنها أول عمل ناضج جاد أفرزه أعداء الإسلام في الداخل والخارج لأنهم أدركوا تقدم الإسلام وزحفه رغم شتات المسلمين، والعوائق التي وضعوها أمامه فكيف إذا دخل حلقة الصراع بنظام مخطط ومنهج واضح متفق مع الفطرة لا يفصل بين الدين والدنيا.

شرعت المنظمة تقدم للناس الإسلام في منهجه المتكامل، ويدأ الناس يدخلون أفواجا في الدين فجن جنون الصليبية وحركت جنودها عالمياً ومحلياً لإعلان الحرب على المنظمة.

معاديج من وسائل حرب الصليبية لمنظمة الدعوة الإسلامية :

أ- عقد مؤتمر كنسي بين ١٩٠٥-٢٢ من فبراير سنة ١٩٨٢ شارك فيه (٤٤) مبشراً يمثلون منظمات كنسية عالمية ومحلية، كما شاركت فيه حكومة الاقليم الجنوبي بمتثلين لها حيث تقدم كل من نائب الخدمات الصحية، ومدير قسم الشؤون الدينية بوزارة التربية والتوجيه الإقليمية بورقة عمل دعوا فيها للتكامل بين أنشطة الكنيسة والحكومة الإقليمية، واشتملت بعض هذه الأوراق التي قدمت في المؤتمر على إحصائيات دقيقة عن نشاط المؤسسات الإسلامية داخل السودان وخارجه مما يدل على الرقابة المحكمة الدقيقة على العمل الإسلامي.

افتتح المؤتمر سكرتير مجلس الكنائس السوداني، ويدأ كلمته بتحية للسيد يونياس ناسيوشن

مثل مجلس الكنائس العالمي - جنيف - في المؤتمر، والذي تقدم بالورقة السادسة ذكر فيها

تجربة التبشير في اندونيسيا البلد المسلم واثني على نجاح التجربة رغم الأخطاء الكبيرة إذا ارتفع عدد

(١) تم تسجيلها رسمياً في ١٧ من ذي الحجة ١٤٠٠ هـ الموافق ٢٦ / من أكتوبر ١٩٨٠

النصارى إلى ٢٪ من العدد الكلى للسكان . أما انقش جوشوا وداود يار مدير الشؤون الدينية بوزارة التربية الاقليمية فتقدم بالورقة الرابعة فقال : إن الإسلام يعمل جاهدًا ففى تدريب المعلمين إن تخرج جامعة دارمان الإسلامية وجامعة الأزهر ٦٠٠ من أبناء الاقليم الجنوبي لتعليم الإسلام ، ولا بد من جمع الجهود لتغطية هذه المساحة .

والورقة الخامسة تقدم بها فهمى سليمان رئيس العلاقات المسيحية الإسلامية بمجلس الكنائس السودانى ، والسكرتير التنفيذى لجمعية الكتاب المقدس بالخرطوم ، وموضوع ورقته الحوار مع العقائد الأخرى .

فقال : إن الهدف من الحوار قبول دعوة المسيح وليس مقارنة الأديان ، وكلمة (الاديان الأخرى) فى حالة السودان تعنى الإسلام بالتحديد ، وخرج المؤتمر بتوصيات كثيرة منها على سبيل الإيجاز :

- ١- الاهتمام بالمرأة والشباب
- ٢- على مجلس الكنائس السودانى دعم الكنائس ماليا وتنظيم العمل .
- ٣- على المؤسسات الحكومية أن تهتم بالتنمية والتعاون مع الكنيسة .
- ٤- يجب أن تكون الخدمات بصفة عامة والتعليم والصحة بصفة خاصة وسيلة للتنصير .^(١)

ب- مجلس الشعب الاقليمى ومستشفى صباح

أجاز مجلس الشعب الأول لاقليم الاستوائية فى جلسة رقم (٣٠) فى دورة انعقاد الرابع بأغلبية (٣٣) صوتا الاقتراح الآتى نصه :

أ- ان مجلس الشعب الأول لاقليم الاستوائية بعد المطالعة والفحص الدقيق للاتفاق المبرم بين الحكومة الاقليمية السابقة للاقليم الجنوبي ومنظمة الدعوة الاسلامية نيابة عن الممول (رابطة العالم الاسلامى) لمستشفى صباح للأطفال يقرر الآتى :

- ابطال مفعول الاتفاق .
- توضع إدارة المستشفى المذكور تحت إدارة الوزارة الاقليمية للخدمات العامة باقليم الاستوائية إلى حين التوصل إلى اتفاق مقبول بين الطرفين .
- يجب أن تفحص كل نشاطات منظمة الدعوة الإسلامية وأن تتمشى مع طموحات اقليم الاستوائية .

(١) ملخص باختصار من تقرير ورشة العمل المسيحية التى عقدها مجلس الكنائس السودانى بجوبا بين ١٥-٢٢ من فبراير سنة ١٩٨٢

وقرر المجلس أن ترفع هذه القرارات إلى حاكم الاستوائية . وقد انسحب من الجلسة قبل التصويت على الاقتراح المجاز ستة أعضاء ، خمسة منهم مسلمون ، والسادس متعاطف معهم .^(١)

ج - دعا كل من (ساولولينو لولود و لارو) رئيس أساقفة الكاثوليك - عن الكنيسة الارثوذكسية بجوبا ، و (البناتانولا مور) رئيس الكنيسة الأسقفية البروتستانتية بجوبا ، اللواتي (بيتر سيريلو) حاكم إقليم الاستوائية - جوبا ، إلى اجتماع في نوفمبر سنة ١٩٨٥ ، وانحصر الاجتماع في مناقشة خمسة بنود اشتملت على كيفية مواجهة العمل الإسلامي ، وهذه البنود هي :

١ - الخطة العربية الإسلامية في مرحلة التنفيذ .

٢ - إجازة الدستور الانتقالي .

٣ - ظهور منظمة الدعوة الإسلامية .

٤ - توزيع الأرض .

٥ - موقف الكنيسة .

في
فجاء تفسير الاجتماع :

١ - انحصرت خطة الأسلمة في الآتي :

١ - المال المتدفق على الإقليم في شكل إغاثة وصحة وتعليم ومدارس ، ومشروعات تنمية

وهذا يأتى لتأليف القلوب بما في ذلك قلوب الزعماء .

٢ - انتشار الحوائط العربية في المدن والأرياف بهدف جذب الناس إلى العروبة

والإسلام ، فعمل العرب على نشر ثقافتهم بجد .

٣ - الترويج بالجنوبيات المسيحيات حتى يتسنى لهنّ إجاب جيل يدين بدين آبائهنّ

المسلمين ، وبذلك تضع هويتنا الأفريقية المسيحية .

٤ - اتساع نطاق تعليم القرآن في الجنوب وتشجيع دور العبادة في كل ركن من أركان

مدن الإقليم .

وهناك حقائق كثيرة كان يمكن أن تذكر عن هذا الزحف ، ولكننا نكتفي بهذا القدر .

ب - إجازة الحكومة الانتقالية للدستور الانتقالي حيث نص في هذا الدستور أن الشريعة

الإسلامية هي أساس القوانين .

ونحن نتساءل إلى متى سيدوم هذا الدستور؟ من الذى سيقوم بتعديله؟ ومن الذى يضمننا بأن قوانين الشريعة الإسلامية ستلغى؟ وأنها لن تضمن فى الدستور الجديد الدائم؟

وتعلمون معاليكم أن قوانين الشريعة الإسلامية قد فرضت فرضاً بواسطة نظام نميرى المندحر، وقد قامت معارضة قوية ضد هذه القوانين من كافة المسيحيين، ومن فئات أخرى كثيرة عارضتها لأنها دكتاتورية ظالمة، ونحن نعلم أن الفئات التى تحمل السلاح تعتبر الفاء هذه القوانين من أولى أهدافها^(١)، ولقد صد منا وتألما لما رأينا الأصوات التى تطالب بالعدالة وحقوق الإنسان لا تجد أننا صاغية بل تقهر!

جـ - منظمة الدعوة الإسلامية :

إن هذه المنظمة أداة لنشر الإسلام، وهى معروفة لنا تماماً بأنها تقوم بالدعوة الإسلامية، ولها مكتب رئيسى فى جوبا. نحن لا نعرف كيف أتت هذه المنظمة إلى جنوب السودان؟ هل تقدمت بطلب للعمل فى الجنوب وأخذت إننا بذلك؟ هل قدمت لها دعوة للعمل فى الجنوب؟ فإن كانت الإجابة بنعم فمن الذى قدم لها الدعوة لدخول الجنوب؟ نحن نعتقد أن المنظمة أتت لتضع الخطة العربية الإسلامية موضع التنفيذ فى الاقليم الاستوائى وفى مدينة جوبا بشكل خاص نجد هناك تسرباً إسلامياً إلى المرافق المختلفة وبرنامجاً قوى التأثير لوضع قوانين الشريعة الإسلامية موضع التنفيذ فى اقليمنا الأفريقسى المسيحى.

إن هذه الجهة التى ترعى هذا العمل وتقوده لتطبيق قوانين الشريعة الإسلامية هى منظمة الدعوة الإسلامية.

قدمت منظمة الدعوة الإسلامية نفسها للحكومة من أجل إصلاح الدوائر القائمة وبناءً أخرى جديدة فى المدن والأرياف نيابة عن الحكومة وهى بصدور إنشاء مدارسها الخاصة التى ستكون تحت إدارة إسلامية مستقلة، إنها تقدم الإغاثة فى شكل أموال لشراء المواد الغذائية من الأرياف بأبخس الأثمان وتتولى بنفسها مسئولية توزيعها فى الأماكن المتضررة.

أما بنك فيصل الإسلامى فهو يعطى القروض للعرب المسلمين فقط، إنه يهدف بجانب

(١) يقصد حركة المتمرد جون قرنق .

أهداف أخرى إلى شراء كل المواد الغذائية بأبخص الأثمان من المزارعين ثم بيعها للجمهور بأعلى الأثمان - صاحب المعالي - إننا نعتقد أن أهداف منظمة الدعوة الإسلامية وخططها تحمل في طياتها سمًا زعافًا لمواطنينا ، فالمساعدات للإغاثة والمراكز الصحية ، ومشاريع التنمية تتدفق على الجنوب بواسطة المنظمة ، تخفى وراءها أهدافًا خطيرة ، وهى بالتحد يسد تعريب وأسلمة قوما في الجنوب . نحن نطالب بإيقاف نشاطات هذه المنظمة ولا نسمح لها بأي دور مباشر في عمليات الإغاثة والصحة والتعليم . ويجب أن تسلم كل أموالها للحكومة الإقليمية لتقوم الحكومة وحدها بهذه المشاريع ، إننا نطالب الحكومة والسياسيين في الجنوب بتوعية المواطنين بأهداف منظمة الدعوة الإسلامية ، وخاصة وسط المواطنين وزعماء القبائل بل نطالبهم باليقظة الدائمة ورفض كل نشاطات هذه المنظمة^(١) .

د - توزيع الأراضي :

اتضح بكل أسف أن معظم أراضي جوبا وبعض الميادين قد أعطيت للعرب المسلمين - إننا نطالب سيادتك - بوقف أعمال البناء في هذه الأراضي والميادين ، ونطالب كذلك بنزع الأراضي التي خصصت للعرب والمسلمين على طريق جوبا الرجاف .

هـ - إن الكنيسة بنيت على الحب ، وهى تعمل وفق مبادئها السامية وهى إنما تدعو إلى الإخاء بين كل بنى البشر من أجل السلام والعدل ، وإنها ضد الحقد والعنف ، وهى لا تتعاطف ولا تتعامل مع الجهات التى تؤمن بالعنف لحل الخلافات ، وهى تطلب للرب أن يزرع المحبة في قلوب الناس جميعا .

صاحب المعالي :

لأنود أن ينظر اليهنا أننا نريد إحداث احتكاك بين الناس ولكنا نريد لهم العيش فى محبة وسلام ولكننا فى نفس الوقت نؤكد خوفنا الدائم وهاجسنا المؤرق هو مايقوم به العرب

(١) سبحان الله تسمح الحكومة لأكثر من مائة هيئة تنصيرية فى مجال التنصير والتنمية فى جنوب السودان منها ٦٣ هيئة كسبية أجنبية أتت من وراء البحار من مختلف الأجناس ، ومع هذا يطالب القس بطرد منظمة وطنية واحدة لأنها تعمل باسم الإسلام لتعليم أبناء المسلمين المضطهدين الذين حرمتهم الكنيسة التى تحتكر التعليم والصحة أبسط مراحل التعليم وجعلت التعمييد شرطاً لقبولهم :

وصدق شوقي حين قال :

أحرام على بلبله الدوح * حلال للطير من كل جنس

المسلمون من نشاطات وخطط الأسلمة ، وتعريب جنوب السودان وبخاصة الاقليم الاستوائي ،
ان يهدف العرب إلى ارباكنا وتقسيننا^(١) حتى نتقاتل في المستقبل القريب لأننا سيكون بيننا
كثير من الذين تم تعريبهم وأسلمتهم .

وختم القسان لقاءهما بالدعوة بالتوفيق لصاحب المعالي لاتخاذ القرارات المناسبة
التي يتطلبها الوضع الراهن .^(٢)

ونقول لهما هل يصدق عاقل أن الكنيسة بنيت على الحب بعد كل ما تقدم من الحقد
والكراهية والاستعداد على الإسلام والمسلمين ؟ وإن سلمنا أنها قديماً كانت كذلك فهي
اليوم على خلاف ذلك .

فهل ما دعا إليه هذا القسان هو المبادئ السامية والدعوة إلى الإخاء بين بنى
البشر جميعاً ، أم هو ادعاء فارغ لا أساس له من الصحة ؟ وهذا الموقف تجاه المنظمة ليس
بغريب من ملة الكفر فقد ظلت تعامل المسلمين معاملة قاسية عندما يكون بيدها زمام الأمور
ففي الحبشة وقعت أغرب محاولة لتنصير المسلمين سنة ١٨٧٨م بعد اعتلاء الإمبراطور
(يوحانس) عرش الحبشة بمعاونة الانجليز ، حيث دعا أعضاء الكنيسة الحبشية إلى اجتماع
قرروا فيه وجوب الاقتصار على دين واحد ، وعقب الاجتماع أصدروا انذاراً بحرب المسلمين
إذا لم يقبلوا التنصير أو الجلاء عن أوطانهم وأماكنهم إلى خارج المملكة ، وحددوا لتنصيرهم
مدة أقصاها ثلاثة أشهر ، ومارس (يوحانس) أقبح الفظائع الوحشية لينزع الايمان من القلوب
والهداية من النفوس وقضى على المسلمين في مملكته بدون ذنب إلا أن يقولوا ربنا الله ، وفي
سنة ١٩٠٠م / ١٨٨٣م كانت العاصمة (غندار) خالية من المسلمين تماماً ، فقد تنصر ضعاف
الايمان وهاجر كثير إلى السودان ، فقاد (يوحانس) جيشه لتعقب المهاجرين وغزوا السودان
بمعاونة الانجليز وهاجم مدينة (القلابات) بماثي ألف مقاتل وكاد يستولي عليها لولا لطف
الله سبحانه ، فقتل في ١٠ مارس سنة ١٨٨٩م^(٣) وتفرق جيشه شذراً مذبذباً .

(١) ينسى هؤلاء القسا أن الكنيسة عملت على تفرقة الجنوبيين حتى أبناء القبيلة الواحدة
الذين ينتسبون إلى كنيسة واحدة لاتجمعهم الصلاة فيها حيث يدخل كل فسرع لإداء
الصلاة بلهجته التي تخالف الفرع الآخر وهي تريد هم كذلك ! فأى تقسيم هذا اذا كانت
عبادتهم لاتجمعهم ؟

(٢) معلومات من توصيات الاجتماع الذي عقد بتاريخ ١٦ / ١١ / ١٩٨٥م .

(٣) انظر أبا أحمد الاثيوبي ، الاسلام الجريح في الحبشة بلاد النجاشي أرض الهجرة
الأولى ، بدون تاريخ ، وانظر حقائق عن التبشير ص ٧١ .

ولا يزال الأحباش ملوكاً ونصارى يواصلون الهجوم على الإسلام ويحاولون الاستيلاء على مدن السودان الشرقية بمعاونة الروس والأمريكان كما يواصلون اضطهادهم للمسلمين . حيث تبلغ نسبة المسلمين ٦٥ ٪ من مجموع سكان الحبشة ولا يوجد لهم تمثيل فى مناصب الدولة العليا ، فلا نجد مسلماً يشغل منصب وزير أو عضواً فى المجلس الانتقالي الحاكم ، وهذا هو واقع المسلمين فى أكثر البلاد الأفريقية ، حيث تحالف الاستعمار مع التنصير لحرمانهم من التعليم ، وما تزال المؤسسات الكنسية التى نجحت بمساعدة الاستعمار فى السيطرة على التعليم تجعل التعميد شرطاً لدخول مدارسها فى كثير من المناطق الأفريقية كما فى الجنوب السودانى مثلاً ، وقد نجحت كذلك بمعاونة الاستعمار الذى أعلن الحرب على المؤسسات التعليمية ذات الصيغة الإسلامية بقيام مؤسسات علمانية خرجت الرواد العلمانيين الذين اضطلموا بهم فى الحكم فى البلاد الإسلامية فكانوا أعنف فى حربهم للإسلام والمسلمين من الاستعمار وأعوانه الصليبيين كما اهتمت هذه المؤسسات الكنسية بتعليم النصارى وأسندت اليهم مقاليد الحكم فى بلاد يفوق فيها عدد المسلمين النصارى فأصبحوا لا وزن لهم وأوضح مثال على ذلك الحبشة وتنزانيا ويوغندا وأفريقيا الوسطى ، ومع هذا الحرمان المرير من نعمة التعليم حيث خيم الجهل على أغلبهم كذلك رماهم بالفقر ليشغلهم بمكابدة العيش ويسلبهم روح المقاومة . وفى مقابل هذا نجد النصارى معززين فى مجتمعات أكثر سكانها المسلمون كما فى السودان حيث تصل نسبة المسلمين الى ٨٥ ٪ ومع ذلك فقد شغل منصب عضو مجلس السيادة أحد نصارى الجنوب كما شغل منصب نائب رئيس الجمهورية فى الحكومة المركزية عدد من نصارى الجنوب ،^(١) وفى الحكومة الحالية نجد أحد أعضاء مجلس رأس الدولة من نصارى الجنوب هذا بالإضافة إلى عدد كبير من نصارى الجنوب الذين شغلوا مناصب وزارية من عهد الاستقلال حتى يومنا هذا علماً بأن نسبة النصارى فى السودان لا تصل إلى ٥ ٪ من مجموع السكان . ومع ذلك فهم يسيطرون على زمام الحكومة الإقليمية فى الجنوب حيث تزيد نسبة المسلمين فيه على النصارى ولا يسمح لمسلم أن يصل إلى منصب وزير إلا بعد أن يعلن رده عن الإسلام .

(١) (أبيل الير - وجوزيف لاغو)

هكذا بلغ الضعف بالمسلمين في كل مكان واستحرف فيهم التقتيل والتشريد على يد الحكومات النصرانية والعلمانية التي تنتسب إلى الإسلام وتماهى النصارى .

وظل الاستعمار وأعوانه يعملون بحرية ، وما زال عملهم موصولاً لدعم كل ما من شأنه إضعاف المسلمين روحياً ، وثقافياً ، ومادياً ، فكثير من المؤسسات التعليمية ما زالت في ملكية النصارى لتسييم أفكار ناشئة المسلمين ، كما نجد كثيراً من موارد الثروة والمرافق الحيوية فى أيدي النصارى منذ عهد الاستعمار وحتى وقتنا الحاضر .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل عند ما طالب المسلمون فى السودان بتطبيق الشريعة الإسلامية ، وهو حق تكفله جميع الشرائع والنظم القانونية ، ومع هذا فإن الدول الاستعمارية الكبرى حركت توابعها وأعوانها فى السودان والدول المجاورة له ومدتهم بالسلاح والرجال والمال لتعويق قيام دولة إسلامية فى السودان وتحكيم الشريعة التي أصبحت الشعار المرفوع رغم اجتياح المجاعة لكثير من مناطق السودان ، فاتحدت دول البغى على اختلاف مذاهبها وعقائدها من علمانية وصهيونية وشيوعية وصليبية على الرغم من تناقضها واختلاف مبادئها فهي الآن تقف كلها مع متمردي جنوب السودان فى صف واحد لتحارب الإسلام فى وحدة متجانسة ، وخطوات مرحلية مدروسة وفق الاستراتيجيات العالمية المتفق عليها بين كل من أمريكا وروسيا ومن يدور فى فلكيهما ، يشهد لذلك الدعم الأمريكى الروسى الصهيونى الذى يلقاه التمرد فى جنوب السودان ومن ورائه التنصير الذى انتظمت كائمه هي الأخرى من كاثوليكية وارشونكسية وبروتستانتية بشتى مذاهبها فى وحدة لم تعرف مسن قبل ، متخذة من الدول الأفريقية المجاورة كالحبشة وكينيا وغيرها نقاط ارتكاز ومأوى تمدنهم بالسلاح والمال والرجال لتصعيد هذه الحرب الضروس ضد الإسلام والمسلمين . مبررين لفعلهم الشنيع بمنكر القول وزوره وهو أن الشمال العربى المسلم يريد فرض الإسلام على الجنوسب الأفريقى المسيحى ، وهو محض الكذب والافتراء ، وإنما هدفهم تحطيم الصخرة الإسلامية التي شعروا باشتداد ساعد ها وعلو صوتها وماداتها بالعودة إلى الله ، واتخاذ القرآن الكريم شرعة ومنهاجاً بتطبيقه فى كل شئون الحياة ليعيش الناس حياة إسلامية نظيفة تسودها مفاهيم الإسلام وقيمه وأخلاقه وتحكمها شريعته وتوجهها عقيدته ، فأصغى سواد الشعب لهذا النداء والتف حول المنادين به ، فملأ الحقد أعداء الإسلام ، فحركوا عملاءهم على الصعيدين الشعبى والرسى فى داخل البلاد وخارجها لقمع التوجه الإسلامى .

ولقد بلغت الجراءة بسفير أمريكا في الخرطوم أن يسفر عن وجه بلاده الكالج الذي تشل في تصريحه الذي أدلى به ، وهو قوله : (إن الإصرار على الشريعة الإسلامية لن يأتي بخير للسودان)^(١) كان مصدر الخير للسودان هو أمريكا . وفي تصريحه تهدد واضح وتدخل سافر في شئون السودان الداخلية ، مما دعا أمين عام رابطة علماء السودان الشيخ أحمد عيسى الإمام أن يطالب بإبعاد من البلاد لتجاوز حدود الدبلوماسية^(٢) .

فعلى المسلمين في السودان خاصة وفي العالم الإسلامي عامة أن يهبوا لمواجهة هذه الحملة الصليبية التي تستهدف السودان وإننا على ثقة بنصر الله ، فالأمل فيه عظيم ، بأنها ستبوء بالفشل والهزيمة كما باءت الحملات الصليبية من قبل ، مهما عمل أعداء الإسلام في أن المستقبل له بإذن الله كما يقول الشهيد سيد قطب رحمه الله في كتابه (المستقبل لهذا الدين) فالاستقبال للإسلام في السودان وفي أفريقيا بل في العالم ، وذلك إذا غير المسلمون واقعهم الأليم بالعودة الصادقة إلى الله سبحانه وتعالى ، واتخذوا القرآن شرعة ومنهاجاً ، وطبقوا الإسلام في كل شئون الحياة ، وعندما نقول المستقبل لهذا الدين لا نلقى القول على عواهنه وإنما نستند على نصوص صحيحة وصريحة من كتاب الله تعالى وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم :

قال تعالى : (ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فمستنفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون . ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعل في جهنم أولئك هم الخاسرون)^(٣) .

وقال سبحانه : (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهن دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني ولا يشركون بي شيئاً . . . الآية^(٤))

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ، فيقتلهم المسلمون ، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر أو الشجر : يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله ، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود)^(٥)

(١) صحيفة السودان بتاريخ ١٧/ ١٠/ ١٩٧٨ و ٢٤/ ١٠/ ١٩٧٨ .

(٢) صحيفة الراية ٢٨ صفر ١٤٠٨ هـ عدد (٥٢٠) .

(٣) سورة الانفال ، الايتين ٣٦-٣٧ .

(٤) سورة النور ، الآية ٥٥ .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٣٩ في كتاب الفتن باب رقم ١٨ الحديث ٨٢ ورقه العام ٢٩٢٢ والإمام أحمد في المسند ٢/ ١٧٢ بزيادة في اللفظ .

فعلى المسلمين جميعا التمسك بدينهم ، وتطبيقه فى حياتهم ليحيوا حياة كريمة نظيفة تسودها مفاهيم الإسلام وقيمه وأخلاقه ، وتحكمها شريعته ومنهاجه ، وتوحد ها عقيدته التى جعلها الله سبحانه قاعدة التجمع والتفرق ، ولكنه لم يجعل الإكراه عليها قاعدة من قواعد هذا الدين ، ولا قاعدة من قواعد التعامل الاجتماعى فيه ، بل العكس جعل عدم الإكراه فيه هو القاعدة فقال جل شأنه : (لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم)^(١) فلم يجعل شريعة الغاب والناجب هى التى تحكم علاقات اتباعه بالآخرين الذين لا يعتنقون عقيدته ولا يجتمعون على آصرتة.^(٢)

فهو رسالة إلهية جاءت لخير البشرية جمعاء لا فرق فيها بين عربى وعجمى ، ولا شرقى وغربى ، رسالة عالمية تدعو إلى القضاء على جميع الفوارق الجنسية ، والعنصرية ، واللونية ، وتعلن الأخوة الإنسانية لبنى البشر جميعاً . قال سبحانه : (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً)^(٣) ، وقال جل من قائل : (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير)^(٤) . وقال سبحانه : (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف السنتكم وألوانكم فى ذلك لآيات للعالمين)^(٥)

ولم تكن دعوة الإسلام إلى هذه المبادئ نظرية كدعوة الذين يدعون إلى احترام حقوق الإنسانية ، فإن ما دعا إليه الإسلام طبقه نظاماً وعاشه الناس واقعاً ، فقد حكم الإسلام رقعة فسيحة تكاد تضم جميع الأجناس ، وجميع الألوان ، فذابت كلها فى نظامه ، ولم تقف وراثة لون ، ولا وراثة جنس ، ولا وراثة طبقة من دون أن يعيش الجميع إخوة ، ودون أن يبلغ كل فرد منهم ما تؤهله له استعداداته الشخصية ، وما تكفله له صفته الإنسانية .

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٥٦

(٢) انظر المستقبل لهذا الدين ، ص ٧٨ .

(٣) سورة النساء ، الآية رقم ١ .

(٤) سورة الحجرات ، الآية ١٣

(٥) سورة الروم ، الآية ٢٤

ولم يكن الجهاد الذى فرضه الله على المؤمنين ليكرهوا الناس على اعتناق عقيدتهم ، وإنما ليقوموا فى الأرض بنظامه الشامخ العادل القويم على أن يختار الناس عقيدتهم التى يحبون فى ظل هذا النظام الذى يشمل المسلم ، وغير المسلم فى عدل تام^(١) فيعين الناس جميعاً فى سلام ووثام ، قال جل شأنى : (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولسهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون)^(٢)

(١) انظر المستقبل لهذا الدين ص ٨٢ .

(٢) سورة الممتحنة ، الآية ٨

إن هذه الدراسة المتواضعة محاولة جادة لكشف أبعاد النشاط الكسبي والتعرف على وسائله وأهدافه، وتجليته غوامضه وأبعاده، وبدا واضحاً أن هذا النشاط الكسبي ما هو إلا مقلب من مخابل الاستعمار الحديث تقف خلفه الدولتان الكبريان (أمريكا وروسيا) ومن دار حول محوريهما من الدول التابع، وتمده كذلك مؤسسات الصهيونية والصليبية العالمية بالمال والرجال، ويرى المراقبون أن الفاتيكان لم تنفق في تاريخها من الأموال ما تنفقه اليوم والبابا يجوب العالم لحث اتباعه على المزيد من الانفاق، ويعد هم وبنينهم بأن المستقبل للنصرانية في قارتي الاسلام (آسيا وأفريقيا) ولذا حدد علماء الاحصاء من النصراني بأن عام ألفين من الميلاد هو عام غلبة النصرانية في (آسيا وأفريقيا) ^(١)، كل هذا يحدث والمسلمون حائرون لا يقدرون على شيء لأن الاستعمار القديم مكن لمؤسسات التنصير في البلاد الإسلامية ووكّل لها مهمة التعليم فأهلت لخلافته أجيالاً ^(٢) إن لم تكن نصرانية بحتة فهي علمانية مشبعة بروح النصرانية فهي للكفر أقرب منها للإسلام، وصهدت كل السبل أمامها لتصل لسدود الحكم وغلت أيديها بالمعاهدات والمعونات المشروطة لضمان التبعية الاقتصادية والسياسية وفتحت البلاد لجلب الخامات واستهلاك المنتجات وترويج الأفكار والمعتقدات وحرية التنصير وتكبير الإسلام، وبهذا أصبحت الحكومات في البلاد الإسلامية لا تملك رشدًا فهي مغلولسة الأيدي محجور عليها التصرف في شؤونها كما يحجر على السفينة أن يتصرف في ملكه، علماً بأن كثيراً منها تملك من الأموال والأرصدة في البنوك الأجنبية الربوية كما تملك من مخزون السلاح ما لو استخدمت جزءاً منه في خدمة الإسلام والمسلمين لحل ضائقهم ونفس كربتهم، ومنهم من أزمه السودان التي يعانيها في مواجهة تأمر الصليبية العالمية، ولكنها تخشى أن فعلت ذلك - أن تثير غضب ساداتها وتخل ببنود المعاهدات وشروط التسليح التي فرضت عليها عند شراء هذه الأسلحة، وليست حكومة السودان مستثناة من هذه التبعية والانقياد الأعلى للقوى العالمية، وخلاصة القول أنه بدلاً من الاستعمار القديم جيء باستعمار حديث أخبت منه ورغم هذا الواقع الأليم فإنني أوجه النداء للمسلمين عامة في العالم بأن إخوانكم في كثير من أقطار أفريقيا وآسيا محرومون من التعليم والأمن نسبة للحواجز التي وضعتها الإدارات الاستعمارية التي أهلت النصراني وسلحتهم أزمة الأمور حتى في البلاد التي يشكل المسلمون

(١) لذلك خصصت لتنصير أفريقيا ٣٩ (تسعة وثلاثون ومائة مليار من الدولارات) في العام. ذكر ذلك المشير سوار الذهبي رئيس مجلس أمناء منظمة الدعوة الإسلامية في الندوة التي أقيمت بسفارة السودان بجدة في شهر ربيع الأول ١٤٠٨ هـ.

أكبرية سكانها ومع ذلك يعانون أقباح أنواع الحرمان فى مجال المؤسسات التعليمية ، وخاصة العالية منها ومؤسسات الحكم ، فلا يوجد لهم تشيل فى وظائف الدولة العليا فى كثير من بلاد هم كما أشرنا الى ذلك ، وفى تنزانيا التى تزيد نسبة المسلمين بها على ٧٠ ٪ نجد نسبتهم فى جامعة دارالسلام منذ الاستقلال وحتى يومنا هذا لم تتجاوز ١٠ ٪ من جملة الطلاب .^(١)

فإذا كان هذا هو الحال فى بلاد أكثر سكانها هم المسلمون ومع ذلك يلاقون من الهوان والذلى والضياع ما تنوء عن حملة الراسيات فكيف يكون حالهم فى بلاد يشكلون أقلية سكانها ؟ ومع الأسف الشديد نجد العكس تماما بالنسبة للنصارى فى كل بلد هم فيها أقلية فهم يتمتعون بكافة الحقوق والامتيازات .

فسارعوا أيها المسلمون لنجدة السودان قبل فوات الأوان ، وقبل أن يحل به ما حل بالاندلس ، وفلسطين ، ولبنان واذكروا قول الله سبحانه : (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين)^(٢)

وانى فى ختام هذا البحث أذكر بعض النتائج التى توصل إليها البحث بإيجاز ثم أذكر بعض الاقتراحات .

١ / أهم النتائج :

أولا : توصل البحث إلى أن النصرانية التى دخلت السودان ليست هى المسيحية التى أنزلها الله على عيسى عليه السلام ، وإنما هى النصرانية التى حرقت ولأمت وثنية الرومان وفلسفتهم واعتنقها ملوك النوبة ولائلا باطرة ليحافظوا على سلطانهم من الزوال ، وظلست شعوبهم على الوثنية إذ لم تحس بفارق كبير بين هذه النصرانية وبين ما هى عليه من وثنية . ثم دخل الإسلام بعدها بحوالى نصف قرن تقريباً وكان دين العامة ، وظل يتغلغل فى المجتمع حتى غفى على آثار النصرانية ، فزالت بزوال ملوكها ، وأصبح السلطان للإسلام ، فلا توجد الآن فى السودان أسرة سودانية واحدة ذات جذور نصرانية ضاربة فى تاريخ السودان وإنما هى نصرانية وفدت إليه حديثاً مع الاستعمار .

(١) انظر أوضاع الأقليات المسلمة فى أفريقيا ص ٥ . وانظر كذلك تقرير منظمة

الدعوة الإسلامية بعنوان : النشاط الصليبي فى تنزانيا ص ٥ / ٤ .

(٢) سورة التوبة ، آية رقم ٣٦ .

ثانياً : باشرت المؤسسات الكسبية نشاطها في السودان منذ حكم محمد علي وأبنائه له ، وكان المسلمون في غفلة من أمرها إلا القليل من أمثال الزبير باشا الذي حاول نشر الإسلام ففى مديرية بحر الغزال ، فأفزع عمله النصارى وأزعجهم ، فأعلنوا عليه الحرب ، وشوهوا تاريخه ووصفوه بأنه أكبر تجار الرقيق فى أفريقيا ، وألبوا عليه الخديوى ، فاعتقل بمصر ، وتآمروا على ابنه سليمان الذى خلفه فقتلوه مع سبعين من قواده غيلة ، وما زالت كتب التاريخ ومناهجه الدراسية طافحة بأن الزبير من أكبر تجار الرقيق فى أفريقيا فيجب أن يصحح ذلك .

ثالثاً : يعتبر شارلس جورج غردون حاكم الاستوائية ، ثم الحاكم العام على السودان بعد ذلك هو الذى وضع حجر الأساس لمشكلة الجنوب حيث أنشأ بمجرد وصوله السودان وهو فى طريقه لإدارة الاستوائية (ديوان خط الاستواء بالخرطوم) وجعل له ميزانية منفصلة وموظفين مستقلين وكانت هذه بداية المشكلة ، ولما كان حاكماً عاماً للسودان شجع على هجرات المسيحيين من جميع المذاهب للعمل بالسودان ، مما أثار حفيظة المسلمين فثاروا بقيادة المهدي حتى فتحوا الخرطوم ولقى غردون مصرعه على أيدى الثوار ، وأراح الله البلاد والعباد من رجس التنصير ، وظل السودان مصوناً من عبثهم ثلاثة عشر عاماً ، ولم يعد الطريق عبره إلى أفريقيا ميسوراً كما كان مما اضطر المنظمات الكسبية أن تنادى مطالبة بأخذ الثأر من قتل غردون ، فترزعت بريطانيا الحملة التى أشبهت حملات الصليبية ، فقتلت عشرة آلاف من المسلمين وجثمت على صدر السودان تحارب الإسلام والمسلمين أكثر من نصف قرن .

رابعاً : وجد التنصير فرصته فى فترة الاستعمار البريطانى ففتح أحسن المواقع لأقامة المؤسسات الكسبية الضخمة فى المدن الكبرى ، وفى مقدمتها العاصمة المثلثة (الخرطوم - الخرطوم بحرى - أم درمان) كما أتاح له العمل بين المسلمين فى أخطر مجالين من مجالات التنصير وهما التعليم ، والصحة . وأطلق يده فى جميع المجالات فى جنوب السودان وغربه ومد به بكل الامكانات المادية والمعنوية لحرب الإسلام وتعهده بذور الفتنة التى غرسها رواده فى الجنوب حتى آتت ثمارها حرباً دامية بعد خروج الاستعمار مباشرة ، وما يزال التنصير حتى يومنا هذه يشعل أحقادها ويزيد هاضماً كلما خبت ليحول بين الجنوب وبين الإسلام ، وهو يدرك أن حلها الوحيد فى الإسلام وليس النصرانية .

خامساً : ثبت تاريخياً أن ما حل بالمسلمين من الضعف والتفكك كان نتائج لمقدمات سابقة عكرت صفو العقيدة وظلت الأمة تقاوم أمراضها زمناً بدفعتها الإيمانية الأولى ، وظل أعداؤها يلاحقونها بالغزو حتى أوهنوا قواها وتمكوا منها وبلغ الغزو ذروته بقيام المؤسسات التعليمية الكسبية التي اعترفت الاستعمار بأنها أدت إليه في إخضاع المسلمين وإضعاف الإسلام ما عجزت عن أدائه دول أوروبا وجيوشها جميعاً وبهذا يعتبر التعليم الكسبي أخطر وسائل التنصير ، وصاحب الأثر الأكبر في إفساد عقائد المسلمين ومجتمعاتهم ، وأي محاولة لنهضة المسلمين وحماية مجتمعاتهم من التنصير ، مع ترك التعليم في بلادهم على ما هو عليه الآن ضرب من العبث ، ولذلك يجب على المسلمين جميعاً وخاصة الحكومات أن تبسط نفوذها قبل كل شيء على مرافق التعليم وأن تظهر المناهج والمدارس من شوائب الغزو الاستعماري الحديث ، وإن كنا ندرك أن ذلك من الصعوبة بمكان لأن البلاد ما زالت مستعمرة استعماراً فكرياً ، فقد خرج الاستعمار بجنده ورجاله البيض ، ولكنه خلف رجالاً وجنداً أرضعهم لبنانه ليكونوا خلفه وسدنته وحراس مصالحه .

سادساً : إن من الوسائل التي استخدمها المبشرون استغلال عوثر المعوزين لأن الظروف الصعبة التي تمر بها قارة أفريقيا والسودان خاصة ، وهي (التصحر والجفاف) ، زادت واقع المسلمين سوءاً وفتحت مجالاً واسعاً أمام عدد كبير من الهيئات الكسبية ، فوصل إلى السودان وحده أكثر من ثلاثين هيئة كسبية تعمل في مجال الإنعاش ، وغطت هذه المؤسسات الكسبية مساحات واسعة بالشباب النصراني الغربي ذكوراً وإناثاً ، فوجد الشباب الألماني الغربي ، والنرويجي ، والإيطالي يقومون بتوزيع الغذاء ، والدواء ، والكساء ، لمتضرري المجاعات باسم الكنيسة ، وحتى الخيام التي توزع فيها هذه المعونات نصبت على هيئات الكنائس ، لربط هؤلاء الضعفة بالكنيسة ، كما توزع للصغار اللعب والحلوى والهدايا باسم المسيح ، وباستغلال هذا الواقع الأليم والظروف السيئة استطاعت الكنيسة أن تجد طريقها إلى جسم المجتمع الاسلامي ، وليست هذه هي المرة الأولى التي تستغل الكنيسة فيها مثل هذه الظروف في السودان ، وهي ظروف ربما تستمر زمناً طويلاً لارتفاع نسبة المسلمين العددية ، مع تدنى دخل الفرد المسلم المحارب اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً .

سابعاً: كانت المؤسسات التنصيرية تظن أن باستطاعتها أن تجعل من أبناء غرب، وجنوب السودان أمماً نصرانية ولكن خاب فآلها، ف وقعت بشارتها على أرض صخرية، إذا قيس عائد ها بما بذلته من جهد، ومال، ووقت وزاد من فشلها أن هذه الشعوب تعيش عيشة بسيطة فترضى بما تنتجه بيئتها من ثمار الاشجار وصيد الحيوان، فخططت لهجرتها إلى المدن الكبرى بالترغيب تارة والترهيب أخرى حيث تكون الحاجة إلى المأوى والغذاء والكساء فيسهل اصطياها، فهيأت كل ذلك لهم ولاخوانهم من عمال المؤسسات العامة والخاصة وخادم المنازل وأقامت لهم الأندية الضخمة، ونظمت لهم الأنشطة والألعاب التي يمارسونها فسي بيئتهم عادة لتحول بينهم وبين الذوبان في مجتمع المسلمين وفتحت لهم أماكن للد راسة والتنصير.

ثامناً: تعمل المؤسسات الكسبية في جميع المجالات بجد ونشاط ^{من} خلال منظمات فتوية تعتمد في مصادرها المالية ودعمها المعنوي على العالم الغربي لتغيير وجه السودان ووجهته الحضارية، وذلك بتشديد المؤسسات الكسبية الضخمة من مدارس، وكنائس، ومصححات وأندية، كما تعمل فرق التنصير الأثرية منذ عشرين سنة تقريباً على نبش الآثار الوثنية، وتضفي عليها طابعاً كسبياً وظل المنصرون يحاولون تجميد خلافتهم العقديّة وترك النزاعات الطائفية وليقفوا صفاً واحداً لمواجهة الصحوة الإسلامية التي تطالب بقيام الدولة المسلمة وتحكيم شرع الله في السودان وأكبر شاهد على ذلك الاجتماع الذي دعت له الهيئات الكسبية وضم مثلى أحزاب الجنوب مع المتطرفين في (كينيا) .

تاسعاً: لم تكن الحكومات التي تعاقبت على حكم السودان جادة ولا مهتمة لمخاطر التنصير لأن قادتها من خريجي مدارس التنصير أو المدارس العلمانية، ومن أكبر الشواهد على عدم جدية هذه الحكومات، عدم توحيد الشهادة الثانوية العليا حيث نجد في السودان الآن ما يعرف بشهادة لندن واسمها يدل على بعد ها عن المنهج القومي بجانب مستواها العلمي المتدنى فيحصل خريجوها على نسبة عالية تؤهلهم بمستواهم الهابط إلى دخول الكليات العلمية . وعند ما عزم وزير التربية في الفترة الانتقالية سنة ١٩٨٥ الدكتور بشير حاج التوم أن يضع مشروع قانون المدارس غير الحكومية لسنة ١٩٨٦ هـ حيث ألزمت فقرته العاشرة جميع المدارس ما عدا مدارس السجاليات بالمنهج القومي ثارت الإرساليات على المشروع كما ثارت من قبصل (١) انظر أهم المنجزات خلال الفترة الانتقالية، أبريل ١٩٨٥ إلى أبريل ١٩٨٦، وزارة التربية والتعليم

فحالت دون تنفيذ ، وبعد أن انتهت الفترة الانتقالية وقامت الحكومة الحالية ظلت الأمور كما كانت قبل قيام الحكم الانتقالي .

عاشراً : ما أدى إلى تفاقم النشاط الكسبي في السودان أن الدعوة الإسلامية كانت شبه غائبة عن المجتمع السوداني وذلك لعدة أسباب :

- ١- الاستعمار والحكومات العلمانية التي خلفها بعد خروجه كانت وما تزال من أكبر العوائق في سبيلها ، فسجنت الدعاة ونكلت بهم وعلقتهم على أعواد المشانق وجعلت مجرد الانتساب إلى أي جماعة إسلامية من أعظم الجرائم .
- ٢- ضعف موارد الدعوة المالية لأن هذه الحكومات الأنفة الذكر ضيقت عليها الخناق ، فلم تكن لها ميزانية تذكر ، بل حتى الأوقاف التي أوقفها المحسنون المسلمون استولت عليها وظلت تبدها في غير ما أوقفت له كما سطت على الكثير منها .
- ٣- ضعف المورد البشري حيث يفتقر مجال الدعوة إلى الداعية المؤهل لأن الاستعمار والحكومات التي خلفته ظلت تحارب خريجي المؤسسات الإسلامية مما أدى إلى انصراف الكثير منهم عن العمل للإسلامي .

٤- الطائفة التي صنعها الاستعمار وربها ها على عينه لتمتص أي توجه إسلامي جاد .

حادى عشر : إن النشاط الكسبي المكثف المنتشر في السودان لا ينقطع شره إلا بقيام حكم إسلامي شامل يظهر المجتمع من جميع مؤثرات الحضارة الغربية ذات الصبغة النصرانية ففى مجالات السياسة ، والحكم ، والتشريع ، والاقتصاد ، ويعمل على إعداد الدعاة والمعلمين ، ويسعى إلى رفع مستوى المسلمين العلمى والمادى ، وليس هذا بالأمر الميسور ، وإنما يحتاج إلى عمل دؤوب متواصل قد يستمر لسنوات ، ونسبة للظروف السيئة التي يعيشها المسلمون ، ويحتاجون فيها إلى مد يد العون ، وتخليصهم من براثن التنصير أقدم بعض الاقتراحات عليها تصل إلى أذن واعية ، وتصادف قلوباً رحيمة فتسهم فى حل ضائقة المسلمين الذين تعتصرهم المجاعة ويخيم عليهم الجهل والفقر والمرض :

- ١- من المعلوم أن الإسلام يرفع لواء الدعوة إلى البر والاحسان ، ويحث على الانفاق حثاً يخلص النفوس من الشح . ووعد الشيطان لهم بالفقر ، فيقول عز من قائل : (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم وما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ... الآية) إلى قوله تعالى (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم)^(١)

فعلى كل مسلم يستطيع أن يقتطع شيئاً من مال الله الذى آتاه وفقاً على الإسلام فليفعل وهذا ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، قال جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنهما : (فما أعلم أحداً ذا قدرة من المهاجرين والأنصار إلا حبس من ماله صدقه موقوفة ، لا تشتري ولا توهب)^(١) ثم تتابع المسلمون جيلاً بعد جيل يوقفون الأراضى والبساتين والودور والغلات ، لأعمال البر ، فما خلا المجتمع الإسلامى من مؤسسات البر والاحسان التى بلغت من الكثرة حداً يصعب إحصاؤه ، والإحاطة به ، وكانت هذه المؤسسات نوعين :

١- مؤسسات من إنشاء الدولة توقفها من بيت المال العام .

٢- مؤسسات من إنشاء الأفراد من الأمراء والقواد وكافة الأفراد المحسنين حتى شملت النساء وكان فى مقدمة هذه المؤسسات الوقفية المساجد ومدارس العلم ، والمستشفيات وإقامة القناطر والسدود ، وحفر الآبار فى الفلوات للمسافرين وسقى الزروع والحيوان وإقامة الأربطة على الشغور وتوفير احتياجات المجاهدين من عدة الحرب إلى الطعام والكساء ، وباختصار شملت أوقاف هذه الأمة جميع المرافق حتى شملت العناية الرفق بالحيوان حيث أنشئت دور لعلاجها^(٢)

هذا هو ماضى هذه الأمة المشرق ، فقد كانت تؤمن وإيماناً لا يتطرق اليه شك أن الإحسان من أسس القربات إلى الله ، فما دهاها اليوم فأهملت هذا الجانب حتى طمع أعداؤها فيها فصاروا يقطعون أوصالها ، ويطمعون فى ردتها بما يقدمون من القاتات وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول : (اللهم انى أعوذ بك من الكفر والفقر ، فقال رجل : ويتعاد لان ؟ قال : نعم)^(٣)

ومن باب إحقاق الحق أن يعسى الدول الإسلامية وبعض أغنياء هذه الأمة أسهموا إسها ما كريماً طيباً ومدوا يد العون لمتضررى المجاعات فى البلاد الأفريقية بصفة عامة والسودان بخاصة ولكن جهودهم هذه لم تنفع بالمطلوب لكثرة من اعتصرتهم المجاعة وهدد هم التنصير ونصب لهم حباله ، فلو عم هذا الشعور جميع الدول الإسلامية المستطبعة وأغنياء المسلمين فى

(١) الدكتور مصطفى السباعى ، من روائع حضارتنا ، ص ١٢٤ المكتب الإسلامى ، الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٥ / ١٩٨٥ م

(٢) أصدر نفسه ص ١٢٦ / ١٢٧ .

(٣) رواه النسائى وصححه ابن حبان ، انظر كشف الخفاء ومزيل الالباس ج ٢ ص ١٤١ ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

العالم لكسب الإسلام مواقع أقدام النصرانية في آسيا وأفريقيا ،ومن هذا الواقع نذكر المسلمين جميعاً بقول نبيهم صلى الله عليه وسلم : (من كان له فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له)^(١)

٢- على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن يعملوا على التخلص من آثار أعدائهم ، وخاصة في ميدان التربية والتعليم ، فيخرجوا أبناءهم فوراً من مدارس التنصير ، حيث لا يجوز لهم إداخالهم فيها لأنها قد تؤدي بهم إلى الكفر ، وعلى المستطيعين أن يعملوا على إنشاء المدارس الإسلامية لرفع مستوى التعليم بين إخوانهم وخاصة في الدول التي سيطر التنصير على التعليم فيها ولا يجد المسلمون سبيلاً إليه كما يجب عليهم أن يتخلصوا من جميع آثار أعدائهم في جميع المجالات وعلى رأسها الحكم ، والتشريع وأن ينبذوا التصوف وانتحال الأعداء الواهية التي يتذرع بها العلمانيون ، ومن على شاكلتهم بأن الشريعة الإسلامية لا يمكن تطبيقها إلا بعد إبعاد إعداد وتدرج وفترة انتقال .

٣- عليهم أن يتخلصوا من آثار الغرب في المجال الاقتصادي فيقلعوا فوراً عن إيداع أموالهم في بنوك الغرب الربوية لأن عائد الفائدة الذي يرفضه بعضهم بحكم تدبيرة يعود إلى مؤسسات التنصير فيسخر ضد إخوانهم المستضعفين .

٤- على الشباب المسلم في الجامعات الإسلامية أن يوثق الروابط الدينية والثقافية بالشباب في البلاد المهتدة بحملات الغزو الثقافي الغربي لينشر بينهم الدين الصحيح والوعى الإسلامي الذي يقيهم من الوقوع في مصادمه .

٥- على الجامعات في البلاد العربية أن تهتم بتنظيم دورات تعليمية في العلوم الإسلامية واللغة العربية لرفع مستوى الشباب الأفريقي المسلم .

٦- إنشاء مجمع للبحوث مهمته ترجمة ونشر الوثائق التي توضح خطط الاستعمار وأهداف التنصير في بلاد المسلمين وتصحيح ما كتبه المبشرون عن الإسلام فوجد طريقه إلى أن هان كثير من العامة وتوضيح وضع الاقليات غير المسلمة في ظل الدولة الإسلامية .
والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

(١) صحيح مسلم ، كتاب اللقطة ، باب استحباب المواساة بفضول المال ، حديث رقم ١٧٢٨ .

• • احصائية بعدد تلاميذ مدرسة واو في ١٨ ر ١١ ١٩٠٤ • •

اسم التلميذ	صفته	لغته	قبيلته	اسم الشيخ الذي احضره
احمد نولى	جهادى	العربية	جبل	الشيخ مرجان
محمد اسماعيل	مدنى	العربية	دينكاوى	الشيخ مرجان
عل جبارة الله	مدنى	العربية	جبل وى	الشيخ عبدالتام
فضل المولى جبارة الله	مدنى	العربية	جبل وى	الشيخ عبدالتام
جمعة فضل المولى	جهادى	العربية	نوباوى	-
مصطفى جبارة الله	مدنى	العربية	جبل وى	الشيخ عبدالتام
موسى عبدالله	جهادى	العربية	كريشاوى	-
محمد المنصطفى فاضل	مدنى	العربية	دينكاوى	الشيخ مرجان
موسى خير الله	مدنى	العربية	جبل وى	الشيخ عبدالتام
عوض الله سعيد	جهادى	العربية	نوباوى	-
رمضان فضل المولى	جهادى	العربية	نوباوى	-
ابراهيم مرجان	مدنى	العربية	نوباوى	الشيخ عبدالتام
على بنداى	مدنى	العربية	كريشاوى	الشيخ عبدالتام
خيس يونس	جهادى	العربية	جبل وى	-
محمد مطر	مدنى	العربية	نوراوى	الشيخ جمعة كيانجو
خير السيد جبارة	مدنى	العربية	جبل وى	الشيخ عبدالتام
عبدالله مرجان	مدنى	العربية	جبل وى	الشيخ عبدالتام
مرجان جبال	مدنى	العربية	جبل وى	الشيخ عبدالتام
رزق الله مرسال	مدنى	العربية	جوراوى	الشيخ عبدالتام
خيس جبال	مدنى	العربية	جبل وى	الشيخ عبدالتام
ادريس عبدالكريم	جهادى	العربية	دينكاوى	الشيخ مرجان
رجب فرج الله	مدنى	العربية	جوراوى	الشيخ عبدالتام
محمد عبيدالله	الكتيبة (٩)	العربية	كراوى	-
محمد صالح	جهادى	العربية	كراوى	-
حسن فرج الله	الكتيبة (١٥)	العربية	جبل وى	الشيخ عبدالتام
عبدالرحمن عبدالين	مدنى	العربية	دينكاوى	الشيخ عبدالتام
رجب بارود	جهادى	العربية	دينكاوى	الشيخ عبدالتام
ابراهيم خليل	مدنى	العربية	نيام نيام	-
محمد عبدالرازق	جهادى	العربية	نوباوى	-

١٨ ر ١١ ١٩٠٤ ، امضاء ناظر المدرسة ، احمد هرت (١)

APPENDIX B

THE CLOSED DISTRICTS ORDER
AS AMENDED IN 1953

The following official bulletin relating to the Closed Districts Order was issued on 24 March 1953:

In exercise of the powers conferred on him by section 22 of the Passports and Permits Ordinance 1922 the Governor-General of the Sudan hereby orders as follows:

(1) The districts set forth in the Schedule hereto shall be closed districts:

(a) In the case of the districts named in the first part of the Schedule, no person other than a native of the Sudan shall enter or remain therein unless he is the holder of a permit to be obtained from the Civil Secretary or from the Governor of the Province in which the closed district is situated and any native of the Sudan may be forbidden to enter or remain in the said districts by the Civil Secretary or the Governor of such Province.

(b) In the case of the district named in the second part of the Schedule, no person shall enter or remain therein unless he is the holder of a permit in this behalf to be obtained from the Civil Secretary or from the Governor of Upper Nile Province.

(2) This order shall not apply to officials of the Sudan Government and officers of the Sudan Defence Force entering or remaining in the districts closed hereunder in the performance of their official duties nor to any person holding a permit to trade in such districts under the Passports and Permits Ordinance 1922, nor save as regards persons travelling by steamer in transit on the Sobat river in the district numbered 2 in the Schedule hereto to any person travelling by train or steamer in transit through any such district.

THE SCHEDULE

PART I

1. Bahr el Ghazal and Equatoria Provinces.
2. Upper Nile Province.

APPENDIX B

3. The Zalingei and Dar Masalit Districts of Darfur Province.
4. Cancelled.
5. The Jebels and Tegale Districts of Kordofan Province.

PART II

Gambeila

NR The Passports and Permits Ordinance, 1922, Section 22, reads as follows:

The Governor-General may by order published in the Sudan Government Gazette declare any part of the Sudan to be a closed district. He may in such order declare that any district shall be absolutely closed or that ingress shall be permitted subject to such conditions and for such purposes as may be set forth in the said order and he may limit the application of such order or conditions to such persons or classes of persons as he may deem fit. In like manner he may cancel, amend or alter any such order. And no person to whom such order applies shall enter a closed district or, being at the time of the promulgation of such order in a district which shall be closed thereby, shall remain there after notification to him of the said order.

Section 30, reads as follows:

Any person who contravenes the provisions of this ordinance or of any order or regulation made or permit granted thereunder shall be punished with imprisonment which may extend to six months or with fine not exceeding £E100 or with both.

قانون المناطق المقفلة المعدل في سنة ١٩٥٣م

تطبيقا للصلاحيات المكفولة بنص الفقرة ٢٢ من قانون الجوازات والإقامة لعام ١٩٢٢م ،
فإن الحاكم العام يأمر بالاتي :

أ / لا يسمح لأي شخص من غير السودانيين بدخول المناطق المذكورة في الجزء الأول من
الجدول ما لم يحصل على تصريح بذلك من السكرتير الإداري أو مدير المديرية التي
تقع فيها المنطقة المقفلة ، كما يحق للسكرتير الإداري أو مدير المديرية منع أي مواطن
سوداني من الدخول أو الإقامة في المناطق المذكورة .

ب / في حالة المناطق المذكورة في الجزء الثاني من الجدول لا يسمح لأي شخص بالدخول
أو الإقامة بها ما لم يحصل على إذن من السكرتير الإداري أو من مدير المديرية
أعلى النيل .

ج / يستثنى القانون موظفي الحكومة وقوة دفاع السودان الذين يدخلون هذه المناطق
أو يقيمون بها لإداء واجباتهم الرسمية كما يستثنى كل من يحمل تصريحاً بالاجتياز
بها بموجب قانون الجوازات والإقامة لسنة ١٩٢٢م ، كما لا يسرى القانون على المسافرين
بالبواخر على نهر سوباط في المنطقة التي تحمل رقم (٢) في الجدول أو أي منطقة
مماثلة ولا على المسافرين بالقطار .

الجدول :

- الجزء الأول : ١ - مديريتا بحر الغزال والاستوائية .
- ٢ - مديرية أعالي النيل .
- ٣ - مركز النجى ودار مساليت .
- ٤ - ألغى هذا الاقليم .
- ٥ - مركز الجبال (جبال النوبة) وتقلى بمديرية كردفان

الجزء الثاني : قبيلة .

ملحوظة :

الفقرة ٢٢ من قانون الجوازات والإقامة لسنة ١٩٢٢م تنقأ كالآتي :

يجوز للحاكم العام طبقاً للأمر الذى نشر بفازيته "حكومة السودان أن يعلن أى جزء
من السودان منطقة مقفلة ويجوز له أيضاً تبعاً لهذا الأمر أن يعلن أى جزء منطقة مقفلة
تماماً أو أن يمنح حق الدخول فى إطار الشروط أو للأغراض التى يمكن أن توضع فى الأمر
ويجوز له أن يحدد تطبيق الأمر أو الشروط للأشخاص المذكورين .
ولا يجوز لأي شخص ينطبق عليه هذا القانون أن يدخل منطقة مقفلة أو أن يكون موجوداً بها
وقت اعلان هذا القانون

الفقرة ٣٠ :

أى شخص يخالف هذا القانون أو أى قانون أو لوائح توضع أو تصاريح مجازة يعرض نفسه
للعقوبة التى قد تصل إلى السجن ستة أشهر أو الغرامة أو العقوبتين معاً .

ملحق رقم (٣)

طلب لمركز مقفول (١)

اذن يصدر تحت قانون المراكز المقفولة ١٩٢٢

- ١ - اسم وعنوان الطالب
- ٢ - الجنسية
- ٣ - باى صفة يبقى أو هو باقى فى السودان
- ٤ - مدة سريان تلك الصفة
- ٥ - الوظيفة
- ٦ - اسم المركز المقفول المطلوب الاذن بالدخول فيه (يذكر ذلك بالتحديد)
- ٧ - طريقة السفر
- ٨ - تاريخ السفر
- ٩ - مدة الإقامة هناك
- ١٠ - الغرض من الزيارة
- ١١ - اذا كانت الزيارة للعمل اذكر نوع العمل
- ١٢ - اسم وعنوان أى شخص يعرفه الطالب هناك

ملأت كل هذه الخانات أو أجبت على كل هذه الأسئلة وجاءتنى الموافقة ولكن قيل فيها اننى لا يجب أن أبأرح جواباً الى أى مركز الا باذن المدير وان المدير على علم بذلك وان صورة من هذا الاذن قد أرسلت اليه .

ومع ذلك فقد سافرت بالباخرة الى جوبا فى ثلاثة عشر يوماً قرأت أثناءها حتى مللت القراءة لأن المحطات ليس فيها ما يرى الا كل ما يحزن فقد بدأ العزلة يلاقينا بعد أو قيل كارشول وكلما وقفت بالباخرة نزلنا الى الشاطئ نفري الناس ولا نستطيع أن نتفاهم معهم ويأتى القسس لمقابلة الوابور لاستلام حاجياتهم وحولهم الطلبة .

وكان القسس هم الحكام يأمرؤن الوابور ومهندسها متى يقف ومتى يتحرك بل بلغت سلطتهم فوق سلطة المدير .

(١) هذا الملحق مأخوذ من مذكرات خضر حمد تاريخ الحركة الوطنية فى السودان ص ١٣

ساعة الاصلاح البرنامج الديني للكنيسة المسيحية المصلحة

العنوان البريدى في البلاد العربية : ص ب (٢٢٠) الخرطوم ، السودان



مدير ساعة الاصلاح : القس بسام ميخائيل مدني

شيكاغو الولايات المتحدة ، في ١٤ / ١٢ / ١٩٧٧

السيد تحية عربية خالصة نرسلها اليك من الديار المبهجة

شكرا جزيلًا على رسالتك التي وصلتنا والتي تخبرنا بها عن سماعك لبرامجنا الانذاعية .
نحمد الله لانه ساعدنا على المناذاة بكلمته المقدسة والخلصية والذي قادك لاكتشاف برامج ساعة
الاصلاح . صبرنا أن نخبرك بأننا مرسلين اليك الاجزاء الثلاثة الاولى من سلسلة : تأملات في
الحياة المعاصرة ، راجين أن تصلك بدون تأخير وأن تخبرنا عن ذلك في رسالتك القادمة للاطمئنان .
وسوف نرسل اليك من وقت الى آخر بقية المطبوعات التي يساعدنا الله لاصدارها والتي تأتي على
ذكرها في برامجنا اليومية .

وفيما يلي قائمة بالمحطات الانذاعية التي نيت منها برامجنا الانذاعية باتجاه أقطار الوطن
العربي في الشرق الاوسط . والتوقيت المذكور هو توقيت القاهرة الاعتيادي (لا الصيفي) - اذا
كان هناك توقيت صيفي يجب اضافة ساعة واحدة على ما يلي وكذلك في جميع البلدان العربية حيث
يعادل التوقيت المحلي فيها توقيت القاهرة + ١ :

*** محطة فيا بجمهورية السيشيل بالمحيط الهندي : الفترة الصباحية اليومية في السادسة
والنصف صباحا وعلى موجة قصيرة طولها ١٩ مترا ، الفترة المسائية اليومية في الساعة الثامنة
والنصف وعلى موجة قصيرة طولها ٣١ مترا . في أيام الاحاد الرجاء الاستماع قبل ١/٢ ساعة من
بقية ايام الاسبوع لان برنامجنا : عظة الاحد يستغرق مدة ١/٢ ساعة .

*** محطة اذاعة قبرص في نيقوسيا : في الساعة الحادية عشرة الا ١/٢ من مساء أيام الاحد
والاثنين والثلاثاء والخميس وعلى موجة متوسطة طولها ٤٩٨ مترا أى ما يعادل ٦٠٢ كيلوهرتز
*** محطة اذاعة حول العالم - مونتى كارلو : في الساعة العاشرة والرابع من مساء أيام الاحد
والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وعلى موجة متوسطة طولها ٢٤٠ مترا أى ما يعادل ١٢٣٢
كيلوهرتز

*** محطة اذاعة ترانس وورلد راديو في مونتى كارلو : في مساء يومي الجمعة والاحد على موجة
قصيرة طولها ٢٥ مترا أو ٤١ مترا وذلك في الساعة التاسعة الا ١/٢ أما في يومي الخميس والجمعة
مساءً وعلى موجة متوسطة طولها ٢٠٥ أمتار أى ما يعادل ١٤٦٦ كيلوهرتز وفي الساعة ١١ مساءً

*** محطة اذاعة HCJB بمدينة كيتو عاصمة الاكوادور بأيركا الجنوبية : نذيع مساء كل يوم
في السادسة والنصف وعلى موجة قصيرة طولها ١٩ مترا

ونكون شكريين جدا لك ان أعلمتنا في رسالتك القادمة على أية محطة من المحطات المذكورة
أعلاه يجرى الاستماع الى برامجنا الانذاعية وهل تسمع عندهم بوضوح كاف ؟ والى أن تردنا منك
رسالتك القادمة نترك في عناية الله القادر على كل شيء ، له المجد الى الابد ، آمين

من خادم كلمة الله والى الهى بها ،
القس بسام م . مري

بلغ سلاماتي القلبية لجميع الذين
يستمعون الى برنامج ساعة الاصلاح .

ملحق رقم (٥)

- ٥١ -

**بيان المجلس المركزي السوداني حول ابعاد القسوس والمبشرين الاجانب
من مديريات السودان الجنوبية**

الخرطوم ١٩٦٤/٣/٤ (الثورة ١٩٦٤/٣/٥)

يطلب لي يا سيدي الرئيس ان اتحدث في هذا المقام عن الممرات الاخيرة التي اتخذتها الحكومة في الايام القليلة الماضية والتي بموجبها تعمل الان السلطات المختصة على ابعاد المبشرين الاجانب من المديريات الجنوبية الى خارج البلاد وعلى فونها ستسمح للاجانب بمزاولة الاعمال التجارية في عواصم المديريات والمراكز وحدها مما سيمنعهم مستقبلا من التسرب الى الادغال او التجول في القرى بتلك المديريات وانتى لوانق يا سيدي الرئيس بان السادة اعزاء هذا المجلس الموقر مطمئن بالظروف التي دعت الحكومة لاتخاذ هذه القرارات .

واسي لوانق كذلك بانهم يوافقوني كل الموافقة باحسانة .
- منذ انشاد من عبث العابثين والمخالفين على -جانة القانون من فوضى الخربين واستتباب الامن واستقرار النظام لواجبات اولية يحتم على الحكومة اعطازها الاعتبار الاول ولهي امور في غاية الاعمية ينبغي على الحكومة الا تغرط او تنهاون فيها .
وانت اخذنا بزقاب منذ زمن بعيد النشاط المعادي الذي يطل يقوم به هذا النفر من الاجانب بتلك المناطق والبقاع واخذنا نرصد تحركاتهم واعمالهم في صبر شديد وسعة صدر ملحوظة متسامحين تارة ومحدرين في كثير من الفرق واللبن تارة اخرى ولكنهم حسبوا التسامح ضعفا وظنوا التساهل ترددا واعتقدوا ان الحلم خوفا ووجلا فلم يشوبوا الى رشدهم ولم يحكموا الى عقلهم حتى كادت اعمالهم التخريبية تؤدي بوحدرة البلاد وحتى كاد نشاطهم المعادي يقضي على مقومات النظام ويهدم اركان الاستقرار في هذا البلد .. هذا البلد الذي اكرمهم واعزهم وانسج لهم المجال من غير قيد او شرط واتاح لهم من الامكانيات والتسهيلات ما لا يخطر على بال او يرتق اليه تفكير احد ان اعمالهم المنسمة بالخروج الواضح على القانون واصرارهم على التحدي والتخريب لهي السبب الذي اضطر الحكومة لمعالجة الامور بما تستحق من حزم وشدة بعد ان عجز التساهل واللين .
قد ثبت بالادلة القاطعة ان هؤلاء الاجانب ظلوا يقومون باعمال مناهضة للدولة ومخالفات لقوانينها ولوائحها هذتهم

من ذلك حرض المواطنين على الفوضى والتخريب ودانهم الى ذلك تفويض اسباب الاستقرار والنظام في البلاد ، وبودي يا سيدي الرئيس لو سمح المجال ببرد تفصيلي للحوادث الكثيرة والجرائم العديدة التي ثبت ارتكابها في هذا الصدد بالادلة الدامغة والبراهين الساطعة ولكن المجال بكل اسف لا يسمح والوقت يضيق ولاكتفي بالاشارة العابرة لحوادث قليلة وقليلة جدا على سبيل المثال فقط .. فقد ثبت ان الاب جون تريفلا حرض بعض المواطنين وساعدهم على الهروب خارج حدود السودان بعد ان ادخل في روعهم كذبا وانكا ان البلاد مقبلة على اضطرابات واعمال عنف شديدة تؤدي بحياتهم وممتلكاتهم» وكذلك ثبت ان الكنيسة بمنطقة درمو تقوم بمساعدة الخارجين على القانون لاجتياز الحدود وتريد حدث ان اقلبت عربة من العربات الباعية للكنيسة واسيت بعض ركابها بجروح وتوفي البعض الاخر وكان احد رجال الامن ضمن ركب تلك العربة وقد كشف التحري والتحقيق في الحادث ان العربة كانت متجهة بركابها من المواطنين الى خارج الحدود وكذلك ثبت ان القس اندريه تروكي الكاثوليكي وسكرتير اعمال الكنيسة الكاثوليكية بواو يقوم بترحيل الاشخاص الذين يرغبون في التسلل خارج الحدود بعربات الكنيسة من واو الى يورو ومن هناك الى ديم زيمر حيث يقضي التسلون ليلتهم داخل الكنيسة فيواصلون الرحلة في اليوم التالي سرا على الاقدام . كما انه ثبت بما لا يدع مجالا للشك بان الكنيسة وعمالها يقومون بدور بارز كحلقة للاتصال بين رئاسة الخارجين عن القانون خارج البلاد والمواطنين في الداخل فينقلون الاخبار والمكاتبات .
واما في منطقة طمبرة فقد ثبت ان القس بيتر قد حرض طالبات المدرسة على الاضراب عن الدراسة والقيام باعمال العنف ، وقد ساعدته في ذلك ثلاث من المبشرات الايطاليات واضربت الطالبات بالنفل والحقن الاذي باحد المدرسين وكذلك قام القس انجلو كوفاليري من كنيسة برى بتحريض طلبة مدرسة واو الصناعية بعد ان تسلل اليها ليلا واجتمع بطلبتها الذين استجابوا له فاضربوا عن الدراسة في اليوم

التالي مباشرة .

ولم يكتف هؤلاء الاجانب بنشاطهم المعادي واعمالهم التخريبية المفضية في داخل البلاد بل راحوا ينشرون الكاذب والاراجيف في النصف المؤيدة لهم والواقعة تحت سيطرة الكنائس ونفوذها في بعض دول العالم ، ولمعري انه يكفي ان اعرض عليكم يا سيدي الرئيس هذه الكتيبات لتجدوا فيها ما يدمغهم ويدبهم ولا حاجة بي بعد ذلك للاسترسال في سرد الامثلة الاخرى عن النشاط الهدام الذي يقومون به خارج الحدود كأعمال القس شارلي غوردون وزميله ستيفارت اللذين ابعدا مؤخرا بعد ادانتهم ، فاخذا يقيمان عبر الحدود المتاخمة في بلادنا ويعملان على اغراء بعض المواطنين من التوير للهروب الى البر الاخر . او كنشاط القس هملتون الذي يقيم بذلك الحدود ايضا ويتعاون مع القس ماكولور في حفظ اموال الخارجيين على القانون وتنظيمها .

هذا جانب يسير من الاعمال المعادية المفضية التي سكتنا عليها كثيرا وصبرنا عليها طويلا حتى كاد ان يفلت الزمام ويداهمنا الخطر وعلى ذلك كان لا بد من اتخاذ تلك القرارات وفي كثير من السرعة التي يتطلبها الموقف . استدعشنا اليها الظروف وكان بودي ان لو كان هذا المجلس مقدما في تلك الايام لاصح امامه تلك القرارات للالام بها والانطلاق عليها في حينها وقبل اعلانها ونشرها على الجمهور الكريم .

واود يا سيدي الرئيس ، ان اؤكد في هذا المكان ايضا كما اكدت ذلك في غيره من قبل بان الحكومة حريصة كل الحرص على كفالة حرية العقيدة في طول البلاد وعرضها ، وعلى وعاية حق كل مواطن من المواطنين في ممارسة شعائره المقدسة وصلواته الدينية من غير تدخل او ارهاب فذلك حق طبيعي مشاع نحترمه في تقدير ونجمله في اخلاص ونصونه في غير تردد لاننا نعلم علم اليقين ان الدين يمثل ضرورة اجتماعية لا غنى للناس عنها في مجتمهم الانساني باسره يستلهمون مبادئه ويستترونها بهديه وبتعاليمه ولكننا حريصون الحرص كله ان يظل الدين كما اراد له ربه ان يكون مصدر قوة واخاء ومحبة لا ظهير عدوان وكراهية وبنفناء ، وان يكون مصدرا قويا

ومتينا في اصلاح الفرد وبناء الامة لا سببا في تكسيرها وهدمها او عاملا على تأخيرها وتخلفها .

ان حرية العقيدة ايها السادة المحترمون - التي تنقلها قوانين البلاد وتقاليدها العظيمة والتي تعمل الحكومة على توفيرها وصيانتها لا تعني استغلال السذج والبسطاء من المواطنين في الارزاء المتخلفة من البلاد لتبذر في نفوسهم بذور التفرقة والفتنة ولتحضهم على الكراهية وارتكاب الجريمة بصورها المختلفة وانها لا تعني الغرض والتخريب او العبث بالقانون وانتهاك سيادته وحرمة الشيء الذي يعرض امن البلاد الى الخطر وسلامتها الى الضرر وانها حتما لا تعني التفريط في الواجبات الاساسية للحكومة او الاهمال في المسؤوليات الاولية للدولة .

واود يا سيدي الرئيس ، ان اؤكد من هذا المنبر ايضا ان الحكومة ستعمل على توفير كل التسهيلات التي تساعد المواطنين في التدريبات الجنوية على تاهيل نفر من بينهم ليطلموا بالمهام التي كان مقروضا ان يقوم بها الاجانب المقيمين في مجالات العبادات والعقوس المقدسة حتى لا يحدث فراغ تتأثر به عبدة المخلصين او تضار منه سلوات المايدين ، فليطعن مواطني الجنوب ولينصرفوا الى شئونهم الخاصة والعامه في ثقة واستقرار غير عابئين باشاعات الحائذين او تضليل المفرضين وليكسروا قنهم الى ما فيه خيرهم وخير امتهم وليبدلوا جهودهم الى ما فيه المصلحة الحقيقية لبلادهم ووطنهم .

واما الاجانب الياقون بالجنوب وغير الجنوب من مناطق السودان فليثقوا ويطمئنوا الى ان هذه البلاد ستظل كمهدم بها كريمة مضيافة لا تتعدى عليهم ولا تؤذيهم في شيء طالما هم لقوانينها حافظون وعلى مصلحتها حريصون وطالما هم مبنعدون عن كل ما يضر بهذا البلد او يمس سمعته وسيادته واستقلاله .

والله اسأل يا سيدي الرئيس ان يهب هذه الامة من امرها رشدا ويرمى شئونها ، ويحقق امالها ويسدد خطاها اجمعين واشكركم جميعا فائق الشكر واجزله .

أما في اللغة الثانية فإن أريد أن نعبر عن الفعل الثاني في اللغة العربية تحت هذه الكلمة الأجنبية لسوق مبالغ وتجاه استرجعها

[illegible]

في غياب الرقابة الحكومية
التي تحددها وخسرت
والتي وعرفت في إدارة



[illegible]

المنظمات
والوكالات
تستخرج
وثائق سودانية
للأجنيين
لاستخدامهم
في
مشروعاتهم
بالسودان

تعمیق
موسی
عل
سلیمان

في غياب الرقابة الحكومية تجاوزت وكالات
الغوث حدودها وخرقت القوانين المحلية
والدولية وغرقت في ادارة السياسة السودانية

[illegible][illegible]

Executive Council
 Governor,
 Executive Council
 Samuel Lloyd
 for Sudan Pentecostal Church
 K.V.
 Sudan Church Sudan
 1914 Sudan
 C. Sutton Sec. Treas.
 AT ICE INLAND CHURCH SODA
 W. Anderson White
 Bishop Andrew Valle
 R.H.
 George Hall
 Governor Equatoria Region.
 Deputy Governor,
 Equatoria Region.

[illegible]

منظمات غير قانسونية تعمل تحت رعاية سفارات اوروبية

شخصيات ذات صلات بأجهزة مخابرات اجنبية تدير منظمات لرعاية الطفولة المشردة في السودان

تطويق
موسم على السودان

الطفولة المشردة في السودان



في هذه الصورة، نرى أطفالاً في بيئة غير مناسبة، مما يسلط الضوء على مشكلة الطفولة المشردة في السودان. هذه الصورة جزء من تقرير صحفي يهدف إلى توعية المجتمع بهذه القضية.

● قبل البدء لنا كلمة

بسم الله الرحمن الرحيم، هذه الكلمة مقدمة من قبل الجمعية المصرية للتطوير والتدريب، والتي تهدف إلى تسليط الضوء على مشكلة الطفولة المشردة في السودان. نأمل أن تكون هذه الكلمة بداية لجهودنا المشتركة في معالجة هذه القضية.

● ظاهرة التشرد كحادث

الوكالات الخيرية

تعتبر ظاهرة التشرد من بين المشاكل الاجتماعية الخطيرة التي تواجهها المجتمعات الحديثة. في السودان، تشكل هذه الظاهرة تحدياً كبيراً للسلطات والمجتمع ككل.

في هذا التقرير، سنحاول فهم أسباب هذه الظاهرة وتأثيراتها على الأطفال والمجتمع. سنناقش أيضاً بعض الحلول المقترحة لمعالجة هذه المشكلة.

من أجل تحقيق أهدافنا، نحتاج إلى دعم وتعاون من جميع الأطراف المعنية. نأمل أن تكون هذا التقرير نقطة انطلاق لجهودنا المشتركة.



هناك كنية ندم للفئة الدينية وتجاهل على السلام الاجتماعي تحت نثار الأمم المتحدة الخيرية.

Wanted millionare

... (text continues) ...

استتر عمانيويل: «أريد مليونيراً»

في هذا المقابلة، يتحدث عمانيويل عن دوافعه في الانضمام إلى هذه المنظمة السريّة. يقول: «أريد أن أصبح مليونيراً، وأريد أن أكون جزءاً من شيء كبير».

عمانيويل يروي قصته وكيف بدأ في العمل لهذه المنظمة. إنه يصف العمل بأنه شاق ومحفّز في نفس الوقت. إنه يحب التحدي والتعلم من زملائه.

في النهاية، يعبر عمانيويل عن أمله في أن يتمكن من تحقيق أهدافه وأن يصبح مليونيراً. إنه يعتقد أن هذا هو الطريق الوحيد لتحقيق النجاح في الحياة.

الجمعية المصرية للتطوير والتدريب، والتي تهدف إلى تسليط الضوء على مشكلة الطفولة المشردة في السودان. نأمل أن تكون هذه الكلمة بداية لجهودنا المشتركة في معالجة هذه القضية.

منظمات تعمل في رعاية

الطفولة المشردة في السودان

في هذا التقرير، سنحاول فهم أسباب هذه الظاهرة وتأثيراتها على الأطفال والمجتمع. سنناقش أيضاً بعض الحلول المقترحة لمعالجة هذه المشكلة.

من أجل تحقيق أهدافنا، نحتاج إلى دعم وتعاون من جميع الأطراف المعنية. نأمل أن تكون هذا التقرير نقطة انطلاق لجهودنا المشتركة.

منظمة أبناء الشمس

منظمة أبناء الشمس هي منظمة خيرية تعمل في رعاية الأطفال المشردين في السودان. تهدف المنظمة إلى توفير التعليم والرعاية الصحية لهذه الفئة من الأطفال.

منظمة أبناء الشمس هي منظمة خيرية تعمل في رعاية الأطفال المشردين في السودان. تهدف المنظمة إلى توفير التعليم والرعاية الصحية لهذه الفئة من الأطفال.

منظمة أبناء الشمس هي منظمة خيرية تعمل في رعاية الأطفال المشردين في السودان. تهدف المنظمة إلى توفير التعليم والرعاية الصحية لهذه الفئة من الأطفال.

منظمة أبناء الشمس هي منظمة خيرية تعمل في رعاية الأطفال المشردين في السودان. تهدف المنظمة إلى توفير التعليم والرعاية الصحية لهذه الفئة من الأطفال.

منظمة أبناء الشمس هي منظمة خيرية تعمل في رعاية الأطفال المشردين في السودان. تهدف المنظمة إلى توفير التعليم والرعاية الصحية لهذه الفئة من الأطفال.

منظمة أبناء الشمس هي منظمة خيرية تعمل في رعاية الأطفال المشردين في السودان. تهدف المنظمة إلى توفير التعليم والرعاية الصحية لهذه الفئة من الأطفال.

منظمة أبناء الشمس هي منظمة خيرية تعمل في رعاية الأطفال المشردين في السودان. تهدف المنظمة إلى توفير التعليم والرعاية الصحية لهذه الفئة من الأطفال.

منظمة أبناء الشمس هي منظمة خيرية تعمل في رعاية الأطفال المشردين في السودان. تهدف المنظمة إلى توفير التعليم والرعاية الصحية لهذه الفئة من الأطفال.

منظمة أبناء الشمس هي منظمة خيرية تعمل في رعاية الأطفال المشردين في السودان. تهدف المنظمة إلى توفير التعليم والرعاية الصحية لهذه الفئة من الأطفال.

منظمة أبناء الشمس هي منظمة خيرية تعمل في رعاية الأطفال المشردين في السودان. تهدف المنظمة إلى توفير التعليم والرعاية الصحية لهذه الفئة من الأطفال.

منظمة أبناء الشمس هي منظمة خيرية تعمل في رعاية الأطفال المشردين في السودان. تهدف المنظمة إلى توفير التعليم والرعاية الصحية لهذه الفئة من الأطفال.

منظمة أبناء الشمس هي منظمة خيرية تعمل في رعاية الأطفال المشردين في السودان. تهدف المنظمة إلى توفير التعليم والرعاية الصحية لهذه الفئة من الأطفال.

منظمة أبناء الشمس هي منظمة خيرية تعمل في رعاية الأطفال المشردين في السودان. تهدف المنظمة إلى توفير التعليم والرعاية الصحية لهذه الفئة من الأطفال.

منظمة أبناء الشمس هي منظمة خيرية تعمل في رعاية الأطفال المشردين في السودان. تهدف المنظمة إلى توفير التعليم والرعاية الصحية لهذه الفئة من الأطفال.

منظمة أبناء الشمس هي منظمة خيرية تعمل في رعاية الأطفال المشردين في السودان. تهدف المنظمة إلى توفير التعليم والرعاية الصحية لهذه الفئة من الأطفال.

منظمة أبناء الشمس هي منظمة خيرية تعمل في رعاية الأطفال المشردين في السودان. تهدف المنظمة إلى توفير التعليم والرعاية الصحية لهذه الفئة من الأطفال.

منظمة أبناء الشمس هي منظمة خيرية تعمل في رعاية الأطفال المشردين في السودان. تهدف المنظمة إلى توفير التعليم والرعاية الصحية لهذه الفئة من الأطفال.

منظمة أبناء الشمس هي منظمة خيرية تعمل في رعاية الأطفال المشردين في السودان. تهدف المنظمة إلى توفير التعليم والرعاية الصحية لهذه الفئة من الأطفال.

فهرس الآيات القرآنية مرتب حسب حروف الهجاء

الآية	(أ)	السورة	رقم الآية	الصفحة
(أتأمرون الناس بالبر . . .		البقرة	٤٤	٣٥٠
(ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا		النساء	٦٠ / ٦١	٣٥٥
(انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق . . .		النساء	١٠٥	٣٥٦
(ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار		النساء	١٤٥	٣٥٦
(أفحكم الجاهلية يبغون . .		المائدة	٥٠	٣٥٦
(انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا . . .		المائدة	٥٥	٨٦
(الذين يتبعون الرسول النبى الامى . . .		الاعراف	١٥٧	٣٤٧
(أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض . . .		الاعراف	١٨٥	٣٣٦
(ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله . . الانفال			٣٦ / ٣٧	٣٨١
(اتخذوا أحابرهم ورهبانهم أربابا من دون الله . . . التوبة			٣١	١٠٣
(انفروا خفافا وثقالا . . .		التوبة	٤١	٣٦٤ / ٣٦١
(ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم . . .		التوبة	١١١	٣٦٢
(أفمن يعلم أن ما أنزل اليك من ربك الحق . . .		الرعد	١٩	٣٣٢
(الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله . . .		الرعد	٢٨ - ٢٩	٣٣٣
(الله الذى خلق السموات والارض . . .		ابراهيم	٣٢ - ٣٤	٣٣٦
(انما نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون . . .		الحجر	٩	٨
(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة . . .		النحل	١٢٥	٣٤٩
(أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون . . .		الأنبياء	٢١	٣٣٠
(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا . . .		الحج	٣٩	٣١٤
(الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره . . .		الجمعة	١٢ / ١٣	٣٣٧
(ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا . . .		الاحقاف	١٣ / ١٤	٣٣٢
(آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه . . .		الحديد	٧	٣٦١
(ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله . . .		الحديد	١٦	٣٣٣
(ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا . . .		الصف	٥	٣٥٢
(ب)				
(بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما . . .		النساء	١٣٨ / ١٣٩	٢٥٦
(بل نقذف بالحق على الباطل . . .		الأنبياء	١٨	٣٦٠
(ش)				
(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا . .		الشورى	١٣	٩
(ف)				
(فيما رحمة من الله لنت لهم . . .		آل عمران	١٥٩	٣٥٠

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
(فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله و الرسول . .	النساء	٥٩	٣٥٥
(فلاوربك لا يؤمنون حتى يحكموك . . .	النساء	٦٥	٣٥٦
(فان تابوا وأقاموا الصلاة . . .	التوبة	٥	٣٦١
(فان تابوا وأقاموا الصلاة . . .	التوبة	١١	٣٦١
(فاستقم كما أمرت . . .	هود	١٢	٣٣٢
(فقلوا له قولا لينا . . .	طه	٤٤	٣٥٠
(فلن تجد لسنة الله تبديلا . . .	فاطر	٤٣	٣١٦
(فقاتلوا الذين تبغى حتى تفي الى أمر الله . . .	الحجرات	٩	٦٠
(ق)			
(قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . . .	الانعام	١٦٢-١٦٣	٣٢٩
(قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر . . .	التوبة	٢٩	٣٦٤
(قل هذ مسبيلي ادعوا الى الله على بصيرة . . .	يوسف	١٠٨	٣٤٨
(قال انى عبد الله اتانى الكتاب وجعلنى نبيا . . .	مريم	٣٠	٩
(قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو . . .	طه	١٢٣	١٠٣
(قل لمن الأرض ومن فيها . . .	المؤمنون	٨٦-٩٢	٣٢٩
(قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد . .	الاخلاص	١-٤	٣٣١
(ك)			
(كنتم خير أمة أخرجت للناس . . .	آل عمران	١١٠	٣٤٧/٣٣٨
(كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه . . .	الرعد	١٤	٣٢٢
(كتاب أنزلناه اليك مبارك . . .	ص	٢٩	٣٣٢
(ل)			
(لا اكراه فى الدين . . .	البقرة	٢٥٦	٣٨٢
(لقد من الله على المؤمنين . . .	آل عمران	١٦٤	٣٣٨
(لا يستوى القاعدون من المؤمنين غيرأولى الضرر . . .	النساء	٩٥/٩٦	٣٦٤
(لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة . . .	المائدة	٧٣-٧٤	٣٣٠
(لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل . . .	المائدة	٧٨/٧٩	٣٤٧
(لا أسألكم عليه مالا . . .	هود	٢٩	٣٥١
(لا أسألكم عليه أجرا . . .	هود	٥٦	٣٥١
(لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة . . .	الأحزاب	٢١	٣٥٠/٣٣٨
(ليس كمثل شئ . . .	الشورى	١١	٣٣١
(لا أسألكم عليه أجرا . . .	الشورى	٢٣	٣٥٩
(لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله . . المجادلة	المجادلة	٢٢	٢٥٥
(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين . . .	المتحنة	٨	٣٨٣

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
(م)			
(مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله . . .)	البقرة	٢٦١	٣٦٢
(ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة . . .)	آل عمران	٧٩	١٠٣
(هـ)			
(هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا . . .)	الملك	١٥	٣٣٦
(و)			
(ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم . . .)	البقرة	١٠٩	١٣٩
(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى . . .)	البقرة	١٢٠	١٣٩
(ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا . . .)	البقرة	٢٠٤/٢٠٥	٢٦٩
(ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دياركم . . .)	البقرة	٢١٧	٣١٣
(والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله . . .)	البقرة	٢٨٥	٣٣٠
(ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه . . .)	آل عمران	٨٥	٩
(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير . . .)	آل عمران	١٠٤	٣٤٧
(ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا . . .)	آل عمران	١٠٥	٣٥٢
(وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بأذن الله . . .)	النساء	٦٤	٣٥٩
(وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم . . .)	النساء	١٥٧/١٥٨	١٠/٩
(والسارق والسارقة . . .)	المائدة	٣٨	٢٣٠
(وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه . . .)	المائدة	٤٨/٥٠	٣٥٤
(وان قال الله يا عيسى ابن مريم . . .)	المائدة	١١٦/١١٧	٩
(ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله . . .)	الانعام	١٠٨	٣٤٩
(ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها . . .)	الاعراف	١٨٠	٣٣١
(واعذوا لهم ما استطعتم من قوة . . .)	الانفال	٦٠	٣٦٢/٣٠٩
(والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله . . .)	التوبة	١٠	٣٧٤
(وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة . . .)	التوبة	٣٦	٣٨٥/٣٦٢
(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض . . .)	التوبة	٧١	٣٤٧
(ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله . . .)	النحل	٣٦	٣٥٦
(وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين . . .)	النحل	٥١/٥٤	٣٣٠
(ولقد كرّمنا بني آدم . . .)	الاسراء	٧٠	٣٣٢
(وقبل جاء الحق وزهق الباطل . . .)	الاسراء	٨١	٣٦٠
(وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه . . .)	الانبياء	٢٥	٣٣٠/٨
(وعاد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .)	النور	٥٥	٣٦٠/٣٠٩
(وما تنزل به الشياطين وما ينبغى لهم . . .)	الشعراء	٢١٠-٢١١	٣٨١/٨

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا . . .)	الروم	٢١	٢٥٩
(ومن آياته خلق السموات والارض . . .)	الروم	٢٢	٣٨٢
(ولئن سألتهم من خلق السموات والارض . . .)	الزمر	٣٨	٣٢٩
(وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه . . .)	فصلت	٤٢/٤١	٨
(والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة . . .)	الشورى	٣٨	٣٥٥
(ولئن سألتهم من خلق السموات والارض . . .)	الزخرف	٩	٣٢٩
(وانك لعلى خلق عظيم . . .)	القلم	٤	٢٥٧
(والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم . . .)	المعارج	٢٥/٢٤	٣٦١
(٥)			
(يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم . . .)	البقرة ٢٦٧/٢٦٨		٣٨٩
(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته . . .)	آل عمران	١٠٣/١٠٢	٣٥١
(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونه . . .)	آل عمران	١٢٠-١١٨	٣١٤
(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة . . . النساء)		١	٣٨٢
(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول . . . النساء)		٥٩	٧٢
(يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله . . . النساء)		١٣٦	٣٣٠
(يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم . . . المائدة)		١٥	١٠٣
(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى . . . المائدة)		٥١	٢٥٠/٨٩
(يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم . . . محمد)		٧	٣٦٦
(يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى . . . الحجرات)		١٣	٣٨٢
(يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون . . . الصف)		٣/٤	٣٥٠
(يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم . . . الصف)		١٠	٣٦٤

فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	تخريجه	الحديث
٢٤٢	الحاكم فى المستدر ك	(أول ما تفقدون من دينكم . . .
٢٥٨	صحح الجامع الصغير	(ألزمها فان الجنة تحت أقدامها
٣٤٦	أحمد / ابن ماجة	(ان الناس اذا رأوا المنكر فلم يغيروه . . .
٣٤٩	مسلم	(اللهم من ولى من أمر أمتى شيئا . . .
٣٤٩	أحمد	(أن غلاما شابا أتى النبى صلى الله عليه وسلم . . .
٣٦٢	أبوداود / الترمذى	(أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . . .
٣٦٢	سيرة ابن هشام	(ان عثمان بن عفان رضى الله عنه أنفق فى جيش العسرة . . .
٣٦٣	الطبرانى فى الكبير / أحمد	(ان ارضن الناس بالدينار والدرهم . . .
٣٦٥	البخارى	(انتدب الله عز وجل لمن خرج فى سبيل الله . . .
		(ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تقوم
٣٨١	مسلم / أحمد	الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود . . .
٣٩٠	النسائى / ابن ماجة	(اللهم انى أعوذ بك من الكفر والفقر . . .
٣٤٨	البخارى / الترمذى	(بلغوا عني ولو آية . . .
٣٦٥	متفق عليه	(تكفل الله لمن جاهد فى سبيله . . .
٣٦٢	مسلم / النسائى	(جاء رجل بناقة مخطومة . . .
٣٦٥	متفق عليه	(غدوة فى سبيل الله أو روحه خير من الدنيا . . .
٢٥٦	مسلم	(فان خلق نبى الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن
٣٣٨	أحمد	(كان خلقه القرآن
٣٦٥	متفق عليه	(كل كلم يكلمه فى سبيل الله . . .
	أحمد / موارد الظمان / المستدر ك /	(لينقض عرى الاسلام . . .
٢٣٤	الطبرانى	
٣٦٩	متفق عليه	(لأن يهدى الله بك رجلا واحدا . . .
٢٠٥	الترمذى / البخارى فى الأرب المفرد	(من أصبح منكم آمنا فى سربه . . .
٣٤٧ / ٢٣٧	مسلم / أبوداود / أحمد	(من رأى منكم منكرا فليغيره بيده . . .
٣٥٠	متفق عليه	(من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه . . .
٣٥٢	متفق عليه	(مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم . . .
٣٥٢	أبوداود	(المؤمنون تتكافأ دماؤهم . . .
٣٦٢	متفق عليه	(من جهز غازيا . . .
٣٦٤	أبوداود / ابن ماجة	(من لم يفرز أو يجهز غازيا . . .
٣٦٥	مسلم / أبوداود	(من مات ولم يغز . . .
٣٩١	مسلم	(من كان له فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له . . .
٢٠٦	البخارى	(نعمتان مغبون فىهما كير من الناس . . .
٣٦٦	متفق عليه	(هل تستطيع ان تخرج المجاهد ان تدخل مسجدك . . .
٣٤٩	متفق عليه	(يسروا ولا تعسروا . . .

ثبت المراجع

مرتبا حسب حروف الهجاء بيد و يذكر الكتاب أولا ثم المؤلف
من غير اعتبار لـ (أل) أو كتاب .

امام هذا الثبت :

- القرآن الكريم ، كتاب الله الذى لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد

- أضوء البيان فى تفسير القرآن بالقرآن

الشيخ محمد الأمين الشنقيطى

الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م

- الاعتصام

للإمام أبي اسحق ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي

وبه تعليق العلامة محمد رشيد رضا .

المكتبة التجارية الكبرى ، بدون تاريخ .

- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم

تأليف شيخ الاسلام احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية .

تعليق وتحقيق د . ناصر بن عبد الكريم العقل .

الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ، بدون ذكر دار الطبع .

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

شيخ الاسلام بن تيمية

تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد

دار الكتاب الجديد ، بيروت ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م .

- آداب المعلمين

أبو عبد الله محمد بن سحنون

مطبوع ضمن كتاب التربية الاسلامية للدكتور احمد فؤاد الالهوانى

- الاسلام والنوبة فى العصور الوسطى

د / مصطفى محمد مسعد

ملتزم الطبع والنشر مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٠م

- الانسان بين المادية والاسلام

الشيخ محمد قطب

دار احياء الكتب العربية ، عيسى الحلبي وشركاه ، الطبعة الرابعة ١٩٦٥م .

- الاسلام فى وجه الزحف الأحمر

الشيخ محمد الغزالي

دار التوفيق النموذجية للطباعة والجمع الآلى ، طبعة ثانية ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م

نشر مكتبة وهبة .

- أحكام القرآن

لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي

تحقيق على محمد البجاوى

طبعة عيسى الحلبي ، بدون تاريخ .

- الاسلام تاريخ وحضارة

أنور الجندى

طبعة دار الاعتصام بدون تاريخ .

- الإسلام الجريح في الحبشة بلاد النجاشي أرض الهجرة الأولى

أبو احمد الاثيوبي أحد المكافحين الاحرار
بدون تاريخ الطبع أو ذكر دار الطبع أو النشر.

- الإيمان وأثره في نهضة الشعوب

الاستاذ يوسف العظم

الطبعة الثانية الدار السعودية ١٣٨٩ هـ

- أسباب سعادة المسلمين وشقاؤهم في ضوء الكتاب والسنة

محمد زكريا الكاند هلوى

الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م

- الإعلام الاسلامي

الأستاذ محمد قطب

بحث قدمه لندوة الشباب العالمي الإسلامي ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م، مطبوع ضمن

بحوث بعنوان: الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ

١٩٧٩ م

- الإعلام العربي المعاصر وأثره في ضياع الجيل وهزيمة الأمة.

يوسف العظم

بحث مطبوع ضمن مجموعة بحوث بعنوان: الاعلام والعلاقات الانسانية ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م

- أبنائنا بين وسائل الإعلام وأخلاق الإسلام

منى حداد يكن

مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م

- إضاءات حول الإعلام الإسلامي

محاضرة للأستاذ الدكتور عبد القادر طاش

القيت بجامعة أم القرى بمكة المكرمة مساء الأحد ٢٧ رجب ١٤٠٦ هـ .

- الإسلام أين وإلى أين

مقال للدكتور حسين مؤنس

نشر بمجلة (المجلة) عدد ١٦٦

- أساليب جديدة في فلسفات الدعوة الدينية

مقال للدكتور حسين مؤنس

نشر بمجلة (المجلة) عدد ١٦٥

- الإسلام والحبشة عبر التاريخ

السهندس فتحي غيث

شركة الطباعة الفنية بدون تاريخ .

- الإسلام في يوغندا

الدكتور ابراهيم الزين صفيرون

بحث نشر بمجلة (دراسات أفريقية) العدد الأول ١٤٠٥ هـ

- انتشار الإسلام في أفريقيا

حسن ابراهيم حسن

- أساليب الغزو الفكرى للعالم الاسلامى
للاستاذين على محمد جريشة ومحمد شريف الزئبيق
الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ، دار الاعتصام .
- الامبريالية والقومية فى السودان دراسة للتطور الدستورى والسياسى ١٨٩٩-١٩٥٦
د . مدثر عبد الرحيم الطيب
دار النهار للنشر ، بيروت لبنان ١٩٧١ بدون ذكر المترجم
- الادارة البريطانية والحركة الوطنية فى السودان ١٩١٩-١٩٣٩
د . جعفر محمد على بخيت
ترجمة هنرى رياض ، الطبعة الأولى ١٩٧٢ دار الثقافة بيروت ، نشر وتوزيع
مكتبة خليفة عطية بالسجانة
- الادارة البريطانية والتبشير الاسلامى والسيحى فى السودان دراسة أولية
د . احمد عبد الرحيم نصر
مكتبة الدراسات السودانية . طبعة وزارة الأوقاف والنسئون الدينية .
١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م
- الاستشراق والتبشير وصلتهما بالامبريالية العالمية
ابراهيم خليل أحمد
مكتبة الوعى العربى ، بدون تاريخ
- اخبار بطارقة المشرق من كتاب المجلد
مارى سليمان
مطبعة روما الكبرى
- الانجيل المقدس
بشارة متى ، الترجمة العربية الجديدة من اللغة الاصلية . طبعة اتحاد
جمعيات الكتاب المقدس سنة ١٩٧٨ .
- الانجيل كتاب الحياة
طبعة ثانية سنة ١٩٨٢م
- أهم المنجزات
خلال الفترة الانتقالية ابريل ١٩٨٥-١٩٨٦ ، وزارة التربية والتعليم
جمهورية السودان .
- أوضاع الاقليات المسلمة فى أفريقيا
بحث أعدّه وقدّمه المشير عبد الرحمن محمد حسن سوار الذهب رئيس مجلس
امناء منظمة الدعوة الاسلامية .
- البداية والنهاية
الحافظ ابن كثير
الطبعة الثانية مطبعة المعارف بيروت .
- بلفة السالك لأقرب المسالك السبى مذهب الامام مالك
الشيخ احمد بن محمد الصاوى المالكي
على الشرح الصغير للقطب الشهير احمد بن محمد بن احمد الدردير
دار المعرفة للطباعة والنشر بدون لبنان ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م

- بين الأصالة والتبعية، تجربة الاستعمار وانماط التحرر الثقافي في البلاد الآسيوية والأفريقية
د . مدثر عبد الرحيم الطيب
طبعة أولى دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر ١٩٧٨ م .
- البشير
نشرة لمنظمة الدعوة الإسلامية بدون رقم أو تاريخ .
- تفسير القرآن العظيم
الحافظ ابن كثير
تحقيق عبد العزيز غنيم ومحمد عاشور ومحمد إبراهيم البنا، مطبعة الشعب
بدون تاريخ .
- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل
علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن
الطبعة الثالثة ١٣٧٥ / ١٩٥٥ مصطفى البابي الحلبي بمصر .
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذاهب مالک
للقاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي
تحقيق د . احمد بكير محمود ، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت
طبعة أولى ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م
- التبشير والاستعمار في البلاد العربية عرض لجهود المبشرين التي ترمى إلى إخضاع الشرق
للاستعمار الغربي
- د . مصطفى خالدي ود . عمر فروخ ، منشورات المكتبة العصرية بيروت صيدا ١٩٨٢ م
- التبشير في العاصمة المثلثة
حسن مكي محمد احمد
الخرطوم السودان ١٩٨٢ م
- الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر
الدكتور محمد محمد حسين
الطبعة السابعة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ مؤسسة الرسالة ، بيروت .
- التربية وبناء الاجيال في ضوء الاسلام
أنور الجندى
دار الفكر لبنان الطبعة الاولى ١٩٧٥ م
- التربية الإسلامية
الدكتور احمد فؤاد الأهواني
طبعة دار المعارف القاهرة بدون تاريخ .
- التربية في السودان من أول القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي والأسس
النفسية والاجتماعية التي قامت عليها
- د . عبد العزيز أمين عبد المجيد
الطبعة الاميرية ١٩٤٩

- تاريخ السودان الحديث
ضرار صالح ضرار
الدار السودانية بالخرطوم، الطبعة الثالثة ١٩٧٥ م.
- تأسيس مدينة الخرطوم والمهدية
سليمان كشة، بدون إشارة للطبعة أو تاريخ الطبع.
- تاريخ الامم والملوك
محمد بن جرير الطبري
طبع روائع التراث العربي، بدون تاريخ
- التفكير الفلسفي في الاسلام
د. عبد الحليم محمود
مطبعة مخيم، بدون تاريخ.
- تاريخ الثقافة العربية في السودان منذ نشأتها الى العصر الحديث الدين- الاجتماع- الأدب
د. عبد المجيد عابدين
دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٩٦٧ م.
- التبشير والسياسة الاستعمارية في جبال النوبة
د. كمال عثمان صالح
بحث مكتوب على الآلة الكاتبة قدم للمؤتمر الاول (الاسلام في السودان ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢ م) جماعة الفكر والثقافة الاسلامية.
- التيار العلماني وأثره على السودان
د. الطيب زين العابدين
بحث مقدم للمؤتمر الأول (الاسلام في السودان
مخطوط بالآلة الكاتبة .
- التبشير النصراني في جنوب السودان وادي النيل
د. ابراهيم كاشة
دار العلوم للطباعة والنشر ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م
- التربية والمشكلات المعاصرة
عبد الرحمن المحلاوي
المكتب الاسلامي، الطبعة الاولى، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م
- تاريخ المسيحية في الممالك النوبية والسودان الحديث
جوفياتي فانتيتي، طبعة الخرطوم ١٩٧٨ م
- تاريخ افريقيا
شارل اندريه جوليان، ترجمة عوض اباطة - طبعة دار نهضة مصر ١٩٦٨ م.
- تطور التعليم في السودان ١٨٩٨-١٩٥٦
محمد عمر بشير، ترجمة هنري رياض وآخرين
طبعة دار الثقافة بيروت ١٩٧٠ م، نشر مكتبة خليفة عطية السجانة .
- تاريخ الحركة الوطنية في السودان ١٩٠٠-١٩٦٩
محمد عمر بشير، تعريب هنري رياض وآخرين
طبعة الدار السودانية ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م

- التعليم الحديث دراسة وثائقية
د . أميل فهيبي
مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٧
- تجربة الحل السلمي
نعمتي سي نابلوك
مقال نشر بمجلة السياسة الدولية العدد ٤١ سنة ١٩٧٥
- التبشير والاستعمار في نيجيريا
خضر مصطفى النيجري
ر.م. مخطوطة بمكتبة جامعة ام القرى بمكة المكرمة
- التعليم في السودان
د . ناصر السيد
دار القدس بيروت لبنان ، مطبعة الراي الجديد بدون تاريخ .
- تسخير الأحاديث النبوية الواردة في مدونة الإمام مالك بن أنس
د . الطاهر الدرديري
طبعة مركز البحث العلمي واهياء التراث الاسلامي ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ
- تقرير ورشة العمل المسيحية التي عقدها مجلس الكنائس السوداني بجوبا بين ١٥-٢٢ فبراير ١٩٨٢ م
- تقرير عن النشاط الصليبي في تنزانيا
من اعداد منظمة الدعوة الاسلامية
- تقرير جويني عن عمل الانجليزية رقم (١٠٣-٢٠٧ أ ج)
- الثورة المهدية وأصول السياسة البريطانية في السودان
جلال يحيى
طبعة سنة ١٩٥٩
- الثورة
صحيفة سودانية
- الجامع الصحيح
الامام الحافظ ابي عيسى محمد بن سورة الترمذي
حققه وصححه عبد الوهاب عبد اللطيف
نشر وتوزيع دار الفكر بيروت
- الجامع لأحكام القرآن
أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي
طبعة الشعب بدون تاريخ .
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح
شيخ الاسلام ابن تيمية
مطابع المجد التجارية
- جغرافية وتاريخ السودان
نعوم شقير
دار الثقافة بيروت لبنان ١٩٧٢ م

- جذور البلاء -

عبد الله التل
المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م

- حاضر العالم الإسلامي
لوثرروب ستيوارد الأمريكي ، تعليق الأمير شكيب ارسلان
الطبعة الرابعة ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٣ م دار الفكر بيروت

- الحروب الصليبية في المشرق والمغرب
محمد العروسي المطوى
دار الغرب الإسلامي بيروت ١٩٨٢ م

- حتمية الحل الإسلامي (١) الحلول المستوردة وكيف جنت على امتنا
د . يوسف القرضاوي
نشر مكتبة وهبة القاهرة .

- حقائق عن التبشير
عماد شرف
الطبعة الاولى ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م المختار الإسلامي

- حصاد الغرور
الشيخ محمد الفزالي
دار البيان الكويت الطبعة الاولى ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م

- حصوننا مهددة من داخلها
د . محمد محمد حسين
الطبعة السابعة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م مؤسسة الرسالة بيروت

- حوار مع الصفوة
د . منصور خالد
طبع ونشر دار جامعة الخرطوم ١٩٧٩ م

- حكومة السودان - تقارير المديرين
الخرطوم ١٩٢٥ م

- خصائص التصور الإسلامي ومقوماته
للشهيدي سيد قطب
دار الشروق ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م

- خطط المقريري
تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر المقريري
اصدار دار التحرير والنشر عن طبعة بولاق ١٣٧٠ هـ

- الخطر اليهودي (بروتوكولات حكماء صهيون)
ترجمة محمد خليفة التونسي
طبعة ١٠٠٠ دار الجيل .

- الخريطة اللغوية للسودان ووضع اللغة العربية فيها
د . يوسف الخليفة أبو بكر ود . سيد حامد حريز

- الدعوة إلى الاسلام . تاريخها في عهد النبي والصحابة والتابعين والعهد المتلاحق
الشيخ أبوزهرة
دار الفكر العربي الطبعة الاولى ١٩٧٣ م
- الديباج المذهب في معرفة اعيان المذهب
برهان الدين ابراهيم بن علي بن محمد بن فرحون النعمري المدني المالكي
طبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، مصور عن نسخة مكتبة السعادة
الطبعة الاولى مصر ١٣٢٩ هـ
- درء تعارض العقل والنقل
شيخ الاسلام ابن تيمية أبو العباس تقى الدين احمد بن عبد الحليم
تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم
الطبعة الاولى ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية
- الدعوة واخلاق الدعاة
سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز
طبع ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م
- الديمقراطية والاشتراكية في السودان
على عبد الرحمن الضريع
طبعة المكتبة العصرية ١٩٧٠
- الديمقراطية في الميزان
محمد احمد محبوب
طبعة دار النهار البيروتية للنشر ١٩٧٣
- دراسات أفريقية (مجلة بحوث نصف سنوية)
المركز الاسلامي الافريقي صدرت في رجب ١٤٠٥ هـ
- الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين
للقابسي : أبي الحسن علي بن خلف المعافري
مطبوعة ضمن كتاب التربية الاسلامية للدكتور احمد فواد الهواني
- الرباط الثقافي بين مصر والسودان
د . ابراهيم الحارثي
الطبعة الاولى ١٩٧٧ دار الضباعة جامعة الخرطوم
- رسالة جويني الى بيغن ١٩٤٧/١/١ رقم ١٩٤١ ح . د .
- رسائل ونجت الى جوين
- سنن النسائي
للامام الحافظ احمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر النسائي
نشر دار الفكر الطبعة الاولى
- سنن أبي داود
للامام الحافظ المتقن أبي داود سليمان بن الاشعث السجستاني الأزدي
مراجعة محمد محي الدين عبد الحميد . نشر دار الفكر

للإمام الحافظ محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة
تحقيق محمد فواد عبد الباقي
دار احياء التراث العربى بيروت ١٣٩٥ هـ

- سيرة عمر بن عبد العزيز

الحافظ جمال الدين ابن الجوزى
دار الفكر بدون تاريخ

- السودان عبر القرون

د. مكي شبكة

نشر وتوزيع دار الثقافة لبنان ، بدون تاريخ

- سعادة المستهدى بسيرة الامام المهدي

اسماعيل الكردفاني

تحقيق د. محمد ابراهيم أبوسليم

الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م دار الجيل بيروت

- السياسة البريطانية واسترداد السودان (١٨٨٩-١٨٩٩ م)

محمد علي بركات

الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٧ م

- السودان من التاريخ القديم الى رحلة البعثة المصرية

الاستاذ عبد الله حسين

الطبعة الاولى ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ طبعة الرحمانية بمصر

- السياسة التعليمية والثقافية القومية في جنوب السودان

حسن مكي محمد احمد

طبعة معامل التصوير الملون السودانية ، بدون تاريخ

- السيف والنار في السودان

سلاطين باشا

الطبعة الثانية ، دار الجيل بيروت ١٩٧٨ نشر عالم الكتب بام درمان

- السودان ووادي النيل

د. محمد عوض محمد

طبعة ١٩٥١ مصر

- اسودان والثورة المهدية

د. مكي شبكة

الطبعة الاولى ١٩٧٨ دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر

- السودان والمهدية

ب.م. هولت

ترجمة د. جميل عبيد واحمد عبد الرحيم مصطفى ، دار الفكر العربى بدون تاريخ

- السودان بين يدى غردون وكشنر

ابراهيم فوزى باشا

طبعة ١٣١٩ هـ

السودان والنفاق المظلم قصية الفساد والاستبداد

د . منصور خالد

دار ادم للنشر - مالطا ، الطبعة الاولى ١٩٨٥م

- السودان في حكم ونجت

د . جبرائيل وارهرى

ترجمة محمد الخضر سالم مطبوع على الآلة الكاتبة

- شيكان تحليل عسكري لحملة الجنرال هكس

رائد عصمت حسن زلفو

طبع بمطابع نيتكو أبو ظبي ١٩٧٦

- الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته

ت . كويلنج ترجمة الدكتور عبد الرحمن محمد ايوب

دار النشر المتحدة

- الشوقيات

احمد شوقي

طبعة دار الكتاب العربي بيروت

- صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)

الشيخ محمد ناصر الدين الالبانى

الطبعة الاولى ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م نشر المكتب الاسلامى

- صحيح البخارى مع شرحه فتح البارئ

تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب

نشر وتوزيع الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد

- صحيح مسلم

الامام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري

حقق اصوله ورتبه محمد فؤاد عبد الباقي

نشر رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد بالرياض

- صحيفة المدينة المنور

- طبقات الفقهاء

الحافظ ابو اسحق الشيرازى الشافعى

تحقيق الدكتور إسماعيل عباس

طبعة دار الرائد العربى بيروت لبنان ١٩٧٠م

- عمدة التفسير

للحافظ ابن كبر

تحقيق احمد محمد شاكر

طبعة دار المعارف ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م

- كتاب العبر ود يوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر

العلامة عبد الرحمن بن خلدون

منشورات دار الكتاب اللبنانى ١٩٥٦

- عوامل تكوين الرأى العام فى المجتمع الاسلامى

عبد السلام سليمان سعد

ر.م مخطوطة بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية

- عقيدة التثليث والصلب وموقف الاسلام منها
ر. هـ مخطوطة بجامعة ام القرى بمكة المكرمة
الاستاذ يونس ثوري

- العهد الجديد ، اعمال الرسل

- العروة الوثقى

جمال الدين الافغانى ومحمد عبده
دار الكتاب العربى بيروت طبعة اولى ١٣٨٩هـ / ١٩٧٠م

- العلاقات المصرية السودانية ١٩١٩-١٩٢٤

د . احمد ابراهيم رياب

طبعة مصر النهضة

- الفوز الفكرى والتيارات المعادية للاسلام

الاستاذ عبد القادر فتح الله سعيد

بحث مقدم لمؤتمر الفقه الذى عبد بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ١٣٩٩هـ
وطبع ضمن بحوث الندوة تحت عنوان

- الفارة على العالم الاسلامى

أ. ل. شاتليه

لخصها ونقلها للعربية مساعد الياقى ومحب الدين الخطيب
الدار السعودية للنشر بدون تاريخ

- غيوم تحجب الاسلام

د محمد البهى

الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م

- فى ظلال القرآن

الشهيد سيد قطب

الطبعة الشرعية السابعة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م دار الشروق

- فتوحات مصر والمغرب

ابن عبد الحكيم

تحقيق عبد المنعم عامر

نشر لجنة البيان العربى ، بدون تاريخ

- الفصل فى الملل والاهواء والنحل

الامام ابو محمد بن احمد المعروف بابن حزم الظاهر

تحقيق د . احمد ابراهيم نصر وآخر

الطبعة الاولى ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م نشر شركة مكتبات عكاظ

- الفكر الاسلامى وصلته بالاستعمار الغربى

د . محمد البهى

الطبعة الثامنة ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م نشر مكتبة وهبة

- قصة الحضارة

ول ديورانت

ترجمة محمد بدران

اجازته وانفقت على ترجمته الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٤

- قصة الحضارة في السودان

الفترة التاريخية من ٣٤٠٠ ق.م. الى ١٩٠٠

الاستاذ حسب الله محمد احمد

بدون تاريخ

- قصص من الماضي

ج. ١. هيوود

الطبعة الثالثة ١٩٥٩

- القول السديد في مقاصد التوحيد

الشيخ محمد ناصر

طبعة الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد

- القيم الاساسية للفكر الاسلامي

الاستاذ انور الجندى

دار الثقافة العربية ، طبعة الرسالة بدون تاريخ

- كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على السنة الناس

الامام اسماعيل بن محمد العلجونى

مؤسسة الرسالة الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م

- كيف ندعو الناس

عبد البديع صقر

طبعة الاتحاد الاسلامي العالمى للمنظمات الطلابية ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م

- كبرى

رائد عصمت حسن زلفو

مطبعة التمدن المحدودة ، الطبعة الثانية ١٩٧٨م

- كنز العمال في سنن الأقوال والافعال

علاء الدين المتقى الهندي

تصحيح الشيخ بكسرى حياى وآخر

نشر مؤسسة الرسالة

- كفاح جيل تاريخ حركة الخريجين وتطورها في السودان

أحمد خير المحامى

طبعة الدار السودانية بدون تاريخ

- الكتاب (يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء)

د . رؤوف شلبى

طبعة ونشر دار الاعتصام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م

- الكنيسة ودورها في السياسة التعليمية في جنوب السودان تحت الإدارة البريطانية

مقال للدكتور فيصل محمد
نشر بمجلة دراسات أفريقية العدد الأول

- كلمة الدكتور جعفر شيخ ادريس التي وجهها الى الشعب السوداني بمناسبة اختيار النواب

- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيوخان

وضعه محمد فؤاد عبد الباقي

دار احياء الكتب العربية عيسى الحلبي القاهرة ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م

- مروج الذهب ومعادن الجوهر

تصنيف الرحالة أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي

راجع اصوله ورقمه وضبط مبهمه وعلق عليه محمد محي الدين عبد الحميد

دار السرجاء للطبع والنشر بدون تاريخ

- المسند وبها مشه كثر العمال

للامام احمد بن حنبل بتحقيق احمد محمد شاكر

دار الفكر بيروت

- مختصر سنن ابي داود

للامام عبد العظيم بن عبد القوي عبد الله بن سلامة بن سعد المنذري

وبها مشه معالم السنن لابي سليمان الخطابي ، وتهذيب السنن لابن القيم

تحقيق محمد حامد الفقي

- معجم الضبراني

لابي القاسم سليمان بن احمد الطبراني

تحقيق حمد بن عبد المجيد السلفي

الجمهورية العراقية وزارة الاوقاف ، احياء التراث الاسلامي

- المستدرك على الصحيحين في الحديث

لابي عبد الله محمد المعروف بالحاكم النيسابوري

دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م

- معالم في الطريق

المرحوم الشهيد سيد قطب

طبعة الاتحاد الاسلامي للعالم للمنظمات الطلابية ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م

دار القرآن الكريم بطبعه ونشر علومه

- المستقبل لهذا الدين

للشهيد سيد قطب

الاتحاد العالمي للمنظمات الطلابية

- منهج التربية الاسلامية

للشيخ محمد قطب

دار الشروق طبعة ثانية

- منهج الدعوة الى الله

أحمد حسن اصلاحي

تعريب اسعد الندوي وآخر

نشر الكتاب الاسلامي الصفاة الكويت بدون تاريخ

الشيخ عبد العزيز بن باز
طبعة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد

- مشكلات الدعوة والداعية

فتحي يكن

الاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات الطلابية
دار القرآن الكريم للعناية بطبعه ونشره ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م

- المنهزمون

د. يوسف العظم

الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٩م

- محاضرات في النصرانية

الشيخ أبو زهرة

الطبعة الثانية ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م مطبعة مخيم

- مجموعة رسائل الامام الشهيد حسن البنا

طبعة مؤسسة الرسالة بدون تاريخ

- مفاهيم اسلامية

عبد الله كون

طبعة دار الثقافة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م

- مذكرات محمد نجيب كيت رئيسا لمصر

اللواء محمد نجيب

الطبعة الثانية ١٩٨٤م نشر المكتب العربي الحديث

- مآسى الانجليز في السودان

أحمد خير المحامي

طبعة دار الشرق للنشر والتوزيع ١٩٤٦

- مذكرات خضر حمد (الحركة الوطنية السودانية الاستقلال وما بعده)

خضر حمد

الطبعة الاولى ١٩٨٠م مطبعة صوت الخليج نشر مكتبة الشرق والغرب الشارقة

- معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير

ابراهيم سليمان الجبهان

الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م مطابع الريل

- موارد الظمان الى زوائد ابن حبان

للحافظ نور الدين بن علي بن أبي بكر الهيثمي

تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة

المطبعة السلفية القاهرة

- المصحف والسيوف صراع الدين والدولة في مصر

نبيل عبد الفتاح

نشر مكتبة مدبولي ميدان طلعت حرب القاهرة بدون تاريخ

- من أجل أن نقدم للمسيحيين نورا أغواء على المسيحية

متولي يوسف شلبي

المجلس الاعلى الاند نويسى للدعوة الاسلامية الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م

نشر الدار الكويتية للطباعة والنشر والتوزيع

- المقدمة -

عبد الرحمن بن خلدون
المكتبة التجارية الكبرى ، طبعة بدون تاريخ

- المجتمع الاسلامى فى ظل العدالة

د . صلاح الدين المنجد

دار الكتاب الجديد بيروت لبنان الطبعة الاولى ١٩٦٩م

- المد الاسلامى فى مطلع القرن الخامس عشر

أنور الجندى

طبعة دار الاعتصام بدون تاريخ

- المسئولية

الدكتور محمد أمين المصرى

الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م نشر وتوزيع دار الارقم

- موجز تاريخ الدين وحياته واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم

أبو الأعلى المودودى

مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م

- مشكلة جنوب السودان

محمد عمر بشير

ترجمة هنرى رياض والجنيد على عمر . راجعه محمد ابراهيم أبوسليم
دار نهضة مصر للطبع والنشر بدون تاريخ

- مشكلة جنوب السودان ، طبيعتها وتطورها وأثر السياسة البريطانية فى تكوينها

د . مدثر عبد الرحيم الطيب

الدار السودانية الطبعة الاولى ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م

- مشكلة جنوب السودان

اعداد عبد الغنى سعودى وأ . د . يونان لبيب

جامعة عين شمس مركز بحوث الشرق الاوسط بدون تاريخ

- من روائع حضارتنا

د . مصطفى السباعى

المكتب الاسلامى ، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م

- مخطوط كاتب الشونة فى تاريخ السلطنة السنارية والادارة المصرية

احمد الحاج على كاتب الشونة

تحقيق الشاطر عبد الجليل

طبعة دار احياء الكتب العربية ، بدون تاريخ

- مصر والسودان الوضع التاريخى للمسألة

محمد فؤاد شكرى

دار الفكر العربى

- مشيخة العبد لابو أثرها فى حياة السودان

د . محمد صالح محى الدين

دار الفكر الطبعة الاولى ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م

- محمد على فى السودان
د . حسن احمد ابراهيم
طبعة دار التأليف والترجمة والنشر جامعة الخرطوم ، بدون تاريخ
- منشورات المهدية
تحقيق د . محمد ابراهيم أبو سليم ١٩٦٩م
- مقاومة السودان للغزو والتسلط
د . مكي شببكة
طبعة معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٢
- من الحروب الصليبية الى قناة السويس المرحلة الاولى من الصراع بين الشرق والغرب
محمد على الفتيت
- مقارنة الاديان (المسيحية)
د . احمد شلبي
الطبعة السادسة ١٩٧٨م نشر مكتبة النهضة المصرية
- المؤامرة الدولية على السودان
الاستاذ محمد الحسن احمد
مقال نشر بصحيفة الصحافة السودانية عدد ٨٣١١ بتاريخ ٦ رجب ١٤٠٦ هـ
- مرشد التعليم الاولى لمدارس البنين بالسودان
وزارة المعارف السودانية
طبعة ١٩٥١ شركة لندن
- مسألة جنوب السودان تاريخها ومراحل تطورها
سلسلة ثقافة الشباب
مطبعة التمدن ١٩٧٣
- مقدمة فى تاريخ الممالك الاسلامية فى السودان ١٤٥٠-١٨٢١
د . يوسف فضل حسن
طبعة معهد البحوث والدراسات العربية جامعة الدول العربية ١٩٧١
- من معالم تاريخ السودان
د . يوسف فضل حسن
طبعة دار الفكر
- المنهاج الالهى فى النوبة الوسطى
انجلو أبو راسين
بحث مخطوط
- مناهج الالباب المصرية فى مباحج الاداب العصرية
رفاعة رافع الطهطاوى
طبعة القاهرة ١٩١٢
- مستقبل الثقافة فى مصر
طه حسين
طبعة مصر ١٩٤٤

- مذكرات حكومة السودان

وثائق

- مجلة الفتح

العدد ٥٧ بتاريخ ١٤ صفر ١٣٤٦ هـ الموافق ١١/٨/١٩٢٧

- المؤيد القاهرة عدد ٥٠٤٣ بتاريخ ١٧/١٢/١٩٠٦

- مجلة معهد ادلمان العلى بتاريخ ٢٥/١/١٩٦٣

- مجلة المجتمع الكويتية

- مجلة أفريقيا

- نحو حركة اسلامية عالمية واحدة

فتحي يكن

مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م

- نماذج من مخطوط كتاب العقى

للمقرىزى تحقيق د. خليل محمود عساكرود . مصطفى محمد سعد

مطبعة لجنة البيان العربى ١٩٦٤

- النظرية الاسلامية فى الاعلام والعلاقات الانسانية

مجموعة بحوث قدمت للندوة العالمية للشباب . طبعة أولى ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م

- النظرية الاسلامية فى الاعلام والعلاقات الانسانية

بحث قدمه الاستاذ زين العابدين الركابى للندوة العالمية للشباب الاسلامى ١٣٩٦ هـ

مطبوع ضمن البحوث المقدمة بعنوان (الاعلام الاسلامى والعلاقات الانسانية النظرية

والتطبيق) ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م

- النصرانية والاسلام

محمد عزت الطهطاوى

- نشرة لجنة مسلمى أفريقيا

ربيع الآخر ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م الصفاة الكويت

- هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى

ابن القيم الجوزية

مؤسسة مكة للطباعة والاعلام، توزيع الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

- هل نحن مسلمون

محمد قطب

الطبعة الثانية مكتبة وهبة

- هموم داعية

محمد الفزالى

طبعة قطر بدون تاريخ

- الوحدة الاسلامية

الامام ابوزهرة

دار الرائد العربى، بيروت لبنان بدون تاريخ

- الولاية والاولياء فى الاسلام
الخضر عبد الرحيم
ر.م. مخطوطة بمكتبة جامعة ام القرى

- وحى القلم
مصطفى صادق الرافعى
مطبعة لجنة التحقيق والترجمة والنشر ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م

- الوثائق العربية
المدخل الى دراسة الوثائق العربية
مجموعة عباس حمودة
القاهرة مطبعة دار نشر الثقافة

- واقعنا المعاصر
محمد قطب
الطبعة الاولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م مؤسسة المدينة للصحافة

- وسائل مقاومة الغزو الفكرى للعالم الاسلامى
حسان محمد حسان
سلسلة دعوة الحق عدد ٥ رابطة العالم الاسلامى

- ومشيناها خطى
احمد سليمان المحامى
دار الفكر للطباعة والنشر الخرطوم، الطبعة الاولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣

Allison, O.(1982) MISSIONS and Churches in Durham

Sudan Historical Records Conference

1982, Durham, England.

Attia, E. (1946) An Arab tells his story, London.

Bashir, M.O. (19) The Southern Sudan background

Collins, O.(1983) Shadows in the grass; Britain in the Southern Sudan, 1918-1965,
Yale University Press, London.

Cook , R. (Medical missions, C.M.O.) Vol. LXIV

Griffiths, V.L. (1975) Teacher Centred quality in the Sudan Primary education,
1930-1970, Longman Group Ltd. 1975

Gordon, C.(1984) Sudan at the Crossroads,
Middle East and North Africa
Studies Press.

Hoeben, H. (1984) The Catholic Church in the Sudan:
A golden Opportunity lost, Pro Mundi Vita Dossiers,
Quarterly, 1/1984, Brussels, Belgium.

Lutfi, A. (1968) Cromer and Egypt, John Murray, London.

Richer, J. (1910) The history of the Protestant
Mission in the Near East,
New York

Said, B.M.() Sudan crossroads of Africa

- Stevenson, R.C.(1982) Short outline of the Protestant Missionary work
in the Northeren Sudan during the Codominium Period,
in Durham Sudan Historical Records Conference-1982,
Durham , England.
- Sudan Government (1929) Annual report of the Educatin Department, 19 28,
McCorquodale & co., Khartoum, Sudan.
- Trimingham J.S. (1948)The Christian Approach to Islam in the Sudan,
Oxford University Press, London.
- Vantinne, Fr. G. (1982) The Roman Catholic Contribution to Evangelization
in the Sudan, in Durham Sudan Historical Records
Conference, Durham , England
- Warbury, G. (1971) The Sudan under Wingate administration, in Anglo-Egyption
Sudan, 1899-1916, Haifa University, Israel.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
كلمة الشكر	
المقدمة	أ - م
التمهيد	١
<u>الباب الأول</u> : خلفية تاريخية عن النصرانية والاسلام فى السودان	
<u>الفصل الاول</u> : النصرانية فى السودان	٣
<u>المبحث الاول</u> : متى وكيف دخلت النصرانية السودان ؟	٣
<u>المبحث الثانى</u> : مسيحية المسيح عليه السلام	٧
<u>المبحث الثالث</u> : أسباب تحريف المسيحية	١٠
أ - عصور الاضطهاد	١٠
ب - بولس الرسول	١٤
ج - مجمع نيقية ٣٢٥ م	١٨
<u>الفصل الثانى</u> : الاسلام فى السودان	٢٤
الهجرات العربية عبر البحر الأحمر	٢٤
الهجرات العربية عن طريق مصر	٢٤
<u>الفصل الثالث</u> : نظام الحكم فى السودان قبل الاستعمار	٣٢
<u>المبحث الأول</u> : الحكم فى السودان قبل دخول الاتراك	٣٢
محاولة الغزو الصليبي الحبشى لمسنار	٣٥
محمد على باشا فى مصر	٣٦
<u>المبحث الثانى</u> : السودان فى ظل الخلافة وبداية النشاط الكسنى الحديث ٣٧	
الاستطلاع قبل الغزو	٣٧
د وافع الغزو المصرى للسودان	٣٩
توسع الباشا فى أفريقيا يقلق الانجليز	٤٤
الفساد الادارى	٤٥
<u>المبحث الثالث</u> : بداية النشاط التبشيرى المدعوم بالسلطة	٤٧
عهد اسماعيل يفتح الباب واسعا للتنصير	٤٩
غردون	٥١
<u>المبحث الرابع</u> : سياسة غردون التبشيرية	٥٢
غردون يضع أساس مشكلة الجنوب	٥٣
وصف المشر الذى يطلبه غردون	٥٥

الموضوع	رقم الصفحة
<u>المبحث الخامس:</u> الاسلام في الجنوب	٥٧
حكومة الزبير	٥٨
الحكومة تواجه الزبير	٥٩
بين الزبير وحكمदार السودان	٦١
<u>المبحث السادس:</u> غردون يعود الى السودان	٦٤
سياسة القمع والاستفزاز	٦٤
ثورة كرد فان ودارفور ضد الحكومة	٦٥
<u>الفصل الرابع:</u> الحركة المهدية في السودان	٦٨
<u>المبحث الأول:</u> اسباب قيام الحركة المهدية	٦٨
دعوة المهدي السرية	٧٣
الموقعة الأولى	٧٤
الهجرة الى الغرب	٧٤
حملة راشد أمين	٧٥
حملة الشلالى (في رجب ١٢٩٩هـ / ١٨٨٢م)	٧٦
فتح الأبيض	٧٧
موقعة شيكان (١٣٠٠-١٨٨٣م)	٧٩
الاخلاء	٨٣
عودة غردون الى السودان	٨٥
رد المهدي على غردون	٨٧
غردون يكتشف حقيقة المهدية	٨٩
حملة الانقاذ	٩٠
انذار ود النجومي أمير الأمراء	٩٠
رد غردون	٩١
<u>المبحث الثاني:</u> قيام الدولة المهدية	٩٣
سياسة المهدية مع التبشير النصراني	٩٣
الحملة الانجليزية على السودان	٩٣
<u>المبحث الثالث:</u> سقوط السودان في أيدي الانجليز	٩٧
الحكم الثنائي	١٠٣

الباب الثاني : وسائل النشاط الكسبي في السودان

التمهيد	١٠٣
<u>الفصل الأول:</u> احياء المؤسسات الكسبية التي دمرتها المهدية	١٠٩
<u>المبحث الأول:</u> الشروع في تنفيذ الخطط التصديرية المرسومة	١٠٩
سياسة كرومر	١١١
المنطقة الأولى	١١٢
المنطقة الثانية	١١٢

رقم الصفحة	الموضوع
١١٢	المنطقة الثالثة
١١٣	موقف الرساليات من سياسة كرومر
١١٣	ترمنجها م وسياسة الحظر
١١٥	<u>المبحث الثاني : طلائع المبشرين تصل السودان</u>
١١٨	<u>المبحث الثالث : المؤسسات الكسبية العاملة بالسودان</u>
١٢٠	استئناف عمل المبشرين الكاثوليك
١٢٢	الرسالية الاسقفية
١٢٥	الكنيسة الأمريكية المسيحية
١٢٦	مجمع مشيخة السودان
١٢٧	الكنيسة الارثوذكسية
	الرساليات الثانوية العاملة في السودان
١٣٦	وأغلبها بروتستانتية
١٣٧	منظمات كسبية ذات نفوذ واسع في السودان
١٣٧	أ - مجلس الكنائس العالمي
١٣٧	ب - مجلس الكنائس الأفريقي
١٣٧	ج - مجلس الكنائس السوداني
١٣٧	د - جمعية أفريقيا للتبشير
١٣٨	تحديد مناطق نفوذ الرساليات
١٣٨	أ - الرسالية الأمريكية الانجيلية
١٣٨	ب - الرسالية الكاثوليكية
١٣٨	المعلمة ج - الرسالية الانجليزية
١٤٠	<u>الفصل الثاني : سياسة الاستعمار وعلاقتها بالتنصير</u>
١٤٠	<u>المبحث الأول : أثر الثقافة المصرية على السودان</u>
١٤٦	<u>المبحث الثاني : نقل الخطة الى السودان</u>
١٤٨	المنهج والادارة
١٤٩	منهج التعليم في مصر
١٥٠	الادارة والمنهج في السودان
١٥٨	<u>المبحث الثالث : المدارس التبشيرية</u>
١٦٥	المدارس الكسبية قبل الاستقلال
١٦٥	أ - مدارس الروم الكاثوليك
١٦٥	ب - مدارس الانجيلية قبل الاستقلال
١٦٥	ج - مدارس الاسقفية الانجليزية
١٦٦	مدارس الاسقفية
١٦٧	المؤسسات الكسبية في الشمال بعد الاستقلال
١٦٧	أولا الروم الكاثوليك

- ١٦٨ ١- كلية كمبوني
- ١٦٩ ٢- مدرسة الراهبات
- ١٦٩ ٣- مدرسة القديس سان فرنسيس بالخرطوم
- ١٦٩ ٤- مدرسة فيلا جلد ١
- ١٦٩ ٥- مدرسة سان جوزيف الفنية بالخرطوم
- ١٦٩ ٦- مدرسة سان جوزيف للبنات بالخرطوم
- ١٦٩ ٧- مدرسة كمبوني الابتدائية بالسجانة
- ١٦٩ ٨- مدرسة كمبوني الصناعية
- ١٧٠ ٩- مدرسة كمبوني الصناعية بحى مايو
- ١٧٠ ١٠- مدرسة الجريف غرب الكاثوليكية بالخرطوم
- ١٧٠ ب/ مدارس الكاثوليك بام درمان
- ١٧٠ ١- مدرسة كمبوني الابتدائية للبنين
- ١٧٠ ٢- كمبوني المتوسطة للبنين بام درمان
- ١٧١ ٣- كمبوني للبنات بام درمان
- ١٧١ ٤- روضة كمبوني
- ١٧١ ٥- مدرسة الحارة الأولى بامبدة
- ١٧١ ج/ مدارس الكاثوليك بالخرطوم بحرى
- ١٧١ ١- مدرسة كمبوني بالخرطوم بحرى للأولاد
- ١٧١ ٢- مدرسة حلة حمد الابتدائية
- ١٧١ ٣- مدرسة كوبر الكاثوليكية
- ١٧٢ ٤- مدرسة حلقات الطوك الكاثوليكية المختلطة
- ١٧٢ مدارس الرسالية الانجيلية بالعاصمة الثلاثة
- ١٧٣ أ- رياض الاطفال بنين وبنات
- ١٧٣ ب- المدارس الابتدائية
- ١٧٣ ج- الانجيلية السودانية بام درمان
- ١٧٣ د- المدارس الانجيلية المتوسطة
- ١٧٣ هـ- المدارس الانجيلية الثانوية
- ١٧٣ مدارس الكنيسة الاسقفية بالعاصمة
- ١٧٤ أ- رياض الاطفال بنين وبنات
- ١٧٤ ب- الابتدائية بنين وبنات
- ١٧٤ ج- المدارس المتوسطة
- ١٧٤ د- المدارس الثانوية الاسقفية بنين وبنات
- ١٧٤ مدارس الاقباط الارثوذكس
- ١٧٥ أ- رياض الاطفال
- ١٧٥ ب- المدارس الابتدائية التابعة للاقباط الارثوذكس
- ١٧٢ المبحث الخامس : التعليم الأهلى الاسلامى
- ١٧٩ التعليم الأهلى على المنهج العلمانى

١٨٢	<u>الفصل الثالث: التعليم التنصيري في جنوب السودان وغرب السودان</u>
١٨٢	<u>المبحث الأول: موقع الجنوب وسكانه</u>
١٨٢	أ- الموقع
١٨٢	ب- المساحة والسكان
١٨٤	صلة جنوب السودان بالشمال
١٨٥	المهدية والجنوب
١٨٨	<u>المبحث الثاني: حرب اللغة العربية واقصاؤها عن الجنوب</u>
١٩٣	مؤتمر الرجاف (من ٩-١٤ من أبريل سنة ١٩٢٨)
١٩٨	<u>المبحث الثالث: التعليم التنصيري بجبال النوبة</u>
	دعوة الحكومة لارسالية السودان المتحدة للعمل بجبال
١٩٩	النوبة
٢٠١	الصعوبات التي واجهت تدريس العربية بالحرف الرومانى
	دعوة جمعية الارسالية الاسقفية للعمل فى منطقة جبال
٢٠٢	النوبة
٢٠٤	العودة الى الحرف العربى
٢٠٦	<u>الفصل الرابع: التبشير بالتطبيب</u>
٢٠٦	<u>المبحث الأول: التبشير بالتطبيب فى الشمال</u>
٢٠٨	مستشفى الارسالية بام درمان
٢١٠	<u>المبحث الثانى: التبشير بالعلاج فى الجنوب</u>
٢١٤	<u>الفصل الخامس: الاعمال التبشيرية</u>
٢١٥	اذاعات التنصير
٢١٧	الكتب والنشرات
٢١٨	نموذج لبعض عناوين الكتب التشكيكية التى توزعها المنظمة
٢٢٠	<u>الفصل السادس: بعض الوسائل المستحدثة فى مجال التنصير</u>
٢٢٠	<u>المبحث الأول: استفلال الحاجة</u>
٢٢٥	<u>المبحث الثانى: المؤسسات التبشيرية التنموية</u>
	<u>المبحث الثالث: الجهود التنصيرية لتحويل السودان من الاسلام الى</u>
٢٢٧	النصرانية
٢٢٧	هجراج التوازن
٢٢٩	<u>الباب الثالث: آثار الاستعمار والتنصير فى ضعف المجتمع السودانى وتفككه</u>
٢٢٩	التمهيد
٢٣٠	النظام الاقتصادى لدولة الفونج
٢٣٠	الدعوة الاسلامية فى عهد دولة الفونج
٢٣٢	<u>الفصل الأول: آثار الاستعمار والتنصير فى ضعف المجتمع السودانى</u>
٢٣٢	<u>المبحث الأول: الأثر التشريعى</u>
٢٤٣	<u>المبحث الثانى: أثر الاستعمار فى الضعف الدينى</u>
٢٤٤	صنائع الاستعمار وخلفاؤه
٢٥٣	ما بعد الحرب

٢٥٧	<u>المبحث الثالث: التدهور الخلقي</u>
٢٦٢	<u>الفصل الثاني: أثر الاستعمار والتبشير في تفكك المجتمع السوداني</u>
٢٦٢	<u>المبحث الأول: انتهاج سياسة: (فرق تسد)</u>
٢٦٩	<u>المبحث الثاني: دور الاستعمار والتنصير في مشكلة جنوب السودان</u>
٢٦٩	جذور المشكلة
٢٧١	المرحلة الأولى (١٨٩٩-١٩١٩م)
٢٧٢	المرحلة الثانية (١٩٢٠-١٩٤٦)
٢٧٩	المرحلة الثالثة (١٩٤٦-١٩٥٦)
٢٨٢	<u>المبحث الثالث: بداية الصراع المسلح</u>
٢٨٧	الكنيسة تواجه الحكومة
٢٩٣	<u>المبحث الرابع: الحكومة تواجه الكنيسة</u>
٢٩٣	طرد المبشرين سنة ١٩٦٤
٢٩٥	التنظيمات الجنوبية
٢٩٩	وجاء النمرى
٢٩٩	اسرائيل والأفانيا الوطنية
٣٠١	<u>المبحث الخامس: اتفاقية أديس أبابا</u>
٣٠٤	أثر الاتفاقية على الشمال
٣١٠	<u>المبحث السادس: فشل النصرانية في جنوب السودان</u>
٣١٢	اعتراف الكنيسة الكاثوليكية بالفشل
٣١٣	وصول العدد الكسرى
٣١٤	<u>الباب الرابع: طرق المواجهة:</u>
٣٠٤	تمهيد
٣٢٢	<u>الفصل الأول: العودة الى الطريق المستقيم</u>
٣٢٢	<u>المبحث الأول: وسائل العودة</u>
٣٢٢	المنهج التربوى
٣٢٣	أ- محور الهدم
٣٢٨	ب- محور البناء
٣٢٨	١- توحيد الربوبية
٣٢٩	٢- توحيد الالهية
٣٣٠	٣- توحيد الأسماء والصفات
٣٣٢	<u>المبحث الثاني: اصلاح المناهج والمؤسسات التعليمية</u>
٣٣٢	أسس التربية الصالحة
٣٣٢	القرآن الكريم والسنة المطهرة
٣٣٥	تعليم المرأة
٣٣٥	تعليم اليتيم
٣٣٦	كيفية ربط المنهج بالقرآن الكريم
٣٣٧	القدوة الحسنة

الموضوع

رقم الصفحة

٣٣٩	المبحث الثالث: اعلام اسلامى قوى
٣٤١	وسائل الاعلام فى بلاد المسلمين
٣٤٥	تنقية وسائل الاعلام
٣٤٧	المبحث الرابع: اعداد الدعاة
٣٥١	الدعوة الى وحدة الامة
٣٥٣	المبحث الخامس: السلطة المسلمة
٣٥٦	الحكم بغير ما أنزل الله كفر
٣٦١	المبحث السادس: الجهاد فى سبيل الله بالمال والنفس
٣٦١	أولا : الجهاد بالمال
٣٦٢	انفاق المال لجهاد الاعداء
٣٦٣	ثانيا : الجهاد بالنفس
٣٦٧	الفصل الثانى : السودان وطرق مواجهة التنصير
٣٦٧	المبحث الأول : تجربة المواجهة الفردية
٣٦٨	الرجل الاول : الشيخ محمد الامين القرشى
٣٧٢	الرجل الثانى : الزعيم عيسى احمد فرتاك
٣٧٣	المبحث الثانى : تجربة المواجهة المنظمة
٣٧٣	نماذج من وسائل حرب الصليبية لمنظمة الدعوة الاسلامية ٣٧٣
٣٨٤	الخاتمة : وتشتمل على النتائج والاقتراحات
٣٩٢	الملاحق :
٣٩٣	الملحق رقم (١) احصائية المدرسة
٣٩٦	الملحق رقم (٢) قانون المناطق المغفلة
٣٩٧	الملحق رقم (٣) صورة اورنيك لطلب تصريح لدخول منطقة مغفلة
٣٩٨	الملحق رقم (٤) رسالة مبشر لطالب
٤٠٠	الملحق رقم (٥) بيان الجنرال ابراهيم عبود رئيس الحكومة
٤٠٥	الملحق رقم (٦) تقارير جريدة الراية السودانية
٤٠٩	الفهارس :
٤١٠	فهرس الآيات القرآنية الكريمة
	فهرس الأحاديث النبوية الشريفة
	فهرس المراجع
	فهرس الاشكال :
	- شكل رقم (١) خارطة السودان والدول المجاورة له
	- شكل رقم (٢) خارطة المسلمين فى أفريقيا بالنسبة العشوية
	- شكل رقم (٣) خارطة تبين مراكز الضغط التنصيرى فى أفريقيا
	- شكل رقم (٤) خارطة تبين مناطق نفوذ الرساليات التبشيرية فى الجنوب
	- شكل رقم (٥) خارطة تبين مناطق الرسالية الكاثوليكية فى الجنوب
٤٢٩	فهرس الموضوعات